إعراب القرآن الكريم
وبيانه

الطبعة الرابعة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص.ب ٣١١ - هاتف ٢٢٥٨٧٧
بيروت - ص.ب ٦٣١٨/١١٣

اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص.ب ٣٧٧ - هاتف ٢٤٣٢٤٥ - بيروت: ص.ب ٥٤٨٨/١١٣

إعراب القرآن الكريم وبيانه

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد الأول

الجزء الأول — الجزء الثاني — الجزء الثالث

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
حمص - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أما بعد حمد الله على آلائه ، والصلاة والسلام على خاتمة رسله وانبيائه ، فهذا كتاب « اعراب القرآن وبيانه » ، أتيح له أن يظهر بعد ان طال احتجابه ، وكثر طلابه ، ولعله أول كتاب جمع البيان فاوعى ، ورسم لشداة الآداب السبيل الأقوم والأسنى ، ولست أدل به لأنه عن أئمة البيان مقتبس ، وفيه لمن رام البيان نعم الملتمَس ، ولن اتحدث عنه فهو أولى بالحديث عن نفسه ،

والمسك ما قد شف عنه ذاته

لا ما غدا ينعته بائعه

وقد جعلته بعدد أجزاء القرآن الكريم ، ليسهل تناوله فلا يحتاج مقتنيه الى كتاب في الاعراب والبيان ، وقد قطعتْ جهيزةُ قولَ كلِّ خطيبٍ بعد الآن .

محيي الدين الدرويش

حمص جمادى الاولى ١٤٠٠
نيسان ١٩٨٠

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

اللغة :

(أعوذ) : أعتصم وأمتنع (الشـّيطان) : إمّا أن يكون عـلى وزن فَعْلان من شاط يشيط بقلب ابن آدم أي مال به وأهلكه ،وإمّا أن يكون على وزن فيعال من شطن أي بعد كأنه بعد عن الخير أو بعد غوره في الشـّر • (الرجيم) : فعيل بمعنى مفعول والمرجوم في اللـّغة : المطرود الملعون أو فعيل بمعنى فاعل أي يرجم غيره بالإغواء والتضليل والقاء النفس في المتالف •

الاعراب :

(أعوذ) فعل مضارع مرفوع وهــو فعل معتل أجوف لأن عين الفعل واو والأصل أعْوُذ على وزن أفعُل فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت الى العين فصارت أعوذ وهذه علـّة ما كان من هذا الباب وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : أنا • (بالله) : جار ومجرور متعلقان بأعوذ (من الشيطان) جار ومجرور متعلقان بأعوذ أيضاً ومن لابتداء الغاية كما أن إلى لمنتهى الغاية فإذا قلت : لزيد من الحائط الى الحائط فقد بيـّنت به طرفي ماله ، وإذا قال الرجـل : لزيد عليّ من واحد الى عشرة فجائز أن يكون عليه ثمانية إذا أخرجت الحدّين وجائز أن يكون عليه عشرة إذا ادخلت الحدّين معاً ، وجائز أن يكون عليه تسعة إذا أدخلت حدّاً وأخرجت حدّاً • (الرجيم) نعت حقيقي للشيطان وجملة الاستعاذة ابتدائية لامحل لها من الاعراب •

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اللغة :

(اسم) اختلف علماء اللغة في اشتقاق الاسم فذهب البصريّون إلى أنه من السّموّ وهـو العلوّ وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من السّمة وهي العلامة وكلاهما صحيح من جهة المعنى وفيه خمس لغات : اسم بكسر الهمزة ، واسم بضمها ، وسم بكسر السين ، وسم بضمها، وسُمى بوزن هدى ، هذا والاسم هو واحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفادياً للابتداء بالساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وإذا وقعت في درج الكلام لم تفتقر إلى شيء .

(الله) علم لا يطلق إلا على المعبود بحقّ خاص لا يشركه فيه غيره وهو مرتجل غير مشتق عند الاكثرين واليه ذهب سيبويه في أحد قوليه فلا يجوز حذف الألف واللام منه وقيل : هو مشتق وإليه ذهب سيبويه أيضاً ولهم في اشتقاقه قولان :

آ ـ ان أصله إلاه على وزن فِعال من قولهم : أَلِهَ الرّجل يأله إلاهة أي عبد عبادة ثم حذفوا الهمزة تخفيفاً لكثرة وروده واستعماله ثم أدخلت الألف واللام للتعظيم ودفع الشّيوع الذي ذهبوا إليه من تسمية أصنامهم وما يعبدونه آلهة من دون الله .

ب ـ أن أصله لاه ثم أدخلت الألف واللام عليه واشتقاقه من لاه يليه إذا تستر كأنه ،سبحانه ، يسمّى بذلك لاستتاره واحتجابه عن إدراك الأبصار وما أجمل قول الشريف الرّضي الشاعر :

« تاهت العقلاء في ذاته تعالى وصفاته ، لاحتجابها بأنوار العظمة . وتحيّروا أيضاً في لفظ الجلالة كأنه انعكس إليه من تلك الأنوار أشعة بهرت أعين المستبصرين ، فاختلفوا : أسريانيّ هو أم عربي ؟ اسم أو صفة ؟ مشتقّ وممّ اشتقاقه ؟ وما أصله ؟ أو غير مشتق ؟ علم أو غير علم ؟ » . (الرحمن) : صيغة فعْلان في اللغة تدل على وصف فعليّ فيه معنى المبالغة للصفات الطارئة كعطشان وغرثان . (الرّحيم) صيغة فعيل تدل على وصف فعليّ فيه معنى المبالغة للصفات الدائمة الثابتة ولهذا لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر .

الاعراب :

(بسم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف والباء هنا للاستعانة أو للالصاق ، وتقدير المحذوف أبتديء فالجار والمجرور في محل نصب مفعول به مقدم أو ابتدائي فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف وكلاهما جيد و (الله) مضاف اليه و (الرحمن الرحيم) صفتان لله تعالى وجملة البسملة ابتدائية لا محلّ لها من الاعراب .

البلاغة :

في البسملة طائفة من فنون البلاغة :

آ ـ الأولى في متعلق بسم الله أن يكون فعلا مضارعاً لأنه الأصل في العمل والتمسّك بالأصل أولى ولأنه يفيد التجدّد الاستمراري وإنما حذف لكثرة دوران المتعلق به على الألسنة وإذا كان المتعلق به اسماً فإنه يفيد الديمومة والثبوت كأنما الابتداء باسم الله حتم دائم في كل مانمارسه من عمل ونردده من قول .

ب ـ الإيجاز بإضافة العام إلى الخاص ويسمى ايجاز قصر .

حـ ـ إذا جعلنا الباء للاستعانة فيكون في الكلام استعارة مكنية تبعية لتشبيهها بارتباط يصل بين المستعين والمستعان به وإذا جعلنا الباء للالصاق فيكون في الكلام مجاز علاقته المحلية نحو مررت بزيد أي بمكان يقرب منه لا بزيد نفسه .

الفوائد :

في البسملة فوائد لايجوز الجهل بها ومنها :

آ ـ اعلم أن البسملة آية من سورة الحمد وآية من أوائل كل سورة عند الشافعي وليست آية في كل ذلك عند مالك وعند أبي حنيفة وأحمد بن حنبل هي آية من أول الفاتحة وليست آية في غير ذلك ، والاحتجاج لذلك مبسوط في كتب الفقه والتفسير فارجع اليها .

ب ـ لم يوصف بالرحمن في العربية بالألف واللام إلا الله تعالى ، وقد نعتت العرب مسيلمة الكذاب به مضافاً فقالوا : رحمان اليمامة . قال شاعر منهم يمدح مسيلمة :

سموت بالمجد ياابن الاكرمين ابا
وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

حـ ـ تكتب بسم الله بغير ألف في البسملة خاصة استغناء عنها بباء الاستعانة بخلاف قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » .

د ـ تحذف الألف من الرحمن لدخول الألف واللام عليهـا .

هـ ـ يقال لمن قال : بسم الله الرحمن الرحيم : مبسمل وهــو ضرب من النحت اللغوي وقد ورد ذلك في شعر لعمر بن أبي ربيعة :

لقــد بسملت ليلى غــداة لقيتهــا
فيــا حبــذا ذاك الحبيب المبسمــل

ومثل بسمل حوقل إذا قال : لاحول ولا قوة إلا بالله وهيلل إذا قال : لا إله إلا الله وسبحل إذا قال : سبحان الله وحمدل إذا قال : الحمد لله وحيصل وحيعل إذا قال : حي على الصلاة وحي على الفلاح وجعفل إذا قال : جعلت فداك .

هذا والنحت عند العرب خاص بالنسبة أي أنهم يأخذون اسمين فينحتون منهما اسماً واحداً فينسبون إليه كقولهم : حضرميّ وعبقسيّ وعبشميّ نسبة إلى حضرموت وعبد القيس وعبد شمس على أن الفراء ذكر عن بعض العرب : معي عشرة فأحِدْهُنّ لي أي صيرهنّ أحد عشر ، وقال الفراء : معنى اللّهمّ : يا ألله أمّنا بخير أي اقصدنا بخير فكثرت في كلام العرب ونحت العرب من اسمين فقيل عن الصّلدم إنه من الصّلد والصّدم ومنه بلحارث لبني الحارث ولعل الحَقَلّد وهو السّيء الخلق والثقيل الروح منحوت من الحقد والثقل ونحتوا من فعل وحرف فقالوا : الأزليّ وهو منحوت من لم يزل،ونحتوا من اسم وحرف فقالوا : من من لا شيء تلاشى ونحتوا من حرفين فقال الخليل : إن كلمة (لن)منحوتة من لا وأن وانها تضمّنت بعد تركيبها معنى لم يكن في أصليها مجتمعين وانما أوردنا هذه الأقوال ، لا لأنها قاطعة فهي موضع خلاف كما رأيت ، ولكننا استأنسنا بها لتتوافر همم المشتغلين باللّغة على النحت ففيه ثروة جديدة للغتنا وتسهيل لكثير من التعابير الحديثة التي نفتقر اليها ، فالنحت من أبرز الظواهر في اللغات الأجنبية الحديثة بفضل ما

يلحق بالأصل من لواحق سابقة أو لاحقة ، أو بفضل ما يعطونه للغتهم من مرونة حين يؤلفون كلمة جديدة من اسمين أو صفتين أو فعلين حتى إذا تألفت الكلمة ، وأعطت مدلولاً خاصاً سارت على الأفواه كل مسير، ومن أمثلة ذلك في اللغة الفرنسية قولهم المؤلف من فعل واسم essie — main للمنديل المعد لتنشيف الأيدي وقولهم المؤلف من فعلين : laiss ez — pass er للإذن المكتوب للمرور وقولهم المؤلف من اسمين : Oiseoux monches لنوع من طير صغير وغيرها .

و ـ كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها : « باسمك اللهمّ » وكان أميّة بن أبي الصّلت أول من كتب باسمك اللهم إلى أن جاء الاسلام ونزلت بسم الله الرحمن الرحيم ، وروى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قريش: باسمك اللهم حتى نزل قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها » فكتب: باسم الله حتى نزل قوله تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » فكتب باسم الله الرحمن حتى نزل قوله تعالى : « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

سُورَةُ الفَاتِحَة
مَكِّيَّة وَهِيَ
سَبْعُ آيَات

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢) ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ (٧) ﴾

اللغة :

(الحمد) : الثناء بالجميل والنـداء عليه باللسان ، والشكر هو الثناء على النعمة خاصة فبينهما عموم وخصوص (رب) الرب : هـو السيّد والمالك والثّابت والمعبود والمصلـح وزاد بعضهـم الصّاحب مستدلا بقوله :

فـدنا لـه رب الكـلاب بكفّه

بيض رهـــاف ريشهنّ مُقَزَّعٌ

والمربي : الذي يسوس من يربيه ويدبره فهو اسم فاعل حذفت ألفه كما قيل : بارٌّ وبَرٌّ وقيل : مصدر وصف به ويقيّد بالاضافة نحو ربُّ الدّار من ربّه يربّه وقيل : هو صفة مشبّهة مصوغة من فعـل متعدّ فلا بد من تقديره لأزماً بالنقـل الى فعل بالضم (العالمـين) جمع عالم بفتح اللام وجمع جمع المذكر السالم العاقل تغليبا والمراد به جميع الكائنات ولذلك أدرجه النحّاة فيما ألحق بجمع المذكر والنّكتة فيه هي أن هذا اللفظ لا يطلق عند العرب على كل كائن وموجود كالحجر والتراب وإنما يطلقونه على كل جملة متمايزة لأفرادها صفات تقربها من العاقل الذي جمعت جمعه وإن لم تكن منه فيقال : عالم الانسان ، وعالم الحيوان وعالم النبات والعالم لا واحد له من لفظه ولا من غير لفظه لأنه جمع لأشياء مختلفة (الدّين) : الجزاء ويوم الدّين : يوم الجزاء ومنه قول العرب : « كما تدين تدان » وقول الشاعر :

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

والدّين ايضا : الطاعة كقوله تعالى « في دين الملك » ، والدّين أيضاً : الملّة قال المثقّب العبديّ :

تقول إذا دَرَأْت لها وضيني أهذا دينه أبداً وديني

(الصّراط) : الطّريق الواضح والمنهاج . قال جرير :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوجّ الموارد مستقيم

وفي الصراط أربع لغات : السّراط بالسّين من سرط الشيء إذا بلعه وسمي الطريق سراطاً لجريان الناس فيه كما يجري الشيء المبتلع والصراط وبالزاي خالصة وبإشمام الصاد الزاي وكل هذه اللغات قد قرىء به ويذكر ويؤنث وتذكيره أكثر .

الاعراب :

(الحمد) مبتدأ (لله) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (رب) : صفة لله أو بدل منه (العالمين) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (الرحمن الرحيم) صفتان لله تعالى ايضا (مالك) صفة رابعة لله وقرىء ملك وبينهما فرق دقيق وهو أن المالك هو ذو الملك بكسر الميم والملك ذو الملك بضمها قال أهل النحو : إن ملكاً أمدح من مالك وذلك ان المالك قد يكون غير ملك ولا يكون الملك إلا مالكاً وجمع الملك أملاك وملوك وجمع المالك ملاك ومالكون (يوم الدين) مضاف إليه (إياك) ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم للاختصاص (نعبد) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره نحن (وإياك نستعين) عطف على إياك نعبد ونستعين فعل مضارع مرفوع وهو معتل أجوف والأصل فيه نستعون فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فصار نستعين (اهدنا) فعل أمر مبني على حذف العلة وهو هنا بمعنى الدعاء ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره انت (الصراط) مفعول به ثان

أو منصوب بنزع الخافض لأنّ هدى لا تتعدى إلا الى مفعول واحد وتتعدى الى الثاني باللام كقوله تعالى : « يهدي للتي هي أقوم » أو بإلى كقوله تعالى « وإنك لتهدى الى صراط مستقيم » ولكن غلب عليها الاتّساع فعداها بعضهم إلى اثنين وقد نظم بعض الظرفاء ابياتا ضمّنها الأفعال التي تتعدى الى واحد والى الثاني بحرف جر وهي :

تعدى من الافعال طــورا بنفسه وحينا بحرف الجر للثان ماترى
دعــا في الندا سمّى كــذا كنى وزوجــه واستغفر اختار غــيرا
أمرت صدقت الوعد كلت وزنته عفا وهدى مَنّى كذا سأل اذكرا

ومجموعها ستة عشر فعلا (المستقيم) صفة للصراط وهو معتلّ وعين الفعل فيه واو والأصل مستقوم فاستثقلت الكسرة عــلى الواو فنقلت الى القاف فانقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها (صراط) بــدل مطابق مــن الصراط (الذين) اسم موصول مضاف اليه في محل جر (أنعمت) فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل وجملة انعمت لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (عليهم) جار ومجرور متعلقان بأنعمت (غير) بدل من الضّمير في عليهم أو من الذين أو نعت للذين وسيأتي بحث مسهب عن غير في باب الفوائد (المغضوب) مضاف اليه (عليهم) جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل للمغضوب لأنه اسم مفعول (ولا) الواو حرف عطف ولا زائدة لتأكيد معنى النفي وهو ما في غير من معنى النفي وهذه الزيادة مطّردة (الضالين) معطوفة على المغضوب عليهم مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم .

البلاغة :

اشتملت هذه السورة ، على قصرها ، على أفانين متعددة من البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ ـ جملة الحمد لله خبر لكنها استعملت لإنشاء الحمد وفائدة الجملة الاسمية ديمومة الحمد واستمراره وثباته .

٢ ـ في قوله اياك نعبد وإياك نستعين فنّ التّقديم فقد قدّم الضمير لحصر العبادة والاستعانة بالله وحده ، وقدمت العبادة على الاستعانة لأن الاستعانة ثمرتها واعادة إياك مع الفعل الثاني تفيد أن كلاً من العبادة والاستعانة مقصود بالذات فلا يستلزم كل منهما الآخر ولأن الكاف التي مع إيّا هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل أعني بقوله نعبد لو كانت مؤخرة بعد الفعل وهي كناية عن اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكثّرت بإيّا متقدمة وكان الافصح إعادتها مع كل فعل .

٣ ـ وفي قوله لله فن الاختصاص للدلالة على أن جميع المحامد مختصة به وكذلك بالاضافة في قوله مالك يوم الدين لزوال المالكين والأملاك عن سواه في ذلك اليوم .

٤ ـ وفي هذه السورة فن الالتفات من لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ومن لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة والغرض من هذا الفن التّطرية لنشاط الذهن جرياً على أساليبهم ، ولأنه لما أثنى على الله بما هو أهل له وأجرى عليه تلك الصفات العظيمة ساغ له أن يطلب الاستعانة منه بعد أن مهد لذلك بما يبرر المطالبة وهو ، تعالى ، خليق بالاستجابة ، وللإشعار بأن اولى ما يلجأ اليه العباد لطلب ما يحتاجون اليه هو عبادته تعالى والاعتراف له بصفات الألوهية ، البالغة ، وقال « صراط

الذين أنعمت عليهــم » فأصرح الخطاب لما ذكر النّعمــة ثم قال : غير المغضوب عليهم فزوى لفظ الغضب عنه تحنّناً ولطفاً وهذا غاية ما يصل اليه البيان ، وهذه مراتب الالتفات في هذه السورة :

آ ــ عدل عن الغيبة الى الخطاب بقوله : إياك نعبد وإياك نستعين بعد قوله : الحمد لله رب العالمين لأن الحمد دون العبادة في المرتبة ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كانت الحال بهذه المثابة استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبه في الخبر ولم يقل الحمد لك •

ب ــ ولما صار الى العبادة وهي قصارى الطاعات قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » فخاطب بالعبادة إصراحاً بها ، وتقرّباً منــه عزّ وجلّ بالانتهاء الى عدد محدود منها •

حـ ــ وعلى نحو من ذلك جاء آخر السّورة فقال : « صراط الذين انعمت عليهم » فأصرح الخطاب لما ذكــر النعمة ثم قال : « غير المغضوب عليهم عطفا على الأول ، لأن الأول موضع التقرّب من الله بذكر نعمه وآلائه فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب فأسند إليه النعمة لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحنّنا ولطفا •

د ــ وأتى بنون الجمع في قوله : « نعبــد » و « نستعــين » والمتكلم واحد لأنه ورد في الشّريعة أنه من باع اجناسا مختلفة صفقة واحدة ثم ظهر للمشتري في بعضها عيب فهو مخيّر بين ردّ الجميع أو إمساكه وليس له تبعيض الصّفقة ، بردّ المعيب وإبقاء السّليم ، وهنا لما رأى العابد أن عبادته ناقصة معيبة لم يعرضها على الله مفردة بل جنح الى ضمّ عبادة جميع العابدين اليها وعرض الجميع صفقة كاملة راجياً قبول عبادته في ضمنها لأنّ الجميع لايــردّ البتّة ، إذ بعضه مقبول

وردّ المعيب ، وابقاء السليم تبعيض للصفقة وقد نهى سبحانه عباده عنه ، وهو لا يليق بكرمه العظيم ، وفضله العميم فبقي قبول الجميع .

٥ ـ وعلى ذكر استهلال القرآن بالفاتحة نذكر هـذا الفنّ في الفاتحة ، وهو براعة الاستهلال ، وهو من ارقّ فنون البلاغة وأرشقها ، وحدّه أن يبتدىء المتكلم كلامه بما يشير الى الغرض المقصود مـن غير تصريح بل بإشارة لطيفة ، وإيماءة بعيدة أو قريبة ، والاستهلال في الأصل : هو رفع الصوت ، وسمي الهلال هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته ومن أمثلته في الشعر قول أبي تمام في مطلع قصيدته: « فتح عمورية » :

السّيف أصدق أنبـاءً من الكتب
في حدّه الحدّ بين الجِدِّ واللّعبِ

فقد استهلّ قصيدته بذكر السيف وفيه إيماءة قريبة جداً الى الموضوع الذي نظمت القصيدة بصدده وقد اشتهر ابو الطيب ببراعة مطالعه ومن روائعها قوله :

أتراها لكثرة العشّاقِ تحسب الدّمع خلقة في المآقي

فقد ألمع الى موضوع قصيدته وهو الغزل برشاقة زادها ابتكار المعنى في حسبان الدمع خلقة في المآقي حسنا وجمالا .

٦ ـ الاستعارة التّصريحيّة في قولـه : « اهـدنا الصراط المستقيم » فقد شبه الدين الحق بالصراط المستقيم الذي ليس به أدقّ انحراف قد يخرجه عن حدود الاستقامة لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين ووجه الشبه بينهما أن الله سبحانه وإن كان متعاليا عن

الأمكنة لكن العبد الطالب الوصول لا بد له من قطع المسافات ، ومس الآفات ، ليكرم الوصول والموافاة •

٧ ـ التفسير بعد الإبهام وذلك في قوله تعالى : « صراط الذين أنعمت عليهم » •

٨ ـ التسجيع في الرحيم والمستقيم وفي « نستعين » و « الضالين » والتسجيع هو اتفاق الكلمتين في الوزن والرّوّي •

الفوائد :

انطوت هذه السورة على فوائد لا تحصى وسنورد ما تهم معرفته منهـا :

١ ـ الألف واللام في الحمد للجنس عـلى الاصح لأن حقيقة المحامد ثابتة لله تعالى •

٢ ـ وسميت هذه السورة « الفاتحة » لأنها أول القرآن وبراعة استهلاله وتسمى أمّ الكتاب لانطوائها على المثل السامية وهي مكية على الأصح ومن اسمائها السبع المثاني والوافية ، والكـافية والشـافية ، والرّقية ، والكنز والأساس وغيرها •

٣ ـ غير : لفظ غير مذكر مفرد أبداً إلا أنه إذا أريد به مؤنّث جاز تأنيث فعله المسند اليه تقول قامت غير هند وأنت تعني امرأة وهي في الاصل صفة بمعنى اسم الفاعل وهو مغاير ولذلك لاتتعرف بالاضافة، وقد يستثنى بها حملاً عـلى إلاّ كما يوصف بإلا حملا عليها وهي من الألفاظ الملازمة للاضافة لفظاً أو تقديراً فادخال الألف واللام عليها خطأ•

٤ ــ آخر الفاتحة « ولا الضالّين » وأما لفظ آمين فليس منها ولا من القرآن مطلقاً وهو اسم بمعنى استجب ويسنّ ختم الفاتحة به وفيه لغتان : المدّ والتقصير قال ابو نواس في المد :

صلى الإلهعلى لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله : آمينا

وقال آخر في القصر :

تباعد مني فِطحْلٌ إذ دعوته أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

٥ ــ قد يقال : إن المؤمنين مهتدون فما معنى طلبها ؟ والجواب ان المطلوب هو الثبات على الهدى أو زيادته وليس في كون بعض الناس لم يهتدوا ما يخرجه عن أن يكون هدى فالشمس شمس وإن لم يرها الضّرير ، والعسل عسل ، وان لم يجد طعمه المرور ، فالخيبة كل الخيبة لمن عطش والماء زاخر ، ولمن بقي في الظلمة والبدر زاهر ، وخبث والطّيب حاضر .

٦ ــ الأرجح أن الفاتحة هي أول سورة كاملة نزلت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بجعلها أول القرآن وانعقد علىذلك الاجماع ونزول أول سورة العلق وهو « اقرأ باسم ربك الذي خلق » يعتبر بمثابة تمهيد للوحي المجمل والمفصّل فلا ينافي كونها أول سورة من القرآن وذكر السيوطي في الاتقان : أن أول ما نزل من آي القرآن اقرأ باسم ربك ، ويا أيها المدثر وسورة الفاتحة .

سُورَةُ البَقَرَةِ
مَدَنِيَّة وَهِيَ
مِائَتَان وَسِتٌ وَثَمَانُونَ آيَة

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢
ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤
أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

اللغة :

(ألم) : الحروف التي ابتدىء بها كثير من السور هي على الأرجح اسماء للسور المبتدأة بها أما ماهيتها والحكمة منها فقد اختلفت في ذلك الآراء ، وتشعبت المقاصد ، حتى ليتعذّر إن لم نقل يستحيل على الباحث أن يستوفيها ويمكننا أن نصنف هذه الآراء إلى صنفين :

١ ــ انها من المتشابه به الذي نفوض الأمر فيه إلى الله ويسعنا في ذلك ما وسع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم ، قال هؤلاء : ليس من الدين في شيء أن يتنطّع متنطّع فيخترع ما يشاء من العلل ، التي قلّما يسلم مخترعها من الزّلل •

٢ ــ انها كغيرها من الكلام الوارد في القرآن فيجب أن نتكلم بها ونسبر اغوارها ونكتنه المعاني المندرجة في مطاويها عملا بقوله

تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن » ؟ وعلى هذا الرأي نرجح أن معناها التحدّي والارهاص بأن هذا القرآن مؤلف من نفس الحروف التي ينظم بها العرب أشعارهم ، ويؤلفون خطبهم وأسجاعهم وهم مع ذلك عاجزون عن الاتيان بمثله أو محاكاته وهذا تفسير يتمشى مع إعجاز القرآن الذي تميز به ، وتقول دائرة المعارف الاسلامية في بحثها عن القرآن ما خلاصته : إن العلماء تعبوا كثيراً في فهم المقصود من هذه الحروف وقد وردت هذه الحروف في تسع وعشرين سورة كلها من العهد المكّيّ إلا ابتداء سورتي البقرة وآل عمران فقد وردا في العهد المدني وجملة الحروف التي تكررت فيهذه الابتداءات أربعة عشر حرفاه

وقـد اعجبنا بحث كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه « النثر الفني » فأحببنا أن نقتبس منـه ما يروق قـال صاحب النثر الفني ما خلاصته : كنت أتحدث عن فواتح السور مع المسيو بلانشو فعرض علي تأويلا جديرا بالاعتبار ، جديرا بالدرس والتحقيق وفحواه :

ان الحروف : الم • الر • حـم • طسم هي الحروف : a. q. i التي توجد في بعض المواطن من : chan — son Degeste

فهي ليست إلا اشارات وبيانات موسيقية يشار الى الحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة فهي رموز صوتية فليس من المستبعد أن تكـون فواتح السور اشارات صوتية لتوجيه الترتيل ، ولعل ما اورده الدكتور زكي مبارك يتصل اتصالا قريبا أو بعيدا بما أوردناه من معنى التحدي وقرع العصا للمكابرين الذين سبروا أغوار القرآن وأدركوا بفطرتهم البلاغية ما يتميز به من بيان ، وللسيوطي في كتابه الممتع « الاتقان » رأي يؤيد ما ذهبنا اليه إذ قال : انه أريد مفاجأة العرب ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة ، برموز وإشارات لا عهد لهم بها ليزداد التفاتهم ،

وتتنبه آذهانهم وتهوسهم (ريب) : الريب : الشّكّ وقلق النّفس واضطرابها وفي الحديث : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » هـذا وللريب في اللغة ثلاثة معان احدها : الشك وهو المراد هنا ، وثانيها التهمة قال جميل :

بثينة قالت : ياجميلُ اربتني فقلت: كلانا يا بثينُ مُريب

وثالثها الحاجة قال :

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

(ينفقون) نفق الشيء ونفد بمعنى واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء دالٌ على معنى النّفاد والخروج والذهاب يقال : نفث الشيء من فيه : رمى به ونفث في العقد ومن أقوالهم: « لا بد للمصدور أن ينفث » و « هذه نفثة مصدور » ونفق الحمار : مات والتقصّي في هذا الباب ، يضيق عنه صدر هذا الكتاب وهو من عجائب ما تميّزت به لغتنا الشريفة وسيأتيك الكثير من أمثاله في هذا الكتاب العجيب (المفلحون) الفائزون ببغيتهم الذين انفتحت أمامهم وجوه الظفر وكل ما جاء ممّا فاؤه فاء وعينه لام دال على معنى الانفتاح والشّقّ نحو فلق وفلح .

الاعراب :

(الم) كلمة اريد لفظها دون معناها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي هذه ألم (ذلك) اسم اشارة في محل رفع مبتدأ واللام للبعد والكاف للخطاب (الكتاب) خبر ذلك وهو اولى من جعله بدلا من اسم الاشارة لأنه قصد به الإخبار بأنه الكتاب المقدس المستحق لهذا

الاسم تدعيما للتّحدّي،والجملة ابتدائية لامحل لها من الاعراب على أنه يجوز جعله بدلا من اسم الاشارة فتكون جملة لاريب فيه خبرا لاسم الاشارة (لاريب فيه)لا نافية للجنس وريب اسمها المبني على الفتح في محل نصب اسم لا والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة خبر لذلك أو حال من الكتاب (هدى) خبر ثالث لذلك(للمتقين) جار ومجرور متعلقان بهدى لأنه مصدر ولك أن تجعله صفة لهدى(الذين)اسم موصول في محل جر صفة للمتقين (يؤمنون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الافعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والجملة الفعلية لا محـل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول (بالغيب) جار ومجرور متعلقان بيؤمنون (ويقيمون) الجملة عطف على جملة يؤمنون داخلة في حيّز الصّلة (الصلاة) مفعول به (وممّا) الواو حرف عطف ومما جار ومجرور متعلقان بينفقون (رزقناهم) فعل ماض وفاعل ومفعول به وجملة رزقناهم لا محل لها من الاعراب لأنها صلة ما والعائد محذوف أي رزقناهم إياه (ينفقون) فعل مضارع مرفوع معطوف على يقيمون داخل في حيز الصلة أيضا (والذين) الواو حرف عطف واسم الموصول معطوف على الموصول الأول مندرج معه في سلك المتقين (يؤمنون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (بما) الجار والمجرور متعلقان بيؤمنون (انزل) فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود على ما اي القرآن والجملة لامحل لها من الاعراب لانها صلة الموصول (اليك) الجار والمجرور متعلقان بأنزل (وما) الواو حرف عطف وما عطف على بما أنزل اليك وجملة (انزل) لا محل لها لانها صلة الموصول (من قبلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وهو اولى من تعليقها بأنزل (وبالآخرة) الواو حرف عطف والجار والمجرور متعلقان بيوقنون (هم) ضمير منفصل

في محل رفع مبتدأ (يوقنون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعله والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية وهي « ومما رزقناهم ينفقون » وسيأتي سر المخالفة بين الجملتين في باب البلاغة (أولئك) اسم اشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ والكاف للخطاب (على هدى) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لأولئك (من ربهم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لهدى والجملة استئنافية لامحل لها (وأولئكهم) أولئك مبتدأ ، وهم ضمير فصل أو عماد لامحل له (المفلحون) خبر أولئك ولك أن تعرب هم مبتدأ والمفلحون خبره والجملة الاسمية خبر أولئك •

البلاغة :

في هذه الآيات فنون عديدة نوردها فيما يلي :

١ ــ التعريف : في تعريف الكتاب بالألف واللام تفخيماً لأمره وهو في الأصل مصدر قال تعالى : « كتاب الله عليكم » •

٢ ــ التقديم : فقد قدم الريب على الجار والمجرور لأنه اولى بالذكر استعدادا لصورته حتى تتجسّد أمام السّامع •

٣ ــ وضع المصدر هدى موضع الوصف المشتق الذي هو هاد وذلك أوغل في التعبير عن ديمومته واستمراره •

٤ ــ المجاز المرسل : في قوله « هدىللمتقين » وعلاقته اعتبار ما يئول اليه أي الصّائرين الى التقوى •

٥ ــ الايجاز : في ذكر المتقين لأن الوقاية اسم جامع لكل ما تجب الوقاية منه •

٦ ـ الاستعارة التّصريحية التّبعيّة في قوله : « عـلى هدى » تشبيهاً لحال المتقين بحال من اعتلى صهوة جواده فحذف المشبه واستعيرت كلمة على الدالة على الاستعلاء لبيان أنّ شيئاً تفوق واستعلى على مابعدها حقيقة نحو : زيد على السطح أو حكماً نحو : عليه دين فالدين للزومه وتحمله كأنه ركب عليه وتحمله ، والدقة فيه أن الاستعارة بالحرف ، ويقال في إجرائها : شبه مطلق ارتباط بين هدى ومهدي بمطلق ارتباط بين مستعلٍ ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل منها فسرى التشبيه من الكليات الى الجزئيات ثم استعيرت على وهي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ومثل الآية الكريمة قوله :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الآباء تتكل

فتأمل هذا البحث فانه من الدقة والحسن بمكان ، وسيرد في القرآن الكريم نماذج منه كالسحر الحلال .

٧ ـ التكرار في قوله : « يؤمنون بالغيب » و « يؤمنون بما انزل إليك » وفي تكرار اسم الموصول وإن كان الموصوف واحدا ، وقد يكون الموصوف مختلفا فهو تكـرار للفظ دون المعنى. وفائدته الترسيخ في الذهن ، والتأثير في العاطفة ويكثر في الشعر .

٨ ـ الحذف في قوله « الم » أي هذه الم و « هدى » أي هو هدى فحذف المبتدأ وفي قوله « ينفقون » أي المال فحذف المفعول به وقد استهوى الإنفاق في سبيل المحامد والمآثر نفوس شعراء العـرب وما أجمل قول دعبل :

قالت سلامة : اين المال ؟ قلت لها :

المـال ويحك لاقى الحمد فاصطحبا

٩ ـ حسن التقسيم وهو فن من فنون البلاغة فحواه استيعاب المتكلم جميع اقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً فقد استوعبت هذه الآيات جميع الاوصاف المحمودة ، والعبادات التي يعكف عليها المؤمنون لأن العبادات كلها تنحصر في نوعين :

بدنية ومالية ، ولا بد من استيفائهما لتكون العبادات كلها مقبولة وما أجمل الحديث الشريف القائل : « يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » وقوله : مالي مالي مفعول به لفعل محذوف أي أحبّ مالي والثاني تأكيد للأول .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ ﴾

اللغة :

(سواء) اسم بمعنى الاستواء أجري مجرى المصادر فلذلك لا يثنّى ولا يجمع قالوا : هما وهم سواء فإذا أرادوا لفظ المثنّى قالوا : سيّان وإن شئت قلت سواءان وفي الجمع هم أسواء وأيضاً على غير القياس : هم سَواسٍ وسواسية أي متساويان ومتساوون والسّواء : العدل الوسط بين حدّين يقال : ضرب سَواءَه أي وسطه وجئته في سواء النهار أي في منتصفه ، وإذا كانت سواء بعد همزة التّسوية فلا بدّ من أم اسمين كانت الكلمتان ، أم فعلين وإذا كان بعدها فعلان بغير همزة التّسوية عطف الثاني بأو ، نحو : سواء عليّ قمت أو قعدت وإذا كان بعدها مصدران عطف الثاني بالواو أو بأو ، نحو سواء عليّ

قيامك وقعودك . وقيـامك أو قعودك (غشاوة) فِعالة من غشاه أو غشيه إذا غطّاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعِصابة والعِمامة ويجوز في الغين الكسر والضّمّ والفتح .

الاعراب :

(إن الذين) إنّ واسمها وجملة (كفروا) من الفعل والفاعل لامحل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (سواء) خبر مقدم أو خبر إنّ (عليهم) جار ومجرور متعلقان بسواء (أأنذرتهم) همزة الاستفهام بمعنى التسوية وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخّر أو فاعل لسواء الذي أجري مجرى المصادر والجملة خبر إنّ (أم) عاطفة متصلة وسيأتي حكمها في باب الفوائد (لم تنذرهم) لم : حرف نفي وقلب وجزم وتنذرهم فعل مضارع مجزوم بلم والفاعـل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والجملة معطوفة على جملة أأنذرتهم (لا) نافية (يؤمنون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وجملة لا يؤمنون خبر بعد خبر ولك أن تجعلها تفسيرية لامحل لها من الاعراب (ختم) فعل ماض (الله) فاعل (عـلى قلوبهم) الجار والمجرور متعلقان بختم (وعـلى سمعهم) عطف على قوله على قلوبهم (وعلى أبصارهم) الواو استئنافية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (غشاوة)مبتدأ مؤخر (ولهم) الواو حرف عطف والجار والمجرور متعلقان بمحذوف (عذاب) مبتدأ مؤخر (عظيم) نعت لعذاب والجملة معطوفة على الجملة السابقة .

البلاغة :

١ ــ في إسناد الختم الى القلوب استعارة تمثيلية فقد شبّهت

قلوبهم في نبوّها عن الحقّ وعدم الاصغاء إليه بحال قلوب ختم الله عليها وهي قلوب البهائم وهو تشبيه معقول بمحسوس أو هو مجاز عقليّ وهو باب واسع عند العرب يقولون : سال بهم الوادي إذا هلكوا وطارت بفلان العنقاء إذا طالت غيبته ٠

٢ ـ وحدّ السمع لوحدة المسموع دون القلوب والابصار لتنوّع المدركات والمرئيات ٠

٣ ـ تنكير العذاب هنا فيه إشارة الى أنه نوع منه مجهول الكمّ والكيف ووصفه بعظيم لدفع الايهام بقلّته وندرته ، والتأكيد بأنه بالغ حد العظمة ٠

الفوائد :

١ ـ همزة التسوية هي الواقعة بين سواء وبعد ما أبالي وما أدري وليت شعري وضابطها : أنها الهمزة التي تدخل على جملة يصح حلول المصدر محلها كما تقدم ٠

٢ ـ أم : لها حالان :

آ ـ متصلة وهي منحصرة في نوعين وذلك لأنها إما أن تتقدّم عليها همزة التسوية كما في الآية أو همزة يطلب بها التّعيين نحو : أزيدٌ في الدّار أم عمرو؟ وسميت متصلة لأن ماقبلها ومابعدها لايستغنى بأحدهما عن الآخر وتسمى أيضاً معادلة لمعادلتها الهمزة في النوع الأول إذ كلتاهما تفيد التسوية ٠

ب ـ منقطعة وهي المسبوقة بالخبر المحض نحو قوله تعالى :

« تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه » وسميت منقطعة لانقطاع ما بعدها عما قبلها فكل منهما كلام مستقل لا ارتباط له بالآخر .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

اللغة :

(الناس) اسم جمع لا واحد له من لفظه ومادّته عند سيبويه والفراء همزة ونون وسين ، وحذفت همزته شذوذاً وأصله أناس وقد نطق القرآن بهذا الأصل قال تعالى : « يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم » ، وذهب الكسائيّ الى أن مادته نون وواو وسين مشتقّ من النّوس وهو الحركة يقال : ناس ينوس نوساً والنّوَس تذبذب الشيء في الهواء ومنه نوس القرط في الأذن وسمّي أبو نواس بذلك لأن ذؤابتين كانتا تنوسان عند أذنيه واسمه الحقيقي الحسن بن هانيء ، وإنما أطلنا في هذا البحث لأن بعض المعاجم الحديثة خلط في أصله فأورده في مادة أنَس وبعضها أورده في مادة نَوَس وأضاعوا بذلك الطالب والمراجع في متاهات لا منافذ منها .

(يخادعون) الخداع في الأصل : الإخفاء ومنه الأخدعان وهما عرقان مستبطنان في العنق ومنه أيضاً المخدع وهو داخل البيت ثم أطلق على اظهار غير ما في النفس .

(يشعرون) الشعور : ادراك الشيء من وجه يدقّ ويخفى وهو مشتق من الشعر لدقته ، وقيل هو الادراك بالحاسة فهو مشتقّ من الشمّار وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الانسان : حواسّه وشعر بالأمر من بابيّ نَصَر وكَرُم : علم به وفطن له ، ومنه يسمى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته . والتحقيق أنّ الشعور إدراك ما دقّ من حسّيّ وعقليّ .

(مرض) : المرض : مصدر مرض ويطلق في اللغة على الضّعف والفتور وقالوا : المرض في القلب : الفتور عن الحق ، وفي البدن فتور الأعضاء ، وفي العين فتور النظر وهو جميل يتغنّى به الشعراء قال :

مرضي من مريضة الأجفانِ   علّلاني بذكرها علّلاني

ويطلق المرض فيراد به الظّلمة قال :

في ليلة مرضت من كلّ ناحية   فما يحس بها نجم ولا قمر

الاعراب :

(ومن الناس) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لذكر المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم فقد افتتح سبحانه ، بذكر المتقين ثم ثنّى بالكافرين ظاهراً وباطناً ، وثلّث بالمنافقين ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخّر ويجوز أن تكون من نكرة موصوفة في محل رفع مبتدأ مؤخر كأنه قيل : ومن الناس ناس وسيأتي بحثها (يقول) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره هو والجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب صلة لمن إذا كانت موصولة وصفة لها إذا كانت

نكرة موصوفة (آمنا) فعل وفاعل والجملة الفعلية في محل نصب مقول للقول (بالله) الجار والمجرور متعلقان بآمنا (وباليوم) عطف على بالله (الآخر) نعت لليوم (وما) الواو حاليّة وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (هم) ضمير منفصل في محل رفع اسم ما (بمؤمنين) الباء حرف جر زائد للتوكيد لأنه ليس في القرآن حرف جر زائد ولكنه الاصطلاح النحوي جرى على ذلك فهو عند البلاغيين حرف لا يستغنى عنه والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (يخادعون) فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والجملة الفعلية مستأنفة كأنه قيل : لم يتظاهرون بالايمان ؟ فقيل : يخادعون ويحتمل أن تكون حالية من الضمير المستكنّ في يقول ، أي مخادعين الله والذين آمنوا (الله) مفعول به ليخادعون (والذين) عطف على الله (آمنوا) الجملة الفعلية لامحل لها لأنها صلة الموصول (وما) الواو حالية وما نافية (يخدعون) فعل مضارع مرفوع وعلامه رفعه ثبوت النون والواو فاعل (إلاّ) أداة حصر (أنفسهم) مفعول به والهاء ضمير متصل في محل جر بالاضافة (وما) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية (يشعرون) فعل مضارع مرفوع والجملة عطف على جملة ومايخدعون أو مستأنفة (في قلوبهم) الجار والمجرور خبر مقدم (مرض) مبتدأ مؤخر (فزادهم) الفاء حرف عطف وزاد فعل ماض والها ءمفعول به والجملة عطف على ما تعلق به الخبر ويحتمل أن تكون الفاء استئنافية وجملة زادهم الله دعائية لا محل لها (الله) فاعل زادهم (مرضاً) مفعول به ثان وزاد يستعمل لازماً ومتعدياً لاثنين ثانيهما غير الأول (ولهم) الواو عاطفة أو استئنافية والجار والمجرور خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (أليم) صفة لعذاب (بما) الباء حرف جر للسببية وما اسم موصول في محل جر بالباء (كانوا) كان واسمها (يكذبون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبر كانوا وجملة كان واسمها

وخبرها لامحل لها لأنهــا صلة الموصول ويجوز أن تكون مصدرية والمعنى على الأول بالذي يكذبونه وعلى الثاني بسبب كونهم يكذبون والجار والمجرور صفة ثانية لعــذاب أو مصدر أي بسبب كونهــم يكذبون •

البلاغة :

١ ــ المشاكلة في قولهم يخادعون الله لأن المفاعلة تقتضي المشاركة في المعنى وقد أطلق عليه تعالى مقابلا لما ذكره من خــداع المنافقــين كمقابلة المكر بمكرهم ومن أمثلة هذا الفنّ في الشعر قول بعضهم :

قالوا : التمس شيئاً نُجد لك طبخه ... قلت : اطبخوا لي جبة وقميصا

٢ ــ المجاز : في الخداع المنسوب اليه لتعاطيهم أفعال المخادع ظناً منهم أنهم يستطيعون ذلك لصدق تقيه ولذلك قال : وما يخدعون إلا أنفسهم •

٣ ــ الاستعارة التصريحية في قوله : في قلوبهم مرض حيث استعير المرض لما ران على قلوبهم من جهل وسوء عقيدة وما الى ذلك من ضروب الجهالات المؤدية الى المتالف •

الفوائد :

١ ــ تأتي من نكرة موصوفة في موضع يختص بالنكرة كقول سويد بن أبي كاهل :

ربّ من أنضجت غيظاً قلبه ... لو تمنّى لي موتاً لم يطع

٢ - ما الحجازية هي العاملة عمل ليس وإنما سميت حجازية لأن التنزيل جاء بلغة أهل الحجاز وأحكامها مبسوطة في كتب النحو .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

اللغة :

(الفساد) : خروج الشيء عن حال استقامته ونقيضه الصلاح ، والفساد في الأرض : تهييج الحروب ، وإثارة الفتن ، والاخلال بمعايش الناس .

(السفهاء) : جمع سفيه وهو المنسوب للسّفه والسّفه : خفّة رأي وسخافة يقتضيهما نقصان العقل ، ويقابله الحلم يقال سفه بكسر الفاء وضمّها .

الاعراب :

(وإذا) الواو استئنافية والجملة بعدها مستأنفة لا محل لها ويجوز أن تكون الواو عاطفة والجملة بعدها معطوفة على جملة يكذبون فتكون في موضع نصب عطفاً على خبر كان والمعطوف على الخبر خبر فهي بهذه المثابة جزء من السبب الذي استحقوا به العذاب الأليم وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (قيل) فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره يعود على الله تعالى وفي هذا التعبير بحث هام سيأتي في باب الفوائد وجملة قيل في محل جرّ بإضافة

الظرف اليها (لهم) الجار والمجرور متعلقان بقيل (لا) الناهية الجازمة (تفسدوا) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان بتفسدوا (قالوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية لامحل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (إنما) كافة ومكفوفة (نحن) مبتدأ (مصلحون) خبر نحن مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم والجملة في محل نصب مقول القول (ألا) حرف تنبيه يستفتح بها الكلام (إنهم) إن حرف مشبه بالفعل والهاء اسمها (هم) ضمير فصل أو عماد لا محل له من الاعراب ولك أن تعرب هم مبتدأ (المفسدون) خبره والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (ولكن) الواو عاطفة ولكن مخففة من الثقيلة لمجرد الاستدراك (لا) نافية (يشعرون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة معطوفة على ماتقدم (وإذا قيل) الواو استئنافية أوعاطفة وقد تقدم الكلام عنها وجملة قيل الفعلية في محل جر بإضافة الظرف اليها (لهم) الجار والمجرور متعلقان بقيل وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف اليها (آمنوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو والجملة لامحل لها لأنها مفسرة ونائب الفاعل مصدر وهو القول وقد أضمر لأن الجملة بعده تفسره والتقدير : وإذا قيل لهم قول هو آمنوا لأن الأمر والنهي قول وقد منع النحاة أن تكون الجملة قائمة مقام الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلاً فلا تقوم مقامه (كما) الجار والمجرور نعت لمصدر محذوف والتقدير آمنوا إيماناً كإيمان الناس ، واختار سيبويه أن يكون في محل نصب على الحال سواء أكانت الكاف حرفاً أم اسماً بمعنى مثل وصاحب الحال هو المصدر المفهوم من الفعل المتقدم وما مصدرية (آمن الناس) فعل وفاعله (قالوا) فعل وفاعل وإذا متعلقة بقالوا والجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أنؤمن) الهمزة للاستفهام الإنكاري

ونؤمن فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره نحن (كما) تقدم إعرابها قريباً (آمن السفهاء) فعل وفاعل (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) تقدم إعراب نظير هذه الجملة قريباً .

البلاغة :

١ ـ في الآية خروج الاستفهام من معناه الأصلي وهو طلب العلم إلى أغراض أخرى تفهم من مضمون الكلام وتفصيله في علم المعاني ومردّ ذلك الى الذوق السليم وقد صدق فولتير حيث يقول : « ذوقك أستاذك » .

٢ ـ التغاير : وهو فنّ يكاد يكون من المرقص فقد وردت في الفاصلة الأولى « لايشعرون » ووردت في الفاصلة الثانية « لا يعلمون » لسرّ عجيب لا يدركه إلا الملهمون وتفصيل ذلك : أن أمر الديانة ، والوقوف على أن المؤمنين هم على الحقّ وأما المنافقون فهم على الباطل ، هو أمر يحتاج الى بعد نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى اشتجار الفتنة ، واستبحار الفساد في الأرض ، فأمر دنيويّ مبنيّ على العادات ، وهو معلوم عند الناس ، بل هو بمثابة المحسوس عندهم فلذلك قال فيه : لا يشعرون وأيضاً فإنه لما ذكر السّفه في الآية الثانية وهو جهل مطبق كان ذكر العلم أكثر ملاءمة فقال : لايعلمون وهذا من الدقائق فتنبّه له .

الفوائد :

١ ـ نائب فاعل قيل : يقدره النحاة ضميراً لمصدره وجملة النهي مفسرة لذلك الظرف وقيل الظرف نائب الفاعل فالجملة في محل نصب

واختلفوا في وقوع الجملة فاعلاً أو نائب فاعل والوجه أن الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات ولهذا تقع مبتدأ نحو لا حول ولا قوة كنز من كنوز الجنة وفي المثل : زعموا مطيّة الكذب ولهذا لم يحتج الخبر الى رابط .

٢ ـ (ألا) قيل : هي حرف بسيط يفتتح به الكلام وينبّه على أن ما بعده متحقّق لا محالة ، وقيل : هي حرف مركب من همزة الاستفهام وحرف النفي ، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً وأختها (أما) التي هي من مقدمات اليمين على حدّ قوله :

أما والذي بكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

اللغة :

(الطّغيان) مصدر طغى طغياناً بضم الطاء وكسرها ، ولام طغى قيل : ياء وقيل : واو ومعناها مجاوزة الحدّ .

(يعمهون) العمه : التردد والتحير وهو قريب من العمى إلا أنّ بينهما عموماً وخصوصاً لأن العمى يطلق على ذهاب نور العين وعلى الخطأ في الرأي والعمه لا يطلق إلا على الخطأ في الرأي .

الاعراب :

(وإذا) عطف على ما تقدّم وقد تكرر إعراب إذا فيقاس على ماتقدّم (لقوا) أصله لقيوا وهو فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة استثقلت الضمة على الياء فحذفت ونقلت حركتها الى القاف والواو فاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (الذين) اسم موصول مفعول به (آمنوا) فعل وفاعل والجملة لامحل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (قالوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية لامحل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (آمنا) فعل وفاعل والجملة الفعلية مقول القول (وإذا) عطف على وإذا المتقدمة (خلوا) فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة في محل جر باضافة الظرف اليها (إلى شياطينهم) الجار والمجرور متعلقان بخلوا والى معناها انتهاء الغاية وسيأتي بحثها في باب الفوائد (قالوا) فعل ماض والجملة لامحل لها من الاعراب (إنا) إن حرف مشبه بالفعل ونا ضمير متصل في محل نصب اسمها (معكم) مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر إن والكاف مضاف اليه وجملة إنا معكم اسمية في محل نصب مقول القول (إنما) كافة ومكفوفة (نحن) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (مستهزئون) خبر نحن مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم والجملة الاسمية تأكيد لجملة إنا معكم فهي داخلة في حيّز مقول القول ولك أن تجعلها مستأنفة لا محل لها مبنية على سؤال نشأ من ادعاء المعيّة كأنه قيل لهم عند قولهم : إنا معكم فما بالكم تشايعون المؤمنين بكلمة الايمان ؟ فقالوا : إنما نحن مستهزئون أو انها تعليلية للمعيّة (الله) مبتدأ (يستهزىء) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً يعود على الله والجملة الفعلية

خبر (بهم) الجـار والمجرور متعلقان بيستهزىء (ويمـدهم) الواو عاطفة ويمدهم فعل مضارع مرفوع عطفاً على يستهزىء والفاعل مستتر تقديره هو والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به (في طغيانهم) الجار والمجرور متعلقان بيمدهم (يعمهون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة الفعلية في محل نصب على الحال من الضمير في يمدهم •

البلاغة :

انطوت هاتان الآيتان على فنون عديدة من فنون البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ ـ المفارقة بين الجمل فقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وهي جمـلة آمنا وخاطبوا شياطينهم بالجملة الاسمية وهي جملة إنا معكم وذلك لأن الجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية فإيمانهم قصير المدى لا يعدو تحريك اللسان ، أو مدة التقائهم بالمؤمنين وركونهم الى شياطينهم دائم الاستمرار والتجدد وهو أعلق بنفوسهم ، وأكثر ارتباطاً بما رسخ فيها •

٢ ـ المخالفة بين جملة مستهزئون وجملة يستهزىء لأن هزء الله بهم متجدد وقتاً بعد وقت ، وحالاً بعد حال ، يوقعهم في متاهات الحيرة والارتباك زيادة في التنكيل بهم •

٣ ـ المشاكلة : فقد ثبت أن الاستهزاء ضرب من العبث واللهو وهما لا يليقان بالله تعالى ، وهو منزه عنهما ولكنه سمّى جزاء الاستهزاء استهزاء فهي مشاكلة لفظية لا أقل ولا أكثر •

٤ ـ الفصل الواجب في قوله : « الله يستهزىء بهم » لأن في عطفها على شيء من الجمل السابقة مانعاً قوياً لأنها تدخل عندئذ في حيز مقول المنافقين والحال أن استهزاء الله بهم وخذلانه إياهم ثابتان مستمران سواء خلوا الى شياطينهم أم لا فالجملة مستأنفة على كل حال لأنها مظنّة سؤال ينشأ فيقال ما مصير أمرهم ؟ ما عقبى حالهم ؟ فيستأنف جواباً عن هذا السؤال .

الفوائد :

ذكر النحاة معاني لإلى الجارة أحدها الانتهاء وهو الأصل فيها وثانيها المعية كقوله تعالى : « مَن أنصاري الى الله » أي مع الله وثالثها التبيين وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تعجب أو اسم تفضيل نحو : « رَبِّ السجنُ أحبُّ إليّ » ورابعها مرادفة اللام نحو « والأمر إليك » وخامسها موافقة (في) كقول النابغة الذبياني :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطليّ به القار أجرب

وسادسها موافقة (عند) كقول أبي كبير الهذلي :

أم لاسبيل الى الشباب وذكره أشهى إليّ من الرحيق السّلسل

وسابعها التوكيد كقراءة بعضهم: « أفئدة من الناس تهوى اليهم » بفتح الواو في تهوى على تضمين تهوى معنى تميل .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ⑯ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ⑰﴾

الاعراب :

(أولئك) اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ (الذين) خبر أولئك (اشتروا) فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل (الضلالة) مفعول به (بالهدى) الجار والمجرور متعلقان باشتروا والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (فما) الفاء حرف للعطف مع التعقيب وما نافية (ربحت) فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة (تجارتهم) فاعل ربحت (وما) الواو عاطفة وما نافية (كانوا) كان فعل ماض ناقص والواو اسمها (مهتدين) خبرها وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم (مثلهم) مبتدأ (كمثل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مثلهم أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر ومثل مضاف اليه (الذي) اسم موصول في محل جر بالاضافة (استوقد) فعل ما ض مبني على الفتح بمعنى أوقد وهي استفعل بمعنى أفعل ومثله أجاب واستجاب ، وأخلف واستخلف والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو وجملة استوقد لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول واستعمل الذي في موضع الذين ولذلك قال فيما بعد : « بنورهم » (ناراً) مفعول به ، وجملة مثلهم مستأنفة مسوقة لضرب المثل لحال المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى استحضاراً للصورة ورفعاً للأستار عن الحقائق (فلما) الفاء حرف عطف ولما ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط وقيل: هي حرف

وجوب لوجوب وسماها ابن هشام رابطة (أضاءت) فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي (ما) اسم موصول بمعنى المكـان مفعول به (حوله) ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ما وزعم بعض اللغويين أن أضاء فعل لازم فيتعيّن أن تكون ما زائدة أي أضاءت حوله (ذهب الله) فعـل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (بنورهم) الجار والمجرور متعلقان بذهب (وتركهم) فعل ماض وفاعل مستتر فيه جوازاً ومفعول به أول (في ظلمات) الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني لتركهم (لا) نافية (يبصرون) فعـل مضارع مرفوع والواو فاعـل والجملة في موضع نصب على الحال المؤكـدة لأن من كان في الظلمة لا يبصر .

البلاغة :

في هاتين الآيتين من فنون البلاغة ما تضيق عنه الصحف وسنحاول تلخيص هذه الفنون :

١ ـ الاستعارة التصريحية الترشيحية والمعنى اختاروا واستبدلوا وقرينة الاستعارة الضلالة ثم رشح لهذه الاستعارة بقوله : فما ربحت تجارتهم فأسند الربح الى التجارة فالمستعار منه الذي هو الشراء رشّح لفظي الربح والتجارة للاستعارة لما بين الشراء والربح من الملاءمة ، والترشيح هو أن يبرز المجاز في صورة الحقيقة ثم يحكم عليه ببعض أوصاف الحقيقة فينضاف مجاز الى مجاز ومن ذلك قول حميدة بنت النعمان بن بشير :

بكى الخزّ من روحٍ وأنكر جلده
وعجّت عجيجاً من جذام المطارف

فقد أقامت الخز مقام شخص حين باشر روحاً بكى من عدم ملاءمته بقولها : وأنكر جلده ثم زادت في ترشيح المجاز بقولها : وعجّت أي صاحت مطارف الخز من قبيلة روح هذا وهي قبيلة جذام ومعنى البيت ان روحاً وقبيلته جذام لا يصلح لهم لباس الخز ومطارفه لانهم لا عادة لهم بذلك فكنى عنهم بما كنى في البيت •

٢ ــ الفرق بين اشتروا واستبدلوا من وجهين :

١ ــ ان الاستبدال لا يكون شراء إلا إذا كان فيه فائدة يقصدها المستبدل منه سواء كانت حقيقية أم وهمية •

٢ ــ ان الشراء يكون بين متبايعين بخلاف الاستبدال فاذا أخذت ثوباً من ثيابك بدل آخر يقال : انك استبدلت ثوباً بثوب فللمعنى الذي تؤدي اليه الآية أن اولئك القوم اختاروا الضلالة على الهدى لفائدة لهم بازائها يعتقدون الحصول عليها من الناس فهو معاوضة بين طرفين يقصد بها الربح وهذا هو معنى الاشتراء ومثلهما البيع والابتياع ولا يؤديه مطلق الاستبدال ، إذا عرفت هذا أدركت السرّ في اختيار اشتروا على استبدلوا ، وتبينت أن القرآن وهو أعلى درج البلاغة لا يختار لفظاً على لفظ من شأنه أن يقوم مقامه إلا لحكمة في ذلك ، وخصوصية لا توجد في غيره •

٣ ــ التتميم في قوله : « وما كانوا مهتدين » وحدّه أن يأتي

في الكلام كلمة أو كلام إذا طرح منه نقص معناه في ذاته أو في صفاته أو لزيادة حسنة فقوله : « وما كانوا مهتدين » تتميم لما تقدّم آفاد بأنهم ضالون في جميع ما يتعاطونه من عمل .

٤ ـ التشبيه التمثيلي : في قوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » وحقيقة التشبيه التمثيلي أن يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدّد أي أن حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر كحال الذي استوقد ناراً ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئاً ، وهكذا يبدو لك أن التشبيه التمثيلي يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، ويريك للمعاني المتمثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة وينطق لك الأخرس ويعطيك البيان من الأعجم ويريك الحياة في الجماد ، ويجعل الشيء قريباً بعيداً ، ومن أمثلته في الشعر قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فقد شبّه ثوران النقع المنعقد فوق الرءوس والسيوف المتلاحمة فيه أثناء الحرب بالليل الأسود البهيم تتهاوى فيه الكواكب ، وتتساقط الشهب وقول أبي تمام يصف الربيع :

يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصوّر

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر

شبه النهار المشمس في الروض البهي المكلل بالأزاهير بالليل المقمر الساجي .

٥" ـ المخالفة بين الضميرين فقد وحد الضمير في استوقد وحوله نظراً الى جانب اللفظ لأن المنافقين كلهم على قول واحد وفعل واحد ، وأما رعاية جانب المعنى في (بنورهم وتركهم) فلكون المقام تقبيح أحوالهم وبيان ذاتهم وضلالهم فاثبات الحكم لكل فرد منهم واقع •

٦" ـ مراعاة النظير : وهو فن يعرف عند علماء البلاغة بالتناسب والائتلاف وحدّه أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضادّ لتخرج المطابقة وهي هنا في ذكر الضوء والنور والسرّ في ذكر النور مع أن السياق يقتضي أن يقول بضوئهم مقابل أضاءت هو أن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قال بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً والغرض هو إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً ويؤكد هذا المعنى أنه قال ذهب بنورهم ولم يقل : أذهب نورهم والفرق بينهما أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به معه والغرض إفادة أنه لم يبق مطمع في عودة ذلك النور إليهم بالكلية إذ لو قيل : أذهب الله نورهم ربما كان يتوهم أنه إنما أذهب عنهم النور وبقي هو معهم فربما عوضهم بدل ما فاتهم فلما قال : ذهب الله بنورهم كان ذلك حسماً وانقطاعاً لمادة الاطماع من حصولهم على أي خير لهم أو منهم وهذا من أسمى ما يصل إليه البيان

وقد تعلق ابن الرومي بأهداب هذه البلاغة حين قال في وصف العنب الرّازقيّ :

لم يبق منه وَهَجُ الحرور   إلاّ ضياء في ظروف نور

فجعل ماء العنبِ ضوءاً لأنه أشد توهّجاً وأكثر لألاءً من قشره

الذي هو بمثابة نور يصون ذلك الضوء ويحفظه فما أبرع ابن الرومي في اقتباسه .

الفوائد :

١ - لكاف التشبيه ثلاث حالات :

آ - يتعيّن أن تكون اسماً وهي ما إذا كانت خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو مجرورة بحرف أو إضافة كما تقدم في الآية وكقول أبي الطيب :

وماقتلَ الاحرارَ كالعفو عنهم ومَن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

ب - يتعين أن تكون حرفا وهي الواقعة صلة للموصول .

جـ - يجوز فيها الأمران فيما عدا ذلك وسيأتي المزيد من بحث الكاف في هذا الكتاب .

٢ - ترك : في الأصل بمعنى طرح وخلّى فيتعدّى لواحد وقد يتضمن معنى التصيير فيتعدّى لاثنين .

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾

اللغة :

(صم) جمع أصَمّ وهو الذي لا يسمع ، يُقال : صَمّ يَصَمّ بفتح الصاد فيهما أي ثقل السمع منه وقيل : أصله السّدّ وصممت القارورة أي سددتها .

(بكم) : جمع أبكم وهو الذي لا يتكلم أي الأخرس .

(عمي) جمع أعمى والعمى ظلمة في العين تمنع من إدراك المبصرات والفعل منها على وزن عمي على فعِل بكسر العين واسم الفاعل على أعمى وهو قياس الآفات والعاهات .

(صيّب) : هو المطر الذي يصوب أي ينزل وأصله صيوب اجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء .

(السّماء) كلّ ما علاك فأظلّك فهو سماء والسماء مؤنث وقد يذكّر . قال :

فلو رفع السماء إليه قوماً   لحقنا بالسماء مع السحاب

الاعراب :

(صم) خبر لمبتدأ محذوف أي هم صمّ والجملة مستأنفة (بكم)

خبر ثان (عمي) خبر ثالث وهذه الأخبار وإن تباينت في اللفظ متحدة في المدلول والمعنى لأن مآلها الى عدم قبول الحقّ (فهم) الفاء عاطفة وهم مبتدأ (لايرجعون) لا نافية ويرجعون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة خبرهم والجملة عطف على هم صم أي لا يعودون الى الهدى والمعنى أن مشاعرهم انتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والإدراك (أو) حرف عطف للتفضيل أي أن الناظرين في حالهم منهم من يشبّههم بحال المستوقد ومنهم من يشبّههم بأصحاب صيب (كصيب) الجار والمجرور معطوفان على كمثل ولا بد من تقدير مضاف أي كأصحاب صيب بدليل يجعلون أصابعهم في آذانهم (من السماء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لصيب (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (ظلمات) مبتدأ مؤخر (ورعد وبرق) معطوفان على ظلمات (يجعلون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة مستأنفة مسوقة للإجابة عن سؤال مقدر كأنه قيل : فكيف حالهم مع ذلك الرعد ؟ فقيل يجعلون (أصابعهم) مفعول به (في آذانهم) الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني ليجعلون (من الصواعق) الجار والمجرور متعلقان بيجعلون ، ومن سببية وانظر الفوائد (حذر الموت) مفعول لأجله (والله) الواو اعتراضية والله مبتدأ (محيط) خبر (بالكافرين) الجار والمجرور متعلقان بمحيط والجملة لامحل لها من الاعراب لأنها معترضة بين جملتين من قصّة واحدة وهما : يجعلون أصابعهم ويكاد البرق (يكاد) فعل مضارع مرفوع من أفعال المقاربة التي تعمل عمل كان وفيها لغتان : فعِل وفعُل ولذلك يقال كدت بكسر الكاف وكدت بضمها (البرق) اسم يكاد المرفوع (يخطف) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود على البرق وجملة يخطف خبر يكاد وخبر هذه الأفعال لا يكون إلا فعلاً مضارعاً وجملة يكاد مستأنفة كأنها جواب قائل يقول

فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل : يكاد (أبصارهم) مفعول به والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة (كلما) كلّ منصوب على الظرفية الزمانيةوقد سرت الظرفية الى كل من إضافتها لما المصدرية الظرفية وما مع مدخولها (أضاء) في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة وقيل : ما نكرة موصوفة ومعناها الوقت والعائد محذوف تقديره كل وقت أضاء لهم فيه فجملة أضاء في الأول لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي وفي الثاني محلها الجر على الصفة وكلما برأسها متضمنة معنى الشرط والعامل فيها جوابها (لهم) الجار والمجرور متعلقان بأضاء (مشوا) فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفةلالتقاء الساكنين والواو فاعل وجملة مشوا فيه لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمشوا (وإذا) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (أظلم عليهم) فعل ماض مبني على الفتح والفاعل مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود على البرق والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها وعليهم متعلقان بأظلم (قاموا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (ولو) الواو استئنافية ولو : شرطية وعبارة سيبويه انها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وهي أحسن من قول النحويين إنها حرف امتناع لامتناع وستأتي مباحث طريفة عنها في هذا الكتاب (شاء الله) فعل وفاعل ومفعول المشيئة محذوف وهذا الحذف سائغ في كلام العرب يكادون لا يذكرون مفعول شاء إلا في الأمر المستغرب كقول الخريمي :

فلو شئت أن أبكي دماً لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول شئت لأنه شيء مستغرب فحسن ذكره ومثل شاء أراد في هذا الحكم (لذهب) اللام واقعة في

جواب لو وذهب فعل ماض مبني على الفتح وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو (بسمعهم) الجار والمجرور متعلقان بذهب (وأبصارهم) عطف على يسمعهم (إن) حرف مشبه بالفعل (الله) اسمها المنصوب (على كل) الجار والمجرور متعلقان بقدير (شيء) مضاف اليه (قدير) خبر إنّ وجملة لذهب لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم وجملة إن الله تعليلية لا محل لها من الاعراب .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التصريحية فقد شبههم بالصم والبكم والعمي وطوى ذكر المشبه واعتبره بعض علماء البلاغة في حكم المذكور فهو عندهم تشبيه بليغ وارد في كلامهم كثيراً .

قال شاعرهم :

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم دفنوا

ولكن بلغاء المحققين يتناسون المشبّه ويضربون عن توهمه صفحاً. قال أبو تمام يمدح خالد بن يزيد الشيباني :

ويصعدُ حتى يظنُّ الجهولُ بأنّ له حاجةً في السماء

فقد استعار الصعود من العلوّ الحسيّ للعلوّ المعنوي على طريق الاستعارة التصريحية ثم بنى عليه ما يبنى على العلو في المكان ترشيحاً وتتميماً للمبالغة ولم يذكر المشبّه .

٢ ـ التشبيه التمثيلي المتكرر فقد شبّه سبحانه المنافقين وإظهارهم الايمان وإبطانهم الكفر بمن استوقد ناراً ثم انقطعت وذلك من ثلاثة أوجه :

آ ـ أن مستوقد النار يستضيء بنورها ، وتذهب عنه وحشة الظلمة فإذا انطفأت ذهبت الاستضاءة وانتفى الانتفاع والاهتداء .

ب ــ أن مستوقد النار إذا لم يمدها بالوقود ذهب ضوءها كذلك المنافق إذا لم يستدم الايمان ذهب إيمانه •

جـ ــ ان مستوقد النار المستضيء بها هو في ظلمة ربداء من نفسه فاذا ذهبت النار بقي في ظلمتين : ظلمة الليل وظلمة نفسه ثم شبّه الدّين بالصيّب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من تشبيه الكفار بالظلمات وما في ذلك من الوعد والوعيد بالبرق والرعد وما يصيب الكفرة من الفتن والبلايا بالصواعق •

٣ ــ وإنما أفرد الرعد والبرق وظاهر الكلام وسياقه يستوجبان جمعهما كما جمع ظلمات ولأن الجمع أبلغ من الإفراد على حدّ قول البحتري :

يا عارضاً متلفّعاً ببروده   يختال بين بروقه ورعوده

نقول إنما جنح القرآن إلى الإفراد لنكتة هامة وهي أن البرق والرعد لما كانا في الأصل مصدرين والمصادر لا تجمع يقال رعدت السماء رعداً ، وبرقت برقاً ، روعي حكم الأصل بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع وهذه النكتة ذهل عنها البحتري ، ولا يخفى أن من بين الألفاظ ما يعذب مفرده ويقبح جمعه وبالعكس وسيأتي ذلك كله في مواطنه من هذا الكتاب العجيب •

٤ ــ المجاز المرسل في قوله : « يجعلون أصابعهم في آذانهم » لأن الاصبع ليست هي التي تجعل في الأذن فذكر الأصابع وأراد الأنامل وعلاقته الكلية والمجاز هنا أبلغ من الحقيقة ولذلك عدل عنها إليه وجمع الأصابع لأنه لم يرد أصبعاً معينة لأن الحالة حالة دهش وحيرة

فأية أصبع اتفق لهم أن يسدوا بها آذانهم فعلوا غير معرّجين على ترتيب معتاد أو تعيين مفترض .

الفوائد :

زعم قاضي القضاة تاج الدين محمد بن عبد الرحمن بن عقيل شارح ألفية ابن مالك في النحو أن من الصواعق متعلقان بحذر الموت وفي ذلك تقديم معمول المصدر ، قال ابن عقيل : إن الذي حمله على ذلك أنه لو علّقه بيجعلون لكان في موضع المفعول لأجله ويلزم على ذلك تعدّد المفعول لأجله من غير عطف وذلك ممتنع عند النحاة وأجاب عن هذا الاعتراض أن المفعول لأجله الأول تعليل للجعل مطلقاً ، والثاني تعليل له مقيداً بالأول والمطلق والمقيّد متغايران فالمعلّل متعدّد في المعنى وإن اتحد في اللفظ ، وقد استدرك ابن هشام في مغني اللبيب على ابن عقيل ، فارجع اليه إن شئت ففيه متعة وفائدة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾

اللغة :

أنداداً جمع ندّ بكسر النون وهو المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوىء . قال جرير :

أتَيْماً تجعلونَ إليّ ندّاً وما تيم لـذي حسب نديد

الاعراب :

(يا أيها) يا حرف نداء للمتوسط ولم يقع النـداء في القرآن بغيرها من أدوات النداء وأي : منادى نكرة مقصودة مبنيّ على الضم في محل نصب (الناس) بدل من أي على اللفظ (اعبدوا) فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو فاعل (ربكم) : مفعول به والكاف ضمـير متصل في محـل جر بالإضافة (الذي) اسم موصول نعت لربكم (خلقكم) فعل ماض والكاف مفعول والفاعل مستتر تقديره هو (والذين) الواو حرف عطف والذين اسم موصول معطوف على الكاف أي وخلق الذين (من قبلكم) الجـار والمجرور متعلقان بمحذوف لامحل له من الاعراب لأنه صلة الموصول (لعلكم) لعـل حرف ترجّ ونصب والكاف اسمها (تتقون) فعـل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة الفعلية خبر لعل وجملة لعلكم تتقون لا محل لها لأن موقعها مما قبلها موقع الجزاء من الشرط ويجوز أن تعرب حالية أي حال كونكم مترجين للتقوى طامعين فيها (الذي) اسم موصول في محل نصب صفة ثانية لربكم (جعـل) فعـل ماض والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو والجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (لكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لفراشاً ثم تقدمت (الأرض) مفعول جعل الأول إن كانت من الجعْل بمعنى التعيير (فراشاً) مفعول به ثان وان كانت من الجعل بمعنى الخلق فتكون فراشاً حالا مؤوّلة (والسماء) عطف على قوله الأرض(بناء)عطف على فراشاً (وأنزل) الواو حرف عطف وأنزل عطف على قوله جعل(من السماء)جار ومجرور متعلقان بأنزل

(ماء) مفعول أنزل (فأخرج) عطف على أنزل (به) جار ومجرور متعلقان بأخرج (من الثمرات) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفـة وتقدمت (رزقاً) مفعول به (لكم) جـار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لرزقاً (فلا) الفاء تعليلية ولا : ناهية (تجعلوا) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والجملة تعليلية لا محلّ لها بمثابة الاستئنافية والمعنى أن هذا النهي متـسبّب عن إيجاد هذه الآيات الباهرة (لله) جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع المفعول الثاني لتجعلوا (أنداداً) مفعول تجعلوا الأول (وأنتم) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تعلمون) فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر أنتم والجملة الاسمية في موضع نصب على الحال .

الفوائد :

١ ـ اضطرب كلام النحاة في إعراب الاسم المعرف بالألف واللام بعد يا أيها فقال معظمهم : إنه صفة وحجتهم أن كلاً من حرف النداء وأل أداة تعريف وهم يكرهون أداتين لمؤدّى واحد فأقحمت أي لتكون هي المنادى ظاهراً والمحلّى بأل صفة لها ويرد بأنه جامد مثل يا أيها الرجل ويجاب بأنه وإن كان جامداً لكنه في حكم المشتقّ أي المتصف بالرجولية والذي نراه أنه يقال في أن أي أو أية منادى وها حرف تنبيه وما فيه أل بدل من المنادى إذا كان جامداً وإلاّ أعرب نعتاً .

٢ ـ إنما سميت الأرض أرضاً لأنهـا تتأرض مافي بطنها يعني تأكل ما فيها .

٣ ــ إذا ورد الترجّي في كلام الله تعالى ففيه ثلاثة تأويلات :

آ ــ إن لعلّ على بابها من الترجّي والاطماع ولكنه بالنسبة الى المخاطبين وقد نص على هــذا التأويل سيبويه في كتابه والزمخشري في كشافه •

ب ــ إن لعلّ للتعليل أي اعبدوا ربكم لكي تتقوا ندن عليه قطرب واختاره الطبري في تفسيره الكبير •

جـ ــ انها للتعرض للشيء كأنه قيل : افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا نص عليه أبو البقاء واختاره المهدويّ في تفسيره الممتع •

٤ ــ إذا تقدم النعت على المنعوت أعرب حالاً وساغ لذلك أن يكون صاحب الحال نكرة مع أنه محكوم عليه أن يكون معرفة لأن الحكم على المجهول لا يفيد في الغالب وعليه قول الشاعر :

لميّة موحشاً طلل يلوح كأنه خلل

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

اللغة :

(السورة) الطائفة من القرآن التي أقلها ثلاث آيات ، ومن معانيها المرتبة الرفيعة قال النابغة الذبياني :

ألم ترَ أنّ الله أعطاك سورةً ترى كلّ ملْكٍ دونها يتذبذبُ

(وقودها) بفتح الواو وهو ما توقد به النار من حطب وغيره وأما بضمها فهو مصدر وقد ، وكذا يقال فيما جاء على هذا الوزن كالوضوء والطهور والسحور .

الاعراب :

(وإن) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للرد على من ارتابوا في القرآن تعنتاً ولجاجاً وإن شرطية تجزم فعلين (كنتم) كان فعل ماض ناقص والتاء اسمها والفعل الناقص في محل جزم فعل الشرط (في ريب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم (مما) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لريب وما موصولة (نزّلنا) فعل ماض مبني على السكون ونا ضمير في محل رفع فاعل والجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (على عبدنا) الجار والمجرور متعلقان بنزلنا والعائد محذوف أي نزلناه ولم يقل أنزلناه لأن القرآن نزل منجّماً على سبيل التدريج (فأتوا) الفاء رابطة لجواب الشرط لأن الجملة طلبية لا تصلح لتكون شرطاً وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (بسورة) الجار والمجرور متعلقان بأتوا (من مثله) متعلقان بحسب عودة الضمير فهو إما

أن يعود على القرآن فهما متعلقان بمحذوف صفة لسورة وإما أن يعود على عبدنا فهما متعلقان بقوله: فأتوا والمعنى على الأول يتناول عدة أمور :

آ ـ فأتوا بسورة من مثله في حسن النظم وبديع الوصف وروعة الأسلوب وإيجازه .

ب ـ فأتوا بسورة من مثله في غيبوبة أخباره وأحاديثه عن الماضين وتحدثه عما يكون .

جـ ـ فأتوا بسورة من مثله فيما انطوى عليه من أمر ونهي ووعد ووعيد وبشارة وإنذار ، وحكم وأمثال .

د ـ فأتوا بسورة من مثله في صدقه وصيانته من التحريف والتبديل وغير ذلك من خصائصه .

هـ ـ فأتوا بسورة من مثله في منطوياته البعيدة ، وأحكامه المتمشية مع تطورات الأزمنة ، وتقدم العلوم ، ومواكبته للحضارة الانسانية في مختلف ظروفها وأحوالها .

والمعنى على الثاني يتناول عدة أمور أيضاً :

آ ـ فأتوا من مثل الرسول أي من أمّيّ لا يحسن الكتابة على الفطرة الأصلية .

ب ـ فأتوا من مثل الرسول أي من رسول لم يدارس العلماء ، ولم يجالس الحكماء ، ولم يتعاط أخبار الأولين ، ولم يؤثر ذلك عنه بحال من الأحوال .

ج ـ فأتوا من مثل الرسول أي من كل رجل كما تحسبونه في زعمكم شاعر أو مجنون وكلا المعنيين كما ترى ، حسن جميل .

(وادعوا) عطف على قوله : فأتوا والواو فاعل (شهداءكم) مفعول به لادعوا والكاف في محل جر بالاضافة (من دون الله) الجار والمجرور متعلقان بادعوا والمعنى : وادعوا من دون الله شهداءكم ، والشهداء : إما جمع شهيد للمبالغة كعليم وعلماء وإما جمع شاهد كشاعر وشعراء ويحتمل أن يتعلقا بمحذوف حال من قوله شهداءكم والتقدير منفردين عن الله تعالى أو مغايرين لله (إن) شرطية وانظر بحثاً هاماً عنها في باب الفوائد (كنتم) كان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها (صادقين) خبرها وجواب الشرط أي فافعلوا ذلك (فإن) الفاء استئنافية وإن شرطية (لم) حرف نفي وقلب وجزم (تفعلوا) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون (ولن) الواو اعتراضية ولن حرف نفي ونصب واستقبال (تفعلوا) فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها معترضة بين الشرط وجوابه (فاتقوا) الفاء رابطة لجواب الشرط واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (النار) مفعول به (التي) اسم موصول في محل نصب صفة للنار (وقودها) مبتدأ مرفوع والهاء ضمير متصل في محل جر بالاضافة (الناس) خبر (والحجارة) عطف على الناس والجملة الاسمية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (أعدت) فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي (للكافرين) الجار والمجرور متعلقان بأعدت والجملة الفعلية في محل نصب حال لازمة من النار وإنما قلنا لازمة رداً على بعض المعربين كأبي حيان وابن عطية فقد جعلا الجملة استئنافية تفادياً لجعلها حالية من النار لأن المعنى

يصير فاتقوا النار في حال اعدادها للكافرين بينما هي معدة لهم اتقوها أم لم يتقوها ولكن اضافة لازمة تدفع هذه المظنّة •

البلاغة :

١ – إيجاز القصر في قوله : « فاتقوا النار » والايجاز هو جمع المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح.

٢ – إيجاز الحذف في قوله « فاتقوا النار » أيضاً وايجاز الحذف يكون بحذف كالمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف لأن من اتقى النار عصم نفسه عن جميع الموبقات التي يطول تعدادها . وترك المكابرة والمعاندة •

٣ – الاعتراض : في قوله : « ولن تفعلوا » وهو يأتي في الكلام لأغراض كثيرة ، والغرض هنا التأكيد بأن ذلك غير متاح لهم ولو جهدوا وتضافرت هممهم عليه ومن روائعه قول عوف بن محلم الخزاعي :

إن الثمانين ، وبلغتها ، قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله : وبلغتها اعتراض بين اسم ان وخبرها وفائدتها الدعاء للمخاطب بأن يمتدّ عمره إلى الثمانين مع التنصل من مسؤولية عدم السمع بسبب كبر السنّ ووقر السمع وقول المتنبي جميل للغاية :

وخفوق قلب لو رأيت جحيمه – يا جنّتي – لظننت فيه جهنّما

والاعتراض في قوله : يا جنتي وقول أبي نواس وقد عشق الأمين :

قد هـام قلبي ولا أقول بمن أخاف من لا يخاف من أحد

إذا تفكـرت في هـواي لـه

مسست رأسي هل طار عن جسدي ؟

إني – عـلى ما ذكـرت من فرقي –

لآمـل أن أنالـه بيـدي

والاعتراض في قوله : عـلى ما ذكرت من فرقي وفيـه مالا يكتنه حسنه .

الفوائد :

١ – فشل محاولات التحدي : دعا القرآن قريشاً الى أن تحاول محاكاة القرآن تحدياً لها في مواطن كثـيرة أبرزها الآيـة التي نحن بصددها ويظهر أنها حاولت أن تردّ على هذا التحدي فعجزت عن هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تنقطع الرغبة في تقليد القرآن بعد حياته ، فقد حاول مسيلمة الكذاب الـذي ظهر باليمامة في بني حنيفةوطليحة بنخويلد الذي تنبّأ فيبني أسد والأسود العنسيالذيتنبّأ فياليمن وسجاح التيظهرت في بنيتغلب ولا سبيل الى الجزم بأن الكلام الذي جاء به هؤلاء منسوب إليهم حقيقة بل نرجّح أنه من تخيّـل القصّاص المتأخرين ، فمن هذا الكلام المتهافت الذي نسب الى مسيلمة انه كان يقول : « يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقّي ما تنقين ، نصفك في

الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدّرين ، ولا الشارب تمنعين » وواضح تماماً أن هذا الهراء ليس من لغة الجاهليين في شيء ، ومع هذا فقد خدع عنه الجاحظ ، أو هو يسخر منه حين يقول : « ولا أدري ما الذي هيّج مسيلمة حتى ساء رأيه في الضفدع » وأما وحي الأسود العنسي ــ كما يقول ــ فكان ينزل به عليه ــ على زعمه ــ ملك أسماه: ذا ضمار وكان رجلاً فصيحاً يجيد سجع الكهّان وقد ضاع كلامه ولم يصلنا منه شيء ، وأما وحي طلحة فقد كان ينزل به عليه ــ فيما يزعم ــ ملك سمّاه ذا النون ثم عدل عن ذي النون وقال لا بل هو جبريل ولم يعرف شيء عن قرآنه المزعوم وأما سجاح فقد ادّعت قرآناً إلا أن وحيها صمت حين لقيت مسيلمة وتزوجته ذلك الزواج الماجن المضحك ، الذي تذكر مخازيه كتب الأدب والتاريخ ، وذكر ابن قيّم الجوزيّة والباقلاّني أن عبد الله بن المقفع عندما انتهى الى قوله تعالى : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور » الى قوله : « وقيل بعداً للقوم الظالمين » عدل عن انشاء قرآنه وقال : هذا لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، وترك المعارضة وأحرق ما كان اختلقه ، ويقول الباقلاّني : إن قوماً ادعوا أن ابن المقفع عارض القرآن في كتابه « الدرّة اليتيمة » ولكنه لم يجد فيما أنشأ ابن المقفع في هذا الكتاب ما يصح أن يكون تقليداً للقرآن .

وكان شاعرنا العظيم أبو الطيب المتنبي قد تنبأ ــ فيما يقول الرواة ــ في بادية السماوة وأنشأ كلاماً سماه قرآناً منه قوله : « والنجم السيّار ، والفلك الدوّار ، والليل والنهار ، إن الكافرين لفي أخطار امض على سننك ، واقف من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه ، وضلّ عن سبيله » إلا أن المتنبي عدل عن هذه

المحاولة ، على أننا نشك كثيراً في هذه الروايات لأن المتنبي كان أحصف من أن ينسب الى نفسه مثل هذا الهراء ولأسباب أخرى لا مجال لبحثها الآن .

ومن الذين اتهموا أيضاً بهذه التهمة أبو العلاء المعري في كتابه « الفصول والغايات ، في محاذاة السّور والآيات » ومما ورد في هذا الكتاب « سبحانك مؤبّد الآباد ، هل للمنية نسب إلى الرّقاد ؟ لا أتخيل إذا انتبهت أحداً من الأموات ، إذا هجعت لقيني قريب عهد بالمنية ، ومن فقدت منذ أزمان ، أسألهم فيجيبون وأحاورهم فيتكلسون كأنهم بحبل الحياة معلّقون ، لو صدق الرقاد لسكنت الى ما يخبر عنه سكان القبور ولكن الهجعة كثيرة الكذاب » وقد ذكر مصطفى صادق الرافعي من أدبائنا المحدثين في كتابه الممتع : « إعجاز القرآن » ما نصه : « وتلك ولا ريب فرية على المعري أراده بها عدوّ حاذق لأن الرجل أبصر بنفسه وبطبقة الكلام الذي يعارضه » أما الدكتور طه حسين فقد ذكر في كتابه « مع أبي العلاء في سجنه » ما خلاصته : هل أراد أبو العلاء إلى معارضة القرآن في الفصول والغايات كما ظن بعض القدماء ؟ نعم ولا ، نعم إن فهمنا من المعارضة مجرد التأثر والمحاكاة ، ولا إن فهمنا من المعارضة أن أبا العلاء قد نظر الى القرآن على أنه مثل أعلى في الفن الأدبي فتأثّره وجدّ في تقليده كما يتأثر كل أديب بما يعجب به من المثل الفنية العليا ، ذلك شيء لا شك فيه فأيسر نظر في كتاب « الفصول والغايات » يشعرك بأن أبا العلاء حاول أن يقلد قصار السور وطوالها وليس المهم أنه وفق في هذا التقليد أو لم يوفق بل من المحقق أن التوفيق لم يقدر له ، كما لم يقدر لغيره » .

٢ً ــ نصّ النحاة والأصوليون على أن إن الشرطية لا يعلّق عليها

إ لامشكوك فيه فلا تقول : إن غربت الشمس آتك بل إذا غربت آتيك وان إذا يعلق عليها المشكوك فيه والمعلوم والشك على الله محال فكيف جاءت هنا ؟ والجواب أن الخصائص الإلهية لا تدخل في أوضاع العربية بل هي مبنية على خصائص الخلق ، وهذا منزّل منزلة كلامهم فيما بينهم كأنه قيل : إن العادة بين الناس الشك في أمر الإله والرسول والمعاد وليس ذلك مما وقع القطع به في الذهن إلا بعد قيام النظر وقيام الأدلة .

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

اللغة :

(وبشر) : البشارة : الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومنه البشرة لظاهر الجلد ، وتباشير الصبح : ما ظهر من أوائل ضوئه ، ولهذا التفسير اللغوي بحث فقهي طريف . قال الفقهاء : إذا قال لعبده : أيّكم بشّرني بقدوم فلان فهو حرّ فبشروه فرادى أعتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني : أخبرني عتقوا جميعاً لأنهم جميعاً أخبروه .

الاعراب :

(وبشر) الواو عاطفة عطفت وصف جملة ثواب المؤمن على وصف جملة عقاب الكافر وفاعل بشر ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت (الذين) اسم موصول في محل نصب مفعول به (آمنوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (وعملوا) عطف على آمنوا داخل في حيز الصلة والواو فاعل (الصالحات) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم (أنّ) حرف مشبه بالفعل تنصب الاسم وترفع الخبر وهي مع مدخولها في موضع نصب بنزع الخافض وسيأتي بحثه في باب الفوائد (لهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم (جنات) اسمها المؤخّر وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم (تجري) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل (من تحتها) الجار والمجرور متعلقان بتجري (الأنهار) فاعل مرفوع (كلما) ظرف زمان متضمن معنى الشرط وما مصدرية أو نكرة مقصودة وقد تقدم القول فيها قريباً (رزقوا) فعل ماض مبني للمجهول والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل والجملة الفعلية لامحل لها أو في محل جر على الصفة أي كل وقت رزقوا فيه (منها) الجار والمجرور متعلقان برزقوا (من ثمرة) الجار والمجزور بدل اشتمال من قوله منها ومثاله : أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حسدتك ، فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان (رزقاً) مفعول به ثان لرزقوا والمفعول الأول هو نائب الفاعل الذي هو الواو ويبعد أن يكون رزقاً مصدراً منصوباً على المفعولية المطلقة ، وجملة كلما رزقوا صفة ثانية لجنات أو حالية ولك أن تجعلها مستأنفة لا محل لها من الاعراب (قالوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب

شرط غير جازم (هذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ (الذي) اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (رزقنا) فعل ماض مبني للمجهول ونا ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل وجملة رزقنا لا محل لها لأنها صلة الموصول والعائد محذوف أي رزقناه (من قبل) من حرف جر لابتداء الغاية وقيل ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لامعنى في محل جر بمن والجار والمجرور متعلقان برزقنا أو بمحذوف حال (وأتوا) الواو استئنافية وأتوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل (به) الجار والمجرور متعلقان بأتوا والجملة مستأنفة مسوقة للاخبار عن هذا الذي رزقوه (متشابهاً) حال أي مشبهاً للثمر الذي كانوا يألفونه في الدنيا لأن الانسان بالمألوف آنس ، وإليه أميل ، وقيل يشبه بعضه بعضاً في اللون وإن تباين في الطعم والمعنى الأول أرجح بدليل ما تقدم وهو قوله : « هذا الذي رزقنا من قبل » (ولهم) الواو حرف عطف ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (فيها) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (أزواج) مبتدأ مؤخّر والزوج ما يكون معه آخر فيقال زوج للمرأة والرجل وأما الزوجة بالتاء فقليل وقال الفراء : انها لغة (مطهرة) نعت لأزواج (وهم) الواو حرف عطف وهم مبتدأ (فيها) الجار والمجرور متعلقان بخالدون (خالدون) خبر هم .

البلاغة :

١ ـ المجاز المرسل في قوله تجري من تحتها الأنهار والعلاقة المحلية هذا إذا كان النهر مجرى الماء كما قال بعض علماء اللغة أما إذا كان بمعنى الماء في المجرى فلا مجاز فيه وفيه لغتان فتح الهاء وسكونها .

٢ - التشبيه البليغ في قوله : هذا الذي رزقنا من قبل وسمي بليغاً لأن أداة التشبيه فيه محذوفة فتساوى طرفا التشبيه في المرتبة ومن أمثلته قول أبي العلاء يصف ليلة :

ليلتي هذه عروس من الزنـــــج عليها قلائد من جمان

الفوائد :

١ - قد يحذف الجار سماعاً فينتصب المجرور بعد حذفه تشبيهاً له بالمفعول به ومنه قول جرير :

تمرّون الديار ولم تعوجوا كلامكم عليّ إذن حرام

أي تمرون بالديار ، ويقاس سقوط حرف الجر قبل أن المصدرية وأن المشبّهة بالفعل المفتوحة الهمزة .

٢ - جمع غير العاقل يجوز وصفه بالجمع المناسب قال تعالى : « جنات معروشات » ويجوز في غير القرآن معروشة وجمع التكسير الدال على العقلاء يجوز وصفه أيضاً بالمفرد المؤنث ويجوز وصفه بالجمع كما في الآية وهو « أزواج مطهرة » ويجوز في غير القرآن مطهرات .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

اللغة :

(يستحيي) الحياء : تغيّر وانكسار يعتري الانسان من تخوّف ما يُعاب به ويُذمّ . ومن أقوال العرب : « فلان أحيا من مخدّرة »

وقالت ليلى :

وأحيا حيــاء من فتــاة حييّة وأشجع من ليث بخفّان خادر

(البعوض) الحيوان العضوض المعروف واشتقاقه من البعض وهو القطع ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه .

(النقض) : الفسخ وفك الترتيب .

الاعراب :

(إن) حرف مشبه بالفعل (الله) اسمها المنصوب (لا) نافية (يستحيي) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود على الله والجملة الفعلية في محل رفع خبر إن (أن يضرب) أن حرف مصدري ونصب ويضرب فعــل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به إن كان يستحيي يتعدّ بنفسه أو في محل نصب بنزع الخافض وقد تقدم

بحثه قريباً (مثلاً) مفعول به ليضرب (ما) فيها أقوال عديدة أرجحها فيما نرى أنها الابهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة زادته شيوعاً وعموماً وإبهاماً تقول : أعطني كتاباً ما تريد أي كتاب شئت وتعرب صفة للاسم قبلها (بعوضة) بدل من مثلاً (فما) الفاء عاطفة وما اسم موصول في محل نصب معطوف على بعوضة (فوقها) ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الاعراب لأنه صلة الموصول المراد : فما تجاوزها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلّة والحقارة أو فما تجاوزها في الحجم كأنه قصد بذلك ردّ ما استهجنوه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة تقول:فلان لايبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد الدرهم والدرهمين وجميل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مسلم عن ابراهيم عن الأسود قال : دخل شباب قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون فقالت : ما يضحككم ؟ قالوا : خرّ على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت: لاتضحكوا إنيسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يشاكُ شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة . يحتمل فيما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع (فأما) الفاء استئنافية وأما حرف شرط وتفصيل (الذين) اسم موصول في محل رفع مبتدأ (آمنوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الذين (فيعلمون) الفاء : رابطة لجواب الشرط ويعلمون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وجملة يعلمون في محل رفع خبر الذين (أنه) أنّ : حرف مشبه بالفعل والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها (الحق) خبرها وان وما في حيزها سدت مسدّ

مفعولي يعلمون (من ربهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (واما) الواو حرف عطف واما حرف شرط وتفصيل (الذين) اسم موصول في محل رفع مبتدأ (كفروا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها صلة الموصول (فيقولون) الفاء : رابطة لجواب الشرط ويقولون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر الموصول (ماذا) اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لأراد أو ما اسم استفهام وذا اسم موصول ــ هنا خاصة ــ في محل رفع خبر ما والجملة في محل نصب مقول القول وعلى الوجه الأول تعرب جملة أراد مقولاً للقول (أراد) فعل ماض مبني على الفتح (الله) فاعل أراد (بهذا) الجار والمجرور متعلقان بأراد (مثلاً) تمييز مؤكد أو حال من اسم الاشارة أي ممثلاً به أو من الفاعل أي ممثلاً (يضل) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو والجملة الفعلية مستأنفة جارية مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأمّا وقيل : في محل نصب صفة مثلاً والمعنى : مثلاً يفترق الناس به إلى ضالين ومهتدين (به) الجار والمجرور متعلقان بيضل (كثيراً) مفعول به (ويهدي) عطف علي يضل (به) الجار والمجرور متعلقان بيهدي (كثيراً) مفعول به (وما يضل) الواو حالية أو استئنافية وما نافية (به) الجار والمجرور متعلقان بيضل (إلا) أداة حصر (الفاسقين) مفعول به والجملة لا محل لها من الاعراب أو حالية (الذين) اسم موصول في محل جر لأنه صفة للفاسقين (ينقضون) فعل مضارع مرفوع والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عهد الله) مفعول به ومضاف إليه (من بعد) الجار والمجرور متعلقان بينقضون (ميثاقه)

مضاف اليه والضمير يعود على اسم الله أو على العهد وسيأتي تفسير طريف في الميثاق في باب الفوائد (ويقطعون) عطف على قوله ينقضون (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (أمر) فعل ماض مبني على الفتح (الله) فاعل أمر (به) جار ومجرور متعلقان بأمر (أن يوصل) أن حرف مصدري ونصب ويوصل فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وأن وما في حيزها في تأويل مصدر بدل من الضمير في به والمعنى ويقطعون ما أمر الله بوصله ، أو مفعول لأجله والتقدير كراهية أن يوصل أو لئلا يوصل (ويفسدون) عطف على يقطعون (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان بيفسدون (أولئك) اسم اشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ (هم) ضمير فصل أو عماد لا محل له (الخاسرون) خبر أولئك ولك أن تعرب هم مبتدأ والخاسرون خبره والجملة الاسمية في محل رفع خبر أولئك .

البلاغة :

١ ـ التمثيل : عني العرب بالتمثيل عناية كبيرة وذكر علماء البلاغة له مظهرين :

آ ـ أحدهما أن يظهر المعنى ابتداء في صورة التمثيل .

ب ـ وثانيهما : ما يجيء في أعقاب المعاني لإيضاحها وتقريرها في النفوس وهو على الحالين يكسو المعاني بهجة وجمالا ويرفع من أقدارها ، ويبعث فيها الحركة والحياة ، ويجسدها للقارىء حتى ليكاد يتقرّاها بلمس ، وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور

والحشرات • ومن أروع ما صنف العرب في ذلك كتاب كليلة ودمنة الذي قيل إنه ترجمه عن الفارسية عبد الله بن المقفع وفي الفرنسية قصص لافونتين •

وعن الحسن وقتادة : لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه ، وضرب للمشركين بهما المثل ضحكت اليهود ، وقالت : ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله سبحانه الآية ، ومما يرجّح أنها أنزلت فيهم انها اشتملت على نقض العهد وهو من أبرز سماتهم • وأدبنا العربي حافل بضرب الأمثال بمختلف الهوامّ وسائر الحشرات قال شاعرهم :

وإنّي لألقى من ذوي الضغن منهم
وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره

كما لقيت ذات الصفا من خليلها
وما انفكت الأمثال في الناس سائره

وذات الصفاحية تقول الأسطورة العربية : انها كانت قتلت قرابة حليفها فتواثقا بالله على أنها تدي ذلك القتيل الى آخر تلك الأسطورة المتعة •

٢ ــ الاستعارة المكنية وذلك في قوله : « ينقضون عهد الله » فقد شبه العهد بالحبل المبرم ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من خصائصه أو لوازمه وهو النقض لأنه إحدى حالتي الحبل وهما النقض والابرام •

٣ً ـ المقابلة : وهي تعدّد الطباق في الكلام ، فقد طابق بين يضل ويهدي وبين يقطعون ويوصل •

الفوائد :

١ً ـ (أمّا) حرف شرط وتفصيل وقد تبـدل ميمها الأولى ياء استثقالاً للتضعيف كقول عمرو بن أبي ربيعة :

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت
فيضحي وأيمـا بالعشيّ فيخصر

ويفصل بين أما والفاء الجوابية بواحد من ستة :

آ ـ المبتدأ : كالآية الآنفة الذكر •

ب ـ الخبر : نحو : أما في الدار فعلي •

جـ ـ جملة الشرط كقوله تعالى : « فأمّا إن كان من المقربين فروحٌ وريحان » •

د ـ اسم معمول لمحذوف كقوله تعالى:« وأما ثمود فهديناهم »•

هـ ـ اسم منصوب لفظاً أو محلاً بالجواب نحو قوله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر » •

و ـ ظرف معمول لأما لما فيها من معنى الفعل الذي نابت عنه نحو : أما اليوم فإني ذاهب •

هذا وتكون أما للتوكيد والشرط فتنوب عن مهما نحو : اما بعد فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ، والتقدير مهما يكن من شيء • وقد

تنوب الواو عن أما فيقال وبعد ، وهذا الاستعمال شائع في الخطب والمكاتبات والى ذلك أشار الشاعر بقوله :

لقد علمت قيس بن عيلان أنني
إذا قلت : أما بعد أني خطيبها

٢ ــ ماذا : فيها وجهان :

آ ــ أن تكون ذا مركبة مع ما مجهولتين اسماً واحداً للاستفهام وتعرب حسب موقعها •

ب ــ أن تكون ذا اسماً موصولا بمعنى الذي فتكون خبراً لما الاستفهامية ويظهر أثر ذلك في جوابه ولهذا أوردنا الوجهين معاً في الاعراب وقد قرىء قوله تعالى : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو » بنصب العفو ورفعه على التقديرين وقال لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول
أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

فقد روي أنحب مرفوعاً على البدلية من ذا على الوجه الثاني ولو قال أنحباً على البدلية من ماذا كلها المنصوبة على المفعولية ليحاول لجاز •

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ

ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

اللغة :

(استوى) : اعتدل واستقام وانتصب كالسهم المرسل .

(فسواهنّ) : خلقهنّ أو صيرهنّ .

الاعراب :

(كيف) : اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الحال ومعنى الاستفهام هنا : التوبيخ (تكفرون) : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل (بالله) الجار والمجرور متعلقان بتكفرون (وكنتم) : الواو . حالية وقد مقدرة بعدها على القاعدة المقررة وهي إن الفعل الماضي إذا وقع جملة حالية فلا بد من قد ظاهرة أو مقدرة وكان واسمها (أمواتاً) خبر كان المنصوب والجملة الفعلية في محل نصب على الحال (فأحياكم) الفاء حرف عطف وأحيا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والكاف مفعول به (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (يميتكم) فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله (ثم يحييكم) عطف أيضاً وإنما عطف

بثم للتراخي الممتدّ بين الحالين (ثم) حرف عطف أيضاً (اليه) جار ومجرور متعلقان بترجعون (ترجعون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة معطوفة (هو) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (الذي) اسم موصول في محل رفع خبر (خلق) فعل ماض مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (لكم) جار ومجرور متعلقان بخلق (ما) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به (في الأرض) جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له من الاعراب لأنه صلة الموصول (جميعاً) حال من المفعول به الذي هو ما خلافاً لمن أعربه من المفسرين توكيداً لما ولو كان ذلك لقيل جميعه (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (استوى) فعل ماض معطوف على خلق (الى السماء) جار ومجرور متعلقان باستوى (فسواهن) الفاء حرف عطف وسوى فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به (سبع سماوات) حال إذا كانت سوّى بمعنى الخلق المجرد لأنه دل على العدد المجرد ومثله قوله تعالى : « فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة » أو على البدلية من الضمير في فسواهن ، وإذا كانت سوّى بمعنى صيّر كانت مفعولاً ثانياً وأنكر أبو حيان هذا الاعراب ولا مسوغ لانكاره (وهو) الواو استئنافية وهو مبتدأ (بكل شيء) الجار والمجرور متعلقان بعليم (عليم) خبر هو •

الفوائد :

كيف : اسم مبني على الفتح وأكثر ما تستعمل استفهاماً ومحلها من الإعراب إما خبر لما بعدها إن وقعت قبل ما لا يستغنى عنها نحو : كيف أنت ؟ وكيف كنت ، وإما مفعول ثان لظن وأخواتها نحو : كيف

تظن الأمر وإما نصب على الحال مما بعدها إذا وقعت قبل ما يستغني عنها نحو . كيف جاء أخوك ؟ أي على أية حال جاء ؟ وإما نصب على المفعولية المطلقة نحو « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الاعراب :

(وإذ) الواو استئنافية وإذ : ظرف لما مضى من الزمن في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر وهذا الاعراب هو الغالب على إذ المذكورة في أوائل القصص في القرآن واختاره الزمخشري وابن عطية وغيرهما من المعربين وقد ردّه أبو حيّان والكرخي ولعلّ من الممتع أن نورد نصاً طريفاً لأبي حيان بهذا الصدد قال : « وليس بشيء لأن فيه اخراج إذ عن بابها وهو أنه لا يتصرّف فيه بغير الظرفية أو بإضافة الظرف الزماني اليها » وردّ عليه ابن هشام بما تراه مفصّلا في باب الفوائد ومضى أبو حيان يقول : « والذي تقتضيه العربية نصبه بقوله : قالوا أتجعل أي وقت قول الله للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة قالوا : أتجعل كما تقول في الكلام : إذ جئتني أكرمتك أي وقت مجيئك أكرمتك وإذ قلت لي كذا قلت لك كذا فانظر الى هذا الوجه السهل الواضح كيف لم يوفق أكثر الناس الى القول به وارتبكوا في دهياء ، وخبطوا خبط عشواء » (قال) فعل ماض والجملة الفعلية في

محل جر باضافة الظرف اليهـا (ربك) فاعـل (للملائكة) : الجار والمجرور متعلقان بقال (إني) إن حرف مشبه بالفعـل والياء اسمها (جاعل) خبرها (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان بجاعل إذا كانت بمعنى خالق وفي محل نصب مفعول به ثان إذا كانت اسم فاعـل من الجعل بمعنى التّصيير وجملة اني جاعل في محل نصب مقول القول (خليفة)مفعول به لجاعل لأنه اسم فاعل (قالوا) : فعل ماض مبني عـلى الضم لاتصاله بواو الجماعـة والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها استئنافية (أتجعل) الهمزة للاستفهام التعجبي المجـرّد كأنهم يطلبون استكناه ما خفي عليهم من الحكمـة الباهرة ، وتجعـل فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت (فيها) جار ومجرور لك أن تعلقهما بجعل إذا كانت بمعنى الخلق وأن تجعلهما في موضع المفعول الثاني المقدم إذا كانت بمعنى التصيير (من يفسد) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والجملة لامحل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (فيها) جار ومجرور متعلقان بيفسد (ويسفك) فعل مضارع معطوف على يفسد داخل حيّز الصلة (الدماء) مفعول به (ونحن) الواو حالية ونحن ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (نسبح) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن والجملة الفعلية في محل رفع خبر نحن (بحمدك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبّسين بحمدك (ونقدس) فعل مضارع معطوف على نسبح (لك) جار ومجرور متعلقان بنقدس وجعلها بعضهم زائدة والكاف مفعول لنقدس ، (قال) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة مستأنفة (إني) ان واسمها (أعلم) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا والجملة خبر انّ (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول

به (لا) نافية (تعلمون) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة إني أعلم الاسمية في محل نصب مقول القول .

البلاغة :

في الاستفهام الوارد في قوله : أتجعل ، خروج لمعناه الأصلي عن موضوعه فهو للتعجب كما اخترنا في الاعراب وقيل : هي للاسترشاد أي أتجعل فيها من يفسد كمن كان فيها من قبل ، وقيل استفهموا عن أحوال أنفسهم أي أتجعل فيها مفسداً ونحن مقيمون على طاعتك لا نفتر عنها طرفة عين ، وقال آخرون هي للايجاب ، والواقع أن كل لفظ استفهام ورد في كتاب الله تعالى لا يخلو من أحد الوجوه الستة الآتية: ١ ــ التوبيخ ، ٢ ــ التعجب ، ٣ ــ التسوية ، ٤ ــ الايجاب ، ٥ ــ الأمر ، ٦ ــ التقرير . أما الاستفهام الصريح فلا يقع من الله تعالى في القرآن لأن المستفهم متعلّم ما ليس عنده والله عالم بالأشياء قبل كونها ، فالتوبيخ نحو : « أذهبتم طيباتكم » والتقرير : « أأنت قلت للناس » ؟ والتسوية نحو : « سواء عليهم أأنذرتهم » والايجاب نحو : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، والأمر نحو : « أأسلمتم » فعلى هذا يعرف ما جاء في كتاب الله فاعرف مواضعه وتدبر .

الفوائد :

١ ــ إذ ظرف للزمن الماضي ولا تقع بعدها إلا الجملة وقد تحذف الجملة ويعوض عنها بالتنوين ويسمى تنوين العوض نحو : « ويومئذ يفرح المؤمنون » والأصل يوم إذ غلبت الروم يفرح

المؤمنون فحذت جملة غلبت الروم وجيء بالتنوين عوضاً عنها فالتقى ساكنان : ذال والتنوين فكسرت الذال على أصل التقاء الساكنين ويتلخص إعرابها بخمسة أوجه :

آ ــ أن تكون ظرفاً نحو : « فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا » .

ب ــ أن تكون مفعولاً به : وهو الغالب على إذ المذكورة في أوائل التنزيل .

جـ ــ أن تكون بدلاً من المفعول نحو : « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت » فإذ بدل اشتمال من مريم .

د ــ أن يضاف اليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو : «يومئذ تحدث أخبارها » .

هـ ــ وترد إذ للمفاجأة وتقع بعد بينا وبينما . قال الشاعر :

إستقدر الله خيراً وارضيَنّ به فبينما العسر إذ دارت مياسير

وعندما تكون إذ للمفاجأة ماذا يكون إعرابها ؟ عندئذ يكون الأرجح اعتبارها حرفاً للمفاجأة .

٢ ــ هذا وقد اختلفت الأقوال كثيراً في معرفة الكيفية التي عرف الملائكة أن ذرية آدم يفسدون في الأرض وأقرب ما رأيناه فيها الى المنطق أنهم علموا ذلك من لفظ خليفة قالوا : الخليفة هو الذي يحكم بين الخصوم ، والخصم إما أن يكون ظالماً أو مظلوماً ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد في الأرض واستشرى .

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى
بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ
لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم
بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

اللغة :

(آدم) : اسم علم أعجمي كآذر وعابر وعاذر وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، وأخطأ من زعم أنه مشتق من الأدمة أي السمرة أو من أديم الأرض أي وجهها لأن الاشتقاق من خصائص العربية . وللإمام الطبري زعم لا نعلم كيف صدر عنه وهو أنه فعل رباعيّ سمّي به ومن هذا الخطأ محاولتهم اشتقاق يعقوب من العقب وإبليس من الإبلاس ، وإذن يحق لنا أن نتساءل : لم منعت هـذه الأعلام من الصرف لولا العلمية والعجمة ؟ فتنبّه لهذا الفصل .

الاعراب :

(وعلم) الواو حرف عطف وعلم فعل ماض مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود على الله ، والجملة معطوفة على جمل محذوفة تقديرها : فجعل في الأرض خليفة وسماه آدم (آدم)

مفعول به أول (الأسماء) مفعول به ثان (كلها) تأكيد للأسماء (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (عرضهم) عطف على جملة وعلّم أي وعرض المسميات أو ألقاها في قلوبهم وغلب العقلاء على غير العقلاء وتلك سنة من سنن العرب في كلامهم (على الملائكة) جار ومجرور متعلقان بعرضهم (فقال) عطف على جملة عرضهم (أنبئوني) فعل أمر والمقصود من الأمر هنا التعجيز وهو مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والنون للوقاية والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به (بأسماء) الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني (هؤلاء) اسم الاشارة مبني على الكسر في محل جر بالاضافة (إن) حرف شرط جازم (كنتم) فعل ماض ناقص والتاء اسمها (صادقين) خبرها وكنتم في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف تقديره فأنبئوني ، (قالوا) فعل وفاعل (سبحانك) مفعول مطلق وهو مصدر لا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوب بإضمار فعله كمعاذ الله (لا) نافية للجنس من أخوات إن المشبهة بالفعل (علم) اسمها المبني على الفتح (لنا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (إلا) أداة حصر (ما) مصدرية أو اسم موصول وهي مع مدخولها أو هي وحدها في موضع الرفع على البدلية من محل لا واسمها نحو لا إله إلا الله وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه (علمتنا) فعل وفاعل ومفعول والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (انك) ان واسمها (أنت) ضمير فصل أو عماد لا محل لها (العليم) خبر إن الأول (الحكيم) خبر إن الثاني ويجوز أن تعرب أنت مبتدأ خبراه العليم الحكيم والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (قال) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والجملة ابتدائية لا محل لها (يا آدم) ياء حرف نداء للمتوسط وآدم

منادى مفرد علم مبني على الضم (أنبئهم) فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول (بأسمائهم) في موضع المفعول الثاني (فلما) الفاء عاطفة على جملة محذوفة والتقدير : فأنبأهم بأسمائهم فلما أنبأهم وحذفت الجملة لوضوح المعنى ولما ظرفية بمعنى حين أو رابطة متضمنة معنى الشرط على كل حال (أنبأهم) الجملة في محل جر باضافة الظرف اليها إن جعلت لما ظرفية أو معطوفة إن كانت للربط (بأسمائهم) الجار والمجرور متعلقان بأنبأهم (قال) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ألم) الهمزة للاستفهام التقريري والهمزة إذا دخلت على النفي أفادت التقرير ولم حرف نفي وقلب وجزم (أقل) فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنا (لكم) الجار والمجرور متعلقان بأقل (إني) ان واسمها (أعلم) فعل مضارع مرفوع والجملة الفعلية خبر إن وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول (غيب السموات) مفعول اعلم (والأرض) عطف على السموات (وأعلم) عطف على أعلم الأولى (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (تبدون) فعل مضارع مرفوع وجملة تبدون لا محل لها لأنها صلة (وما)عطف على ما الأولى (كنتم) كان واسمها (تكتمون) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم •

البلاغة :

الطباق بين السموات والأرض وبين تبدون وتكتمون • هذا وإن الطباق من الألفاظ التي خالفت مضمونها ولذلك سماه بعضهم التضاد والتكافؤ وهو الجمع بين معنيين متضادين ولا مناسبة بين معنى

المطابقة لغة واصطلاحاً فإنها في اللغة الموافقة . يقال : طابقت بين الشيئين إذا جعلت أحدهما على حذو الآخر . وابن الأثير يعجب لأنه لا يعرف من أين اشتقت هذه التسمية إذ لامناسبة بين الاسم ومسمّاه ، وقدامة يسميه التكافؤ ، ولا فرق بين أن يكون التقابل حقيقياً أو اعتبارياً أو تقابل السلب والايجاب . ومن طباق السلب قول السوءل:

ونتكر إن شئنا على الناس قولهم
ولا ينكرون القول حين نقول

فقد طابق بين ننكر وهو إيجاب ، وبين ولا ينكرون وهو سلب ويصبح الطباق مقابلة حين يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقول البحتري :

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا سالموا أعزّوا ذليلا

وما زال الناس يعجبون من جمع البحتري بين ثلاث مطابقات في قوله :

وأمة كان قبح الجور يشحطها دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة وطابق بين خمسة وخمسة :

أزورهم وسود الليل يشفع لي
وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقد طابق بين الزيارة والانثناء وبين السواد والبياض وبين الليل والصبح وبين يشفع ويغري وبين لي وبي .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

اللغة :

(إبليس) اختلف فيه أهو مشتق أم لا ؟ والصحيح انه علم أعجمي ولهذا لم ينصرف للعلمية العجمية ولو كان مشتقاً من الإبلاس أي اليأس لانصرف وقد تقدمت الاشارة الى ذلك .

(رغدا) يقال : رغد العيش بالضم رغادة اتسع ولان فهو رغيد ورغد بالكسر رَغَداً بفتحتين فهو راغد .

(فأزلهما) يحتمل معنيين أولهما : أظهر زلّتهما وثانيهما أبعدهما.

الاعراب :

(وإذ) الواو حرف عطف وإذ ظرف لما مضى من الزمن (قلنا) : فعل وفاعل والجملة الفعلية في محل جرّ بإضافة الظرف اليها (للملائكة) جار ومجرور متعلقان بقلنا (اسجدوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول (لآدم) جار ومجرور متعلقان باسجدوا (فسجدوا) الفاء عاطفة وسجدوا فعل وفاعل (إلا) أداة استثناء (إبليس) مستثنى بإلا متصل إن كان ابليس في الأصل من الملائكة وقيل منقطع لأنه ليس منهم (أبى) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف والجملة الفعلية في محل نصب على الحال أي حال كونه رافضاً للأمر مستكبراً له كافراً به (واستكبر) الواو حرف عطف واستكبر فعل ماض معطوف على أبى (وكان) الواو حرف عطف وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو (من الكافرين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان (وقلنا) الواو حرف عطف وقلنا فعل وفاعل معطوف على قلنا واختلاف الزّمانين ليس علة مانعة من عطف الفعل على الفعل (يا آدم) يا حرف نداء للمتوسط وآدم منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب (اسكن) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت (أنت) تأكيد للفاعل المستتر في اسكن (وزوجك) الواو حرف عطف وزوجك معطوف على الضمير المستكن في اسكن وحسن عطف الظاهر على الضمير توكيده بالضمير المنفصل (الجنة) مفعول به على السعة (وكلا) الواو حرف عطف وكلا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والألف ضمير متصل في محل رفع فاعل (منها) الجار والمجرور متعلقان بكلا (رغداً) صفة لمصدر محذوف أي أكلا رغداً فهو مفعول مطلق ويجوز

أن يعرب حالاً مؤوّلة بالمشتق أي راغدين هانئين (حيث) ظرف مكان مبني على الضم متعلق بكلا وقد أطلق لهما الأكل والرغد في الجنة حتى يقطع عليهما منافذ العذر إذا خطرت لهما شجرة واحدة معينة وفي أشجار الجنة الكثيرة مندوحة عنها (شئتما) الجملة الفعلية في محل جر بإضافة ظرف المكان اليها (ولا تقربا) الواو حرف عطف ولا ناهية وتقربا فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والألف فاعل (هذه) اسم اشارة في محل نصب مفعول به (الشجرة) بدل من اسم الاشارة (فتكونا) الفاء فاء السببية وتكونا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والألف ضمير متصل في محل رفع اسم تكونا (من الظالمين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونا (فأزلهما) الفاء عاطفة على محذوف مقدر يقتضيه سياق الكلام أي فأكلا من الشجرة عينهما وأزلهما فعل ماض مبني على الفتح والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والميم والألف حرفان دالاّن على التثنية (الشيطان) فاعل أزلّ (عنهما) الجار والمجرور متعلقان بأزلهما أو بمحذوف حال (فأخرجهما) عطف على أزلهما (مما) جار ومجرور متعلقان بأخرجهما (كانا) فعل ماض ناقص والألف اسمها (فيه) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانا (وقلنا) معطوف على ما تقدم وجملة كان لا محل لها لأنها صلة الموصول (اهبطوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول القول (بعضكم) مبتدأ (لبعض) متعلق بقوله (عدو) وهو خبر المبتدأ أو متعلق بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعدو وتقدمت عليه . وجملة بعضكم الخ جملة اسمية في محل نصب حال أي متعادين (ولكم) الواو حرف عطف ولكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم

(في الأرض) متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر أو بمحذوف حال (مستقر) مبتدأ مؤخر (ومتاع) عطف على مستقر (الى حين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع أي ممتد الى يوم القيامة .

الفوائد :

(أبى) من الأفعال الواجبة التي معناها النفي ولهذا يفرغ ما بعد إلا معها كما يفرغ الفعل المنفي قال تعالى: « ويأبى الله إلا أن يتم نوره » ولا يجوز ضربت إلا زيداً على أن يكون استثناء مفرغاً لأن إلا لاتدخل في الواجب .

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

الاعراب :

(فتلقّى) الفاء استئنافية وتلقى فعل ماض مبني على الفتح المقدّر (آدم) فاعل (من ربه) الجار والمجرور متعلقان بتلقّى (كلمات)مفعول به ونصب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (فتاب) الفاء حرف عطف على محذوف يقتضيه المقام أي فقالها فتاب (عليه) متعلقان بتاب (انه) ان واسمها (هو) ضمير فصل أو عماد لا محل

نه ويجوز أن يكون مبتدأ (التواب) خبر ان الاول (الرحيم) خبر إن الثاني ويجوز أن يكونا خبرين لهو والجمـلة الاسمية خبر لأن (قلنا) فعل وفاعل (اهبطوا) الجملة الفعلية مقول القول (منهـا) متعلقان باهبطوا (جميعاً) حال من الواو وجملة قلنا اهبطوا تابعة لجملة وقلنا اهبطوا تأكيداً لها ولتناط بها زيادة جديدة (فإما) الفاء عاطفة وإن شرطية وما زائدة للتأكيد (يأتينكم) فعل الشرط مجزوم وبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف ضمير متصل في محـل نصب مفعول به (مني) الجار والمجرور متعلقان بيأتينكم (هدى) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدّرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين (فمن) الفاء رابطة لجواب الشرط ومن اسم شرط جازم في محلّ مبتدأ (تبع) فعـل ماض في محل جزم فعـل الشرط والفاعل مستتر تقديره هو (هداي) مفعول تبع وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المضافة الى هدى والفاء ومدخولها في محل جزم جواب الشرط (فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط وهو من ولا نافية (خوف) مبتدأ وساغ الابتداء به وهو نكرة لتقدم النفي عليه وهو أحد مسوّغات الابتداء بالنكرة (عليهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر خوف ولك أن تعمل لا عمل ليس فيكون خوف اسمها وعليهم خبرها (ولا) عطف على لا الأولى (وهم) مبتدأ أو اسم لا العاملة عمل ليس (يحزنون) الجملة الفعلية في محل رفع أو نصب خبر هم أو خبر لا وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من .

الفوائد :

الراجح عند النحاة أن اسم الشرط إذا وقع مبتدأ وذلك اذا وقع بعده فعل لازم نحو : من يذهب أذهب معه ، أو فعل متعدّ استوفى

مفعوله نحو : « من يعمل سوءاً يجز به » فالخبر هو جملة فعل الشرط وهناك من النحاة من يجعل جملة الجواب هي الخبر ومنهم من يجعل الخبر جملة فعل الشرط وجوابه معاً وهذا ما وقع اختيارنا عليه .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) ﴾

اللغة :

(إسرائيل) : اختلفوا فيه والأصح أنه علم أعجمي ولهذا منع من الصرف وهو مركب تركيب الاضافة فإن إسرا هو العبد بالعبرية وإيل هو الله وقد تصرّفت العرب فيه بلغات أصحها لغة القرآن ، وهو لقب ليعقوب وقرأ أبو جعفر والأعمش إسرايل بياء بعد الألف من غير همز وروي عن ورش اسرائل بهمزة بعد الألف دون ياء واسرال بألف محضة بين الراء واللام وتروى قراءة عن نافع : اسرائين ابدلوا من اللام نوناً كأصيلان ، هذا وتتعاقب اللام والنون في كلمات مسموعة منها : عُنوان الكتاب وعلوانه وأبّنت الميت وأبّلته إذا أثنيت عليه بعد موته وغيرها .

الاعراب :

(والذين) الواو حرف عطف والذين مبتدأ والجملة معطوفة على قوله في الآية السابقة فمن تبع هداي لأنها قسيمه وكان مقتضى التقسيم أن يقول : ومن لم يتبع هداي ، ولكنه عدل عنه ليبرز القسيم مسجلاً عليه الكفر (كفروا) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (وكذبوا) معطوف على كفروا داخل في حيّز الصلة (بآياتنا) الجار والمجرور متعلقان بكذبوا (أولئك) اسم اشارة مبتدأ ثان (أصحاب النار) خبر أولئك والجملة الاسمية خبر الذين (هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (فيها) الجار والمجرور متعلقان بخالدون (خالدون) خبرهم والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ الذي هو أولئك ويحتمل أن تكون في محل نصب على الحال وأعربها بعضهم مفسرة لا محل لها لقوله : « أولئك أصحاب النار » لبيان أن صحبتهم للنار ليست لمجرد الاقتران بل هي للديمومة والخلود وهو إعراب سائغ وجميل (يا بني) يا حرف نداء وبني منادى مضاف وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وقد تغيّر بناء مفرده وأصل ابن واويّ والبنوّة دليل عليه وقيل : أصله يائيّ لأنه مشتق من البناء وهو وضع الشيء على الشيء والابن فرع عن الأب فهو موضوع عليه وجمع جمع تكسير فقالوا أبناء وجمع جمع سلامة فقالوا بنون (اسرائيل) مضاف اليه مجرور وعلامة جرّه الفتحة نيابة على الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (اذكروا) فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة والواو فاعل (نعمتي) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم والياء مضاف اليه (التي) اسم موصول في محل

نصب نعت لنعمتي (أنعمت) فعل وفاعل (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بأنعمت وجملة أنعمت لا محل لها لأنها صلة الموصول (وأوفوا) عطف على اذكروا (بعهدي) الجار والمجرور متعلقان بأوفوا (أوف) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (بعهدكم) الجار والمجرور متعلقان بأوف (وإياي) الواو عطف وإياي ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم لارهبوا مقدّر لاستيفاء فارهبون مفعوله وهو الياء المقدرة والأصل فارهبوني (فارهبون) الفاء في هذا التركيب الذي تكرّر في القرآن كثيراً فيها قولان : أحدهما أنها جواب مقدّر تقديره تنبّهوا أو نحوه كقولك : الكتاب فخذ ، أي تنبّه فخذ الكتاب ثم قدم المفعول إصلاحاً للّفظ لئلا تقع الفاء صدراً ، وثانيهما : أنها زائدة (وآمنوا) عطف على ما تقدم (بما) الجار والمجرور متعلقان بآمنوا (أنزلت) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (مصدقاً) حال من اسم الموصول (لما) اللام حرف جر مقويّة للتعدية وما اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بمصدقاً (معكم) ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محلّ له من الإعراب لأنه صلة الموصول (ولا) الواو حرف عطف ولا ناهية (تكونوا) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو اسمها (أول) خبر تكونوا (كافرٍ) مضاف اليه (به) متعلقان بكافر (ولا تشتروا) عطف على ولا تكونوا (بآياتي) الجار والمجرور متعلقان بتشتروا (ثمناً) مفعول به لتشتروا (قليلاً) صفة (وإياي فاتقون) تقدم اعراب هذا التركيب .

البلاغة :

في قوله تعالى : « أوف بعهدكم » فن يقال له التعطف وفحواه إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام ويسميه بعضهم فن المشاركة ، ويدخل في عموم العهد عهد الله الذي أخذه عليهم وعلى البشر كافة وهو التدبّر ، ووزن كل ما يعرض لهم في حياتهم بميزان العقل والنظر وهو ميزان لا يطيش ، لا بميزان الهوى والغرور وهو ميزان طائش •

الفوائد :

انطوت هذه الآيات الآنفة على فوائد متعددة ندرجها فيما يلي :

١ً ــ مقتضى القياس أن يقول : أول كافرين به ليطابق الواو في قوله : تكونوا ولكنه عدل عن ذلك لأسباب هي :

آ ــ أنه على حذف الموصوف والتقدير أول فريق كافر به •

ب ــ النكرة المضاف اليها اسم التفضيل يجب افرادها نحو : أنت أفضل رجل وأنتما أفضل رجل وأنتم أفضل رجل •

٢ً ــ نحو قوله : « واياي فارهبون » هو من باب الاشتغال وإيا فيه منصوبة بفعل محذوف يفسره المذكور ولا يصح أن يكون الضمير مفعولاً مقدماً للفعل الذي يليه لأن الفعل نصب الضمير الذي بعد نون الوقاية والمحذوف للتخفيف •

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

اللغة :

(ولا تلبسوا) يقال : لبست الشيء بالشيء : خلطته به والمصدر اللَّبس بفتح اللام المشددة .

الاعراب :

(ولا تلبسوا) الواو حرف عطف ولا ناهية وتلبسوا : فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل (الحق) مفعول به (بالباطل) الجار والمجرور متعلقان بتلبسوا والباء للملابسة أو للاستعانة (وتكتموا) : الواو عاطفة وتكتموا فعل مضارع مجزوم عطفاً على تلبسوا داخلة تحت حكم النهي ولك أن تجعلها للمعية وتكتموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها وهي مسبوقة بالنهي (الحق) مفعول به (وأنتم) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تعلمون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وجملة تعلمون الفعلية خبر أنتم وجملة وأنتم تعلمون الاسمية حالية (وأقيموا) الواو عاطفة وأقيموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الصلاة) مفعول به (وآتوا الزكاة) عطف على أقيموا الصلاة (واركعوا) عطف أيضاً (مع) ظرف ظرف مكان متعلق باركعوا (الراكعين) مضاف اليه .

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

اللغة :

(بالبر) البر بكسر الباء الصلة والطاعة والصلاح والصدق والبر بفتح الباء الصحراء والبر بضمها القمح والواحدة برّة .

(الخاشعين) الخشوع : الخضوع والذل ومن مجاز هذه المادة أرض خاشعة أي متطامنة وخشعت الجبال وخشعت دونه الابصار .

الاعراب :

(أتأمرون) الهمزة للاستفهام الإنكاريّ بل تجاوز هنا الإنكار الى التوبيخ والتقريع والتعجب من حال هؤلاء اليهود لأنه ليس هناك أقبح في العقول من أن يأمر الانسان غيره بخير وهو لا يأتيه ، وتأمرون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل (الناس) مفعول به (بالبر) الجار والمجرور متعلقان بتأمرون (وتنسون) عطف على تأمرون (أنفسكم) مفعول به (وأنتم) الواو واو الحال وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تتلون) فعل مضارع مرفوع وعلامة

رفعه ثبوت النون وجملة تتلون الفعلية خبر أنتم وجملة وأنتم الاسمية حالية من فاعل تنسون (الكتاب) مفعول به (أفلا) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء حرف عطف ولا نافية (تعقلون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وسيأتي سر هذا التركيب (واستعينوا) عطف على ما تقدم (بالصبر) جار ومجرور متعلقان باستعينوا (والصلاة) عطف على الصبر (وانها) الواو حالية وان واسمها (لكبيرة) اللام هي المزحلقة وكبيرة خبر إن (إلا) أداة حصر (على الخاشعين) الجار والمجرور متعلقان بكبيرة فهو استثناء مفرّغ لأن ما قبل إلا ليس فيه ما يتعلق بكبيرة لتستثنى منه فهو كقولك هو كبير عليّ ولأن الكلام مؤول بالنفي أي وإنها لا تخف ولا تسهل إلا على الخاشعين فتنبه لهذا فإنه من الدقائق (الذين) اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة للخاشعين (يظنّون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (أنهم) ان واسمها (ملاقو) خبرها (ربهم) مضاف اليه وإن وما في حيزها سدت مفعولي يظنون (وانهم) عطف على انهم (اليه) جا رومجرور متعلقان براجعون (راجعون) خبر انهم •

البلاغة :

في قوله : وأتتم تتلون الكتاب فقد صدّر الكلام بالضمير زيادة في المبالغة وتسجيلاً للتبكيت والتوبيخ عليهم بعد أن عبّر عن تركهم فعلهم البر بالنسيان زيادة في مبالغة الترك أي فكأن البرّ لا يخالج نفوسهم ولا يدور لهم في خلد لأن نسيان الشيء يترتب عليه تركه أو استعمال السبب في المسبب •

الفوائد :

١ ـ القاعدة في العربية أن ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل وقد كان مقتضى الظاهر أن يعود الضمير في قوله : انها على الصلاة لأنها الأقرب جرياً على مقتضى الظاهر وكف عن خبر الأول لعلم المخاطب بأن الأول داخل ضمناً فيما دخل فيه الآخر وهو مطّرد في كلامهم . قال الانصاري :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والأمر مختلف

أراد نحن راضون وأنت بما عندك راض فكف عن خبر الأول إذ قام دليل على معناه . ومنه قول الآخر :

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يُعاصَ كان جنونا

وقيل يعود على المصدر المفهوم من قوله واستعينوا أي الاستعانة.

٢ ـ إذا اجتمعت همزة الاستفهام وحرف العطف ففيها مذهبان :

آ ـ مذهب سيبويه وهو أن الهمزة في نية التأخير عن حرف العطف ولما كان لها صدر الكلام قدمت عليه وذلك بخلاف هل .

ب ـ مذهب الزمخشري وهو أن الواو والفاء وثم بعد الهمزة واقعة موقعها وليس في الأمر تقديم ولا تأخير ويجعل بين الهمزة وحرف العطف جملة مقدرة يصح العطف عليها وتلائم سياق الكلام فيقدر هنا : أتفعلون فلا تعقلون ولا نرى مرجحاً لأحد المذهبين على الآخر .

٣ ـ اللام المزحلقة : هي لام الابتداء زحلقت الى الخبر لدخول إن عليها وقد تزحلق الى الاسم نحو : « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

اللغة :

(عدل) بفتح العين وهو الفداء لأنه معادل للمفدي قيمة وقدراً وإن لم يكن من جنسه ، وبكسر العين هو المساوي في الجنس والجرم ويقال : عدل وعديل .

الاعراب :

(يا) حرف نداء للمتوسط (بني إسرائيل) منادى مضاف وقد تقدم القول فيها قريباً (اذكروا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (نعمتي) مفعول به (التي) اسم موصول في محل نصب صفة لنعمتي (أنعمت) فعل وفاعل والجملة لامحل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (عليكم) جار ومجرور متعلقان بأنعمت وقد تقدمت هذه الجملة بنصها وإنما أعيدت للتوكيد وقرع العصا وتنبيه أذهانهم الكليلة عن سماع الخير (وأني) الواو حرف عطف وان واسمها عطف

على نعمتي فهي في محل نصب ولذلك فتح همزتها (فضلتكم) الجملة في محل رفع خبر أني (على العالمين) جار ومجرور متعلقان بفضّلتكم وال في العالمين للعهد لا للجنس لئلا يلتزم تفضيلهم على جميع الناس والمراد على عالمي زمانهم (واتقوا) الواو حرف عطف واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (يوماً) مفعول به على حذف مضاف أي عذاب يوم أو هول يوم ويجوز نصبه على الظرفية والمفعول به محذوف تقديره اتقوا العذاب يوماً (لا) نافية (تجزي) فعل مضارع (نفس) فاعل تجزي والجملة الفعلية في محل نصب صفة ليوماً (عن نفس) الجار والمجرور متعلقان بتجزي (شيئاً) مفعول به ويجوز أن يكون انتصابه على المصدر أي لا تجزي شيئاً من الجزاء فيه وفيه إشارة الى القلة والضآلة (ولا) الواو حرف عطف ولا نافية (يقبل) فعل مضارع مبني للمجهول (منها) جار ومجرور متعلقان بتقبل (شفاعة) نائب فاعل (ولا) عطف على ما تقدم (يؤخذ) فعل مضارع مبني للمجهول (منها) جار ومجرور متعلقان بيؤخذ (عدل) نائب فاعل (ولا) عطف أيضاً (هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (ينصرون) فعل مضارع مبني للمجهول والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل والجملة الفعلية خبرهم .

البلاغة :

أتى بالجملة المعطوفة الأخيرة وهي « ولا هم ينصرون » اسمية مع أن الجمل التي قبلها فعلية للمبالغة والدلالة على الثبات والدّيمومة أي أنهم غير منصورين دائماً ولا عبرة بما يصادفونه من نجاح مؤقت .

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

اللغة :

(يسومونكم) من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً ، قال عمرو بن كلثوم:

إذا المَلْكُ سام الناسَ خسفاً أبينا أنْ نقرّ الذلَّ فينا

وأصله من سام السلعة إذا طلبها .

(بلاء) محنة واختبار .

الاعراب :

(وإذ) الواو عاطفة ، وإذ : ظرف لما مضى من الزمن متعلق بأذكر مقدرة وقد تقدم القول فيها (نجيناكم) فعل ماض مبني على السكون ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (من آل فرعون) الجار والمجرور متعلقان بنجيناكم وفرعون مضاف اليه وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وفرعون يطلق على كل من ملك العمالقة بمصر كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس (يسومونكم) الجملة في محل نصب على الحال

ويحتمل أن تكون مستأنفة (سوء العذاب) مفعول به ثان لأن سام يتعدى لاثنين ويحتمل أن تكون منصوبة على المصدرية فهي صفة لمصدر محذوف أي يسومونكم سوماً سوء العذاب (يذبحون) الجملة تفسيرية لامحل لها ولك أن تجعلها بدلاً من جملة يسومونكم (أبناءكم) مفعول به (ويستحيون) عطف على يذبحون والاستحياء : الاستبقاء (نساءكم) مفعول يستحيون والنساء جمع نسوة ونسوة جمع امرأة من حيث المعنى وقيل النسوة والنساء جمعان لامرأة على المعنى (وفي ذلكم) الواو مستأنفة والجار والمجرور خبر مقدم (بلاء) مبتدأ مؤخر (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لبلاء (عظيم) صفة ثانية لبلاء .

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

اللغة :

(واعدنا) ووعدنا بمعنى واحد وليس هو من باب المفاعلة التي تقتضي المشاركة مثل قولك : عافاه الله وعاقبتُ اللص .

(موسى) علم أعجمي لا ينصرف وهو في الأصل مركب والأصل موشى بالشين المعجمة لأن الماء بالعبرية يقال له مو والشجر يقال له شا

فعربته العرب وقالوا : موسى ، أما موسى الحلق المعروفة فهي مشتقة من ماس يميس إذا تبختر في مشيته وقلبت الياء واواً لأنها وقعت بعد ضم كموقن لأن الموسى تتحرك عند الحلق بها وقيل : هي مشتقة من اوسيت رأسه إذا حلقته والموسى تذكّر وتؤنث وتجمع على مواسي وموسيات .

الاعراب :

(وإذ) تقدم إعرابها كثيراً (فرقنا) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (بكم) الجار والمجرور متعلّقان بفرقنا أو بمحذوف حال أي فصلناه ملتبساً بكم والمعنى أن فرق البحر حصل بدخولكم إياه (البحر) مفعول به (فأنجيناكم وأغرقنا) عطف أيضاً (آل فرعون) مفعول به وفرعون مضاف اليه (وأنتم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تنظرون) الجملة الفعلية في محل رفع خبر أنتم والجملة الاسمية في محل نصب على الحال من الكاف في أنجيناكم (وإذ) عطف على وإذ الأولى (واعدنا) الجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (موسى) مفعول به أول (أربعين) مفعول به ثان ولا يجوز أن ينصب على الظرفية لفساد المعنى إذ ليس وعده في أربعين ليلة وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (ليلة) تمييز ملفوظ والعامل في هذا النوع اسم العدد قبله (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (اتخذتم) معطوف على واعدنا (العجل) مفعول به أول والمفعول الثاني محذوف لأنه مفهوم من سياق الكلام أي إلهاً (من بعده) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وأنتم) الواو حالية وأنتم مبتدأ (ظالمون) خبره والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (ثم عفونا)

عطف على ما تقدم (عنكم) الجار والمجرور متعلقان بعفونا (من بعد ذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال والاشارة الى المصدر المفهوم من اتخذ أي من بعد ذلك الاتخاذ (لعلكم) لعل واسمها (تشكرون) الجملة الفعلية في محل رفع خبر لعل وجملة الرجاء حالية .

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

اللغة :

(لقومه) : القوم : اسم جمع لا واحد له من لفظه وإنما واحده امرؤ وقياسه أن لا يجمع وشذّ جمعه قالوا : أقوام وجمع جمعه قالوا : أقاويم قيل : يختص بالرجال قال تعالى : « لا يسخر قوم من قوم... ..ولا نساء من نساء » وقال زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقومٌ آل حصن أم نساء

وقيل : لا يختص بالرجال بل يطلق على الرجال والنساء قال تعالى: « إنا أرسلنا نوحاً الى قومه » والقول الأول أصوب واندراج النساء في القوم هنا على سبيل الاتساع وتغليب الرجال على النساء وسمّوا قوماً لأنهم يقومون بالأمور .

(بارئكم) : الباريء : الخالق يقال : برأ الله الخلق ، أي خلقهم وأصل مادة برأ يدل على انفصال شيء وتميّزه عنه يقال : برأ المريض من مرضه إذا زال عنه المرض وانفصل ، وبريء المدين من دينه إذا زال عنه الدّين وسقط ، ومنه الباريء في أوصاف الله تعالى لأنه الذي أخرج الخلق من العدم وفصلهم عنه الى الوجود .

الاعراب :

(وإذ) تقدم القول فيها (آتينا) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (موسى) مفعول به أول (الكتاب) مفعول به ثان (والفرقان) الواو حرف عطف والفرقان معطوف على الكتاب والمراد بالكتاب التوراة والفرقان ما يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلالة عطف عليه وان كان المعنى واحداً (لعلكم) لعل واسمها (تهتدون)الجملة الفعلية خبر لعل وجملة الرجاء حالية(وإذ قال موسى)عطف على ماتقدم (لقومه) الجار والمجرور متعلقان بقال (ياقوم) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة (انكم) إن واسمها (ظلمتم) الجملة الفعلية خبر إن (أنفسكم) مفعول به (باتخاذكم) الجار والمجرور متعلقان بظلمتم والباء للسببية أي بسبب اتخاذكم (العجل) مفعول به للمصدر : اتخاذ (فتوبوا) الفاء تعليلية لأن الظلم سبب التوبة وتوبوا فعل أمر مبني على حذف النون (إلى بارئكم) الجار والمجرور متعلقان بتوبوا (فاقتلوا) الفاء للعطف والتعقيب (أنفسكم) مفعول به وسيأتي معنى القتل في باب البلاغة (ذلكم) اسم إشارة مبتدأ (خير) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل على غير القياس إذ القياس أخير ومثله شر والقياس أشر (عند) ظرف متعلق بمحذوف حال (بارئكم) مضاف

إليه (فتاب) الفاء عاطفة على محذوف والتقدير ففعلتم ما أمركم فتاب (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بتاب (إنه) إن واسمها (هو) ضمير فصل أو عماد لا محل له (التواب) خبر ان الاول (الرحيم) خبر إن الثاني أو هو مبتدأ خبراه التواب الرحيم والجملة الاسمية خبر إن •

البلاغة :

١ ــ في قوله تعالى : « فاقتلوا أنفسكم » مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يئول إليه أي أسلموها للقتل تطهيراً لها أي لينفذ هذا الحكم الصادر وهذا أحد الأقوال في القتل وقيل المراد بقتل الأنفس تذليلها وكبح جماحها فإن القتل يرد بمعنى التذليل ومنه قول حسان بن ثابت في وصف الخمر :

إن التي ناولتني فرددتهـــا   قتلت ، قتلت ، فهاتها لم تقتل

أراد مزجها بالماء لتذهب سورتها •

٢ ــ الالتفات في قوله : « فتاب عليكم » والالتفات هنا من التكلم الــذي يتطلبه سياق الكلام إذ كان مقتضى المقــام أن يقول : فوفقتكم فتبت عليكم •

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الاعراب :

(وإذ) تقدم القول فيها (قلتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (يا) حرف نداء للمتوسط (موسى) منادى مفرد علم (لن) حرف نفي ونصب واستقبال (نؤمن) فعل مضارع منصوب بلن،وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن،والجملة مقول القول(لك) الجار والمجرور متعلقان بنؤمن(حتى)حرف غاية وجر (نرى) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى(الله)مفعول به(جهرة) مفعول مطلق لأنها مصدر جهر أي قرأ بصوت عال فهي بمثابة الذي يرى بالعين ويجوز أن تعرب نصباً على الحال أي جاهرين بالرؤية (فأخذتكم) الفاء عاطفة وأخذتكم فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به مقدم (الصاعقة) فاعل والجملة معطوفة على قلتم (وأنتم) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تنظرون) فعل مضارع والواو فاعل وجملة تنظرون خبر أنتم وجملة أنتم تنظرون في محل نصب حال (ثم) حرف عطف للترتيب والتراخي (بعثناكم) فعل ماض وفاعل ومفعول به (من بعد) الجار والمجرور متعلقان ببعثناكم (موتكم) مضاف إليه (لعلكم) لعل واسمها وجملة (تشكرون) خبرها وجملة بعثناكم عطف على جملة فأخذتكم •

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

اللغة :

(الغمام) : السحاب الأبيض •

(وظلّلنا) جعلناه يظلّلكم •

(المن) : نبات خاص يستعمل طعاماً ويسمى الترنجبين •

(السلوى) : طير معروف يسمى السمانى بضم السين وفتح النون بعدها ألف مقصورة ويعرف في بلاد الشام بالفرّي •

الاعراب :

(وظلّلنا) الواو عاطفة وظللنا فعل وفاعل (عليكم) جار ومجرور متعلقان بظللنا (الغمام) مفعول به وهذه الجملة متصلة بما قبلها في سياق الذكرى منفصلة عنها في الوقوع فإن التظليل استمر إلى دخولهم أرض الميعاد ولولا أن ساق الله إليهم الغمام يظلّلهم في التّيه لسفعتهم الشمس ولفحت وجوههم ولا معنى لوصف الغمام بالرقيق كما قال كثير من المفسرين بل السياق يقتضي كثافته إذ لا يحصل الظل الظليل الذي يفيده حرف التظليل إلا بحساب كثيف يمنع حر الشمس ووهجها (وأنزلنا) عطف على وظلّلنا (عليكم) جار ومجرور متعلقان بأنزلنا (المن) مفعول به (والسلوى) عطف على المن (كلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وجملة كلوا في محل نصب مقول القول أي وقلنا : كلوا (من طيبات) جار ومجرور متعلقان بكلوا (ما) اسم موصول في محل جر بالاضافة (رزقناكم) فعل وفاعل ومفعول

والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما) الواو حرف عطف وما نافية (ظلمونا) فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على محذوف يقتضيه سياق الكلام والتقدير فظلموا أنفسهم بكفران تلك النعمة السابغة (ولكن) الواو حالية ولكن حرف استدراك أهمل لتخفيف نونه (كانوا) كان واسمها (أنفسهم) مفعول به مقدّم ليظلمون (يظلمون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة الفعلية خبر كانوا وجملة لكن ومافي حيزها في محل نصب على الحال ٠

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

اللغة :

(القرية) مشتقة من قريت أي جمعت لجمعها أهلها تقول : قريت الماء في الحوض أي جمعته واختلف في القرية فقيل : هي بيت المقدس وقيل : هي أريحا وهي قرية بغور الأردن ٠

(حطة) : فعلة بكسر الحاء من الحطّ ٠

الاعراب :

(وإذ) تقدم القول فيها (قلنا) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (ادخلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مقول القول (هذه) الهاء حرف تنبيه

وذه اسم إشارة في محل نصب على المفعولية اتساعاً (القرية) بدل من اسم الاشارة (فكلوا) الفاء حرف عطف وكلوا عطف على ادخلوا (منها) الجار والمجرور متعلقان بكلوا (حيث) ظرف مكان مبنى على الضم متعلق بمحذوف حال أي متنقلين (شئتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (رغداً) مفعول مطلق أو حال (وادخلوا) عطف على ادخلوا (الباب) مفعول به على السعة (سجداً) حال أي متواضعين متطامين كحال الساجد (وقولوا) عطف على وادخلوا (حطة) خبر لمبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرنا حطة والجملة الاسمية مقول القول والأصل فيها النصب لأن معناها حط عنا ذنوبنا ولكنه عدل الى الرفع للدلالة على ديمومة الحط والثبات عليه (نغفر) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (لكم) الجار والمجرور متعلقان بنغفر (خطاياكم) مفعول به (وسنزيد) الواو استئنافية ونزيد فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن (المحسنين) مفعول به •

الفوائد :

كل ما كان من ظروف المكان محدوداً غير مشتق لا يجوز نصبه على الظرفية بل يجب جرّه بفي نحو جلست في الدار وأقمت في البلد وصليت في المسجد ، إلا إذا وقع بعد دخل ونزل وسكن فيجوز نصبه على الظرفية أو على نزع الخافض والصحيح أنه منصوب على المفعولية اتّساعاً •

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

اللغة :

(الرجز) بكسر الراء وسكون الجيم : العذاب .

الاعراب :

(فبدل) الفاء استئنافية وبدل فعل ماض (الذين) اسم موصول فاعل وجملة (ظلموا) لا محل لها لأنها صلة الموصول (قولاً) مفعول به (غير) صفة لقولاً (الذي) اسم موصول مضاف اليه (قيل) فعل ماض مبني للمجهول (لهم) الجار والمجرور متعلقان بقيل (فأنزلنا) الفاء حرف عطف وأنزلنا عطف على الجملة السابقة (على الذين) جار ومجرور متعلقان بأنزلنا (ظلموا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (رجزاً) مفعول به (من السماء) جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرجزاً أو بأنزلنا (بما) الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء أي بسبب فسقهم (كانوا) كان واسمها وجملة (يفسقون) خبرها .

البلاغة :

في هذه الآية ضرب من البلاغة دقيق المسلك وهو وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في تقبيح أمرهم وقد رمقه البحتري في مطلع سينيته فقال :

صنت نفسي عما يدنّس نفسي وترفعت عن جدا كلّ جبس

فلم يقل يدنسها وإنما وضع الظاهر موضع المضمر لهذا الغرض الجليل .

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

اللغة :

(تعثوا) يقال عثا يعثوا وعثِي يعثَى أي أفسد .

الاعراب :

(وإذ) تقدم القول فيها (استسقى) فعل ماض (موسى) فاعل (لقومه) جار ومجرور متعلقان باستسقى (فقلنا) الفاء عاطفة وقلنا : فعل وفاعل (اضرب) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة في محل نصب مقول القول (بعصاك) الجار والمجرور متعلقان باضرب (الحجر) مفعول به (فانفجرت) الفاء هي الفصيحة وسيأتي الحديث عنها في الفوائد وانفجرت فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة أي فامتثل الأمر فضرب أو فإن ضربت فقد انفجرت (منه) الجار والمجرور متعلقان بانفجرت (اثنتا عشرة) فاعل انفجرت وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى وعشرة جزء العدد المركب مبني على الفتح دائماً (عيناً) تمييز ملفوظ (قد) حرف تحقيق (علم) فعل ماض مبني على الفتح

(كل أناس) فاعل (مشربهم) مفعول به والجملة لا محل لها لأنها مستأنفة (كلوا واشربوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل واشربوا عطف على كلوا (من رزق الله) الجار والمجرور متعلقان بأي الفعلين شئت (ولا تعثوا) الواو عاطفة ولا ناهية وتعثوا فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل (في الأرض) جار ومجرور متعلقان بتعثوا وجملة كلوا واشربوا : مقول قول محذوف وقد تقدم نظيره (مفسدين) حال وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم .

الفوائد :

الفاء الفصيحة : سميت بذلك لأنها أفصحت عن مقدر ذلك لأنه لما ذكر عقب الأمر بالضرب الانفجار دل على أن المطلوب بالأمر الانفجار فلذا حذف الضرب على تقدير فضربه دلالة على أن المأمور التزم الأمر أي أن المحذوف قد يكون جملة هي السبب المذكور فسميت فصيحة من باب المجاز العقلي .

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

اللغة :

(البقل) : كل ما تنبته الأرض من النّجم مما لا ساق له وجمعه بقول .

(القثّاء) : معروف والواحدة قثاءة بكسر القاف وضمها والهمزة أصلية لأن الفعل اقثأت الأرض أي كثر قثاؤها .

(الفوم) : الحنطة وقيل الثوم ولعله أرجح بدليل قراءة ابن مسعود « وثومها » .

(المسكنة) مصدر ميمي من السكون والخزي لأن المسكين قليل الحركة والنهوض لما به من الفقر والمسكين مفعيل مبالغة منه قالوا : ولا يوجد يهودي غني النفس .

(باءوا) : رجعوا .

الاعراب :

(وإذ قلتم يا موسى) تقدم اعرابها قريباً (لن نصبر) لن حرف نفي ونصب واستقبال ونصبر فعل مضارع منصوب بلن وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره نحن (على طعام) الجار والمجرور متعلقان بنصبر (واحد) صفة لطعام (فادع) الفاء استئنافية وادع فعل أمر مبني على

حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت (لنا) جار ومجرور متعلقان بادع (ربك) مفعول به (يخرج) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (لنا) جار ومجرور متعلقان بيخرج (مما) جار ومجرور متعلقان بيخرج (تنبت) فعل مضارع (الأرض) فاعل وجملة تنبت الأرض لا محل لها لأنها صلة الموصول (من بقلها) الجار والمجرور بدل بإعادة الجار أو بمحذوف حال من الضمير المحذوف وهو العائد على الموصول أي تنبته (وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) أسماء معطوفة على بقلها (قال) فعل ماض مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والجملة استئنافية (أتستبدلون) الهمزة للاستفهام الانكاري مع التوبيخ وجملة أتستبدلون مقول القول (الذي) اسم موصول مفعول به (هو) مبتدأ (أدنى) خبر والجملة الاسمية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة (بالذي) الجار والمجرور متعلقان بتستبدلون (هو) مبتدأ (خير) خبر (اهبطوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف أي قلنا (مصراً) مفعول به بمعنى انزلوا (فإن) الفاء تعليلية وإن حرف مشبه بالفعل (لكم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم (ما) اسم موصول في محل نصب اسم إن وجملة (سألتم) لا محل لها من الإعراب لأنها صلة (وضربت) الواو استئنافية وضربت فعل ماض مبني للمجهول والتاء تاء التأنيث الساكنة (عليهم) جار ومجرور متعلقان بضربت (الذلة) نائب فاعل ضربت (والمسكنة) عطف على الذلة (وباءوا) عطف على ضربت (بغضب) جار ومجرور متعلقان بباءوا (من الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب (ذلك) اسم إشارة مبتدأ

(بأنهم) الباء حرف جر وان واسمها ، وان ما في حيزها في محل جر بالباء أي ذلك كله بسبب كفرهم والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة استئنافية لا محل لها (كانوا) كان واسمها والجملة خبر ان (يكفرون) الجملة الفعلية خبر كانوا (بآيات الله) الجار والمجرور متعلقان بيكفرون (ويقتلون) عطف على يكفرون (النبيين) مفعول به (بغير الحق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي حالة كونهم ظالمين متنكرين للحق في اعتقادهم ولو أنصفوا لاعترفوا بالواقع (ذلك) اسم الاشارة مبتدأ (بما عصوا) الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع الفعل بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ذلك (وكانوا) عطف على عصوا وكان واسمها (يعتدون) جملة فعلية في محل نصب خبر كانوا .

البلاغة :

الكناية في ضرب الذلة والمسكنة وهي كناية عن نسبة أراد أن يثبت ديمومة الذلة والمسكنة عليهم فكنى بضربها عليهم كما يضرب البناء وقد رمق الشعراء سماء هذه الكناية فقال الفرزدق يهجو جرير :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك بهالكتاب المنزل

الفوائد :

الباء مع الابدال تدخل على المتروك لا على المأتيّ به .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

اللغة :

(هادوا) تهوّدوا يقال : هاد يهود وتهوّد ويتهوّد إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود •

(النصارى) جمع نصران ونصرانيّ ، يقال : رجل نصران ونصرانيّ وامرأة نصرانة ونصرانيّة والياء في نصرانيّ للمبالغة سمّوا بذلك لأنهم نصروا السيد المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها : نصران أو ناصرة فسموا باسمها قال سيبويه : لا يستعمل في الكلام إلا مع ياء النسب •

(الصّابئين) : جمع صابىء من صبأ فلان إذا خرج من الدين والصابئة قوم كانوا يعبدون النجوم ومنهم أبو اسحق الصابىء الكاتب الشاعر المشهور •

الاعراب :

(إن) حرف مشبه بالفعل (الذين) اسم موصول اسمها (آمنوا) الجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (والذين) عطف على الذين الأولى وجملة (هادوا) لا محل لها وجملة إن وماتلاها مستأنفة (والنصارى والصابئين) عطف على اسم ان (من) اسم موصول بدل من اسم إن وجملة (آمن) صلة الموصول لك أن تجعلها شرطية في محل رفع مبتدأ (بالله) الجار والمجرور متعلقان بآمن (واليوم الآخر) عطف على الله (وعمل) عطف على آمن (صالحاً) مفعول به لعمل أو مفعول مطلق

أي عمل عملاً صالحاً (فلهم) الفاء جيء بها لتضمن الموصول معنى الشرط أو رابطة لجواب الشرط ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (أجرهم) مبتدأ مؤخر والجملة خبر إن إذا جعلنا من موصولة أو في محل جزم جواب الشرط إذا جعلناها شرطية والجملة بكاملها في محل رفع خبر إن (عند ربهم) الظرف متعلق بمحذوف حال أي مستحقاً أو مستقراً (ولا خوف) الواو عاطفة ولا نافية وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه (عليهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر خوف (ولا هم يحزنون) عطف على ما تقدم وقد تقدم إعراب نظيرها تماماً .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

اللغة :

(الطّور) : من جبال فلسطين ويطلق على كل جبل كما في القاموس .

الاعراب :

(وإذ أخذنا) تقدم اعراب نظائرها وجملة أخذنا في محل جر بإضافة الظرف اليها (ميثاقكم) مفعول به (ورفعنا) عطف على أخذنا (فوقكم) الظرف متعلق برفعنا (الطور) مفعول به (خذوا) فعل

أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف أي قلنا : خذوا وجملة القول حالية والتقدير قائلين خذوا (ما) اسم موصول مفعول خذوا وجملة (آتيناكم) لا محل لها من الاعراب لأنها صلة ما (بقوة) الجار والمجرور في محـــل نصب حال والمعنى خذوا ما آتيناكم حال كونكم عازمين على الجد والعمل (واذكروا) عطف على خذوا (ما) اسم موصول مفعول اذكروا (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (لعلكم) لعل واسمها وجملة (تتقون) خبرها (ثم توليتم) عطف يفيـــد التراخي إشعاراً بأن هناك امتثالا للأمر ثم إعراضاً عنه (من بعد ذلك) الجار والمجرور متعلقان بتوليتم (فلولا) الفاء عاطفـــة ولولا حرف امتنـــاع لوجود متضمن معنى الشرط (فضل الله) مبتدأ خبره محذوف تقديره موجود (عليكم) جار ومجرور متعلقان بفضل (ورحمته) عطف على فضل (لكنتم) اللام واقعة في جواب لولا وكان واسمها (من الخاسرين) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم •

الفوائد :

(لولا) حرف امتناع لوجود وتختصّ بالجملة الاسمية والاسم الواقع بعدها مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسدّ جواب لولا مسده في حصول الفائدة وحكم اللام في جوابها أن الكلام إن كان مثبتاً فالكثير دخول اللام كما في هذه الآية ونظائرها وإن كان منفياً فإن كان حرف النفي ما فالكثير فيه حذف اللام ويقلّ الاتيان بها •

قال المتنبي :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنـايا إلى أرواحنـا سبلا

وإن كان حرف النفي غـير ما فترك اللام واجب .

قال عمر بن أبي ربيعة :

عوجي علينا ربـة الهودج لولاك في ذا العام لم أحجج

لئلا يتوالى لامان ومثل لولا في جميع أحكامها لوما .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

اللغة :

(السبت) : في الأصل مصدر سبت أي قطع العمل وهو إما مأخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة وإما من السّبت وهو القطع لأن الأشياء فيه سبتت وتمّ خلقها ثم سمي به هذا اليوم من الآسبوع

(خاسئين) : مبعدين مطرودين من الخسوء وهو الصّغار والطرد .

(نكالا) : النكال : المنع والنكل اسم للقيد من الحديد وسمي العقاب نكالا لأنه يمنع غير المعاقب أن يفعل فعله ويمنع المعاقب أن يعود إلى فعله الأول .

الاعراب :

(ولقد) الواو استئنافية واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (علمتم) فعل وفاعل (الذين) اسم موصول مفعول به (اعتدوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير في اعتدوا (في السبت) والجار والمجرور متعلقان باعتدوا لأنه ظرف الاعتداء وقيامهم بصيد السمك وقد نهوا عنه (فقلنا) الفاء عاطفة وقلنا : فعل وفاعل والجملة معطوفة على جملة اعتدوا (لهم) جار ومجرور متعلقان بقلنا (كونوا) فعل أمر ناقص مبني على حذف النون والواو اسمها (قردة) خبرها (خاسئين) خبر ثان ولا مانع من جعلها صفة وقيل كلاهما خبر وانهما نزلا منزلة الكلمة الواحدة وهو قول جيد (فجعلناها) الجملة معطوفة على ما تقدم (نكالاً) مفعول جعلنا الثاني وانما أتى الضمير في جعلناها لأنه يعود على المسخة المفهومة من مطاوي الكلام (لما) اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور صفة لنكالاً (بين يديها) الظرف معلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (وما) عطف على ما (خلفها) ظرف متعلق بمحذوف صلة ما الثانية (وموعظة) عطف على نكالاً (للمتقين) الجار والمجرور صفة لموعظة .

الفوائد :

للمفسرين كلام طويل في قصة هذا الاعتداء وخلاصتها أنه تعالى حرّم العمل عليهم وصيد الحيتان في يوم السبت ، فكان يكثر ظهورها فيه وتذهب بذهابه فتحيلوا في صيده بأنواع الحيل كحفر حفيرة أو

ربط الحيتان فإذا مضى السبت أخذوه ثم كثر ذلك حتى صار ديدناً لهم إلى آخر تلك القصة الممتعة التي تصور طبيعة اليهود وتفننهم في الكيد .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

الاعراب :

(وإذ قال موسى لقومه) : تكرر إعراب نظائرها (إن الله) إن واسمها وجملة (يأمركم) خبرها (أن)حرف مصدريّ ونصب (تذبحوا) فعل مضارع منصوب بأن ، وان وما في حيّزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن تذبحوا بقرة (بقرة) مفعول به (قالوا) : فعل وفاعل (أتتخذنا) الهمزة للاستفهام الاستنكاري وتتخذنا : فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول (هزواً) مفعول به ثان والجملة الفعلية مقول القول (قال) فعل ماض وفاعله هو وجملة (أعوذ بالله) مقول القول (أن أكون) أن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض أي من أن أكون واسم أكون مستتر تقديره أنا (من الجاهلين) خبرها .

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

اللغة :

(الفارض) : المسنّة لأنها فرضت سنّها أي قطعتها وبلغت آخرها •

(البكر) الفتية الصغيرة •

(العوان) النصف في السنّ والجمع عون بضم العين وسكون الواو وقال الكسائي . العوان : التي قد كان لها زوج ومنه قيل : حرب عوان •

الاعراب :

(قالوا) فعل وفاعل (ادع) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة مقول القول (لنا) جار ومجرور متعلقان بادع (ربك) مفعول به (يبين) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (لنا) جار ومجرور متعلقان بيبين (ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ (هي) ضمير منفصل في محل رفع خبر والجملة الاسمية في محل نصب مفعول يبين (قال) فعل ماض (إنه) ان واسمها وكسرت همزة إن لسبقها بالقول وجملة (يقول إنها بقرة) خبر إن وجملة ان وما في حيزها مقول القول (لا) نافية (فارض) صفة بقرة (ولا بكر) عطف على ما تقدم وإذا وصفت النكرة بما دخل عليه لا كررت وكذلك الخبر والحال (عوان) صفة أيضاً لبقرة (بين ذلك) الظرف متعلق بمحذوف صفة لعوان وذلك مضاف إليه وقد نابت الاشارة عن الشيئين حيث وقعت مشاراً بها الى الفارض والبكر معاً ومثله قول عبد الله بن الزبعرى يوم أحد قبل إسلامه :

إن للخير وللشرّ مدى وكلا ذلك وجه وقبل

(فافعلوا) الفاء هي الفصيحة وافعلوا فعل وفاعل (ما) اسم موصول مفعول به وجملة (تؤمرون) صلة الموصول والعائد محذوف أي به وأجاز بعضهم أن تكون ما مصدرية أي فافعلوا أمركم ويكون المصدر بمعنى المفعول أي مأموركم .

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

اللغة :

(فاقع) : شديد الصفرة يقال في التوكيد أصفر فاقع كما يقال : أسود حالك وأبيض يَقَق وأحمر قانٍ وأخضر ناضر .

(لا ذلول) لم تذلل للحراثة وإثارة الأرض .

(الشية) بكسر الشين : العلامة والمراد لا لمعة فيها من لون آخر سوى الصفرة .

الاعراب :

(قالوا) فعل وفاعل (ادع) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مقول القول (لنا) جار ومجرور متعلقان بادع (ربك) مفعول به (يبين) جواب الطلب (لنا) متعلقان بيبين (ما) اسم استفهام مبتدأ (لونها) خبر والجملة في محل نصب مفعول (قال) فعل ماض (انه) ان واسمها وجملة (يقول) خبرها (إنها بقرة) ان واسمها وخبرها والجملة مقول القول (صفراء) نعت لبقرة (فاقع) صفة ثانية (لونها) فاعل فاقع ويجوز أن يكون فاقع خبراً مقدّماً ولونها مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية لبقرة وكلاهما جيد (تسر الناظرين) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والجملة صفة ثالثة لبقرة (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) تقدم إعرابها بحروفه فجدّد به عهداً (إن) حرف مشبه بالفعل (البقر) اسمها والجملة تعليل للسؤال لامحل لها (تشابه) فعل ماض وفاعله هو والجملة خبر إن (علينا) جار ومجرور متعلقان بتشابه (وإنا) الواو حرف عطف وان واسمها (إن) حرف شرط جازم (شاء) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (الله) فاعل وجواب إن محذوف تقديره اهتدينا (لمهتدون) اللام المزحلقة ومهتدون خبر إن (قال) فعل ماض (انه يقول) ان واسمها وجملة يقول خبرها (انها بقرة) تقدم إعراب نظيرها تماماً(لا)نافية (ذلول) صفة بقرة (تثير الأرض) الجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية والمقصود نفي اثارتها للارض (ولا)الواو حرف عطف ولا مزيدة لتأكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول فكأنه قيل لا ذلول صفتها انها مثيرة وساقية فالنفي مسلط على الموصوف وصفته

ونرجىء القول في هــذا التركيب العجيب الى باب الفوائــد (تسقى الحرث) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به (مسلمة) صفة ثالثة أي سلمها الله من العيوب (لا)نافية للجنس من أخوات إن (شية) اسمها المبني على الفتح (فيها)الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة صفة رابعة (قالوا) فعــل وفاعل (الآن) ظرف زمان متعلق بجئت (جئت) جملة جئت مقول القول (بالحق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبساً بالحق (فذبحوها) معطوف عــلى محذوف يتطلبــه السياق أي فطلبوها فوجدوها وذبحوها ولك أن تجعل الفاء فصيحة أي فلما حصلت لهم هذه البقرة الجامعة لأشتات هذا الوصف ذبحوها (وما) الواو عاطفة وما نافية (كادوا) كاد واسمها لأنها من أفعال المقاربة العاملة عمل كان وجملة (يفعلون) خبر كادوا .

البلاغة :

١ ـ في هذه الآيات المتقدمة فن التكرير وهو داخل في باب الاطناب كأنهم يكررون السؤال استكناهاً لحقيقة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم » .

٢ ـ أسرار كاد في العربية كثيرة فهي تدخل على الفعل لإفادة معنى المقاربة في الخبر فإذا دخلت عليها النفي لم تكن إلا لنفي الخبر كأنك قلت : إذا أخرج يده يكاد لا يراها فكاد هذه إذا استعملت بلفظ الايجاب كان الفعل غير واقع وإذا اقترن بها حرف النفي كان الفعل بعدها قد وقع ولهذا اختلف في معنى الكيدودة هنا وعلى كل حال هي

صورة مجسدة لطبائع اليهود ولجوئهم الى اللجاج والمكابرة ، فقد فعلوا الذبح بعد لجاج طويل وتمنت ما عليه مزيد •

الفوائد :

١ ـ احتدم الخلاف بين المعربين حول قوله ولاتسقي الحرث فقد شجر الخلاف بين أبي حاتم وأبي البقاء من جهة وبين الزمخشري وأبي حيان من جهة ثانية وقد اخترنا في الاعراب أسهل الأوجه وأقربها الى المنطق •

٢ ـ الآن : ظرف زمان يقتضي الحال ويخلص المضارع وهو لازم للظرفية لا يتصرّف وبني لتضمنه معنى الاشارة كأنك قلت : هذا الوقت ، واختلف في حرف التعريف الداخل عليه فقيل هو لمحض التعريف الحضوري وقيل : هو حرف زائد لازم •

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

اللغة :

(ادّارأتم) : تدافعتم لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أي يدفعه ويزحمه والمعنى . اتهم بعضكم بعضاً لطمس معالم الجريمة ودرء الشبهة عنه •

الاعراب :

(وإذ) عطف على القصة الآنفة ونزولهما على ترتيب وجودهما فيكون أنه تعالى قد أمرهم بذبح البقرة فذبحوها وهم لا يعلمون ما وراء ذلك الأمر ثم وقع بعد ذلك أمر القتل فأظهر لهم سبحانه ما كان قد أخفاه من الحكمة (قتلتم) الجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (نفساً) مفعول به (فادّارأتم) عطف على قتلتم (فيها) جار ومجرور متعلقان بادارأتم (والله) الواو اعتراضية والله مبتدأ (مخرج) خبر والجملة لا محل لها لأنها اعتراضية (ما) اسم موصول مفعول به لمخرج لأنه اسم فاعل (كنتم) كان واسمها (تكتمون) جملة فعلية في محل نصب خبر كنتم والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (فقلنا) عطف (اضربوه) فعل أمر مبني على حذف النون وواو الجماعة فاعل والهاء مفعول به والجملة مقول القول (ببعضها) جار ومجرور متعلقان باضربوه (كذلك يحيي الله الموتى) جار ومجرور في محل نصب مفعول مطلق مقدم لأنه في الأصل وصف للمصدر والتقدير يحيي الله الموتى إحياء مثل ذلك الإحياء (ويريكم) عطف على يحيي والكاف مفعول به أول (آياته) مفعول به ثان (لعلكم) لعل واسمها (تعقلون) الجملة في محل رفع خبر لعل •

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ

مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

الاعراب :

(ثم) حرف عطف للتراخي واستبعاد القسوة من بعد ما ذكر من موجبات الليونة للقلوب (قست) فعل ما ض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والتاء تاء التأنيث الساكنة (قلوبهم) فاعل (من بعد ذلك) جار ومجرور متعلقان بقست وذلك مضاف إليه (فهي) الفاء عاطفة وهي مبتدأ (كالحجارة) الكاف اسم بمعنى مثل خبر والحجارة مضاف إليه ولك أن تجعلها جارة والجار والمجرور خبر هي (أو) حرف عطف للتخيير أو للابهام أو للتنويع (أشد) معطوف على الكاف إذا كانت اسماً أ وعلى كالحجارة لأن الجار والمجرور في موضع رفع (قسوة) تمييز وكان القياس أن يقول : أقسى لأن اسم التفضيل يأتي من الثلاثي المستوفي شروطه ولكنه عدل عن ذلك لأن سياق القصة يقتضي العدول الى الإسهاب وزيادة التهويل بذكر لفظ الشدّة (وإنّ) الواو استئنافية وإن حرف مشبه (من الحجارة) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم (لما) اللام هي المزحلقة وما اسم موصول في محل نصب اسمها المؤخر (يتفجر) فعل مضارع مرفوع والجملة صلة لا محل لها (منه) جار ومجرور متعلقان بيتفجر (الأنهار) فاعل يتفجر (وان) عطف على أن الأولى (منها) جار ومجرور خبر مقدم (لما) اللام المزحلقة وما اسم موصول اسم ان المؤخر (يشقق) فعل مضارع مرفوع (فيخرج) عطف على يشقق (وإن منها لما يهبط) عطف على ما تقدم (من خشية الله) الجار

والمجرور متعلقان بيهبط بمثابة التعليل له (وما) الواو استئنافية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (الله) اسمها المرفوع (بغافل) الباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً على أنه خبر ما (عما) جار ومجرور متعلقان بغافل (تعملون) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول •

البلاغة :

١ ـ التشبيه المرسل فقد شبه قلوبهم في نبوّها عن الحق ، وتجافيها مع أحكامه بالحجارة القاسية ثم ترقى في التشبيه ، فجعل الحجارة أكثر ليناً من قلوبهم •

٢ ـ الاستعارة المكنية التبعية في قوله تعالى: «ثم قست قلوبكم» تشبيهاً لحال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ بما هو ماثل أمامها ، ناطق بلسان الحال ، بالحجارة النابية التي من خصائصها القسوة والصلابة •

٣ ـ المجاز العقلي في إسناد الخشية إلى الحجارة وهو كثير في ألسنة العرب •

الفوائد :

(ما الحجازية) سميت حجازية لأنها تعمل عمل ليس في لغة أهل الحجاز ، وهي نافية مهملة في لغة تميم ويشترط لاعمالها أربعة شروط :

آ ـ أن لا يتقدم خبرها على اسمها وإلا أهملت وفي أمثالهم : ما مسيء من أعتب •

ب ـ أن لا يتقدم معمول خبرها على اسمها وإلا أهملت نحو : ما بك أنا منتصر .

جـ ـ أن لا تزاد بعدها إن وإلا بطل عملها كقوله :

بني غـدانة ما إن أنتـم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف

د ـ أن لا ينتقض نفيها بإلا وإلا بطل عملها نحو : « وما محمد إلا رسول » .

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اللغة :

(الطمع)تعلق النفس بإدراك أمر تعلقاً قوياً فهو أشد من الرجاء يقال : طمع يطمع طمعاً وطماعة وطماعية . قال المتنبي :

إلام طماعيـة العـاذل ولا رأي في الحبّ للعاقل

الاعراب :

(أفتطمعون) الهمزة للاستفهام والمراد به النهي أو الاستنكار وقد تقدم بحث دخول الهمزة على حروف العطف والمعنى : لا تطمعوا في إقناع هؤلاء العتاة الجفاة القاسية قلوبهم (أن يؤمنوا) أن وما بعدها

في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض (لكم) جار ومجرور متعلق بيؤمنوا على تضمين يؤمنوا معنى الانقياد (وقد) الواو حالية وقد حرف تحقيق (كان) فعل ماض ناقص (فريق) اسمها (منهم) جار ومجرور صفة لفريق (يسمعون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وجملة يسمعون خبر كان (كلام الله) مفعول به (ثم) حرف عطف للتراخي (يحرفونه)عطف على يسمعون (من بعد)الجار والمجرور متعلقان بيحرفونه (ما) مصدرية مؤولة مع مابعدها بمصدر في محل جر بالاضافة (عقلوه) فعل وفاعل ومفعول به (وهم) الواو حالية وهم مبتدأ (يعلمون) الجملة في موضع رفع خبرهم والجملة الاسمية في موضع نصب على الحال أي والحال أنهم عالمون بكفرهم وعنادهم وافترائهم •

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

الاعراب :

(وإذا) الواو استئنافية أو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه متعلّق بجوابه (لقوا) فعل ماض مبني على الفتح والواو فاعل وجملة لقوا فعلية لا محل لها من الاعراب لإضافة الظرف اليها (الذين) اسم موصول مفعول به (آمنوا) فعل وفاعل

والجملة لامحل لها لأنها صلة الموصول (قالوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (آمنا) فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول (وإذا) عطف على وإذا الأولى (خلا بعضهم) فعل وفاعل والجملة في محل جر باضافة الظرف اليها (الى بعض) جار ومجرور متعلقان بخلا (قالوا) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أتحدثونهم) الهمزة للاستفهام الانكاري وتحدثونهم فعل وفاعل ومفعول به والجملة في محل نصب مقول القول (بما) جار ومجرور متعلقان بتحدثونهم (فتح الله) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عليكم) جار ومجرور متعلقان بفتح (ليحاجوكم) اللام هي لام العاقبة أو الصيرورة لا للتعليل في المعنى لأنهم لم يقصدوا ذلك وإنما كان المآل والعاقبة له ولكنها مثل لام التعليل في العمل ويحاجوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام العاقبة أو الصيرورة واللام ومجرورها متعلقان بتحدثونهم (به) الجار والمجرور متعلقان بيحاجوكم (عند ربكم) الظرف متعلق بمحذوف حال (أفلا تعقلون) تقدم حكم همزة الاستفهام إذا دخلت على حرف العطف كثيراً (أولا) الهمزة للاستفهام التقريري ومعناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف ولا يخلو من التوبيخ والواو عاطفة وهي بنية التقديم على الهمزة وانما أخرت لقوة الهمزة ولا نافية (يعلمون) معطوف على فعل محذوف والمعنى أيلومونهم على التحدث بما ذكر ولا يعلمون (أن الله) ان واسمها وما بعدها سدت مسد مفعولي يعلمون ولذلك فتحت همزتها (يعلم) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والجملة في محل رفع خبر أن (ما) اسم موصول أو مصدرية وهي على كل مع مدخولها مفعول يعلم (يسرون) الجملة لا محل لها على كل حال (وما يعلنون) عطف عليها .

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

اللغة :

(أميون) : لا يحسنون الكتابة والقراءة والمفرد أمي نسبة الى الأم لأنه ليس من شغل النساء عندهم أو إلى الأُمة وهي القامة والخلقة كأن الذي لا يكتب ولا يقرأ قائم على الفطرة والجبلة أو الى الأمة لأنها ساذجة قبل أن تعرف المعارف .

(أمانيّ) جمع أمنية بتشديد الياء وتخفيفها وهي في الأصل ما يقدره الانسان في نفسه ويحدس به ولذلك تطلق على الكذب والمراد أنهم لا يعلمون الكتاب إلا كما حدسوه أو تخيلوه في هواجسهم من أنهم شعب الله المختار وأن الله يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما ذلك كله إلا آكاذيب منمقة لفقها لهم أحبارهم فتناقلوها من دون تمحيص أو رويّة .

(الويل) مصدر لا فعل له من لفظه ولم يجيء من هذه المادة التي فاؤها واو وعينها ياء إلا ويل وويح وويس وويب ولا يثنى ولا يجمع وقيل : يجمع على ويلات قال امرؤ القيس :

ويوم دخلت الخدر خــدر عنيزة فقالت : لك الويلات إنك مرجلي

وإذا أضيف فالأحسن فيه النصب عــلى المفعولية المطلقــة لأنه مصدر لفعل أماته العرب وإذا لم يضيف فالأحسن فيه الرفع على الابتداء وساغ الابتداء لتضمنه معنى خاصاً والويل معناه الفضيحة والحسرة وقال الخليل : شدة الشر ، وقال غيره الويل : الهلكة .

الاعراب :

(ومنهــم) الواو حرف عطف ومنهم جــار ومجرور متعلقــان بمحذوف خبر مقدم (أميون) مبتدأ مؤخر (لا) نافية (يعلمون) فعل مضارع والواو فاعل (الكتاب) مفعول به وجملة لا يعلمون صفة أميون (إلا) أداة استثناء (أماني) مستثنى بإلا وهو استثناء منقطع لأن الأماني ليست مندرجة تحت مدلول الكتاب ولهذا وجب نصبه رغم تقــدم النفي وإنما يكون ذلك كذلك في كل موضع حَسُن أن يوضع فيه مكان إلا لكن فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الاول (وإن) الواو حالية وإن نافية (هم) مبتدأ (إلا) أداة حصر لتقدم النفي ، (يظنون) فعل مضارع وفاعــل والجملة فعلية خبرهم (فويل) الفاء استئنافية وويل مبتدأ ساغ الابتداء به لتضمنه معنى الدعاء والتهويل (للذين) الجار والمجرور خبر ويل (يكتبون) فعل مضارع وفاعل والجملة صلة الموصول (الكتاب) مفعول به (بأيديهم) الجار والمجرور متعلقان بيكتبون (ثم يقولون) عطف على يكتبون (هذا) مبتدأ (من عند الله) الجار والمجرور خبر والجملة الاسمية مقول القول (ليشتروا) اللام لام التعليــل ويشتروا فعــل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل والواو فاعل (به) الجار

والمجرور متعلقان بيشتروا (ثمناً) مفعول به (قليلا) صفة (فويل) تقدم إعرابها وكررها للتأكيد (لهم) الجار والمجرور خبر ويل (مما) الجار والمجرور متعلقان بويل (كتبت أيديهم) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (وويل لهم مما يكسبون) عطف على ما تقدم وقد سبق اعرابها .

البلاغة :

(الاطناب) بذكر أيديهم فقد ذكرها والكتابة لا تكون إلا بها لتصوير الحالة في النفس كما وقعت ، وتجسيدها أمام السامع حتى يكاد يكون مشاهداً لها ولتسجيل الأمر عليهم كما تقول لمن ينكر معرفته ما كتب ووقع : أنت كتبته بيمينك .

﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وقالوا) الواو استئنافية قالوا : فعل وفاعل (لن) حرف نفي ونصب واستقبال (تمسنا) فعل مضارع منصوب بلن ونا ضمير متصل

في محل نصب مفعول به (النار) فاعل والجملة فعلية في محل نصب مقول القول (إلا) أداة حصر (أياماً) نصب عـلى الظرفية الزمانية متعلق بتمسنا (معدودة) صفة لأياماً (قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت والجملة استئنافية (أتخذتم) حذفت همزة الوصل المتصلة بالماضي الخماسي لاجتماع همزتين والجملة في محل نصب مقول القول (عند الله) ظرف متعلق باتخذتم (عهداً) مفعول به (فلن) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدّر والتقدير ان اتخذتم عند الله عهداً فلن (يخلف) فعل مضارع منصوب بلن (الله) فاعل (عهده) مفعول به (أم) حرف عطف معادل للاستفهام فهي متصلة ويحتمل أن تكون منقطعـة بمعنى بل وكلاهما يفيد معنى التقرير والتوبيخ (تقولون) عطف عـلى ما قبله (عـلى الله) الجار والمجرور متعلقان بتقولون (ما) اسم موصول مفعول تقولون (لا) نافية (تعلمون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة لا محـل لها لأنها صلة الموصول (بلى) حرف جواب يثبت ما بعد حرف النفي (من) اسم شرط جازم مبتدأ (كسب) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو (سيئة) مفعول به (وأحاطت) عطف على كسب (به) الجار والمجرور متعلقان بأحاطت (خطيئته) فاعل أحاطت (فأولئك) الفاء رابطة لجواب الشرط واسم الاشارة مبتدأ (أصحاب النار) خبره (هم) مبتدأ (فيهـا) متعلق بخالدون (خالدون) خبر هم والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط الجازم (والذين) الواو عاطفة والذين اسم موصول مبتـدأ (آمنوا) فعـل وفاعـل والجملة صلة الموصول (وعملوا الصالحات) عطف على آمنوا (أولئك) مبتدأ أيضاً

(أصحاب الجنة) خبر أولئك والجملة الاسمية خبر الذين (هم) مبتدأ (فيها) الجار والمجرور متعلقان بخالدون (خالدون) خبرهم والجملة الاسمية خبر ثان لاسم الموصول .

الفوائد :

(بلى) حرف جواب مثل نعم والفرق بينهما أن بلى تختص بوقوعها بعد النفي لتجعله إثباتاً أما نعم ومثلها أجل فان الجواب بهما يتبع ما قبلهما في اثباته ونفيه فإن قلت لرجل : أليس لي عليك ألف درهم ؟ فإن قال : بلى ، لزمه ذلك وإن قال : نعم لم يلزمه ومن أحرف الجواب إي وجير .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

الاعراب :

(وإذ أخذنا) تقدم اعرابه كثيراً (ميثاق) مفعول به (بني) مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (إسرائيل) مضاف اليه وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه علم أعجمي (لا) نافية (تعبدون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل

(إلا) أداة حصر (الله) مفعول به والجملة لا محل لها لأنها مفسرة والخبر بمعنى النهي أي (وبالوالدين) الواو حرف عطف على موضع ان المحذوفة في لا تعبدون إلا الله فكان معنى الكلام وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وأحسنوا بالوالدين بالوالدين الجار والمجرور متعلقان بفعل المصدر أي وأحسنوا بالوالدين (إحسانا) مفعول مطلق لفعل محذوف (وذي القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين (وقولوا) عطف ولكن لا بد من تقدير محذوف أي وقلنا قولوا (للناس) متعلق بالفعل المحذوف (حسناً) صفة لمفعول مطلق محذوف أو قولاً حسناً (وأقيموا) عطف أيضاً على ما تقدم (الصلاة) مفعول به (وآتوا الزكاة) عطف على أقيموا الصلاة (ثم) حرف عطف عطفت على محذوف أي فقبلتم الميثاق (توليتم) فعل وفاعل (إلا) أداة استثناء لأن الكلام تام موجب (قليلاً) مستثنى بإلا (منكم) الجار والمجرور صفة لقليلاً (وأنتم) الواو حالية وأنتم مبتدأ (معرضون) خبر والجملة الاسمية في محل نصب على الحال .

البلاغة :

١ ـ جملة لا تعبدون خبر معناه النهي وهو أبلغ من التصريح به.

٢ ـ الالتفات : من الغيبة الى الخطاب في قوله : « لا تعبدون » ومن خطاب بني إسرائيل القدامى الى خطاب الحاضرين منهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ

وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

اللغة :

(تظاهرون) تتعاونون وحذفت احدى التاءين وأصل المظاهرة المعاونة مشتقة من الظهر لأن بعضهم يقوي بعضاً فيكون له كالظهر

(تفادوهم) تنقذوهم من الأسر بالمال .

الاعراب :

(وإذ أخذنا ميثاقكم) تقدم إعراب هذه الجملة قريباً (لا تسفكون دماءكم) خبر معناه النهي أيضاً وقد تقدم اعراب هذه الجملة (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) عطف على ما تقدم أي اعترفتم على أنفسكم بعد التراخي وطول الأمد (ثم أقررتم) ثم حرف عطف وأقررتم فعل وفاعل (وأنتم تشهدون) تقدم إعرابها (ثم) حرف عطف للتراخي (أنتم) مبتدأ (هؤلاء) اسم اشارة في محل نصب على الذم بفعل محذوف تقديره أذمّ وقيل في محل نصب منادى محذوف منه حرف النداء (تقتلون)

فعل مضارع والواو فاعل وجملة تقتلون خبر أنتم (أنفسكم) مفعول به وقيل : اسم الاشارة هو الخبر وجملة تقتلون حال وقد قالت العرب: ها أنت ذا قائماً وإنما أخبر عن الضمير باسم الاشارة في اللفظ وكأنه قال : أنت الحاضر (وتخرجون) عطف على تقتلون (فريقاً) مفعول به منكم) الجار واللجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريقا (من ديارهم) متعلقان بتخرجون (تظاهرون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة في محل نصب حال من الواو أي متعاونين عليهم (عليهم) جار ومجرور متعلقان بتظاهرون (بالاثم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال والمعنى تظاهرون عليهم حال كونهم ملتبسين بالاثم (والعدوان) عطف على الاثم وهذه الآية عجب في صدق تصويرها لحقيقة هؤلاء الذين نشاهد اليوم مصداقا لها (وإن) الواو استئنافية وإن شرطية (يأتوكم) فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به (أسارى) حال (تفادوهم) جواب الشرط مجزوم (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ وهو المسمى بضمير الشأن وسيأتي الحديث عنه (محرم) خبر مقدم (عليكم) جار ومجرور متعلقان بمحرم (اخراجهم) مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل رفع خبر لضمير الشأن ويجوز أن يعرب قوله محرم خبر هو وإخراجهم نائب فاعل لمحرم لأنه اسم مفعول (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) تقدم إعراب نظيرها (فما) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر كأنه قيل إن شئتم أن تعرفوا جزاء من يفعل وما نافية (جزاء) مبتدأ (من) اسم موصول في محل جر بالاضافة (يفعل) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو والجملة صلة الموصول (ذلك) اسم الاشارة مفعول به

(منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي حال كونه منكم (إلا) أداة حصر (خزي) خبر جزاء لأنه استثناء مفرع (في الحياة) الجار والمجرور صفة لخزي (الدنيا) صفة للحيـاة (ويوم القيامة) الواو استئنافية والظرف معلق بيردون (يردون) الجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب لأنهـا مستأنفة (إلى أشد العذاب) الجار والمجرور متعلقان بيردون (وما) الواو استئنافية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (الله) اسمها المرفوع (بغافل) الباء حرف جر زائد وغافل خبر ما محلاً (عما) الجار والمجرور متعلقان بتعملون (تعملون) الجملة الفعلية صلة الموصول .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

الاعراب :

(أولئك) اسم الاشارة مبتـدأ (الـذين) اسم موصول خبر (اشتروا) الجملة الفعلية لا محل لها لانها صلة الموصول (الحياة) مفعول به (الدنيا) صفة للحياة (بالآخرة) الجار والمجرور متعلقان باشتروا (فلا) الفاء الفصيحة ولا نافية (يخفّف) فعل مضارع مبني للمجهول والجملة خبر ثان لاسم الاشارة (عنهـم) الجار والمجرور متعلقان بيخفف (العـذاب) نائب فاعـل (ولا هم ينصرون) الواو عاطفة على ما تقدم ولا نافية وهم مبتدأ وجملة ينصرون خبر .

البلاغة :

الاستعارة المكنية التبعية في شراء الحياة الدنيا بالآخرة وقد تقدم نظيرها •

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

اللغة :

(قفينا) اتبعنا والمادة كلها تدل على التبعية ، والقفا كل تابع وهو مؤخر العنق ومنه قافية الشعر لأنها تتبع البيت (عيسى) : علم أعجمي وهو بالسريانية ايشوع وليس مشتقاً من العيس وهو بياض يخالطه شقرة •

(مريم) علم أعجمي ولهذا منع من الصرف • والمريم في اللغة العربية من النساء كالزير من الرجال والزّير هو الذي يخالط النساء ويمازحهن بغير شر او به •

الاعراب :

(ولقد) الواو حرف عطف واللام جواب قسم محذوف وقد :

حرف تحقيق (آتينا) فعل وفاعل (موسى) مفعول به أول (الكتاب) مفعول به ثان (وقفينا) عطف على آتينا (من بعده) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (بالرسل) جار ومجرور متعلقان بقفينا (وآتينا) عطف على ما تقدم (عيسى) مفعول به أول (بن) بدل أو صفة (مريم) مضاف اليه (البينات) مفعول به ثان وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (وأيدناه) عطف على ما تقدم (بروح القدس) الجار والمجرور متعلقان بأيدناه (أفكلما) الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط (جاءكم) فعل ماض ومفعول به مقدّم (رسول) فاعل جاء والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (بما) الباء حرف جر وما اسم موصول مجرور بالباء محلاً والجار والمجرور متعلقان بجاءكم (لا) نافية (تهوى) فعل مضارع (أنفسكم) فاعل والجملة لا محل لها لانها صلة (استكبرتم) فعل ماض وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ففريقاً) الفاء عاطفة وفريقاً مفعول به مقدّم (كذبتم) فعل (وفريقاً) الواو عاطفة وفريقاً مفعول مقدم لتقتلون (تقتلون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل .

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

اللغة :

(غلف) : جمع أغلف وهو في الأصل الذي لم يختن أي لا يعي ولا يفهم والمعنى هي مغشاة بأغطية لا يدري أحد ما وراءها .

الاعراب :

(وقالوا) الواو استئنافية وقالوا فعل ماض وفاعل (قلوبنا) مبتدأ ونا مضاف اليه (غلف) خبر قلوبنا والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (بل) حرف عطف واضراب (لعنهم الله) فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل (بكفرهم) الجار والمجرور متعلقان بلعنهم أي بسبب كفرهم (فقليلاً) الفاء استئنافية وقليلاً نعت لمصدر محذوف أي يؤمنون إيماناً قليلاً (ما) نكـرة مبهمـة صفة لقليلاً (يؤمنون) فعل مضارع مرفوع ٠

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

اللغة :

(يستفتحون) : يستنصرون وفتح الله على نبيّه نصره وهنا ناحية طريفة من وصف اليهود ، فقد كانوا يستنصرون الكافرين إذا قاتلوهم قائلين : اللهم انصرنا بالنبي المذكور عندنا في التوراة ٠

الاعراب :

(ولما) الواو استئنافية ولما ظرفية بمعنى حين أو هي حرف لمجرد الربط وهي متضمنة معنى الشرط (جاءهم) فعل ومفعول به (كتاب) فاعل (من عند الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت لكتاب والجملة في محل جر بإضافة الظروف اليها إذا أعربنا لما ظرفية أو لا محل لها إذا كانت رابطة وجواب لما محذوف تقديره كذبوا أو نحوه (مصدق) نعت لكتاب أيضاً (لما) اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بمصدق (معهم) مفعول به ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (وكانوا) الواو حرف عطف والمعطوف هو الجواب المحذوف وكان واسمها (من قبل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يستفتحون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة فعلية في محل نصب خبر كانوا (على الذين) جار ومجرور متعلقان بيستفتحون (كفروا) فعل وفاعل والجملة لا محل لأنها صلة الموصول (فلما) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة (جاءهم) تقدم اعرابها (ما) اسم موصول فاعل (عرفوا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول (كفروا به) جملة فعلية لا محل لها من الاعراب لأنها جواب لما (فلعنة) الفاء للتعليل ولعنة مبتدأ والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها في حكم الاستئنافية (الله) مضاف اليه (على الكافرين) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لعنة والمعنى أن لعنة الله متسببة عما تقدم (بئسما) بئس فعل ماض لانشاء الذم وما نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز وهي مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئاً (اشتروا) فعل وفاعل والجملة صفة لما (به) الجار والمجرور

متعلقان باشتروا (أنفسهم) مفعول به (أن يكفروا) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ لأنه المخصوص بالذم وجملة بئس هي الخبر المقدم (بما) الباء حرف جر وما اسم موصول في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بيكفروا (أنزل الله) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول (بغياً) مفعول لأجله وهو علة اشتروا أو علة يكفروا (أن ينزل الله) أن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي بغوا لانزال الله (من فضله) الجار والمجرور متعلقان بينزل أيضاً (على من يشاء) جار ومجرور متعلقان بينزل ويشاء فعل وفاعله مستتر (من عباده) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مبنية لمن يشاء (فباءوا بغضب) الفاء حرف عطف وباءوا فعل وفاعل والجار والمجرور متعلقان بباءوا (على غضب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب أو مترادف (وللكافرين) الواو استئنافية وللكافرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (مهين) صفة لعذاب .

الفوائد :

١ ـ (ما) المتصلة بنعم وبئس من أفعال المدح والذم اختلف فيها النحاة والأكثر أنها نكرة تامة بمعنى شيء فتكون موضع نصب على التمييز وقيل هي موصولة فتكون هي الفاعل .

٢ ـ المخصوص بالمدح والذم يعرب مبتدأ والجملة الفعلية قبله خبر ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف واجب الحذف .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) ﴾

الاعراب :

(وإذا قيل لهم آمنوا) تقدم اعراب نظائرها وجملة آمنوا في محل نصب مقول القول (بما أنزل الله) الباء حرف جر وما اسم موصول في محل جر بالباء وجملة أنزل الله لا محل لها (قالوا) الجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (نؤمن) الجملة في محل نصب مقول القول (بما أنزل) الجار والمجرور متعلقان بنؤمن (علينا) جار ومجرور متعلقان بأنزل (ويكفرون) الواو حالية (بما) الجار والمجرور متعلقان بيكفرون (وراءه) ظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (وهو الحق) الواو حالية وهو مبتدأ والحق خبره وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال (مصدقاً) حال مؤكدة لأن تصديق القرآن لازم لا ينتقل (لما) الجار والمجرور متعلقان بمصدقاً (معهم) ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ما (قل) فعل أمر (فلم) الفاء هي الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أي إن كانت دعواكم صحيحة فلم تقتلون واللام حرف جر وما اسم استفهام في محل جر باللام أي لأي شيء وحذفت الألف من ما فرقاً بينها وبين ما الخبرية والجار والمجرور متعلقان بتقتلون (تقتلون) فعل مضارع (أنبياء الله) مفعول به (من قبل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (إن كنتم مؤمنين) ان شرطية وكنتم كان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تقتلون خبرها وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي فلم تقتلون .

الفوائد :

١ ـ (وراء) من الظروف المتوسطة التصرف وهو ظرف مكان والمشهور أنه بمعنى خلف وقد يكون بمعنى أمام فهو من الأضداد .

٢ ـ إذا سبق ما الاستفهامية حرف جر حذفت ألفها ونزلت الكلمتان منزلة الكلمة الواحدة فتقول : إلام ، علام ، حتام ، لم ، بم ، حتّام ، عمّ ، فيم ، ممّ .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

الاعراب :

(ولقد) الواو استئنافية واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (جاءكم موسى) فعل ومفعول به مقدم وفاعل الكلام مستأنف مسوق للاعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعائهم بأنهم يؤمنون بالتوراة والتوراة لا تسوغ ذلك بحال (بالبينات) جار ومجرور

متعلقان بجاءكم (ثم اتخذتم العجل) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي واتخذتم فعل وفاعل والعجل مفعول به (من بعده) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وأنتم ظالمون) الواو حالية وأنتم مبتدأ وظالمون خبره والجملة نصب على الحال (وإذ) تقدم إعرابها (أخذنا ميثاقكم) فعل ماض وفاعل ومفعول به والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (ورفعنا) عطف على أخذنا ولك أن تعربها حالية (فوقكم) ظرف مكان متعلق برفعنا (الطور) مفعول به (خذوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف وجملة القول نصب على الحال أي قائلين لكم (ما) اسم موصول مفعول به (آتيناكم) فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة (بقوة) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (واسمعوا) عطف على ما تقدم (قالوا) فعل وفاعل والجملة مستأنفة مسوقة لذكر سماعهم وعصيانهم في وقت واحد وتلك طبيعة مركوزة في اليهود (سمعنا وعصينا) الجملتان مقول للقول (واشربوا) الواو حالية أو عاطفة واشربوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل (في قلوبهم) جار ومجرور متعلقان باشربوا (العجل) مفعول به ثان على تقدير مضاف أي حب العجل (بكفرهم) جار ومجرور متعلقان بأشربوا والباء للسببية أي بسبب كفرهم (قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر والجملة مستأنفة (بئسما) تقدم اعرابها قريباً (يأمركم) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والجملة لا محل لها (به) جار ومجرور متعلقان بيأمركم (إيمانكم) فاعل (إن كنتم مؤمنين) شرط وفعله والجواب محذوف فلم فعلتم ذلك وكان واسمها ومؤمنين خبرها .

البلاغة :

(التشبيه البليغ) أي جعلت قلوبهم لتمكّن حب العجل منها كأنها تشرب ومثله قول زهير :

فصحوت عنها بعد حبّ داخل والحبّ يشربه فؤادك دائماً

وانما عبر عن حبّ العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل الى باطنها والطعام لا يتغلغل فيها .

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) ﴾

الاعراب :

(قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة مسوقة للدخول في فن آخر من أراجيفهم التي يحيكونها (إن) شرطية تجزم فعلين (كانت) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط (لكم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانت لمقدم (الدار) اسمها المؤخر (الآخرة) نعت للدار (عند الله) ظرف مكان متعلق بخالصة (خالصة) حال من الدار أي سالمة (من دون الناس) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مؤكدة للحال لأن دون تستعمل للاختصاص

يقال : هذا لي دونك أو من دونك أي لا حق لك فيه (فتمنوا) الفاء واقعة في جواب الشرط لأن الكلام طلبي وتمنوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (الموت) مفعول به (إن كنتم صادقين) تكرر اعرابها وجواب الشرط محذوف أي فتمنوا الموت (ولن) الواو استئنافية ولن حرف نفي ونصب واستقبال (يتمنوه) فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (أبداً) ظرف زمان متعلق بيتمنوه (بما) الجار والمجرور متعلقان بيتمنوه أيضاً (قدمت أيديهم) جملة فعلية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة ما والعائد محذوف أي قدمته أيديهم (والله عليم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة (بالظالمين) الجار والمجرور متعلقان بعليم .

البلاغة :

في قوله : « فتمنوا الموت » خروج الأمر عن معناه الأصلي الى معنى التعجيز لأن ذلك ليس من سماتهم ولا من ظواهرهم المألوفة وتمني الموت من شأن المقربين الأبرار لأن من أيقن بالشهادة اشتاق اليها . وبكى حنيناً اليها وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه كان يطوف بين الصفين في غلالة فقال ابنه الحسن : ما هذا بزي المحاربين فقال : يا بني لا يبالي أبوك سقط أم سقط عليه الموت ، ولما احتضر خالد بن الوليد بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : والله ما أبالي اشفاقاً من الموت ولكن لأني حضرت كذا وكذا معركة ثم أموت هكذا كما تموت العنز

فلا نامت أعين الجبناء ، وعن حذيفة أنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب : جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعني على التمني . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تمنّوا الموت لغصّ كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي » .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

اللغة :

(زحزح) : يستعمل متعدياً ولازماً وتكرار الحروف بمثابة تكرار العمل .

الاعراب :

(ولتجدنهّم) الواو عاطفة واللام جواب لقسم محذوف وتجدنهم فعل مضارع مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت والهاء مفعوله الأول (أحرص الناس) مفعوله الثاني (على حياة) الجار والمجرور متعلقان بأحرص (ومن الذين أشركوا) الواو عاطفة والعطف هنا محمول على المعنى والتقدير أحرص من الذين أشركوا ولكنه حذف «أحرص» للتخصيص بعد التعميم (يود أحدهم) فعل مضارع وفاعل

والجملة حالية أو استئنافية لا محل لها (لو يعمر) لو مصدرية غير عاملة أي يود التعمير وهي خاصة بفعل الودادة وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر مفعول يود أي يود التعمير ويعمر فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر فيه جوازاً تقديره هو (ألف سنة) ظرف زمان متعلق بيعمر (وما هو) الواو حالية وما نافية حجازية وهو اسمها (بمزحزحه) الباء حرف جر زائد ومزحزحه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما (من العذاب) الجار والمجرور متعلقان بمزحزحه (ان يعمر) ان وما في حيزها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لمزحزحه لأنه اسم فاعل والضمير في قوله وما هو راجع الى أحدهم وقيل هو لما دل عليه يعمر من مصدر أي وما التعمير بمزحزحه ويكون قوله أن يعمر بدلاً منه وكلاهما جيد (والله بصير بما يعملون) الواو استئنافية ويجوز في ما أن تكون موصولة أو مصدرية .

البلاغة :

١ - الايجاز في الآية ففي تنكير حياة فائدة عجيبة فحواها أن الحريص لا بد أن يكون حياً ، وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة فانهما حاصلتان بل على الحياة المستقبلة ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الاطلاق بل بالحياة في بعض الأحوال وجب التنكير وفي الحذف توبيخ عظيم لليهود لأن الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فإذا زاد أهل الكتاب عليهم في الحرص وهم مقرون بالبعث والجزاء كانوا أحرى باللوم والتوبيخ .

٢ ــ الكناية في قوله (ألف سنة) وهي كناية عن الكثرة فليس المراد خصوص الألف .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

الاعراب :

(قل) فعل أمر وفاعله أنت (من) اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وجملة قل مستأنفة مسوقة لبيان نمط آخر من أنماط لجاجهم وعنادهم (كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط واسمها يعود على من (عدواً) خبرها (لجبريل) اللام حرف جر وجبريل اسم مجرور باللام وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه علم أعجميّ والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لعدواً (فإنه) الفاء عاطفة على جواب الشرط المحذوف بمثابة التعليل له والتقدير فليمت غيظاً أو فلا موجب لعداوته ولا يصح أن يكون قوله فإنه هو الجواب لأن جواب الشرط لا بد أن يكون فيه ضمير يعود عليه فلا يصح أن تقول من يكرمني فزيد قائم وان واسمها ولأن فعل التنزيل متحقق المعنى والجزاء لا يكون الا مستقبلا (نزله) فعل وفاعل مستتر ومفعول به والضمير يعود على القرآن وفي اضماره على ما لم يسبق ذكره تفخيم لشأن صاحبه كأنه يدل على نفسه وجملة نزله خبر كأن

(على قلبك) الجار والمجرور متعلقان بنزله (بإذن الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (مصدقاً) حال ثانية (لما) الجار والمجرور متعلقان بمصدقاً (بين يديه) الظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (وهدى وبشرى) معطوفان على مصدقاً (للمؤمنين) الجار والمجرور متعلقان ببشرى أو بمحذوف صفة وخبر من فعل الشرط والجواب المحذوف (من) اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (كان) فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من (عدواً) خبر كان (لله) متعلقان بمحذوف صفة لعدو (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) عطف (فإن الله عدو للكافرين) الجملة معطوفة على جواب الشرط وقد تقدم تقرير ذلك .

الفوائد :

العرب إذا نطقت بالأعجمي تصرفت فيه وجبر معناه عبد ، وايل هو الله فهو بمنزلة عبد الله ومعنى ميكال أو ميكائيل عبيد الله فكأنه أصغر منزلة من جبريل .

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ
(٩٩) أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
(١٠٠) وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾

اللغة :

(نَبَذَ) : لهذا الفعل خصائص عجيبة فهو في الأصل بمعنى الطّرح يقال : نبذ الشيء من يده أي طرحه ورمى به ، وصبي منبوذ ونهي عن المنابذة في البيع وهي أن تقول : انبذ إليّ المتاع أو أنبذه اليك . ومن مجاز هذا الفعل قولهم : نبذ أمري وراء ظهره إذا لم يعمل به ومنه قوله تعالى : « نبذ فريق من الـذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم » قالوا : ويتعيّن أن يكون نبذ من أفعال التحويل أو التصيير لدلالتها على الانتقال من حالة الى حالة أخرى وعلى هذا فكتاب الله مفعول به أول ووراء ظهورهم مفعول به ثان ويبعد بل يتعذر جعله ظرفاً لنبذ لأن الظرف لابد أن يكون حاوياً لفاعل العامل فيه والنابذون غير كائنين وراء ظهورهم على أن بعض النحاة لا يشترطون وجود الفاعل والمفعول في الظرف وقال ابن حجر في شرح المنهاج : ولك أن تقول : إن للقاعدة وجهاً وجيهاً لأن ظرف المكان من الحسيات فاذا جعل ظرفاً لفعل حسي متعد لزم كون الفاعل والمفعول فيه لأن الفعل المذكور لا يتحقق إلا بوجودهما بخلاف الفعل المعنوي فانه أجنبي من الظرف الحسي فاكتفى بما هو لازم له لكل تقدير وهو الفاعل فقط وللفقهاء أحكام في التشريع مستندة الى هذا الخلاف الطويل ، فتدبر هذا الفصل فانه وإن طـال بعض الطول فهو كالحسن غير مملول .

الاعراب :

(ولقد) الواو استئنافية واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق (أنزلنا اليك) فعـل وفاعل والجار والمجرور متعلقان بأنزلنا (آيات) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث

سالم (بينات) صفة (وما) الواو عاطفة وما نافية (يكفر بها) فعل مضارع مرفوع والجار والمجرور متعلقان به (إلا) أداة حصر (الفاسقون) فاعل يكفر (أوكلما) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على محذوف تقديره اكفروا بالآيات البينات أو أن الأصل تقديم العاطف على حرف الاستفهام وإنما قدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط وقد تقدم اعرابها (عاهدوا) فعل وفاعل (عهداً) مفعول به وعاهدوا بمعنى أعطوا والمفعول الأول محذوف أي اعطوا الله عهداً ويجوز أن نعرب عهداً مفعولاً مطلقاً (نبذه) فعل ومفعول به مقدم (فريق) فاعل (منهم) الجار والمجرور صفة لفريق (بل) حرف اضراب وعطف (أكثرهم) مبتدأ (لا يؤمنون) لا نافية وجملة لا يؤمنون خبر أكثرهم والجملة الاسمية عطف على الجملة السابقة (ولما) الواو عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة (جاءهم) فعل ومفعول به (رسول) فاعل وجملة جاءهم في محل جر باضافة الظرف اليها أو لا محل لها (من عند الله) الجار والمجرور صفة لرسول (مصدق) صفة ثانية (لما) جار ومجرور متعلقان بمصدق (معهم) ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة للموصول (نبذ فريق) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (من الذين) الجار والمجرور صفة لفريق (أوتوا الكتاب) فعل ماض ونائب فاعل ومفعول به ثان (كتاب الله) مفعول نبذ (وراء ظهورهم) مفعول ثان لنبذ لتضمنه معنى جعل أو ظرف مكان متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني وقد تقدم القول فيه (كأنهم لا يعلمون) كأن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها وجملة كأنهم حالية .

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ

بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ
فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا
هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ
وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

اللغة :

(هاروت وماروت) : علمان أعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت أي الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقد نسجت حولهما أساطير طريفة يرجع اليها في المطوّلات .

(خلاق) : بفتح الخاء أي نصيب .

(بابل) : مدينة قديمة والمنع من الصرف للعلمية والعجمة وتقع أنقاضها على الفرات قرب الحلة شرقي بغداد .

الاعراب :

(واتبعوا) الواو عاطفة واتبعوا فعل ماض وفاعل (ما) اسم موصول مفعول اتبعوا (تتلو الشياطين) فعل مضارع وفاعل والجملة صلة الموصول (عـلى ملك سليمان) الجار والمجرور متعلقـان بتتلو

وسليمان مضاف اليه وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وزيادة الألف والنون موقوفة على معرفة الاشتقاق (وما كفر) الواو حالية أو استئنافية وما نافية (سليمان) فاعل كفر (ولكن) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مشبه بالفعل (الشياطين) اسم لكن (كفروا) الجملة الفعلية خبر لكن (يعلمون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة حالية أو خبر ثان (الناس) مفعول به أول (السحر) مفعول به ثان (وما أنزل على الملكين) الواو حرف عطف وما اسم موصول معطوف على السحر وجملة أنزل صلة ما والجار والمجرور متعلقان بأنزل (ببابل) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (هاروت وماروت) بدل من الملكين (وما) الواو استئنافية وما نافية (يعلمان) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والألف فاعل (من أحد) من حرف جر زائد وأحد مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول يعلمان (حتى) حرف غاية وجر ومن الغريب أن يزعم أبو البقاء أنها تأتي بمعنى إلا ولم ترد في اللغة بهذا المعنى (يقولا) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى (إنما) كافة ومكفوفة (نحن) مبتدأ (فتنة) خبر والجملة الاسمية في محل نصب مقول للقول (فلا تكفر) الفاء هي الفصيحة ولا ناهية وتكفر فعل مضارع مجزوم بلا ، أي اذا شئت اتباع الطريق السوي فلا تكفر بتعلمه (فيتعلمون) الفاء استئنافية وقال سيبويه هي عاطفة (منهما) جار ومجرور متعلقان بيتعلمون (ما) اسم موصول مفعول به (يفرقون) الجملة صلة ما (به) جار ومجرور متعلقان بيفرقون (بين المرء وزوجه) الظرف متعلق بيفرقون أيضاً (وما) الواو حالية وما حجازية (هم) اسمها (بضارين) الباء حرف جر زائد وضارين مجرور لفظاً خبر ما محلاً (به) جار ومجرور متعلقان

بضارين (من أحد) من حرف جر زائد ، أحد مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول ضارين وهو اسم فاعل (إلا) أداة حصر (بإذن الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر الفاعل لضارين أو من المفعول به الذي هو أحد (ويتعلمون) عطف على ما سبق (ما) اسم موصول مفعول به (يضرهم) الجملة صلة ما (ولا ينفعهم) عطف على الصلة (ولقد) الواو استئنافية مسوقة للشروع في بيان حالهم بعد تعلم السحر واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (علموا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم (لمن)اللام لام الابتداء وتفيد التأكيد ومن اسم موصول مبتدأ وجملة (اشتراه) لامحل لها (ما) نافية أو حجازية (له) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم أو خبر ما (في الآخرة) الجار والمجرور في محل نصب حال (من) حرف جر زائد (خلاق) اسم مجرور بمن لفظاً مبتدأ مؤخر أو اسم ما والجملة في محل رفع خبر من والجملة كلها في حيز النصب وقد سدت مفعولي علموا المعلقة عن العمل (ولبئس) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وبئس فعل ماض جامد لانشاء الذمّ (ما) نكرة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز مفسرة لفاعل بئس أي شيئاً (شروا) فعل وفاعل والجملة صفة (به) جار ومجرور متعلقان بشروا (أنفسهم) مفعول به (لو) شرطية (كانوا) كان واسمها وجملة (يعلمون) خبرها وجواب لو محذوف أي لما أقدموا على ما اجترحوه من عمل مغاير ٠

البلاغة :

في هذه الآية فن رفيع من فنون البلاغة وهو تنزيل العالم منزلة الجاهل فإن صدر الآية يدل على ثبوت العلم في أنه لا نفع لهم في اشتراء

كتب السحر والشعوذة واختيارها على كتب الله وآخر الآية ينفي عنهم العلم فإن لو تدل على امتناع الثاني لامتناع الاول إلا أن نفي العلم عنهم لأمر خطابي نظراً الى أنهم لا يعملون على مقتضى العلم ولكن في ذلك مبالغــة من حيث الاشارة الى أن علمهم بعــدم الثواب كاف في الامتناع فكيف العلم بالذم والرداءة •

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾

اللغة :

(راعنا) : راقبنا وتأنَّ بنا حتى نفهمه ، روي أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم راعنا ، وكانت لليهود كلمة عبرانية يتسابّون بها وهي « راعنا » قيل : معناها : اسمع لا سمعت فلما سمعوا قول المؤمنين راعنا افترصوا ذلك وخاطبوا الرسول ، ولما سمعها سعد بن معاذ منهم وكان يعرف العبرية قال : يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربنّ عنقه فقالوا : أولستم تقولونها فنزلت الآية •

(انظرنا) أنسئنا وأمهلنا •

الاعراب :

(ولو) الواو استئنافية أو عاطفة ولو شرطية ولسيبويه في تسميتها اسم طريف وهو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره (أنهم) أن واسمها (آمنوا) فعل ماض وفاعل والجملة الفعلية خبر ان وان واسمها وخبرها في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف أي لو أن إيمانهم ثابت وقيل في محل رفع فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت إيمانهم (واتقوا) عطف على آمنوا (لمثوبة) اللام للابتـداء وقيل هي واقعـة في جواب لو وقد أوثرت الجملة الاسمية عـلى الفعلية في جواب لو للدلالة على الثبوت والديمومـة للمثوبة ومثوبة مبتدأ أو ساغ الابتداء بالنكرة لأنهـا وصفت (من عند الله) الجار والمجرور صفة لمثوبة (خير) خبر مثوبة (لو كانوا يعلمون) تقدم إعرابها وجواب لو محذوف دلّ عليه ما قبله أي لأثيبوا (يا أيها) يا حرف نـداء وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه (الذين) بدل من أيها (آمنوا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول (لا) ناهية (تقولوا) فعل مضارع مجزوم بلا (راعنا) فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ونا مفعول به وذلك في الأصل والمراد بها هنا الحكاية فتعرب كلمة أريد بها لفظها دون معناها في محل نصب مفعول به (وقولوا) عطف على لاتقولوا (انظرنا) في الأصل فعل أمر ونا مفعوله والمراد بها هنا الحكايـة (واسمعوا) الواو عاطفة واسمعوا معطوفة على لو والمفعول به محذوف أي اسمعوا ما يكلمكم به الرسول ويلقي عليكم من المسائل المؤدية الى فلاحكم (وللكافرين) الواو استئنافية مسوقة للاجمال بعد التفصيل والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (أليم) نعت لعذاب .

البلاغة :

ألمعت الآيـة الى فن من أجـل ّ فنون البلاغة وأكثرها استقطاباً للمقاصد السامية والمثل الرفيعة وهو فن التهذيب أي ترداد النظر فيما يكتبه الكاتب وينظمه الشاعر ، فقد خلصت من الايهام ودلت على آداب المخاطبة ليكون الكلام بريئاً من المطاعن ، بعيداً عن الملاحن • •

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

اللغة :

(اختص) فعل متعدّ يقـال خصّه بكذا واختصّه وخصّصه وأخصّه فاختصّ به وجميع ما فاؤه خاء وعينه صاد يدل على الاجتماع والتكاثر والانضمام كخصب المكان وأخصب أي وقـع فيه الخصب وهو اجتماع النبت وتكاثره وخاصر المـرأة قبض عـلى خاصرتها قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

ثم خاصرتها الى القبة الخضر اء تمشي في مرمر مسنون

وخصف الأوراق : اتبـع بعضها ببعض وهم خصوم وخصاء ولا يكون ذلك إلا في اجتماع •

الاعراب :

(ما) نافية (يود) فعل مضارع مرفوع (الذين كفروا) فاعل يود وجملة كفروا صلة (من) حرف جر (أهل الكتاب) مجرور بمن والجار والمجرور في محل نصب على الحال (ولا المشركين) عطف على أهل الكتاب ودخلت لا للتأكيد ولو كانت في غير القرآن لجاز حذفها (أن ينزل) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول يود وينزل مبني للمجهول (عليكم) جار ومجرور متعلقان بينزل (من) حرف جر زائد (خير) مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه نائب فاعل (من ربكم) صفة لخير (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يختص) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره هو والجملة خبر الله (برحمته) جار ومجرور متعلقان بيختص (من) اسم موصول مفعول به (يشاء) الجملة صلة الموصول (والله) الواو عاطفة والله مبتدأ (ذو الفضل) خبر وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة (العظيم) نعت للفضل •

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

اللغة :

(النسخ) الإزالة والنقل يقال : نسخت الريح الأثر أي أزالته ونسخت الكتاب أي نقلته وتفيد معنى طروء حال أحسن وجميع مافاؤه

نون وعينه سين يدل على التجدد والتبدل وطروء الأحسن أو الذهاب والانتقال فمن ذلك نسأ الشيء والأمر : أخّره وأنسأ الله أجلك أخره وأطاله ونسب : تغزّل ووصف المرأة بأوصاف ملائمة لمفاتنها وهذا من أعاجيب لغتنا العربية فتأمله فإنه مما ابتدعناه لأول مرة ومعنى الآية عجيب أيضاً أي أن كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معاً نأتي بخير منها .

الاعراب :

(ما) اسم شرط جازم في محل مفعول به مقدم لننسخ (ننسخ) فعل الشرط مجزوم (من آية) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لاسم الشرط واسم الشرط ليس معرفة فلا يجوز أن يكون الجار والمجرور حالاً منه والمعنى أي شيء ننسخ من الآيات فهو مفرد وقع موقع الجمع وهذا مطرد بعد الشرط لما فيه من معنى العموم وعلى هذا يخرج كل ما جاء من هذا التركيب كقوله : ما يفتح الله للناس من رحمة ، وما بكم من نعمة فمن الله ، وأجاز بعضهم أن تكونْ من آية في موضع نصب على التمييز والمميّز ما وليس ببعيد أيضاً وأعربها ابن هشام في موضع نصب على الحال وليس ببعيد أيضاً (أو) حرف عطف (ننسها) معطوف على ننسخ وقد سهّلت الهمزة فلم يظهر السكون والأصل ننسئها أي نرجئها والهاء مفعول بهْ (نأت) جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة (بخير) الجار والمجرور متعلقان بنأت (منها) جار ومجرور متعلقان بخير لأنها اسم تفضيل (أو مثلها) عطف على بآية (ألم) الهمزة للاستفهام التقديري ولم حرف نفي وقلب وجزم (تعلم) فعل مضارع مجزوم بلم (أن الله) أن واسمها (على كل شيء) الجار

والمجرور متعلقان بقدير (قدير) خبر أن وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تعلم (ألم تعلم) تقرير ثان (أن الله) أن واسمها (له) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (ملك السموات) مبتدأ مؤخر (والأرض) عطف على السموات (وما لكم) الواو عاطفة وما نافية ولكم خبر مقدم (من دون الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (من ولي) من حرف جر زائد وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر (ولا نصير) عطف على ولي •

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

الاعراب :

(أم) عاطفة منقطعة بمعنى بل (تريدون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل (أن تسألوا) أن ومافي حيزها في تأويل مصدر مفعول تريدون (رسولكم) مفعول به لتسألوا (كما سئل موسى) الكاف حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مفعول مطلق أو حال وموسى نائب فاعل سئل (من قبل) جار ومجرور متعلقان بسئل (ومن) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (يتبدل) فعل الشرط (الكفر) مفعول به (بالإيمان) جار ومجرور متعلقان بيتبدل وهو المتروك (فقد) الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق (ضل) فعل ماض وفاعله هو (سواء السبيل) مفعوله ؛ والجملة في محل جزم جواب الشرط •

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾

الاعراب :

(ودّ كثير من أهل الكتاب) فعل وفاعل والجار والمجرور صفة لكثير (لو يردونكم) لو مصدرية وهي مؤوّلة مع ما بعدها بمصدر مفعول ود ، يردونكم فعل وفاعل ومفعول أول (من بعد ايمانكم) جار ومجرور متعلقان بيردون وايمانكم مضاف إليه (كفاراً) مفعول ثان ليردونكم (حسداً) مفعول لأجله (من عند أنفسهم) الجار والمجرور متعلقان بود على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم لا من قبل الجنوح الى الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق ويؤكده قوله فيما بعد « تلك أمانيهم » (من بعد ما تبين لهم الحق) الجار والمجرور متعلقان بود وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف لبعد والحق فاعل تبين (فاعفوا) الفاء هي الفصيحة واعفوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (واصفحوا) عطف على فاعفوا (حتى يأتي الله بأمره) حتى حرف غاية وجر ويأتي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والله فاعل وبأمره الجار والمجرور متعلقان بيأتي (إن الله على كل شيء قدير) إن واسمها وقدير خبرها والجار والمجرور متعلقان بقدير وجملة إن الله استئنافية أو بمثابة التعليل .

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ

تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

الاعراب :

(وأقيموا الصلاة) الواو استئنافية وأقيموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والصلاة مفعول به (وآتوا الزكاة) عطف على ما تقدم (وما تقدموا) الواو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم وتقدموا فعل الشرط والواو فاعل (لأنفسكم) الجار والمجرور متعلقان بتقدموا (من خير) الجار والمجرور صفة لاسم الشرط أو تمييز كما تقدم (تجدوه) جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (عند الله) الظرف متعلق بتجدوه أو بمحذوف حال (إن الله) إن واسمها (بما تعملون) الجار والمجرور متعلقان ببصير (بصير) خبر إن وجملة إن وما تلاها مستأنفة أو تعليلية .

﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وقالوا) عطف على ودّ والضمير لأهل الكتاب من اليهود

والنصارى (لن) حرف نفي ونصب واستقبال (يدخل) فعل مضارع منصوب بلن (الجنة) مفعول به على السعة (إلا) أداة حصر (من) اسم موصول فاعل (كان) فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو (هوداً) خبرها (أو نصارى) عطف على هوداً (تلك) اسم اشارة مبتدأ (أمانيهم) خبر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها اعتراض بين قوله وقالوا وبين قوله قل هاتوا برهانكم (قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة (هاتوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (برهانكم) مفعول به (إن كنتم صادقين) شرط وفعله والجواب محذوف والتقدير فهاتوا برهانكم (بلى) حرف جواب لاثبات ما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من) اسم شرط جازم مبتدأ (أسلم وجهه) فعل الشرط (لله) الجار والمجرور متعلقان بأسلم (وهو) الواو للحال وهو مبتدأ (محسن) خبره والجملة في محل نصب على الحال (فله أجره) الفاء رابطة والجار والمجرور خبر مقدم وأجره مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (عند ربه) الظرف متعلق بمحذوف حال (ولا خوف) الواو عاطفة ولا نافية وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه (عليهم) الجار والمجرور خبر خوف (ولا هم يحزنون) عطف على ما تقدم .

الفوائد :

اختلف اللغويون في نون البرهان فقال قوم : زائدة لأنه مشتق من البره وهو القطع وذلك لأنه دليل يفيد العلم القطعيّ ومنه البرهة للقطعة الطويلة من الزمن فوزنه فعلان وقال آخرون : انها أصلية لأنه من برهن يبرهن برهنة والبرهنة البيان فوزنه فعلال وعلى هذا فبرهان إذا كان علماً لرجل يجوز صرفه ومنعه حسب الاعتبارين الآتفين .

البلاغة :

(جمع الأماني) في حين ما تمنّوه لا يعدو كونه أمنية واحدة وهي دخول الجنة لسرٍّ عجيب في صناعة البيان وهو انها لشدة تمنيهم لهذه الأمنية وتأصلهـا في نفوسهم جمعت وأنها بمثابة أمان توزعت في كل قلب فلم تترك فراغاً لغيرها .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

الاعراب :

(وقالت اليهود) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حالة من حالات الجهالة المتأصلة في نفوسهم ، روي أنّ وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم وضلل كل فريق صاحبه (ليست النصارى على شيء) ليس فعل ماض ناقص ووزنها فعِل بكسر العين وهو بناء نادر في الثلاثي اليائيّ العين والنصارى اسمها وعلى شيء خبرها والجملة مقول القول (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) عطف على الجملة الأولى (وهم) الواو حالية وهم مبتدأ (يتلون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبرهم والجملة الاسمية في محل نصب على الحال

(الكتاب) مفعول به (كذلك) الجار والمجرور في محل نصب نعت لمفعول مطلق محذوف أي قالوا قولاً مثل ذلك ولك أن تعرب الجار والمجرور في محل نصب على الحال (قال الذين) فعل وفاعل (لا يعلمون) لا نافية ويعلمون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة (مثل قولهم) صفة لمصدر محذوف والمعنى مثل قول اليهود والنصارى (فالله) الفاء استئنافية والله مبتدأ (يحكم) فعل مضارع وفاعله هو والجملة خبر الله (بينهم) ظرف متعلق بيحكم (يوم القيامة) الظرف متعلق بمحذوف حال (فيما) جار ومجرور متعلقان بيحكم (كانوا) كان واسمها والجملة صلة الموصول (فيه) جار ومجرور متعلقان بيختلفون (يختلفون) الجملة الفعلية خبر كانوا .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

اللغة :

(المساجد) : جمع مسجد وهو اسم مكان للسجود وكان من حقه أن يأتي على مَفعَل بفتح العين لأن عين مضارعه مضمومة ولكنه

سمع بالكسر شذوذاً كما شذّت ألفاظ" جاءت بالكسر مع أنها مصوغة من مضموم العين في المضارع وهي المطلع والمغرب والمشرق والمسجد والمنسِك والمجزِر والمنبت والمسقِط والمفرق والمسكن ويجوز فيها الفتح ولكن السماع أفصح .

الاعراب :

(ومن) الواو استئنافية ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ومعناه النفي (أظلم) خبر من (ممن) جار ومجرور متعلقـان بأظلم (منع مساجد الله) فعل ماض وفاعل مستتر يعود على من ومساجد الله مفعول به والجملة لا محل لها لأنهـا صلة الموصول (أن يذكر) أن ومافي حيّزها في تأويل مصدر مفعول ثان لمنع ولك أن تعرب المصدر مفعولاً لأجله أي كراهة أن يذكر فيها اسمه (فيها) جار ومجرور متعلقان بيذكر (اسمه) نائب فاعل ولك أن تعرب المصدر بدل اشتمال من مساجد الله لأنها تشتمل على الذكر (وسعى) عطف على منع (في خرابها)الجار والمجرور متعلقان بسعى(أولئك) اسم اشارة مبتدأ والجملة مستأنفة (ما) نافية (كان) فعل ماض ناقص (لهم) خبر مقدم لكان (أن يدخلوها) المصدر المؤول من أن وما في حيزها اسم كان المؤخر (إلا) أداة حصر (خائفين) حال من فاعل يدخلوها (لهم) الجار والمجرور خبر مقدم (في الدنيا) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (خزي) مبتدأ مؤخر والجملة لا محل لها لأنها استئنافية (ولهم) الواو عاطفة لهم خبر مقـدم (في الآخرة) الجار والمجـرور في محل نصب حال (عذاب) مبتدأ مؤخر (عظيم) نعت لعذاب (ولله) الواو عاطفة والجار والمجرور خبر مقدم (المشرق) مبتدأ مؤخر (والمغرب) عطف عـلى

المشرق (فأينما) الفاء استئنافية وأينما اسم شرط جازم في محل نصب ظرف مكان متعلق بما بعده (تولوا) فعل الشرط (فثم) الفاء رابطة لجواب الشرط وثم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم (وجه الله) مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط (إن الله واسع عليم) إن واسمها وخبراها .

الفوائد :

(ثم) : بفتح التاء ويقـال للمؤنث ثمة إشارةٌ للمكان البعيد ولا يجران الا بمن والى .

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾

اللغة :

(اتخذ) : من أفعال التحويل التي تنصب مفعولين وأخواتها تخذ وصير وردّ وترك وجعل وهب وقد أثيرت معركة طريفة حول اتخذ فقد استدرك ابن هشام على الجوهري صاحب الصحاح فقال : « وقول الجوهريّ في اتّخذ أنه افتعل من الأخذ وهمٌ وإنما التاء أصل وهو من تخذ كاتبع من تبع » ويعتمد ابن هشام في تخطئته للجوهري على أنه لو كان من أخذ لوجب أن يقال : أيتخذ لأن الضابط في ذلك انك

تقول في افتعل من الإزار ايتزر بابدال الهمزة ياء تحتانية ولا يجوز ابدال هذه الياء التحتانية تاء فوقانية وإدغامها في التاء لأن هذه الياء بدل من همزة وليست أصلية ، وقد استدرك آخرون على ابن هشام فقالوا : إن الإقدام على تغليط الجوهري ليس بالهين فيجوز أن يكون ذلك مذهباً له ، ولا يقال : الجوهري ليس م نأرباب المذاهب مع أن الظاهـر يساعده فما قاله الجوهري وجـه والوجـه الثاني ما ذكره ابن هشام .

الاعراب :

(وقالوا) الواو حرف عطف وقالوا فعل وفاعل (اتخذ الله ولدا) فعل وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول (سبحانه) مفعول مطلق لفعل محذوف والجملة معترضة للتنزيه (بل)حرف عطف واضراب (له)جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (ما) اسم موصول مبتدأ مؤخر (في السموات والأرض)الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول (كل) مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم والتنوين في كل عوض عن كلمة أي كل فرد من أفراد المخلوقات (له) جار ومجرور متعلقان بقانتون أي خاضعون منقادون وقد غلب في الملكية مالا يعقل فقال ما في السموات لأن المراد تسخيرها له التسخير الطبيعي الذي لا يشترط فيه الاختيار ولا التسخير الشرعي المعبر عنه بالتكليف الـذي يفعله الكاسب باختياره ويستوي في التسخير الطبيعي العاقل وغيره ولكنه في غير العاقل أظهر ولما ذكر القنوت له تعالى جمعه جمعاً مذكراً سالماً فغلب فيه العقلاء لأن من شأن القنوت أن يكون من العاقل الذي يشعر بموجبه ويفعله باختياره وإن كان لغير العاقل قنوت يليق به (قانتون)

خبر كل (بديع السموات) خبر لمبتدأ محذوف وهو من باب إضافة الصفة المشبهة الى فاعلها والأصل بديع سمواته (والأرض) عطف على السموات (وإذا) ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (قضى أمراً) الجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (فإنما) الفاء رابطة وإنما كافة (يقول له) الجار والمجرور متعلقان بيقول والجملة لا محل لها (كن) فعل أمر من كان التامة بمعنى حدث (فيكون) الفاء استئنافية ويكون فعل مضارع تام مرفوع أي فهو يحدث وجملة كن مقول القول .

البلاغة :

(المجاز العقلي) في إسناد الفعل أو مافي معناه الى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من الإسناد وهو يدرك بالعقل ومن أمثلته البديعة في الشعر قول المتنبي :

كلّما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

وقد يلتبس بالاستعارة والفرق بينهما قصد التشبيه أو عدمه كما هو مقرر في كتب البلاغة .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾

الاعراب :

(وقال الذين لا يعلمون) الواو استئنافية وقال فعل ماض والذين فاعل وجملة لا يعلمون صلة الموصول (لولا يكلمنا الله) لولا حرف تحضيض بمعنى هلاّ ويكلمنا الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل (أو) حرف عطف (تأتينا) عطف على يكلمنا (آية) فاعل (كذلك) الجار والمجرور صفة لمفعول مطلق محذوف أو حال وقد تقدم بحثه (قال الذين من قبلهم) فعل وفاعل ومن قبلهم صلة الموصول (مثل قولهم) بدل من كذلك (تشابهت قلوبهم) فعل وفاعل (قد) حرف تحقيق (بينا الآيات) فعل وفاعل والآيات مفعول به وعلامة نصبه الكسرة (لقوم) الجار والمجرور متعلقان ببينا (يوقنون) الجملة صفة لقوم (إنا) إن واسمها (أرسلناك) فعل وفاعل ومفعول به (بالحق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ملتبساً به ومصاحباً له وجملة أرسلناك خبرها (بشيراً) حال أيضاً (ونذيراً) عطف على بشيراً (ولا تسأل) الواو استئنافية على الأرجح ولا نافية وتسأل فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت (عن أصحاب الجحيم) جار ومجرور متعلقان بتسأل •

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ

حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾

الاعراب :

(ولن) الواو استئنافية ولن حرف نفي ونصب واستقبال (ترضى) فعل مضارع منصوب بلن (عنك) الجار والمجرور متعلقان بترضى (اليهود) فاعل (ولا النصارى) عطف على اليهود (حتى) حرف غاية وجر (تتبع) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى (ملتهم) مفعول به والفاعل مستتر تقديره أنت (قل) فعل أمر مبني على السكون والجملة مستأنفة (إن) حرف مشبه بالفعل (هدى الله) اسمها والجملة في محل نصب مقول القول (هو) مبتدأ (الهدى) خبره والجملة الاسمية خبر إن (ولئن) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وإن حرف شرط جازم (اتبعت) فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل (أهواءهم) مفعول به وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم (بعد) ظرف (الذي) اسم موصول في محل جر بالاضافة والظرف متعلق باتبعت وجملة (جاءك من العلم) لا محل لها لأنها صلة الموصول ومن العلم في محل نصب حال (مالك) ما نافية ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من الله) جار ومجرور متعلقان بولي (من ولي) من حرف جر زائد وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر (ولا نصير) عطف على ولي (الذين) اسم موصول مبتدأ (آتيناهم الكتاب) فعل وفاعل ومفعولا آتينا وجملة آتيناهم لا محل لها لأنها صلة الموصول (يتلونه) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله والهاء مفعول به والجملة

خبر الذين (حق تلاوته) مفعول مطلق (أولئك) اسم إشارة مبتدأ (يؤمنون به) الجملة خبر أولئك ، وجملة أولئك يؤمنون به خبر بعد خبر (ومن) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ (يكفر) فعل الشرط (به) جار ومجرور متعلقان بيكفر (فأولئك) الفاء رابطة واسم الاشارة مبتدأ (هم) مبتدأ ثان (الخاسرون) خبر هم والجملة الاسمية خبر أولئك ويحتمل أن يكون هم ضمير فصل أو عماد لا محل له .

الفوائد :

إذا اجتمع شرط وقسم استغني بجواب المتقدّم منهما عن جواب المتأخر لشدة الاعتناء بالمتقدم ما لم يتقدم عليهما مبتدأ فحينئذ يترجح جانب الشرط .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

الاعراب :

(يا بني إسرائيل) يا حرف نداء للمتوسط وبني منادى مضاف وإسرائيل مضاف اليه وقد تقدم اعراب نظيره (اذكروا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (نعمتي) مفعول به والجملة مستأنفة

مسوقة للتذكير بالنعم التي أسبغها الله على بني إسرائيل وجحدوا بها (التي) اسم موصول صفة (أنعمت عليكم) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (وأني) اني وما بعدها عطف على نعمتي أ ي وتفضيلي إياكم على عالمي زمانكم (فضلتكم) فعل وفاعل ومفعول والجملة خبر اني (على العالمين) جار ومجرور متعلقان بفضلكم (واتقوا) الواو حرف عطف واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (يوماً) مفعول به على حذف مضاف أي خافوا عذابه (لا تجزي) لا نافية وتجزى فعل مضارع مرفوع (نفس) فاعل (عن نفس) الجار والمجرور متعلقان بتجزي (شيئاً) مفعول به أو مفعول مطلق والجملة الفعلية صفة ليوماً (ولا يقبل منها عدل) عطف على ما تقدم وعدل نائب فاعل (ولا تنفعها شفاعة) عطف أيضاً (ولا هم ينصرون) عطف أيضاً وهم مبتدأ وجملة ينصرون خبر والواو نائب فاعل •

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

اللغة :

(إبراهيم) : معناه في السريانية أب رحيم •

الاعراب :

(وإذ) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتأسي بما جرى للماضين مما يدل الى التوحيد ويزع عن الشرك وإذ ظرف لما

مضى من الزمان في محل نصب بفعل محذوف تقديره اذكر (ابتلى) فعل ماض (إبراهيم) مفعول به مقدم (ربه) فاعل مؤخر وجملة ابتلى في محل جر باضافة الظرف اليها (بكلمات) جار ومجرور متعلقان بابتلى (فأتمهن) معطوف على ابتلى ومعنى الاتمام أداؤهن أحسن تأدية من غير تفريط أو توان والمراد بالكلمات ما أوحي اليه من أوامر ونواه (قال) فعل ماض وفاعله ضمـير مستتر تقديره هو والجملة مفسرة لا محل لها (إني) ان واسمها (جاعلك) خبرها والجملة مقول القول (للناس) جار ومجرور متعلقان بجاعلك ولك أن تعلقه بمحذوف في محل نصب حال لأن كان في الاصل صفة لإماماً (إماماً) مفعول جاعلك الثاني ، أما المفعول الثاني فهو الكاف لأنه من إضافة اسم الفاعل الى مفعوله (قال) فعل ماض وفاعله هو (ومن ذريتي) الواو عاطفة والجار والمجرور عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول : وأخي ، هذا ما أعربه الكثيرون . وفي النفس منه شيء فالأولى في رأينا أن يتعلقا بمحذوف والتقدير : واجعل من ذريتي إماماً (قال : لا ينال عهدي الظالمين) عهدي فاعل والظالمين مفعول به .

البلاغة :

في هذه الآية فن طريف من فنونهم يقال له : فنّ المراجعة وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاورٍ في الحديث أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة ، وأبلغ اشارة ، وأرشق محاورة ، مع عذوبة اللفظ وجزالته ، وسهولة السبك ، انظر الى هـذه القطعة من الكلام التي عدة ألفاظها ثلاث عشرة لفظة كيف جمعت معاني الكلام من الخبر والاستخبـار ، والأمر والنهي والوعـد والوعيد وهذا هو التفصيل :

أ ــ الخبر في قوله : « إني جاعلك » وهو في الحقيقة وعد باستخلافه على الناس .

ب ــ الاستخبار في ضمن الخبر لأنه فرع عليه إذ الخبر يصير استخباراً بتصدير ما يدلّ على الاستفهام .

ج ــ الأمر في قوله : « ومن ذريتي » فإن معناه الطلب لذريته ما وعد به من الاستخلاف ، فكأنه قال : رب وافعل ذلك لبعض ذريتي وكل طلب أمر لكنه إذا كان من الله سبحانه أوجب حسن الأدب أن يسمى دعاء ولا يطلق عليه لفظ الأمر وإن كان أمراً في أصل الوعد .

د ــ النهي وهو في ضمن الأمر لأن الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده فكأن معناه ولا تحرم بعض ذريتي ذلك .

هـ ــ الوعد تقدم بيانه في الخبر .

و ــ الوعيد في قوله : « لا ينال عهدي الظالمين » فإن حاصل ذلك أن الظالمين من ذريتك لا ينالهم استخلافي وحرمان ذلك غاية الوعيد .

ومن شواهد هذا الفن الشعرية قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

بينما ينعتني ابصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى: ترى من ذا الفتى؟ قالت الوسطى لها : هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر ؟

وفي هذه الأبيات نكتتان بليغتان تدلان على قوة عارضة الشاعر

صاحب الفستق المقشر ، كما يسمون شعره ، ومعرفته بوضع الكلام مواضعه وهما :

١ ــ أن قوافي الابيات لو أطلقت لكانت كلها مرفوعة .

٢ ــ انه جعل التي عرفته من جملة البنات وعرّفت به وشبهته تشبيهاً يدل على شغفها بحبه هي الصغرى منه ليدل على أنه فتيّ السن بدليل الالتزام إذ الفتية من النساء لا تميل إلا الى الفتى من الرجال غالباً ليدمج في ذلك عذره بالصّبوة وأنه إنما كان منه ذلك في أيام الشبيبة .

٣ ــ ونكتة ثالثة تربو على جميع ما تقدم وهي في التذييل الذي أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال في الحكاية عنها : وهل يخفى القمر ولا يحسب أحد أن الصغرى مالت إليه لغرارتها وضعف عقلها وتقاصره عن التمييز وقلة التجربة ، ذلك أنه أخبر عن الكبرى أنها ما كانت تعرفه وقد راقها وشغفها حباً حين رأته حتى لم تتمالك عن التساؤل عنه ، أو أنها عارفة به وإنما سألت عنه تغطية لأمرها وتعمية فيه من باب تجاهل العارف ، إما إظهاراً لفرط التّوله والتّدله في الحب أو لأنها كانت تنتظر أن تجاب باسمه فتلتذ بسمعه ، أما الوسطى فقد صرحت باسمه لأن منزلتها في رجاحة العقل وحصافته ورصانة اللب ونزاهته دون منزلة الكبرى فلما سترت الكبرى نفسها بالسؤال عنه لما يقتضيه عقلها صرحت الوسطى باسمه ومعرفته بالنسبة وأبانت الصغرى عما في نفسها منه بوصفها له بصفة تدل على عظم مكانته من قلبها لمكان سنها من الأختين وهذا من عجائب ما يسمع في هذا الباب ولا نحب أن نختم بحث هذا الفن قبل أن نورد بعض الشواهد فمن شواهده قول ديك الجن واسمه عبد السلام بن رغبان :

مرّت فقلت لها : تحية مغرم
ماذا عليك من السلام ؟ فسلمي
قالت : بمن تعني ؟ فطرفك شاهد
بنحول جسم قلت : بالمتكلّم
فتضاحكت ، فبكيت قالت : لا ترع
فلربّ مثل هواك بالمتبسّم
قلت : اتفقنا في الهوى فزيارة
أو موعداً قبل الزيارة قدّمي
فتبسمت خجلاً وقالت : يا فتى
لو لم ادعك تنام بي لم تحلم

وللبحتري واسمه الوليد :

ونديم حلو الشمائل كالد
ينار محض النّجار عذب المصفّى
بتّ أسقيه صفوة الرّاح حتى
وضع الكأس مائلاً يتكفّا
قلت : عبد العزيز تفديك نفسي
قال : لبيك قلت : لبيك ألفا

هاكهـا قال : هاتها قلت : خــذها

قـال : لا أستطيعهـا ثـمّ أغفى

وحسبنا ما تقدم .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

اللغة :

(مثابة) : مَبَاءَةً ومرجعاً للحجاج يتفرقون عنه ثمّ يثوبونَ إليه فهو من ثاب يَثُوبُ أي رجع وقيل : هو من الثواب الذي هو الجزاء ويجوز أن يكون مصدراً ميمياً أو اسم مكان والهاء فيه إما للمبالغة كعلاّمة ونسّابة لكثرة من يثوب إليه أو لتأنيث المصدر كمقامة أو لتأنيث البقعة .

الاعراب :

(وإذ) تقدم كثيراً اعراب نظائره (جعلنا) فعل وفاعل والجملة في محل جر باضافة الظرف اليها (البيت) مفعول جعلنا الاول (مثابة) مفعول جعلنا الثاني (للناس) متعلق بمحذوف صفة لمثابة (وأمنا) عطف على مثابة (واتخذوا) الواو عاطفة واتخذوا فعل أمر

مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول القول محذوف معطوف على جعلنا (من مقام) الجار والمجرور متعلقان باتخذوا (إبراهيم) مضاف اليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (مصلى) مفعول اتخذوا ومن للابتداء كأنه قيل : اتخذوا مصلّى بادئين من هذا المكان ولا داعي لما تكلفه المعربون من أوجه لا يستقيم واحد منها (وعهدنا) فعل وفاعل (الى إبراهيم) متعلق بعهدنا (وإسماعيل) عطف على ابراهيم وهو علم أعجمي أيضاً وفيه لغتان اللام والنون (أن) الأظهر فيها أنها تفسيرية بمعنى أي لأنها واقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (طهرا) فعل أمر مبني على حذف النون والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها مفسرة ويجوز أن تكون مصدرية والمصدر المؤول في موضع نصب بنزع الخافض (بيتي) مفعول به (للطائفين) متعلق بطهرا (والعاكفين والركع السجود) عطف على الطائفين ولما كان الركع والسجود بمثابة واحدة لأن الركوع والسجود يؤلفان الصلاة أسقط حرف العطف ونزلهما منزلة الكلمة الواحدة ولو عطف السجود بالواو لأوهم أنهما عبادتان منفصلتان .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذ قال إبراهيم) تقدم اعرابها (ربّ) منادى محذوف منه حرف النداء وهو مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة (اجعل) فعل أمر

وفاعله أنت (هــذا) اسم إشارة مفعول به أول (بلداً) مفعول به ثان (آمناً) صفة (وارزق أهله) عطف عــلى اجعــل وأهله مفعول به (من الثمرات) متعلق بارزق (من) اسم موصول بدل من أهله (آمن) الجملة لامحل لها لأنها صلة الموصول (منهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (بالله) متعلقان بآمن (واليوم الآخر) عطف على الله (قال) فعل ماض والجملة استئنافية لا محل لها (ومن) اسم موصول معطوف على من الأولى (كفر) الجملة لا محل لها لأنها صلة (فأمتعه) الفاء رابطة لتضمن الموصول معنى الشرط وأمتعه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به (قليلاً) مفعول مطلق (ثم) حرف عطف (أضطره) عطف على أمتعه (الى عذاب النار) متعلــق بأضطره (وبئس) الواو استئنافية وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم (المصير) فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره مصيره .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذ) الواو عاطفة على ما تقدم وإذ ظرف لما مضى من الزمن وقد تقدم بحثها (يرفع ابراهيم) فعل مضارع وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (القواعد) مفعول به (من البيت) الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ومعنى الرفع هنا البناء (إسماعيل) عطف على ابراهيم (ربنا) منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ولا بد من تقدير قول محذوف أي يقولان ربنا ويكثر حذف الحال إذا كان

قولاً أغنى عنه المقول (تقبل) فعل أمر معناه الدعاء (منا) الجار والمجرور متعلقان بتقبل (انك) إن واسمها (أنت) ضمير متصل لا محل له من الاعراب أو مبتدأ (السميع العليم) خبران لإن أو لأنت والجملة الاسمية خبر إن .

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾

اللغة :

(يزكّيهم) : يطهرهم ويصفّي نفوسهم من الحوبات والآثام .

الاعراب :

(ربنا) منادى مضاف وقد تقدم اعرابه (واجعلنا) عطف على ما تقدّم (مسلمين) مفعول به ثان (لك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت مسلمين (ومن ذريتنا) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف دلّ عليه المذكور أي واجعل من ذريتنا (أمة) مفعول به أول للفعل المحذوف ومن ذريتنا هو المفعول الثاني (مسلمة) نعت (لك) نعت ثان لأمة (وأرنا) الواو عاطفة وأر فعل أمر مبني

على حذف حرف العلةوالفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول (مناسكنا) مفعول به ثان (وتب علينا) عطف أيضاً (إنك) ان واسمها (أنت) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (التواب) خبر أول (الرحيم) خبر ثان والجملة الاسمية خبر إن ولك أن تعرب الضمير ضمير فصل لا محلّ له من الاعراب والتواب الرحيم خبران لأن (ربنا) منادى مضاف (وابعث) عطف على ما تقدم (فيهم) متعلقان بابعث (رسولا) مفعول به (منهم) صفة لرسولا (يتلو) الجملة إما صفة ثانية وإما حال لأن رسولا وصف بقوله منهم (عليهم) متعلقان بيتلو (آياتك) مفعول يتلو (ويعلمهم) عطف على يتلو والهاء مفعول به أول (الكتاب) مفعول به ثان (والحكمة) عطف على الكتاب (ويزكيهم) عطف على يعلمهم (إنك أنت العزيز الحكيم) تقدم اعرابها قبل قليل •

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

اللغة :

رغب عن الشيء : مال عنه وكرهه • ورغب فيه : أراده ومال اليه وأحبه • السفه : الخفة والمراد به هنا امتهان النفس •

الاعراب :

(ومن يرغب) الواو استئنافية ومن : اسم استفهام معناه النفي

والانكار في محل رفع مبتـدأ وجملة يرغب خبره (عن ملة) الجـار والمجرور متعلقان بيرغب (ابراهيم) مضاف اليه وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (إلا) أداة حصر (من) اسم موصول في محل رفع بدل من الضمير في يرغب لأن الكلام غير موجب أو نصب على الاستثناء (سفه نفسه) سفه فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ونفسه منصوب بنزع الخافض أي سفه في نفسه وقيل : إن سفه يتعدى بنفسه كما حكى ثعلب والمبرّد فهو مفعول سفه يقال سفه نفسه : أي امتهنها وقيل : هي نصب على التمييز ولكن فيه تعريف التمييز وهو لا يكون إلا شذوذاً فلا يجوز حمل القرآن عليه (ولقد) الواو استئنافية واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (اصطفيناه) فعل ماض وفاعل ومفعول به (في الدنيا) الجار والمجرور متعلقان باصطفيناه (وانه) الواو حالية وان واسمها (في الآخرة) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (لمن الصالحين) اللام المزحلقة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ان .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

الاعراب :

(إذ) إن أضفنا الآيات بعضها الى بعض فالظرف متعلق باصطفيناه والأسهل أن نجري على النسق المتبع في القرآن وقد ألفناه فيها وهو

تعليقه بمضمر أي اذكر (قال) الجملة الفعلية في محل جر باضافة الظرف اليها (له) الجار والمجرور متعلقان بقال (ربه) فاعل قال والهاء ضمير متصل في محل جر بالاضافة (أسلم) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول (قال) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (أسلمت) الجملة الفعلية في محل نصب مقول القول (لرب) جار ومجرور متعلقان بأسلمت (العالمين) مضاف اليه وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (ووصّى) الواو عاطفة ووصى فعل ماض (بها) الجار والمجرور متعلقان بوصى (ابراهيم) فاعل وصى (بنيه) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والهاء ضمير متصل في محل جر بالاضافة (ويعقوب) معطوف على ابراهيم داخل في حكمه (يا بني) منادى مضاف على اضمار القول أي قائلين فالجملة حالية (إن الله) إن واسمها (اصطفى) الجملة الفعلية في محل رفع خبر إن وفاعل اصطفى مستتر تقديره هو (لكم) الجار والمجرور متعلقان باصطفى (الدين) مفعول به (فلا تموتن) الفاء الفصيحة وسيأتي معناها أي إذا عرفتم هذا ولا ناهية وتموتن : فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والنون المشددة للتوكيد وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والاصل تموتونَنّ (إلا) أداة حصر (وأنتم) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (مسلمون) خبر والجملة الاسمية في محل نصب حال .

الفوائد :

١ — يلحق بجمع المذكر السالم في إعرابه ما ورد عن العرب مجموعاً جمع المذكر السالم غير مستوف لشروطه نحو : أولي وأهلين

وعالمين ووابلين وأرضين وبنين وعشرين الى تسعين وسنين وبابه وهو كل ثلاثي حذفت لامه وعوّض عنها هاء التأنيث نحو عضين وعزين وثبين ومئين وظبين ونحوها ومفردها سنة وعضة وعزة وثبة ومائة وظبة ويلحق به ما سمّي من الاسماء المجموعة جمع المذكر السالم مثل عليّين وسجّين وغيرها .

٢ ـ كيفية اجراء الفعل المؤكد الذي تتوالى فيه النونات إذا جزم أن يقال فيه : أصل تموتنّ تموتو ننّ النون الأولى علامة الرفع والثانية والثالثة نون التوكيد الثقيلة فاجتمعت ثلاثة أمثال فحذفت نون الرفع للجزم لأن نون التوكيد الثقيلة أولى بالبقاء باعتبارها دالة على معنى مستقبل فالتقى ساكنان : الواو والنون الأولى المدغمة فحذفت الواو لالتقاء الساكنين وبقيت الضمة تدل عليها وهكذا كل ما جاء من نظائره .

البلاغة :

في النهي عن الموت أو الأمر به نكتة بلاغية رائعة فهو في حدّ ذاته ليس بمنهي عنه ولا مأمور به لأنه من الأمور التي لا تدخل في الارادة الانسانية ولكنه نهى عنه هنا لإظهار أن الموت على خلاف الاسلام هو موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وكذلك الأمر بالموت تقول مت وأنت شهيد لا تريد الأمر بموته ولكن مت الميتة التي تورثك خلود الذكر في الدنيا والجنة والحياة الراغدة في الآخرة وقد تشبث أبو الطيب المتنبي بهذه النكتة فقال :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

الاعراب :

(أم) يجوز فيها أن تكون متصلة عاطفة على محذوف مقدّر كأنه قيل : أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء وحضوراً ؟ ويجوز أن تكون منقطعة بمعنى بل أي لم تكونوا حاضرين عندما حضر يعقوب الموت والشهداء الحضور جمع شاهد ويجوز أن تكون لمجرد الاستفهام بمعنى الهمزة (كنتم) كان واسمها (شهداء) خبرها (إذ) ظرف لما مضى متعلق بشهداء (حضر) فعل ماض والجملة في محل جر باضافة الظرف اليها (يعقوب) مفعول به مقدم (الموت) فاعل مؤخر (إذ) ظرف بدل من إذ الاولى (قال) فعل ماض وفاعله مستتر والجملة فعلية في محل جر باضافة الظرف اليها (لبنيه) جار ومجرور متعلقان بقال (ما تعبدون) ما اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لتعبدون وتعبدون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مقول القول (من بعدي) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (قالوا) فعل وفاعل والجملة استئنافية (نعبد إلهك) الجملة في محل نصب مقول القول (وإله آبائك) عطف على إلهك (ابراهيم) بدل من آبائك (وإسماعيل وإسحاق) عطف على ابراهيم (إلها) بدل من إلهك أو حال موطئة

أو نصب على الاختصاص لنفي ما قد يخطر على البال من تعدد الإله فأتى به لدفع التوهم (واحداً) صفة (ونحن) الواو اما عاطفة وما بعدها وهو جزء الجواب معطوف على الجزء الاول ومن الجزأين يتألف الجواب وإما اعتراضية وإما حالية نحن مبتدأ (له) جار ومجرور متعلقان بمسلمون (مسلمون) خبر نحن •

البلاغة :

في قوله تعالى : (نعبد إلهك وإله آبائك) الآية ، فنّ من فنون البلاغة يسمى الاطراد وهو أن يطرد للمتكلم أسماء الآباء المخاطب مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد فقد تجاوز جدهم الأدنى الى جدهم الأعلى لكونه المبتدأ بالملة المتبعة وفيه أيضاً فنّ المساواة لأن ألفاظ هذا المعنى لا فضل فيها عنه ولا تقصير وفيه أيضاً حسن البيان لأن فيها بياناً عن الدين بأحسن بيان لا يتوقف أحد في فهمه وفيها أيضاً فن الاحتراس لأنه لو وقف عند آبائك لاختلت صحة المعنى لأن مطلق الآباء يتناول من الأب الأدنى الى آدم وفي آباء يعقوب عليه السلام من لا يجب اتباع ملته فاحترس بذكر البدل عما يرد على المبدل منه لو كان وقع الاختصار عليه فتأمل واعجب •

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

اللغة :

(حنيفاً) من الحنف بفتحتين وهو الميل وأصله في القدمين وقد تستعمل في اليدين والحاء والنون إذا وقعتا في أول الفعل دلَّ على الميل والانعطاف ومنه الحنين الى الوطن أي الميل اليه والنزوع نحوه وحنا عليه أي أعطف ومال وحنق عليه : التصق بطنه بظهره من الألم .

الاعراب :

(تلك أمة) مبتدأ وخبر (قد خلت) الجملة صفة لأمة (لها) الجار والمجرور خبر مقدم (ما) مبتدأ مؤخر (كسبت) الجملة لا محل لها لأنها صلة ما الموصولية ، (ولكم ما كسبتم) عطف على الجملة السابقة (ولا تسألون) الواو استئنافية وتسألون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة مستأنفة (عما) الجار والمجرور متعلقان بتسألون (كانوا) الجملة صلة ما (يعملون) الجملة الفعلية خبر كانوا (وقالوا) الواو استئنافية وقالوا فعل وفاعل (كونوا هوداً) كان واسمها وخبرها والجملة في محل نصب مقول القول (أو) حرف عطف ومعنى أوِ هنا التفصيل وهذا من اللف والنشر والسامع يرد الى كل فريق قوله (نصارى) عطف على هوداً (تهتدوا) فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب (قل) فعل أمر والجملة مستأنفة (بل) حرف اضراب وعطف (ملة) مفعول به لفعل محذوف أي تتبع أو منصوب على الإغراء بتقدير إلزموا (ابراهيم) مضاف إليه (حنيفاً) حال من ابراهيم (وما) الواو عاطفة وما نافية (كان) فعل ماض ناقص

واسمها ضمير مستتر تقديره هو (من المشركين) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها •

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

اللغة :

(الأسباط) : جمع سبط بكسر السين وهو ولد البنت مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن •

الاعراب :

(قولوا) فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو فاعل (آمنا) فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول (بالله) جار ومجرور متعلقان بآمنا (وما أنزل الينا) عطف على الله وجملة أنزل الينا صلة ما الموصولية (وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط) عطف أيضاً (وما) عطف أيضاً (أوتي) الجملة صلة ما (موسى) نائب فاعل (وعيسى) عطف على موسى (وما أوتي النبيون من ربهم) عطف أيضاً (لا نفرق بين أحد منهم) الجملة الفعلية حالية ومنهم صفة لأحد (ونحن) الواو حالية ونحن

مبتدأ (له) جار ومجرور متعلقان بمسلمون (مسلمون) خبر نحن والجملة في محل نصب على الحال •

البلاغة :

النكرة الواقعة في سياق النفي تفيـد العموم لفظاً حتى يتنزّل المفرد منها بمنزلة الجمع في تناوله الآحاد ، ولذلك صح دخول بين عليه وهي لا تكون إلا بين شيئين •

﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾

اللغة :

(الشقاق) بكسر الشين : الخلاف لأن كل واحد من المتشاقّين يكون في شق غير شق صاحبه وله في اللغة ثلاثة معان لا تخرج عن المفهوم الأول والثاني العداوة وهي وليدة الخلاف والثالث الضلال وهو سمة المتنازعين والمتشاقّين لأنهم يذهبون مع أهوائهم ومن غريب أمر الشين والقاف أنهما إذا وقعتا فاء للكلمة وعيناً لها دلتا على هذا المعنى أو ما يقرب منه فالشّق : الصدع والاشتقاق شق الكلمة من الكلمة وهذا مما لم نسبق الى استخراجه •

الاعراب :

(فإن آمنوا) الفاء استئنافية وان حرف شرط جازم وآمنوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط (بمثل) جار ومجرور متعلقان بآمنوا (ما) اسم موصول في محل جر بالاضافة (آمنتم) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (فقد) الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق (اهتدوا) فعل ماض وفاعل والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط (وإن تولوا) عطف على فإن آمنوا(فإنما) الفاء رابطة وانما كافة ومكفوفة (هم) مبتدأ (في شقاق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرهم(فسيكفيكهم)الفاء عاطفة للتعقيب وفائدة التعقيب الاشعار بأن الكفاية تأتي عقيب شقاقهم والسين حرف استقبال وهي أقرب في التنفيس من سوف أي في المستقبل القريب ويكفي فعل مضارع مرفوع والكاف مفعول به أول والهاء مفعول به ثان (الله) فاعل (وهو) الواو استئنافية وهو مبتدأ (السميع العليم) خبران وتعدد الخبر جائز •

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

اللغة :

(صبغة) : بكسر الصاد مصدر هيئة من صبغ والمراد بها هنا الدين وسمّي صبغة لظهور أثره على معتنقه •

الاعراب :

(صبغة الله) مصدر مؤكد فهو مفعول مطلق لفعل محذوف ، وفيها إشارة الى ما أوجده الله في الناس من بدائه العقول (ومن) الواو عاطفة ومن اسم استفهام وقد خرج الاستفهام هنا الى معنى النفي في محل رفع مبتدأ (أحسن) خبر (من الله) الجار والمجـرور متعلقان بأحسن (صبغة) تمييز (ونحن) الواو عاطفة ونحن مبتدأ (له) الجار والمجرور متعلقان بعابدون (عابدون) خبر نحن (قل) فعل أمر وفاعله أنت (أتحاجوننا) الهمزة للاستفهام الانكاري وتحاجون فعل مضارع والواو فاعل والضمير المشترك في محل نصب مفعول (في الله) الجار والمجرور متعلقان بتحاجوننا (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (ربنا) خبر والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (وربكم) عطف على ربنا (ولنا) الواو عاطفة ولنا الجار والمجرور خبر مقـدم(أعمالنا) مبتدأ مؤخر والجملة حالية (ولكم أعمالكم) عطف على الجملة السابقة (ونحن) الواو حالية ونحن مبتـدأ (له) الجار والمجـرور متعلقان بمخلصون (مخلصون) خبر نحن والجملة حالية أيضاً .

البلاغة :

في قوله : صبغـة الله استعارة تصريحية شبّه الـدين الاسلامي بالصبغة وحذف المشبه وأبقى المشبه به وقـد تشبث بالمعنى واللفظ أعشى همدان حيث قال :

وكـل أناس لهـم صبغـة   وصبغة همـدان خير الصّبغ
صبغنـا عـلى ذاك أولادنا   فأكـرم بصبغتنا في الصّبـغ

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

الاعراب :

(أم) عاطفة متصلة معادلة للهمزة أو منقطعة بمعنى بل (تقولون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل (إن إبراهيم) إن واسمها (وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) أسماء منسوقة على إبراهيم والجملة في محل نصب مقول القول (كانوا) كان واسمها (هوداً) خبر كان (أو) عاطفة (نصارى) معطوف على هوداً والجملة الفعلية في محل رفع خبر إن (قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت (أأنتم) الهمزة للاستفهام الانكاري وأنتم مبتدأ (أعلم) خبر (أم الله) عطف على أنتم (ومن) الواو استئنافية ومن اسم استفهام مبتدأ (أظلم) خبر (ممن) الجار والمجرور متعلقان بأظلم والجملة مستأنفة مسوقة للتعريض بكتمانهم شهادة الله وهذا ديدن اليهود دائماً (كتم) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (شهادة) مفعول به (عنده) الظرف متعلق بمحذوف صفة لشهادة (من الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لشهادة تقول : هذه شهادة مني

لفلان إذا شهدت له ولك أن تعلقها بكتم ولا بدّ لك حينئذ من تقدير مضاف أي من كتم من عباد الله شهادة عنده (وما) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (الله) اسمها (بغافـل) الباء حرف جر زائد وغافل مجرور بالباء لفظاً في محل نصب خبر ما (عما) الجار والمجرور متعلقان بغافل (تعملون) فعل مضارع وفاعل والجملة صلة ما •

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾

الاعراب :

(تلك) اسم اشارة في محل رفع مبتدأ (أمة) خبر (قد) حرف تحقيق (خلت) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والتاء تاء التأنيث الساكنة والفاعل مستتر تقديره هي

والجملة الفعلية صفة لأمة (لها) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (ما) اسم موصول مبتدأ مؤخر (كسبت) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما (ولكم ما كسبتم) عطف على الجملة قبلها (ولا) الواو عاطفة ولا نافية (تسألون) فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل (عما) الجار والمجرور متعلقان بتسألون (كانوا) كان واسمها (يعملون) الجملة الفعلية خبر كانوا والجملة معطوفة على ما قبلها (سيقول) السين حرف استقبال ويقول فعل مضارع مرفوع (السفهاء) فاعل (من الناس) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من السفهاء والقائلون هم اليهود الموسومون بخفة الاحلام والجملة مستأنفة مسوقة للدلالة على استمرار غيهم وسفههم (ما) اسم استفهام مبتدأ (ولا هم) فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة خبر ما والجملة كلها مقول القول (عن قبلتهم) متعلقان بولاهم (التي) اسم موصول في محل جر صفة لقبلتهم (كانوا) كان واسمها والجملة صلة التي (عليها) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كانوا ، أي عاكفين عليها في الصلاة وهي بيت المقدس (قل) فعل أمر ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (لله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (المشرق) مبتدأ مؤخر (والمغرب) عطف على المشرق (يهدي) فعل مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله تعالى (من) اسم موصول مفعول يهدي ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (يشاء) فعل مضارع ، والفاعل مستتر تقديره هو ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (إلى صراط) الجار والمجرور متعلقان بيهدي (مستقيم) صفة لصراط .

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)﴾

اللغــة :

(وسطاً) : خياراً عدولاً مزكّين بالعلم والعمل ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث . وإنما كان الخيار وسطاً لأن الخلل إنما يتسرب الى الاطراف وتبقى الأوساط محمية . وقد رمق أبو تمام سماء هذا المعنى فقــال :

كانت هيَ الوَسَطَ المحميّ فاكتنفت
بهــا الحوادث حتى أصبحــت طرفــا

الاعراب :

(وكذلك) الواو استئنافية والكاف حرف جر ، واسم الاشارة في محل جر بالكاف ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف أي مثل ذلك الجعل جعلناكم (جعلناكم) : فعل وفاعل ومفعول به أول لجعلنا (أمــة) : مفعول جعلنا الثاني (وسطاً) صفة لأمــة (لتكونوا) : اللام لام التعليل ، وتكونوا فعل مضارع ناقص منصوب

بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله ، والواو اسمها (شهداء) خبرها (على الناس) الجار والمجرور متعلقان بشهداء (ويكون) عطف على تكونوا (الرسول) اسم يكون (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بشهيداً (شهيداً) خبر يكون (وما) الواو عاطفة ، وما نافية (جعلنا) فعل وفاعل (القبلة) مفعول جعلنا الاول (التي) اسم موصول في محل نصب مفعول جعلنا الثاني (كنت) كان واسمها (عليها) الجار والمجرور خبر كنت ، والجملة لا محل لها لأنها صلة التي ، وسيأتي مزيد من اعراب هذه الآية في باب الفوائد • (إلا) أداة حصر (لنعلم) اللام لام التعليل ، ونعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن ، وموضع لنعلم مفعول لأجله فهو استثناء مفرّغ من أعمّ العلل (من) اسم موصول في موضع نصب مفعول نعلم (يتبع الرسول) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والرسول مفعول به (ممن) الجار والمجرور متعلقان بنعلم المضمّنة معنى نميّز (ينقلب) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (على عقبيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي مرتداً على عقبيه (وإن) الواو حالية ، وإن مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف ، أي والحال أنها (كانت) فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير مستتر تقديره التولية اليها ، والجملة الفعلية خبر إن ، وجملة إن ومافي حيزها في موضع نصب على الحال (لكبيرة) اللام هي الفارقة ، وكبيرة : خبر كانت (إلا) أداة استثناء (على الذين) الجار والمجرور في موضع نصب على الاستثناء ، والمستثنى منه محذوف تقديره : وإن كانت لكبيرة على الناس إلا على الناس الذين هداهم الله ، ولك أن تجعل « إلا » أداة حصر لأن الكلام غير تام أو لتضمنه معنى النفي فيتعلق الجار والمجرور بكبيرة (هدى الله) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة

الـذين (وما) الواو عاطفـة ، وما نافية (كان الله) كان واسـمها (ليضيـع) الـلام لام الجحود وهي مسبوقـة بكـون منفي ، ويضيع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد لام الجحود ، وخبر كان محذوف تقديره مريداً ، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف (ايمانكم) مفعول به (إن الله) ان واسمها (بالناس) الجار والمجرور متعلقان برؤوف أو رحيم (لرؤوف) اللام هي المزحلقة ، ورؤوف خبر إن الأول (رحيم) خبر إنّ الثاني ، وجملة إن وما في حيزها لا محلّ لها لأنها تعليلية •

البلاغـة :

١ ــ التورية في قوله : « وسطاً » فالمعنى القريب الظاهر للوسط هو التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين ، ومعناه البعيد المراد هو الخيار كما تقدم في باب اللغة •

٢ ــ الكناية في الوسط أيضاً عن غاية العدالة كأنه الميزان الذي لا يحابي ولا يميل مع أحد •

٣ ــ المجاز المرسل في قوله : « على عقبيه » والعلاقة هي المصير والمآل ، فليس ثمة أسمج ولا أقبح من رؤية الانسان معكوس الخلقة ، مخالفاً للمألوف المعتاد •

٤ ــ التقديم والتأخير : فقد قدم « شهداء » على صلته وهي « على الناس » ، وأخر « شهيداً » عن صلته وهي « عليكم » لأن المنّة عليهم في الجانبين ففي الاول بثبوت كوْنهم شهداء ، وفي الثاني بثبوت كونهم مشهوداً لهم بالتزكية ، والمقدم دائماً هو الأهم •

الفوائــد :

١ ــ لا مندوحة لنا عن ايراد بعض الاقوال الجديرة بالاهتمام ، فقد أورد العلماء خمسة أعاريب لهذه الآية يضيق المجال عن ايرادها وقد أوردنا ما اخترناه منها واختاره الزمخشري ، واختار الجلال أن تكون « القبلة » المفعول الثاني مقدماً و « التي كنت عليها » هو المفعول الأول محتجاً بأن التصيير هو الانتقال من حال الى حال ، فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني ، ألا ترى أنك تقول : جعلت الطين خزفاً . واختاره أبو حيان . وقيل « القبلة » هي المفعول الأول و « التي كنت عليها » صفة ، أما المفعول الثاني فهو محذوف تقديره منسوخاً أو نحوه .

لمحة تاريخية :

فقد اتفق الجميع على أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى صخرة بيد المقدس بعد الهجرة مــدة ، ثم أمر بالصلاة إلى الكعبة ، وإنما اختلفوا في قبلته بمكة هل كانت الكعبة أو بيت المقدس ، والمرويّ عن أئمة أهل البيت أنها كانت بيت المقدس ، ثم لا يخفى أن الجعل في الآية مركب لا بسيط ، وقوله تعالى : « التي كنت عليها » ثاني مفعوليه كما نص عليه أكثر المفسرين ، وأما القائلون بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ، فالجعل عندهم يحتمل أن يكون منسوخاً باعتبار الصلاة بالمدينة مدة الى بيت المقدس ، وأن يكون جعلاً ناسخاً باعتبار الصلاة بمكة ، وقال الرازي : إن قوله تعالى « التي كنت عليها » ليس نعتاً للقبلة وإنما هو ثاني مفعولي جعلنا ، هذا وسميت الكعبة كعبة لتربيعها وسيأتي مزيد بحث بذلك .

٢ ـ إذا خففت « إنّ » دخلت على الجملتين الفعلية والاسمية ، فان دخلت على الاسمية جاز إعمالها وإهمالها ، والاكثر الاهمال . وإن دخلت على الفعلية وجب إهمالها ، والاكثر أن يكون الفعل ماضياً ناسخاً، لأن العرب لما أخرجوها عن وضعها الاصلي بدخولها على الفعل أرادوا أن يكون ذلك الفعل من أفعال المبتدأ والخبر لئلا يزول عنها وضعها كلياً كما ترى في الآية ، ولا بد من دخول « لام » بعدها تسمى اللام الفارقة للفرق بينها وبين « إن » النافية .

٣ ـ لام الجحود أي لام الانكار ، هي الواقعة بعد كون ماض منفيّ ، وخبر كان مختلف فيه فقيل : هو محذوف يقدّر بحسب المقام وتتعلق به لام الجحود مع المصدر المجرور بها ، لأن « أنْ » المصدرية تضمر بعدها وجوباً ، وقيل الجار والمجرور في محل الخبر ، وهذا أسهل ولكن الاول أشهر وأضبط لاستقامة الخبر .

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) ﴾

اللغــة :

(شطر) للشطر في كلام العرب وجهان : فأحدهما النصف ، ومن ذلك قولهم « شاطرتك مالي » . والوجه الآخر : القصد ، يقال : « خذ شطر زيد » أي قصده ، وهو المراد هنا ، ومنه قولهم : « حلبت

الدهرِ أشطره » أي مرّ بي خيره وشره ، ومنه سميّ الشاطر وهو من أعيا أهله خبثاً .

الاعراب :

(قد) هنا للتكثير بقرينة ذكر التقلب ، والتكثير بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا فهو محال على الله تعالى (نرى) فعل مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن (تقلب) مفعول به (وجهك) مضاف اليه (في السماء) الجار والمجرور متعلقان بتقلب لأنه مصدر (فلنولينك) الفاء عاطفة للتعليل ، واللام موطّئة للقسم ، ونولينك : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن ، والكاف مفعول به أول (قبلة) مفعول به ثان ويجوز نصبها على نزع الخافض (ترضاها) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، و « ها » مفعول به . والجملة صفة لقبلة ، وجملة فلنولينك لا محل لها لأنها تعليلية (فولّ) الفاء هي الفصيحة ، وولّ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة . وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت (وجهك) مفعول به ، والكاف ضمير متصل في محل جر بالاضافة (شطر المسجد) مفعول فيه ظرف مكان متعلق بولّ ، والمسجد مضاف اليه (الحرام) صفة للمسجد وجملة فولّ لا محل لها .. (وحيثما) الواو استئنافية ، وحيثما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية متعلق بمحذوف خبر كنتم المقدم (كنتم) كان فعل ماض ناقص واسمها ، والجملة في محل جزم فعل الشرط ، وكان القياس أن تكون في محل جر بالاضافة لولا المانع وهو كونها من عوامل الافعال (فولوا) الفاء رابطة للجواب لأنه طلبي ، وولوا : فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الافعال الخمسة

والواو فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (وجوهكم) مفعول به (شطره) ظرف مكان متعلق بولوا (وإن الذين) الواو استئنافية ، وان واسمها (أوتوا الكتاب) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والكتاب مفعول ثان لأوتوا ، والأول هو النائب للفاعل وهو الواو (ليعلمون) اللام هي المزحلقة ، وجملة يعلمون خبر إن (أنه الحق) أن واسمها وخبرها ، وقد سدت مسد مفعولي يعلمون (من ربهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وما) الواو استئنافية ، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (الله) اسم ما (بغافل) الباء حرف جر زائد ، وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما (عما) الجار والمجرور متعلقان بغافل (يعملون) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما •

الفوائد :

١ ــ (حيثما) اسم شرط جازم محله النصب على الظرفية المكانية ، وأصله حيث ، وزيدت ما فكان اسماً جازماً ، و « حيث » ظرف مكان مبني على الضم ، وهو مضاف الى الجمل ، فهو يقتضي جر ما بعده ، وما اقتضى الجر لا يقتضي الجزم فلما وصلت بـ (ما) زال عنها معنى الاضافة كما تقدم •

٢ ــ لمحة تاريخية :

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم توجّه الى الكعبة وكان ذلك في رجب قبل موقعة بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجد سلمة ، وقد صلى بأصحابه ركعتــين من صلاة الظهر أو العصر فتحول في الصلاة

واستقبل القبلة ، وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ، فسمي المسجد مسجد القبلتين ، والحكمة في ذلك واضحة بل هي أروع ما تصل اليه المعاملة الانسانية التي تستهدف قبل كل شيء استمالة القلوب وتليين العواطف ، بيد أن ذلك لم يجد شيئاً في ازالة التحجر الذي ران على قلوب اليهود ، وقد علل القرآن هذا التحجر بالآية التالية :

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

الاعراب :

(ولئن) الواو استئنافية ، واللام موطئة للقسم ، وإن شرطية (أتيت) فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط ، والتاء فاعل (الذين) اسم موصول في محل نصب مفعول به (أوتوا الكتاب) فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل ، والكتاب مفعول أوتوا الثاني (بكل آية) الجار والمجرور متعلقان بأتيت (ما) نافية (تبعوا) فعل ماض وفاعل (قبلتك) مفعول به ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وقد أغنت عن جواب الشرط لتقدم القسم ، واذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للمتقدم منهما (وما) الواو عاطفة ، وما نافية حجازية (أنت) اسم ما (بتابع) الباء حرف جر زائد ، وتابع مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما (قبلتهم) مفعول به لاسم

الفاعل تابع ، وهـذه الجملة معطوفة على ما سبق (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) الجملة عطف على سابقتها (ولئن) الواو استئنافية ، ولئن تقدم إعرابها (اتبعت) فعل وفاعل (أهواءهم) مفعول به (من بعد) الجـار والمجرور متعلقان باتبعت (ما) اسم موصول في محـل جر بالاضافة (جاءك) الجملة لا محلّ لها لأنها صلة ما (من العلم) الجار والمجرور في موضع نصب على الحال (إنك) ان واسمها (إذن) حرف جواب وجزاء ، وهي مهملة جيء بها لتوكيد القسم (لمن الظالمين) اللام هي المزحلقة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها لا محلّ لها لأنها جواب القسم ولذلك لم ترتبط بالفاء .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

اللغـة :

(الامتراء) : الشك ، وقد يساور الغافلين سؤال وهو : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يشك في أن الحق من ربه حتى نهي عن الشك ؟ والجواب : إن ذلك هو الكلام الـذي تخرجـه العرب مخرج الامر أو النهي للمخاطب والمراد به غيره .

الاعراب :

(الذين) اسم موصول مبتدأ (آتيناهم الكتاب) فعل وفاعل ومفعول به ، والكتاب مفعول به ثان لآتيناهم والجملة الفعلية لا محل

لها لأنها صلة الذين (يعرفونه) فعل مضارع وفاعله ومفعوله ، وجملة يعرفونه خبر الذين (كما) الكاف حرف جر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف هو المفعول المطلق (يعرفون) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي وهو ما المصدرية (أبناءهم) مفعول به (وإن فريقاً) الواو حالية ،وان واسمها ، والجملة نصب على الحال ، ولك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة لتقرير حالتهم (منهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريقاً (ليكتمون) اللام هي المزحلقة ، ويكتمون فعل وفاعل (الحق) مفعول به ، والجملة في محل رفع خبر إن (وهم) الواو حالية ، وهم مبتدأ (يعلمون) الجملة الفعلية خبر هم ، والجملة بعد الواو في محل نصب على الحال (الحق) مبتدأ (من ربك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة استئنافية ، (فلا) الفاء استئنافية ولا ناهية (تكونن) جملة تكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا الناهية ، واسم تكونن ضمير مستتر تقديره أنت (من الممترين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر .

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) ﴾

اللغة :

(وجهة) بضم الواو وكسرها وهي الجهة التي تتجه اليها ، يقال : ضل ّ وجهة أمره أي جهته ، والجهة مثلثة الجيم والكسر أشهر .

الاعراب :

(ولكل) الواو استئنافية ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقـدم (وجهة) مبتدأ مؤخر (هو) مبتـدأ (موليها) خبر ، والجملة الاسمية صفة لوجهة (فاستبقوا) الفاء هي الفصيحة ، أي إذا أردتم معرفة الأصوب فاستبقوا ، واستبقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الخيرات) منصوب بنزع الخافض لأن استبق لازم ، أي الى الخيرات ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر (أينما) اسم شرط جازم منصوب على الظرفية المكانية ، وهو متعلق بمحذوف خبر تكونوا المقدم (تكونوا) فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط والواو اسمها وجملة تكونوا استئنافية (يأت) جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة (بكم) جار ومجرور متعلقان بيأت (الله) فاعل (جميعاً) حال (إن الله) ان واسمها (على كل شيء) الجار والمجرور متعلقـان بقدير (قدير) خبر إن ، والجملة تعليلية لا محل لها •

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

الاعراب :

(ومن حيث) : الواو استئنافية ، والجـار والمجرور ظاهرهما أنهما متعلقان بولّ ، ولكن فيه إعمال ما بعد الفـاء فيما قبلها وهو ممتنع ، غير أن المعنى متوقف على هذا الظاهر ، فالأولى تعليقهما بفعل

محذوف يفسره فولِّ أي ولِّ وجهك من حيث خرجت (خرجت) فعل وفاعل ، والجملة الفعلية في محل جر بالاضافة (فولِّ) الفاء رابطة لما في « حيث » من رائحة الشرط ، وولِّ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة (وجهك) مفعول به (شطر المسجد) ظرف مكان متعلق بولِّ ، والمسجد مضاف اليه (الحرام) صفة (وإنه) الواو عاطفة أو حالية ، وان واسمها (للحق) اللام هي المزحلقة ، والحق خبر إنّ (من ربك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وما الله بغافل عما تعملون) تقدم اعرابه .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

الاعراب :

(ومن حيثُ خرجتَ فولِّ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرام) تقدم اعرابها وهي تأكيد ثان ، وكرر الكلام لتشديد أمر القبلة وإماطة الشبهة بعد أن طرأ النسخ على القبلة التي هي بيت المقدس (وحيثما

كنتم فولوا وجوهكم شطره) تأكيد ثالث لئلا تبقى للمعاندين حجة في نظرهم ينفذون منها أو ثغرة يتسرّبون الى الارجاف عن طريقها (لئلاّ) اللام هي لام التعليل وأن المدغمة بلا النافية حرف مصدري ونصب (يكون) فعل مضارع ناقص منصوب بأن والجار والمجرور « اللام والمصدر المؤول » متعلقان بولوا (للناس) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم • (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الاصل صفة لحجة فلما تقدمت الصفة على الموصوف أعربت حالاً كما هي القاعدة (حجة) اسم يكون المرفوع المؤخر (إلا) أداة استثناء (الذين) مستثنى متصل من الناس (ظلموا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (منهم) الجار والمجرور متعلقان بحذوف حال (فلا) الفاء هي الفصيحة أي إذا عرفتم ذلك ورسخت حقيقته في نفوسكم ولا ناهية (تخشوهم) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (واخشوني) الواو عاطفة واخشوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الافعال الخمسة والنون للوقاية والواو فاعل والياء مفعول به (ولأتم) عطف على لئلا يكون فهو علة ثانية (نعمتي) مفعول به والياء مضاف إليه (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بأتمّ (ولعلكم تهتدون) الواو عاطفة ولعل واسمها . وجملة تهتدون خبرها (كما أرسلنا) الكاف حرف جر وما مصدرية وأرسلنا فعل وفاعل والكاف ومجرورها المصدر المؤول في موضع نصب على المفعول المطلق وأعربه سيبويه حالاً (فيكم) الجار والمجرور متعلقان بأرسلنا (رسولا) مفعول به (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة (يتلو) الجملة الفعلية صفة ثانية لرسولا (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بيتلو (آياتنا) مفعول به ونا مضاف اليه (ويزكيكم ويعلمكم)

الفعلان المضارعان معطوفان على يتلو (الكتاب) مفعول به (والحكمة) عطف على الكتاب (ويعلمكم) معطوف على ما تقدم والكاف مفعول به أول (ما) اسم موصول مفعول به ثان (لم) حرف نفي وقلب وجزم (تكونوا) فعل مضارع ناقص مجزوم بلم والواو اسمها والجملة الفعلية صلة ما (تعلمون) الجملة الفعلية خبر تكونوا .

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

الاعراب :

(فاذكروني) الفاء هي الفصيحة أي إذا شئتم الاهتداء الى مَحجّة الصواب فاذكروني ، واذكروني : فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به (أذكركم) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به (واشكروا) عطف على اذكروني ، وشكر يتعدى بنفسه تارة وتارة بحرف الجر على حد سواء (لي) جار ومجرور متعلقان باشكروا (ولا) الواو حرف عطف ولا ناهية (تكفرون) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لمناسبة فواصل الآي مفعول به والكسرة دليل عليها (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (استعينوا) فعل أمر مبني

على حذف النون والواو فاعل (بالصبر) الجار والمجرور متعلقان باستعينوا (والصلاة) عطف على الصبر (إن الله) ان واسمها (مع الصابرين) مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر والصابرين مضاف اليه • وجملة ان ومافي حيزها اسمية لا محل لها لأنها تعليلية (ولا تقولوا) الواو عاطفة على ما تقدم ولا ناهية وتقولوا فعل مضارع مجزوم بلا (لمن) الجار والمجرور متعلقان بتقولوا وجملة (يقتل) صلة الموصول لا محل لها (في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بيقتل (أموات) خبر لمبتدأ محذوف أي هم أموات والجملة الاسمية مقول القول (بل) حرف اضراب وعطف (أحياء) خبر لمبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هم أموات (ولكن) الواو حالية ولكن مخففة من الثقيلة فهي لمجرد الاستدراك (لا) نافية (تشعرون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الافعال الخمسة والجملة نصب على الحال •

البلاغة :

١ ـ الايجاز في الآية الاخيرة وهو ايجاز الحذف فقد حذف المبتدأ لأهمية ذكر الخبر لأنهم ما كانوا يتصورون أنهم أحياء فقند سبحانه هذه البدائية العجيلة تصويراً رشيقاً •

٢ ـ الطباق بين أموات وأحياء في الآية هو طباق رشيق لا تكلف فيه •

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ

قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن
رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

اللغـة :

(البلاء) : الاختبار والامتحان .

الاعراب :

(ولنبلونكم) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم ونبلونّ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر وجوباً تقديره نحن والكاف مفعول به (بشيء) الجار والمجرور متعلقان بنبلونكم (من الخوف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء ، وجملة نبلونكم لا محل لها لأنها جواب قسم محذوف وطّأت له اللام وقد اقترنت بنون التوكيد الثقيلة لأنه مضارع مثبت مستقبل متصل بلامه (والجوع) عطف على الخوف (ونقص) عطف أيضاً (من الاموال) الجار والمجرور متعلقان بنقص لأنه مصدر نقص ، أو بمحذوف صفة لنقص لأنه نكرة (والأنفس والثمرات) معطوفان على الاموال وجملة القسم وجوابه مستأنفة مسوقة لاختبار أحوالهم ومدى صبرهم على البلاء واستسلامهم للقضاء بشيء من الخوف والجوع (وبشر) الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت (الصابرين) مفعول به وجملة بشر معطوفة على ولنبلونكم ولا تقل إنه فعل طلبي فكلاهما مضمونه طلبي ، فهو من باب عطف المضمون على المضمون،أي أن الابتلاء حاصل وقت البلاء ووقت البشارة (الذين)صفة

للصابرين(إذا)ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بجوابه وهو قالوا(أصابتهم) الجملة في محل جر بالاضافة (مصيبة) فاعل وجملة الشرط وجوابه لا محل لها لأنها صلة الموصول (قالوا) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (إنا) ان واسمها (لله) الجار والمجرور متعلقان براجعون (وإنا اليه) عطف على جملة انا لله (راجعون) خبر إن (أولئك) اسم الاشارة مبتدأ (عليهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (صلوات) مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة (من ربهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لصلوات (ورحمة) عطف على صلوات وجملة الاشارة وما بعدها مستأنفة مسوقة لبيان ما بشروا به (وأولئك) الواو عاطفة وأولئك مبتدأ (هم) مبتدأ ثان أو ضمير فصل لا محل له (المهتدون) خبر « هم » أو خبر أولئك والجملة خبر أولئك .

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾

اللغــة :

(الصفا) : جبل بمكة ، وأصل معنى الصفا أنه جمع صفاة أي الصخرة الملساء . وألفها منقلبة عن واو (المروة) جبل بمكة أيضاً . وأصل معنى المروة الحجارة الرخوة وقيل : التي فيها صلابة .

قال أبو ذؤيب :

حتى كأنّي للحـوادث مروة بصفا المشقّر كلّ يوم تقرع

(الشعائر) : جمع شعيرة وهي العلامة .

(حج) : قصد .

(اعتمر) : زار البيت المعظم على الوجه المشروع .

ثم صار الحج والعمرة علمين لقصد البيت وزيارته .

(لا جناح) الجناح : الميل الى المأثم ، ثم أطلق على الإثم ، يقال : جنح الى الشيء أي مال اليه ، ومنه جنح الليـل أي ميله بظلمته ، وجنح الطائر وجناحه .

الاعراب :

(إن الصفا) إن واسمها (والمروة) عطف على الصفا (من شعائر الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن والجملة ابتدائية لا محل لها (فمن) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (حج البيت) حج فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر يعود على من والبيت مفعول به (أو اعتمر) أو حرف عطف واعتمر فعـل ماض معطوف على حج (فلا جناح) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ولا نافية للجنس وجناح اسمها المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (أن يطوف) أن المصدرية وما في حيزها في تأويـل مصدر منصوب بنزع الخافض أي في أن يطوف (بهما) الجار والمجرور متعلقان بيطوف . وجملة فلا جناح عليه في

محل جزم جواب الشرط وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (ومن تطوع) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وتطوع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو (خيراً) صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق أي يتطوع تطوعاً خيراً . ولك أن تعربه منصوبا بنزع الخافض أي بخير ، واختار سيبويه أن يعرب حالاً من المصدر المقدر معرفة ، ولو لم يكن سيبويه قائله لخطّأته (فإن الله) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها (شاكر عليم) خبران لإن وجملة فإن الله في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾

الاعراب :

(إنّ الذين) إن واسمها (يكتمون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة إن وما في حيّزها مستأنفة مسوقة لبيان حكم من كتم شيئاً من أحكام الدين بصورة عامة،وقد نزلت فيحقّ اليهود الذين يجمجمون حباً للجدل والمكابرة ، وخصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم (ما) مفعول يكتمون (أنزلنا) فعل وفاعل والعائد محذوف أي أنزلناه ، والجملة

لا محل لها لأنها صلة الموصول (من البينات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي حالة كونها مبينة شاهدة بالحقائق . وقد ألمعت الآية الى محاولة اليهود إخفاء بعض الآيات الدّالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو التي تصوّر عيوبهم وآثامهم التي يرتكبونها (والهدى) عطف على البينات (من بعد) الجار والمجرور متعلقان بيكتمون (ما بيناه) ما مصدرية وبيناه فعل وفاعل ومفعول . والمصدر المؤول في محل جر بالاضافة أي من بعد تبيانه (للناس) الجار والمجرور متعلقان ببيناه (في الكتاب) الجار والمجرور متعلقان ببيناه أيضاً . وتعلق جار بفعل واحد عند اختلاف المعنى واللفظ جائز . ولك أن تعلق « في الكتاب » بمحذوف حال من المفعول به أي كائناً في الكتاب (أولئك) اسم الاشارة مبتدأ (يلعنهم) فعل مضارع والهاء مفعوله (الله) فاعله والجملة الفعلية خبر اسم الاشارة (ويلعنهم اللاعنون) عطف على الجملة السابقة ، وجملة الاشارة الاسمية في محل رفع خبر إن (إلا) أداة استثناء (الذين) مستثنى من المفعول به أي الهاء في يلعنهم (تابوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة (وأصلحوا وبينوا) عطف على تابوا (فأولئك) الفاء رابطة ، لأن في الموصول رائحة الشرط ، واسم الاشارة مبتدأ (أتوب) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا ، وجملة أتوب خبر اسم الاشارة وجملة الاشارة استئنافية (عليهم) متعلقان بأتوب (وأنا) الواو عاطفة وأنا مبتدأ (التواب الرحيم) خبران لأنا والجملة معطوفة .

البلاغة :

١ ــ التكرير في ذكر اللعن ، والغاية منه التأكيد في الذم .

٢ ــ الالتفات في قوله « يلعنهم الله » وكان السياق يقتضي بأن

يقول نلعنهم ، ولكنه التفت الى الغائب للدلالة على إظهار السخط عليهم ، وليكون الكلام أوغل في إنزال اللعن عليهم، وإلحاق الطرد بهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

الاعراب :

(إن الذين) إن واسمها (كفروا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها (وماتوا) الواو عاطفة ، وجملة ماتوا عطف على جملة كفروا (وهم) الواو حالية وهم مبتدأ (كفار) خبر « هم » والجملة في محل نصب على الحال (أولئك) اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ (عليهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (لعنة الله) مبتدأ مؤخر (والملائكة والناس) عطف على الله،والجملة الاسمية خبر أولئك وجملة أولئك ومافيحيزها خبر إن وجملة ان وما فيحيزها مستأنفة مسوقة لبيان مصير القسم الثاني من الكاتمين، وقد بيّن مصير من تاب في الاستثناء (أجمعين) تأكيد (خالدين) حال من الضمير في عليهم (فيها) الجار والمجرور متعلقان بخالدين ، والضمير يعود على النار التي أضمرت للتخويف والتهويل . ويجوز أن يعود على اللعنة مجازاً ، والعلاقة المحلية (لا يخفف) لا نافية ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول (عنهم) جار ومجرور متعلقان

يخفف (العذاب) نائب فاعل ، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية للذين كفروا من الضمير المستكنّ في خالدين فهي حال متداخلة (ولا) الواو عاطفة ولا نافية (هم) مبتدأ (ينظرون) فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ، أي لا يمهلون ولا يؤجلون ، والجملة الفعلية خبر « هم » والجملة الاسمية عطف على جملة لا يخفف (وإلهكم) الواو استئنافية وما بعدها جملة مستأنفة لا محل لها مسوقة للرد على كفار قريش الذين قالوا : يا محمد صف لنا ربك ، وإلهكم مبتدأ (إله) خبر (واحد) صفة لإله (لا) نافية للجنس (إله) اسمها مبني على الفتح في محل نصب (إلا) أداة حصر (هو) بدل من محل لا واسمها لأن محلها الرفع على الابتداء ، أو بدل من الضمير المستكنّ في الخبر المحذوف • وسيأتي مزيد من أقوال النحاة والمفسرين في إعراب كلمة الشهادة ترويضاً للذهن (الرحمن الرحيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو •

الفوائد :

خاض علماء النحو والمفسرون كثيراً في اعراب « لا إله إلا الله » وهي كلمة الشهادة واتفقوا على أن خبر لا محذوف أي لنا ، أو في الوجود ، أو نحو ذلك • وسنورد لك خلاصة مفيدة لما قالوه لأهميته :

الزمخشري :

صنف جزءاً لطيفاً في إعراب كلمة الشهادة، فبعد أن أورد ما اتفقوا عليه من حذف خبر لا قال : « هكذا قالوا ، والصواب أنه كلام تام ولا حذف ، وأن الأصل : اللهُ إلهٌ مبتدأ وخبر ، كما تقول : زيد

منطلق ، ثم جيء بأداة الحصر وقدّم الخبر على الاسم وركب مع لا كما ركب المبتدأ معها في نحو لا رجل في الدار ، ويكون « الله » مبتدأ مؤخراً و « وإله » خبراً مقدماً ، وعلى هـذا تخريج نظائره نحو : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ » .

الزمخشري أيضاً :

وقال الزمخشري في المفصّل بصدد كلامه عن خبر لا النافية للجنس : « وقد يحذفه الحجازيون كثيراً فيقولون : لا أهل ولا مال ولا بأس ولا فتى إلا عليّ ولا سيف إلا ذو الفقار ، ومنه كلمة الشهادة ، ومعناها : لا إله في الوجود إلا الله ، وبنو تميم لا يثبتونه في كلامهم أصلاً » .

ابن يعيش :

وقال شارح المفصّل موفق الدين بن يعيش: « اعلم أنهم يحذفون خبر لا من : لا رجل ولا غلام ولا حول ولا قوة وفي كلمة الشهادة نحو : لا إله إلا الله ، والمعنى : لارجل ولا غلام ولا حول ولا قوة لنا ، وكذلك لا إله في الوجود إلاّ الله ، ولا أهل لك ولا مال لك ولا بأس عليك،ولا فتى في الوجود إلا عليّ ولا سيف في الوجود إلا ذو الفقار، فالخبر الجار مع المجرور وهو محذوف ، ولا يصح أن يكون الخبر « الله » في قولك لا إله إلا الله ، وذلك لأمرين :

آ ــ انه معرفة و « لا » لا تعمل في معرفة .

ب ــ أن اسم « لا » هنا عام وقولك إلا الله خاص ، والخاص لا يكون خبراً عن العام .

ونظيره : الحيوان انسان ، فانه ممتنع لأن في الحيوان ما ليس بانسان ، وقولك : الانسان حيوان ، جائز لأن الانسان حيوان حقيقة وليس في الانسان ما ليس بحيوان ، ويجوز اظهـــار الخبر نحو : لا رجل أفضل منك ولا أحد خير منك ، هذا مذهب أهل الحجاز وأما بنو تميم فلا يجيزون تقـديم خبر « لا » البتة ويقولون : هو من الأصول المرفوضة ، ويتأوّلون ما ورد من ذلك ، فيقولون في قولهم : لا رجل أفضل منك : ان « أفضل » نعت لرجل على الموضع ، وكذلك « خير منك » نعت لأحد على الموضع .

البدر الدماميني :

وتعقّب البدر الدّماميني الزّمخشريّ في حاشيته عـلى المغني فقـال : « ولا يخفى ضعف هـذا القول ، يعني قول الزمخشري ، وانه يلزم منه ان الخبر يبنى مع لا ، ولا يبنى معها إلا المبتدأ . ثم لو كان كذلك لم يجز نصب الاسم العظيم وقد جوزوه » .

الصلاح الصفدي :

وأورد الصلاح الصفـديّ في الغيث المسجـم بحثاً طريفاً قال فيه : « ومن حذف الخبر قولك : لا إله إلا الله ، « فإله » اسمها والخبر محذوف قدّره النحاة في الوجود أو لنا ، هكذا أعربوه » .

الرازي :

وأورد الامام فخر الدين الرازي إشكالاً على إعراب الصفدي فقال : هذا النفي عام متفرّق وتقييده بالوجود تخصيص له ، وننا أكثر

تخصيصاً . وإذا كان كذلك لم يبق النفي عاماً ، وحينئذ لا يكون هذا القول إقراراً بالوحدانية على الاطلاق .

الصلاح الصفدي أيضاً :

وأجاب الصلاح الصفدي بقوله : « إننّا لا نسلّم تقييده بالوجود إذا كان تخصيصاً لا يبقى على العموم المراد من النفي ، لأن المراد نفي الآلهة في الخارج إلا الله تعالى ، على معنى أن نفي وجودها مستلزم لنفي ذاتها ، كأنه قال : لا إله يوجـد إلا الله . وعلى هـذا يبقى النفي عاماً بالمعنى المراد منه » .

السّمين :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « قوله : إلا هو رفع على أنه بدل من اسم لا على المحل ، إذ محله الرفع على الابتداء أو هو بدل من لا وما عملت فيه ، لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء » .

أبو حيّان :

ومضى السمين يقول : واستشكل أبو حيّان كونه بدلاً من إله ، لأنه لا يمكن تكرير العامل ، لا تقول : لا رجل إلا زيد والذي يظهر لي أنه ليس بدلاً من إله ، ولا من رجل في قولك لا رجل إلا زيد ، إنما هو بدل من الضمير المستكنّ في الخبر المحذوف . فإذا قلنا : لا رجل إلا زيد ، والتقدير لا رجل كائن أو موجود إلا زيد . فزيد بدل من الضمير المستكن في الخبر لا من رجل ، وليس بدلاً من موضع

اسم لا ، وإنما هو بدل مرفوع من ضمير مرفوع ، تقدير ذلك الضمير هو عائد على اسم لا .

ابن هشام :

وقال ابن هشام : « وقول بعضهم في « لا إله إلا الله » : إن اسم الله سبحانه خبر لا التبرئة أي النافية للجنس يردّه أنها لا تعمل إلا في نكرة منفية ، واسم الله تعالى معرفة موجبة ، نعم يصح أن يقال : إنه خبر لـ « لا » مع اسمها فانهما في موضع رفع بالابتداء عند سيبويه » . ثم أطال ابن هشام في الرد على الزمخشري مما لا يتسع له صدر هذا الكتاب .

الشيخ مصطفى الغلاييني :

وقال الشيخ مصطفى الغلاييني من أدباء بيروت المحدثين : « قوله تعالى : لا إله إلا الله ، أي : لا إله موجود ، والله إما بدل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف ، وإما بدل من محل لا واسمها . ويجوز في غير الآية نصبه على الاستثناء » .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

اللغــة :

(الفلك) : السفن . ويكون واحداً كقوله تعالى : « في الفلك المشحون »، وهو حينئذ مذكر . ويكون جمعاً كما في الآية بدليل قوله: « التي تجري في البحر » ، وكل ذلك بلفظ واحــد . وقد خبط فيه صاحب المنجد خبطاً عجيباً ، فجعله يذكّر ويؤنّث . وعبارته : « الفلك : السفينة تؤنث وتذكر » . ومنشأ الخبط أنه لم يتأمل ـ وهو ينقل عبارة القاموس نقلاً عشوائياً ـ أن التذكير خاص بالمفرد ، أما التأنيث فطارىء عليه لجمعه جمع تكسير . ونصّ عبارة القاموس : « والفلك بالضم السفينة ، ويذكّر ، وهو للواحد والجميع ، أو الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد ، وليست كجُنُب التي هي واحد وجمــع ، وأمثاله ، لأن فُعْلاً وفَعَلاً يشتركان في الشيء الواحد كالعُرْب والعَرَب » . فإن قيل : ان جمع التكسير لابد فيه من تغيّر ، فالجواب أن تغيّره مقدّر ، فالضمة في حال كونه جمعاً كالضمة في حُمر وبُدن ، وفي حال كونه مفرداً كالضمة في قُفل . عــلى أن ابن برّي استدرك فقال : « إنك إذا جعلت الفلك واحداً فهو مذكر لا غير ، وإن جعلته جمعاً فهو مؤنث لا غير » فتأمل هذا الفصل ، فله على كل الفصول الفضــل .

(الرياح) : جمع ريح . وياء الريح والرياح من واو ، والأصل روح ورواح ، وانما قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، وهو ابدال مطّرد ولذلك لما زال موجب قلبها رجعت الى أصلها ، فقيل : أرواح .

قالت ميسون بنت بحدل :

لبيــت تخفق الأرواح فيــه   أحبّ إليّ من قصر مَنيفِ

ويغلب عليها الخير في الجمع ، والشرّ في المفرد .

وقد لحن في هذه اللفظة عمارة بن عقيل بن بــلال بن جرير ، فاستعمل الأرياح في شعره ، وقال أبو حاتم له : إن الارياح لا يجوز . فقال عمارة : ألا تسمع قولهم : رياح ؟ فقال له أبو حاتم : هذا خلاف ذلك . فقال له : صدقت ورجع . قلنا : ولكن ورد جمع الارياح في القاموس للفيروزبادي ونصّ عبارته : « والريح مؤنثة وجمعها أرياح وأرواح ورياح وريح كعنب وجمع الجمع أرواح وأراييح » . ونقل صاحب المنجد عبارته بنصها تقريباً .

الاعراب :

(إن) حرف مشبه بالفعل (في خلق السموات والارض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم (واختلاف الليل والنهار) عطف على خلق السموات (والفلك) عطف أيضاً (التي) صفة للفلك (تجري في البحر) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (بما) الباء حرف جر وما اسم موصول في محــل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، ولك أن تجعل ما مصدرية ، فتتعلق مع المصدر المؤوّل المجرور بها بتجري بأسباب نفع الناس (ينفع الناس) الجملة الفعلية لا محل لها لانها صلة ما على كل حال (وما) عطف على ما الاولى (أنزل الله) الجملة صلة ما (من السماء) الجار والمجرور متعلقان بأنزل (من ماء) الجار والمجرور بدل من قوله من السماء بدل اشتمال ولا يرد عليه تعليق حرفــين متحدين بعامل واحد فإن الممنوع من ذلك أن يتحدا معاً من غير عطف ولا ابدال (فأحيا) عطف على فأنزل (به) الجار والمجرور متعلقان بأحيا (الارض) مفعول به (بعد موتها) الظرف متعلق بمحذوف حال (وبث) عطف على أنزل

أو أحيا (فيها) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (من كل دابة) الجار والمجرور متعلقان ببث (وتصريف الرياح) عطف على « خلق » (والسحاب) عطف أيضاً (المسخر) صفة للسحاب (بين السماء والارض) الظرف متعلق بمسخر لأنه اسم مفعول (لآيات) اللام هي المزحلقة وآيات اسم ان المؤخر (لقوم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لآيات (يعقلون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة الفعلية صفة لقوم . وهذه الآية حثّ صريح على وجوب التأمل والتدبر وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها » أي لم يعتبر بها .

فالآية جملة مستأنفة مسوقة للحث على النظر والاعتبار بباهر الحكمة .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾

اللغة :

(أنداداً) النّدّ : المثل ، والمراد هنا الاصنام أو كل ما سولت لهم أنفسهم عبادته .

الاعراب :

(ومن النّاس) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن بعض النّاس لم يعتقد الوحدانية بعد أن ثبت بالدليل القاطع ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر أو نكرة موصوفة في محل رفع مبتدأ مؤخر (يتخـذ) الجملة الفعلية لا محـل لها لانها صلة الموصول أو صفة لـ « مَن » وفاعل يتخذ ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ مَنْ (من دون الله) جار ومجرور متعلقان بيتخـذ (أنداداً) مفعول به (يحبونهم) فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به والجملة الفعلية صفة لأنداداً أو حال من الضمير المستكن في يتخذ (كحب الله) الكاف ومجرورها في موضع نصب صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق ، ويجوز إعرابه حالاً وقد رجحه سيبويه والمصدر مضاف الى مفعوله (والذين) الواو استئنافية أو حالية واسم الموصول مبتدأ (آمنوا) فعل وفاعله • والجملة صلة الموصول (أشد) خبر الموصول (حباً) تمييز (لله) الجار والمجرور متعلقـان بحباً (ولو) الواو استئنافية ولو شرطية غير جازمة (يرى) فعل مضارع (الذين) فاعل (ظلموا) الجمـلة الفعلية صلة الموصول لا محـل لها (إذ) ظرف لما مضى من الزمن متعلق بيرى (يرون) الجملة الفعلية في محل جر باضافة الظرف اليه والواو فاعل (العذاب) مفعول به أول والمفعول الثاني محذوف تقديره نازلاً بهم وقت رؤيتهم (ان القوة) ان واسمها (لله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر • وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يرى (جميعاً) حال (وأن الله شديد العذاب) عطف عـلى ما تقدم ؛ وجواب لو محـذوف أي لرأيت عجباً ولكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندامة والحسرة •

البلاغـة :

الايجاز في الآية وذلك بحذف جواب لو كما تقدم وهو كثـير شائع في كلامهم وورد في القرآن كثيراً ، وقد تعلّق بأهداب هـذه البلاغة أبو تمام الطائي حين قال في قصيدته « فتح عمورية » :

لو يعلم الكفر كم من أعصـر كمنت
له المنيّـة بـين السّمـر والقضب

وتقديره لو يعلم الكفر ذلك لأخذ أهبته واحتاط لنفسه وهيهات •

الفوائـد :

(دون) ظرف للمكان وهو نقيض فوق ، نحو هو دونه أي أحط منه رتبة أو منزلة ، ويأتي بمعنى أمام نحو : الشيء دونك أي أمامك ، وبمعنى وراء نحو : قعد دون الصف ، أي وراءه ، وقد يأتي بمعنى رديء وخسيس فلا يكون ظرفاً ، نحو : هذا شيء دون ، وهو حينئذ يتصرف في وجوه الاعراب • ويأتي بمعنى غير كما في الآية ، وأكثر ما يستعمل حينئذ مجروراً بمن •

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا

هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

الاعراب :

(إذ) ظرف لما مضى من الزمن وهي مـع مدخولها بدل من إد المتقدمة في الآية السابقة (تبرأ الذين) فعل ماض وفاعل (اتُبعوا) فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل ، والجملة صلة الموصول ، وجملة تبرأ في محل جر باضافة الظرف اليها وهم الرؤساء (من الذين اتَبعوا) الجار والمجرور متعلقان بتبرأ واتبعوا فعل ماض مبني للمعلوم والواو فاعل وهم الاتباع والجملة صلة (ورأوا) الواو حالية أو عاطفة ورأوا فعل وفاعل (العذاب) مفعول به والجملة حالية بتقدير قد ، أي تبرءوا منهم في حال رؤيتهم العذاب ، أو معطوفة على جملة تبرأ (وتقطعت بهم الاسباب) عطف على ما تقدم (وقال) الواو عاطفة وقال فعل ماض (الذين) فاعل (اتبعوا) الجملة صلة الموصول واتبعوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل (لو) شرطية غير جازمة متضمنة معنى التمني (أن لنا كرة) ان وخبرها المقدم واسمها المؤخر وان ومافي حيزها مقول القول (فنتبرأ) الفاء هي السببية ونتبرأ فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالتمني الذي تضمنته لو وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن (منهم) الجار والمجرور متعلقان بنتبرأ (كما) الكاف مع مجرورها في موضع نصب مفعول مطلق وما مصدرية (تبرءوا) فعل ماض وفاعل (منا) جار ومجرور متعلقان بتبرؤا (كذلك) الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أي اراءة مثل تلك الإراءة . واختار سيبويه النصب على الحال وهو صحيح (يريهم) فعل مضارع والرؤية هنا تحتمل أن تكون بصرية فتتعدى

لمفعولين أولهما الضمير والثاني أعمالهم وتحتمل أن تكون قلبية ولعله أرجح فتتعدى لثلاثة (الله) فاعل (أعمالهم) مفعول به ثان (حسرات) مفعول به ثالث أو حال (عليهم) متعلقان بمحذوف صفة لحسرات (وما) الواو عاطفة وما حجازية (هم) اسم ما الحجازية (بخارجين) الباء حرف جر زائد وخارجين مجرور لفظاً منصوب خبر ما محلاً (من النار) الجار والمجرور متعلقان بخارجين •

البلاغـة :

١ ــ في الآية فن اللفّ والنشر المشوش ، وهو ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد وردّه الى ما هو له ، فتبرؤ بعضهم من بعض راجع لقوله : إذ تبرأ ، وإراءتهم شدة العذاب راجع لقوله : ورأوا العذاب ، والمراد أنه أراهم هذين الامرين عقوبة لهم على اتخاذهم الأنداد لله ، فكما عاقبهم على عقائدهم عاقبهم على أعمالهم • ولهذا الفن فروع متعددة ميسوطة في كتب البلاغة ، ومنه في الشعر قول أبي فراس الحمداني :

وشادنٍ قـال لي لمّـا رأى سقمـي
وضعف جسمي والدّمع الذي انسجما

أخذت دمعك من خدّي وجسمك من
خصري وسقمك من طرفي الذي سقما

٢ ــ في قوله : إذ تبرأ الذين اتبعوا •• الآية ، فنّ يقال له فنّ الترصيع ، وهو أن يكون الكلام مسجوعاً ، وهو في الآية في موضعين ، وقد كثر في القرآن ، وأما في الشعر فمنه قول أبي الطيب المتنبي :

في تاجــه قمر في ثوبــه بشر   في درعــه أسـد تدمى أظافره

وقال أبو تمام :

تدبــير معتصم بالله منتقــم   لله مرتغــب في الله مرتقــب

٣ ــ في قوله : « وتقطعت بهم الاسباب » مجاز مرسل علاقته السببية ، فان السبب في الاصل الحبل الذي يرتقى به الى ما هو عالٍ ثم أطلق على كل ما يتوصل به الى شيء ، مادة كان أم معنى . ولك أن تجعله من باب الاستعارة التصريحية ، فقد شبه الاعمال التي كانوا يمارسونها في الدنيا بالاسباب التي يتشبّث بها الانسان للنجاة . ثم حذف المشبّه وأبقى المشبّه به . قال زهير بن أبي سُلمى :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه   وإن يرق أسباب السماء بسلم

٤ ــ فن الحذف ، فقد حذف جواب لو الشرطية وهو مقدر في الآية تقديره ــ لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف .

الفوائــد :

كل اسم كان واحده على وزن « فَعْلة » مفتوح الاول ساكن الثاني ، فإن جمعه على فعلات بفتح الفاء والعين ، مثل شهوة وتمرة وجمعهما شهوات وتمرات ، متحركة الثواني من حروفها . فأما إذا كان وصفاً فإنك تدع ثانيه ساكناً مثل ضخمة وعبلة ، فتجمعها على ضخْمات وعبْلات ، باسكان الثواني .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟

خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

اللغـة :

(الخطوات) بضمتين : جمع خطوة ، وهي ما بين يدي الخاطي • ومن غريب أمر الخاء والطاء أنهما إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة دلّ ذلك على الاثر ، فأثر الخطوة معروف ، ولهذا قالوا : اتبع خطواته ، كأنما أثّر عليه فتبعــه • والخطــأ في الرأي والمسألة واضح الأثر ، ومن أمثالهم : « مع الخواطئ سهم صائب » • والخطب : المصاب وهو بيّن الأثر ، وقل مثل هذا في الخطل أي السفاهــة ، وهو استرخاء الاذنين أو السفاهة ، وسمي الشاعر الأموي الأخطــل • وهذا كله اكتشفناه بعد التقصي والتمعن فتدبره •

الاعراب :

(يا أيها الناس) يا حرف نداء للمتوسط ، وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه ، والناس بدل من أي (كلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (مما) الجار والمجرور متعلقــان بكلوا (في الارض) الجــار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول (حلالاً) مفعول به لكلوا أو حال من « ما » (طيباً) صفة • وسيأتي بحث طريف عنها (ولا) الواو عاطفة ولا ناهية (تتبعوا) فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (خطوات) مفعول به وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (الشيطان) مضاف

اليه (إنه) إن واسمها (لكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه في الاصل صفة لعدو وقد تقدمت (عـدو) خبر إن المرفوع (مبين) صفة لعدو وجملة النداء وما تلاه مستأنفة مسوقة لبيان مواطن الحـل والحرمـة ، وان ذلك منوط بالله تعالى . وجملة إنه وما تلاها لا محل لها لأنها تعليل للنهي عن اتباع خطوات الشيطان في ذلك (إنما) كافة ومكفوفة ملغاة (يأمركم) فعل وفاعل مستتر يعود على الشيطان ومفعول به (بالسوء) الجار والمجرور متعلقان بيأمركم والجملة مستأنفة مسوقة لبيان عداوة الشيطان وفضح أهدافها (والفحشاء) عطف على قوله بالسوء (وأن تقولوا) المصدر المنسبك من أن وما في حيزها معطوف على السوء أيضاً (على الله) الجار والمجرور متعلقـان بتقولوا (ما) اسم موصول مفعول تقولوا (لا) نافيـة (تعلمون) فعل مضارع مرفوع وفاعـل والجملة لا محل لها لأنها صلة ما .

البلاغـة :

الاستعارة التبعية في أمر الشيطان رداً على سؤال قد يرد على الخاطر ، وهو : كيف يكون الشيطان آمراً والله تعالى يقول : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ؟ فقد شبه تزيين الشيطان لهم وتحريضه إياهم على الشر ، وتأريث نار الشهوات في النفوس بأمر الآمر فهي استعارة تصريحية تبعية ، والواقع أن أمر الشيطان هو عبارة عن الخوالج التي تساورنا وتحدونا الى اجتراح السيئات .

الفوائـد :

اختلف المعربون والفقهاء في معنى هذه الصفة أي طيباً فقال :

بعضهم هي صفة مؤكدة ، لأن معنى طيباً وحلالاً واحد ، وأخذ مالك به وقال آخرون هي صفة مخصصة ، لأن معناه مغاير لمعنى الحلال ، وهو المستلذ ، وبه أخذ الشافعي • ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث •

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذا) الواو استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بقالوا (قيل) فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو والجملة مستأنفة مسوقة لبيان رسوخهم في الغي وإمعانهم في الضلال (لهم) الجار والمجرور متعلقان بقيل (اتبعوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة الفعلية مقول القول (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (أنزل الله) الجملة لا محل لها لأنها صلة ما (قالوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (بل) حرف اضراب وعطف وكل اضراب في القرآن يراد به الانتقال من قصة الى قصة إلا في هذه الآية وفي آية أخرى ستأتي (تتبع) فعل مضارع وفاعله نحن ، والجملة معطوفة على جملة مقدرة أي لا تتبع ما أنزل الله بل تتبع (ما) اسم موصول مفعول به (ألفينا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عليه) جار ومجرور في موضع نصب مفعول ألفينا الثاني (آباءنا) مفعول

ألفينا الأول.ومعنى ألفينا وجدنا (أولو) الهمزة للاستفهام الانكاري، والواو حالية والجملة حالية مسوقة لاستنكار اتباع آبائهم في كل حالة حتى في الحالة التي لا مساغ للعاقل أن يتبعها ويجنح اليها وهي عدم تلبسهم بعدم العقول وانتفاء الهداية . ولو شرطية لا تحتاج الى جواب في مثل هذا التركيب لأن القصد منها تعميم الاحوال ، ولذلك لا يجوز حذف الواو الداخلة عليها تنبيهاً على أن ما بعدها ليس مناسباً لما قبلها (كان آباؤهم) كان واسمها (لا) نافية (يعقلون) فعل مضارع وفاعله والجملة المنفية خبر كان (شيئاً) مفعول به أو مفعول مطلق (ولا يهتدون) الجملة معطوفة على جملة لا يعقلون .

البلاغـة :

الالتفات في قوله : لهم .. من الخطاب الى الغيبة تسجيلاً للنداء على ضلالهم ، لأنه ليس ثمة أضلّ من المقلد تقليداً أعمى ، يتبع غيره في المواطن التي توبقه وترديه ، وينساق من غير تفكير ولا روية .

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

اللغـة :

(ينعق) النّعيق : هو التصويت مطلقاً . قال الأخطل :

فانعق بضأنك يا جرير فإنّما ... منّتك أمّك في الخلاء ضلالا

ويقال : نعق المؤذن وسمعت نعقة المؤذن ، وأما صوت الغراب فهو النغيق بالغين المعجمة •

الاعراب :

(ومثل) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل للكافرين في عبادتهم للأصنام ، وقد شغلت هذه الآية المعربين والمفسرين ، واختلفوا فيها اختلافاً كثيراً وتبلغ الأوجه التي أوردوها أربعة نختار منها واحداً ونورد في باب البلاغة تفصيلها لأنها تكاد تكون متساوية الرجحان ، ومثل مبتدأ (الذين) مضاف اليه (كفروا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول ، ولا بد من تقدير مضاف قبل الموصول أي مثل داعيهم الى الايمان أي مثل داعي الذين كفروا ، بمعنى ان من يحاول هدايتهم بمثابة من يخاطب مالا يسمع ، وإن سمع فهو لا يعقل شيئاً مما يسمعه (كمثل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (الذي) اسم موصول مضاف اليه (ينعق) فعل مضارع وفاعله هو ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (بما) الجار والمجرور متعلقان بينعق (لا يسمع) لا نافية ويسمع فعل مضارع والجملة الفعلية صلة ما (إلا) أداة حصر (دعاء) مفعول به (ونداء) عطف على دعاء (صم بكم عمي) أخبار ثلاثة لمبتدأ محذوف أي هم (فهم) الفاء عاطفة وهم مبتدأ (لا يعقلون) الجملة الفعلية المنفية خبرهم •

البلاغــة :

في هذه الآية فنون عديدة منها :

١ ــ التشبيه التمثيلي فقد شبه من يدعو الكافرين الى الايمان

رغم لجاجتهم ومكابرتهم بمن ينعق بالبهائم التي لا تسمع إلا التصويت بها والزجر لها ، فهو تشبيه صورة بصورة أو تشبيه متعدّد بمتعدّد ، ويمكن اختصار الاوجه التي أوردها علماء البيان والنحو بما يلي :

أ – ان المثـل مضروب لتشبيه الداعي والكافـر بالناعق والمنعوق به .

ب – إن المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له بالغنم المنعوق بها .

جـ – ان المثـل مضروب لتشبيه الكافر في دعائـه الاصنام بالناعق على الغنم .

٢ – الاستعارة التصريحية في تشبيه الكافرين بالصم البكم العمي وحذف المشبه وإبقاء المشبه به .

٣ – الايجاز في حذف مضاف تقديره : مثل داعي الذين كفروا ، ولم يصرح بالداعي وهو الرسول تمشياً مـع الأدب الرفيع في حسن التلطف بالخطـاب ، والتهـذيب الذي يجب أن يتسم به الشعراء والكتّاب .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ
إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ

وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

اللغــة :

(الاهلال) : سبق القول إنه رفع الصوت عند مباشرة أمر من الأمور ، وقد كان ديدنهم في جاهليتهم أن يرفعوا أصواتهم عنــد مباشرتهم هذه الامور كالذبح وغيره فيقولون : باسم اللات والعزّى .

(باغ) : ظالم .

(عاد) : معتد على غيره .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها فجدّد به عهداً ، وجملة النداء وما بعده مستأنفة تمهيداً للشروع في بيان أنواع من المحرمات بعد ما أمر سبحانه بأكل الطيبات (كلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (من طيبات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة للمفعول المحذوف ليذهب السامع في تقديره أيّ مذهب تصبو اليه نفسه ومعنى من الجــارّة هنا التبعيض أي كلوا بعضهــا فما أكثر الطيبات المتاحة لنا (ما) اسم موصول في محل جر بالاضافة (رزقناكم) فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة الموصول (واشكروا لله) معطوف على كلوا ، ولله جار ومجرور متعلقان باشكروا ، وسيأتي بحث عنه في باب الفوائد (إن) شرطية تجزم فعلين (كنتم) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها (إياه) ضمير منفصل مفعول

مقدم لتعبدون (تعبدون) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم وجملة جواب الشرط محذوفة دل عليها ما قبلها أي فاشكروا (إنما) كافة ومكفوفة (حرم) فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بحرم (الميتة) مفعول به (والدم ولحم الخنزير) معطوفان على الميتة (وما) الواو حرف عطف وما اسم موصول منصوب عطفاً على ما تقدم (أهل) فعل ماض مبني للمجهول (به) جار ومجرور قام مقام نائب الفاعل (لغير الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال والجملة صلة الموصول (فمن) الفاء الفصيحة أي إذا كانت هناك حالات اضطرار ألجأته الى أكل شيء مما حرم ، والجملة بعدها لامحل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم، ومن اسم شرط جازم مبتدأ (اضطر) فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على المضطر (غير) حال من « مَنْ » فكأنه قيل : اضطرّ لا باغياً ولا عادياً فهو له حلال (باغ) مضاف اليه وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين (ولا عاد) عطف على غير باغ (فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ولا نافية للجنس (إثم) اسمها المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من على الأصح (إن الله) إن واسمها (غفور رحيم) خبران لإن وجملة إن وما في حيزها لا محل لها لأنها تعليلية .

البلاغة :

١ ـ اشتملت هاتان الآيتان على ايجازين جميلين بالحذف ، وهما

حذف مفعول كلوا كما تقدم ، وحذف جواب إن الشرطية أي فاشكروه وحذف جواب الشرط شائع في كلام العرب .

٢ ـ التقديم في تقديم إياه لإفادة الاختصاص ، لأنه سبحانه مختص بأن يعبدوه .

٣ ـ الالتفات من ضمير المتكلم الى الغيبة ، وسياق الكلام يقتضي أن يقول : واشكرونا ، ولكنه التفت الى الغيبة لعظم الاهتمام به سبحانه . وفيه تلميح الى الحديث النبوي وهو : « يقول الله تعالى : إني والجن والإنس في نبأ عظيم ، أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر غيري » . وقد درج علماء البلاغة على تعريف الالتفات بأنه إنما يستعمل في الكلام للتفنن والانتقال من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع ، وهو تعريف جميل ، لأن النفس تسأم الكلام الجاري على نسق رتيب . ولكن يرد على هذا التعريف أن التطرية لا تكون إلا بعد حدوث الملل ، ولا ملل في تلاوة القرآن ، فلا بد أن يكون هناك أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب ، بيد أن ذلك لا يمكن تحديده ، لأن الفنّ جمال ، وسر الجمال في عدم تحديده ، لأنه بعيد المنال ، وقد أريناك عند الكلام على الفاتحة أسراراً تكمن وراء السطور ، وهنا عدل عن التكلم الى الغيبة كما تقدم ، وليصرح باسم الله ، وفي ذلك من حوافز الشكر ما فيه .

نموذج شعري :

وما دمنا في صدد أسرار الالتفات يحسن بنا أن نورد للقارىء مثالاً شعرياً لأبي تمام الطائي ليقيس طلابنا ومتأدبونا على منواله ، قال يمدح أبا دلف العجليّ ويصف فيها ركباً يسيرون في المهامه البعيد

ليتخلص الى التنويه بجود الممدوح ، ولا يفوتك ما فيها من تشخيص وتجسيد :

وركبٍ يُساقون الركابَ زجاجةً
من السّير لم تقصِد لها كفُّ قاطبِ

فقد أكلوا منها الغواربَ بالسُّرى
وصارت لهم أشباحهم كالغوارب

يصرّف مسراها جُذَيلُ مشارق
إذا آبه همٌّ عُذَيق مغارب

يرى بالكعاب الرّودِ طلعة ثائر
وبالعِرمِسِ الوجناءِ غرّةَ آيب

كأنّ بها ضِغناً على كلّ جانب
من الأرض أو شوقاً الى كلّ جانب

إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد
تَقَطّعَ ما بيني وبين النوائب

فقال في الأول : يصرف مسراها ، مخاطبة للغائب جرياً على الأسلوب المتقدم في وصف الركب ، ثم قال بعد ذلك : إذا العيس لاقت بي ، فعدل الى خطاب نفسه لأنه لما صار الى مشافهة الممدوح

والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكاره والقرب من الرغائب، وهذا من السحر الحلال وان من البيان لسحرا ..

الفوائد :

(شكر) فعل متعد ولكنه قد يستعمل كاللازم فيكتفي بالفاعل إذا أريد به مجرّد حدوث الفعل ، ويستعمل متعدياً مباشرة الى مفعول به واحد ، قال تعالى : « ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك » ، ويتعدى الى مفعولين كقول عبد الله بن الزبير :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي
أيادي لم تمنن وإن هي جلت

والمفعولان هما : عمراً وأيادي ، جمع يد وهي النعمة . وقد يتعدى باللام الى مفعول به واحد كما في الآية هنا .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾

الاعراب :

(إن الذين) إن واسمها ، والجملة مستأنفة مسوقة لسرد قصة رؤساء اليهود وأحبارهم الذين كانوا يصيبون من عامتهم الهدايا والمآكل ، وكانوا يمنون أنفسهم بأن يكون النبي المنتظر الموصوف عندهم في التوراة منهم ، أشفقوا على ذهاب ما كان يترادف عليهم من نعماء ، مما يؤدي بالتالي الى زوال رئاستهم فعمدوا الى كتمان أمره (يكتمون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (ما) اسم موصول مفعول به ليكتمون (أنزل الله) فعل وفاعل والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما (من الكتاب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول تقديره : ما أنزله الله حال كونه من الكتاب (ويشترون) الواو عاطفة ويشترون جملة معطوفة على جملة أنزل الله (به) الجار والمجرور متعلقان بيشترون (ثمناً) مفعول به (قليلاً) صفة (أولئك) اسم الاشارة مبتدأ (ما) نافية (يأكلون) فعل مضارع مرفوع والجملة خبر اسم الاشارة (في بطونهم) الجار والمجرور متعلقان بيأكلون لأنها ظروف للأكل (إلا) أداة حصر (النار) مفعول به . وجملة أولئك ما يأكلون خبر إن (ولا يكلمهم الله) الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة ما يأكلون (يوم القيامة) الظرف متعلق بيكلمهم (ولا يزكيهم) الجملة عطف على جملة لا يكلمهم الله (ولهم) الواو حرف عطف والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (أليم) صفة (أولئك) اسم الاشارة مبتدأ (الذين) اسم موصول خبر (اشتروا الضلالة بالهدى) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وقد تقدمت بحروفها (والعذاب بالمغفرة) عطف على الضلالة بالهدى ، والمتروك ما دخلت

عليه الباء (فما) الفاء الفصيحة كأنها أفصحت عن مصيرهم العجيب ، وما نكرة تامة بمعنى شيء للتعجب في محل رفع مبتدأ على الأصح ، وإنما قلنا على الاصح دفعاً لما تخبط به النحاة من أوجه لا طائل تحتها إلا التكلف ، (أصبرهم) فعل ماض جامد لإنشاء التعجب وفاعله ضمير مستتر وجوباً هنا خاصة والهاء مفعول به ، والجملة الفعلية خبر ما (على النار) الجار والمجرور متعلقان بأصبرهم (ذلك) اسم الاشارة مبتدأ (بأن الله) الباء حرف جر ، وأن وما في حيزه في محل جر بالباء والجار ومجروره خبر اسم الاشارة ، ومعنى الباء السببية . وأن واسمها (نزل الكتاب) فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله تعالى والكتاب مفعول به والجملة الفعلية خبر أن ، أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب (بالحق) الجار والمجرور متعلقان بنزل أو بمحذوف حال (وإن الذين) الواو عاطفة أو حالية وإن واسمها (اختلفوا) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (في الكتاب) الجار والمجرور متعلقان باختلفوا (لفي شقاق) اللام هي المزحلقة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن (بعيد) صفة .

البلاغـة :

١ ــ الاستعارة التصريحية في اشتراء الضلالة بالهدى ، وقد تقدمت الآية بحروفها .

٢ ــ المجاز المرسل في أكل النار ، والعلاقة هي السببية ، فقد جعل ما هو سبب للنار ناراً .

٣ ــ التعريض : في عدم تكليم الله إياهم بحرمانهم حال أهل الجنة وتزكيتهم بكلامه تعالى . والتعريض ضرب من الكناية ، لأن

الكناية إذا كانت عرضية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض • ومن طريف هذا الفن قول أبي الطيب المتنبي وهو يرمق سماء القرآن العالية :

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله

فإني أغني منذ حين وتشرب

يخاطب كافوراً الاخشيدي فيقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك •

٤ ــ المقابلةفي المطابقة بين الضلالة والهدىوبين العذاب والمغفرة•

والمقابلة فن دقيق المسلك لا يسلكه إلا خبير بأساليب الكلام ، وإلا كان تكلفاً ممقوتاً • وقد بلغ أبو الطيب فيه الغاية بقوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي

وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقد طابق بين أزور وأنثني وبين سواد وبياض وبين الليل والصبح وبين يشفع ويغري وبين لي وبي • ومنه قول ابن زيدون :

سران في خاطر الظلماء يكتمنا

حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

﴿ * لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ
وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

اللغـة :

(ابن السبيل) : المسافر وإنما قيل له : ابن السبيل لملازمته الطريق ، كما يقال لطير الماء ابن الماء لملازمته إياه ، وللرجل الذي أتت عليه الدهور ابن الأيام والليالي .

الاعراب :

(ليس) فعل ماض جامد ناقص ، وإنما جمّدت لأن لفظها لفظ المضيّ ، ومعناها نفي الحال ، فلم يتكالف لها بناء آخر ، فاستعملت على لفظ واحد،ولأنها خالفت بقية الافعال في أنها وضعت سالبة للمعنى. والافعال ليس من أصلها أن توضع لسلب المعنى ، وإنما توضع لإيجابه ، فتنزّلت منزلة الحرف فجمدت ولم تتصرّف . والدليل على أنها فعل اتصال الضمائر المرفوعة بها كاتصالها ببقية الافعال . وأصلها في الوزن لَيِسَ على وزن فعل بكسر العين ، ولولا إلزام ياء ليس السكون حتى صارت في حكم ياء ليت لوجب في حكم التصريف قلبها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فيكون اللفظ بها

يصير « لاس » كما تقول هاب في الماضي من لفظ الهيبة (البر) خبر ليس المقدم (أن تولّوا) أن حرف مصدري ونصب ، وتولوا فعل مضارع منصوب بأن والمصدر المنسبك من أن ومافي حيّزها اسم ليس المؤخر ، وقرىء برفع البر على أنه اسم ليس وان تولوا خبرها (وجوهكم) مفعول به (قبل) ظرف مكان متعلق بتولوا (المشرق) مضاف اليه (والمغرب) عطف على المشرق (ولكن) الواو حرف عطف ولكن حرف مشبه بالفعل (البر) اسمها (من آمن) من اسم موصول خبر لكن ، ولا بد من تأويل حذف المضاف ، أي بر من آمن ، ويمكن أن يقال : لا حذف وإنما جعل البر نفس من آمن للمبالغة ، وجملة آمن صلة لامحل لها (بالله) الجار والمجرور متعلقان بآمن (واليوم) عطف على الله (الآخر) صفة (والملائكة والكتاب والنبيين) عطف أيضاً على الله (وآتى) فعل ماض معطوف على آمن داخل في حيّز الصلة وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (المال) مفعول به (على حبه) الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ، والمصدر مضاف الى مفعوله ، أي مع حبه (ذوي القربى) مفعول آتى وعلامة نصبه الياء لأنه جمع ذي بمعنى صاحب . والقربى مضاف إليه ، (واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين) كلها معطوفة على ذوي (وفي الرقاب) الجار والمجرور معطوف أيضاً . أي وآتى المال في فكّها من الأسر أو إعتاقها (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) عطف على آتى المال (والموفون) عطف على « من آمن » ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف لبعده ، أي هم الموفون (بعهدهم) الجار والمجرور متعلقان بالموفون لأنه جمع موفي وهو اسم فاعل من أوفى (إذا) ظرف متعلق بالموفون (عاهدوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية في محل جر بالاضافة لوقوعها بعد الظرف (والصابرين) كان سياق الكلام أن يكون منسوقاً على ما تقدم ، ولكنه قطعه عن العطف ونصبه على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح

إشعاراً بفضل الصبر وتنويهاً بذلك الفضل (في البأساء والضراء) الجار والمجرور متعلقان بالصابرين وهما مصدران جاءا على وزن فعلاء وليس لهما أفعل ، أو هما اسمان للمصدر بمعنى البؤس والضرّ ، يقعان على المذكر والمؤنث ، ومثلهما أشأم من قول زهير بن أبي سلمى يصف الحرب :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم   كأحمر عـاد ثم ترضع فتفطم

يعني : فتنتج لكم غلمان شؤم (وحين البأس) ظرف زمان متعلق بالصابرين والبأس مضاف إليـه ، وهـو شدة القتال في سبيـل الله (أولئك) اسم إشارة مبتدأ (الذين) اسم موصول خبر (صدقوا) الجملة من الفعل والفاعل لا محل لها لأنها صلة الموصول (وأولئك) الواو استئنافية أو عاطفة وأولئك مبتدأ (هم) ضمير فصل أو عماد لا محل له أو مبتدأ ثان (المتقون) خبر أولئك ، أو هم ، والجملة الاسمية خبر أولئك .

البلاغـة :

في هذه الآية فنون شتى من البلاغة منها :

١ ـ فنّ الايجاز بحذف المضاف في قوله :

ولكن البر من آمن ، أو فن المبالغة إذا جعلناه نفس البر .

٢ ـ المجاز المرسل في قوله :

« وفي الرقاب » والعلاقة الجزئية بذكر الجزء وإرادة الكل .

٣ ـ قطع التابـع عن المتبوع وضابطـه أنه إذا ذكرت صفات

المدح أو الذم خولف في الإعراب تفنناً في الكلام واجتلاباً للاتنباه بأن ما وصف به الموصوف أو ما أسند إليــه من صفات جدير بأن يستوجب الاهتمام ، لأن تغيير المألوف المعتاد يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه . والآية مثال لقطع التابع عن المتبوع في حال المدح ، وأما مثاله في حال الذم فهو قوله تعالى في سورة تبت (وامرأته حمالة الحطب) فقد نصب حمالة على الذم وهي في الحقيقة وصف لامرأته وسيأتي .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

اللغــة :

(كُتب) : فرض ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

كُتبَ القتلُ والقِتالُ علينا وعلى الغانياتِ جرُّ الذّيولِ

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (كتب) فعل ماض مبني

للمجهول (عليكم) الجار والمجرور متعلقـان بكتب (القصاص) نائب فاعل (في القتلى) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال . ولك أن تعلقهما بالقصاص . وجملة النداء وما تلاه مستأنفة مسوقة لبيان حكـم القصاص في عرف الشرع (الحر) مبتدأ (بالحر) متعلقان بمحذوف خبر (والعبد بالعبد) عطف على ما تقدم والجملة الاسمية لا محل لها لأنها مفسرة (والانثى بالانثى) عطف أيضاً (فمن) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن بعض التفاصيل التي تخطر على البال ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (عفي) فعـل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط (له) الجار والمجرور متعلقان بعفي (من أخيه) الجار والمجرور متعلقان بمحـذوف حال أي حالة كونه من دم أخيه (شيء) نائب فاعل عفي (فاتباع) الفاء رابطـة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ، واتباع مبتدأ خبره محذوف مقدم عليه ، أي فعليه اتباع . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (بالمعروف) الجار والمجرور متعلقان باتباع (وأداء) عطف على اتباع (إليه) متعلقان بأداء (بإحسان) متعلقان بمحذوف حال (ذلك) اسم الاشارة مبتدأ (تخفيف) خبر (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة والجملة مستأنفة (ورحمة) عطف على تخفيف (فمن) الفاء الفصيحة ومن شرطية مبتدأ (اعتدى) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (بعد ذلك) الظرف متعلق باعتدى (فله) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (أليم) صفة لعذاب ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محـل رفـع خبر من (ولكم) الواو استئنافية وما بعدها جملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في مشروعية القصاص ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (في القصاص) الجار والمجرور

متعلقان بمحذوف حال (حياة) مبتدأ مؤخر (يا) حرف نداء (أولي الألباب) منادى مضاف منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والألباب مضاف إليه (لعلكم) لعل واسمها (تتقون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة في محل رفع خبر لعل وجملة الرجاء حال .

البلاغـة :

في آية القصاص سموّ بياني منقطع النظير لأنها تنطوي عـلى فنون عديدة ندرجها فيما يلي :

١ ـ الايجاز : فقد كان العرب يتباهون بقولهم : « القتل أنفى للقتل » فجاءت آية القرآن وهي « في القصاص حياة » أكثر إيجازاً وأرشق تعبيراً لأنها أربع كلمات وهي « في ، ال ، قصاص ، حياة » وقول العرب ست وهي « ال ، قتل ، أنفى ، وضميره لأنه اسم مشتق ، اللام ، قتل » ولأن حروفها الملفوظة الثابتة وقفاً ووصلاً أحد عشر حرفاً وحروف قول العرب أربعة عشر حرفاً .

٢ ـ المجاز المرسل في قوله : « في القصاص حياة » فقد جعل ما هو تفويت للحياة وذهاب بها ظرفاً لها إذ القصاص مزجرة قوية عن إقدام الناس على القتل ، فارتفع بسببه القتـل عن الناس ، وارتفاع سبب الموت ديمومة للحياة السابقة .

٣ ـ تعريف القصاص وتنكير الحياة ، أي انه كان لكم في هذا الجنس من القصاص حياة عظيمة لا تدركون كنهها ، لأن القاتل يرتدع عن القتل فتصان بذلك حياة الابرياء ، ويزدجر البغاة ، ومن ركزت في نفوسهم طبيعة الاجرام .

٤ ـ تعجيل الترغيب والتشويق بذكر الحياة وبها يتنسم السامع رائحة الحياة وطيبها وحلاوتها لأنها أتت نتيجة حتمية للقصاص بعكس كلمة العرب التي تبتدىء بذكر الموت وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المعنى ببيته الخالد :

إلفُ هذا الهواء أوقع في الأنـــفس أنّ الحمـــام مرّ المذاق

٥ ـ الطباق بين الحياة والموت للمفارقة بين الضّدّين ولا يظهر حسن الضدّ إلا الضد على حد قول صاحب اليتيمة متغزلاً :

فالوجه مثل الصّبح مبيضّ والفرع مثـــل الليـــل مسودّ

ضدّان لمـــا استجمعا حَسُنا والضّدّ يظهر حسنه الضدّ

وقد جاء القصاص في الآية ، وهو في الاصل تعبير عن الموت محلاً لضده وهو الحياة •

٦ ـ التنكير في الحياة يدل على أن في هذا الجنس البشري نوعاً من الحياة يتميّز عن غيره ولا يستطيع الوصف أن يبلغه ، لأنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد فتهيج الفتنة وتستشري بينهم ، ففي شرع القصاص سلامة ومنجاة من هذا كله •

٧ ـ التعميم الذي يتجاوز التخصيص ، فليس القتل وحـــده سبب القصاص ولكن ينتظم فيه جميـــع الجروح والشّجاج ، لأن الجارح إذا علم أنه إذا جَرَحَ جُرِحَ صار ذلك سبباً لبقاء الجارح والمجروح ، وربما أفضت الجراحة الى الموت ، فيقتصّ من الجارح •

٨ ــ ليس في قول العرب كلمة يجتمع فيها حرفان متحركان إلا في موضع واحد ، بل كلها أسباب خفيفة أكثرها متوالية ، وذلك ينقص من سلامة الكلمة وجريانها على اللسان ، بخلاف آية القرآن

٩ ــ المقصود الاصلي الذي هو الحياة مصرّح به في الآية ، ومدلول" عليه بالالتزام في كلمة العرب .

١٠ ــ الاطراد في الآية دون قولهم إذ يوجد قتل لا ينفي القتل بل يكون أدعى له ، كالقتل ظلماً . وإنما يطرد اذا كان على وجه القصاص وهو مشتق من اطرد الماء وهو جريه من غير توقف .

١١ ــ خلو الآية مما يكره من لفظ القتل وما يجسده من سيل الدماء وتمزّق الاشلاء .

١٢ ــ خلوّ الآية من التكرار مع التقارب واتحاد المعنى والتئامه.

١٣ ــ خلوّ الآية من تكرار قلقلة القاف .

١٤ ــ شمول الآية لحكم الجرح في الأطراف .

١٥ ــ المبالغة في القصاص ظرف للحياة ، ففيه جعل نقيض الشيء منبعاً له ، فكأنه يحيط به تفادياً لفواته .

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ

مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

اللغــة :

(الجنف) بفتحتين : مصدر جنف كفرح أي مال عن الحقّ وانحرف به .

الاعراب :

(كتب): فعل ماض مبني للمجهول (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بكتب والجملة مستأنفة لا محل لها (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف أي فليوص (حضر) فعل ماض مبني على الفتح (أحدكم) مفعول به مقدم (الموت) فاعل مؤخر والجملة الفعلية في محل جر بالاضافة (إن) حرف شرط جازم يجزم فعلين (ترك) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقــديره هو (خــيراً) مفعول به أي مالاً ، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب اذا المحذوف أي فليوص (الوصية) نائب فاعل لكتب وجاز تذكير الفعــل لأن الوصية مؤنث مجازي ولوجود الفاصل بينهما (للوالدين) جار ومجرور متعلقان بالوصية(والأقربين) عطف على قوله للوالدين (بالمعروف) أي بالعدل والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي عادلاً غير جائر فلا يوصي للغني ويدع الفقير (حقاً) مصدر مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة قبله ، وهي كتب عليكم الوصية . وقيل : هو مصدر مبين للنوع بدليل قوله

(على المتقين) الجار والمجرور متعلقان بحقاً والمصدر المؤكد لا يعمل ولا يزيد على ما قبله معنى (فمن) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر حكم يتعلق بالأوصياء والشهود ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (بدله) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (بعد ما سمعه) بعد ظرف زمان ، وما مصدرية منسبكة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف إليه أي بعد سماعه إياه وتحققه منه ، والضمير يعود على الحكم (فإنما) الفاء رابطة لجواب الشرط وانما كافة ومكفوفة (إثمه) مبتدأ (على الذين يبدلونه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة يبدلونه لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (إن الله) ان واسمها (سميع عليم) خبران لإن ، والجملة مستأنفة مسوقة لوعيد المبدّل (فمن) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لوعيد المنحرف عن الحق ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (خاف) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله هو يعود على من ، ومعنى الخوف هنا التوقع ، كقولك : أخاف أن ترسل السماء مطرها ، تريد التوقع والظن الذي يقوم مقام العلم (من موص) الجار والمجرور متعلقان بقوله : جنفاً لأنه مصدر (جنفاً) مفعول به (أو) حرف عطف (إثماً) عطف على قوله جنفاً (فأصلح) الفاء حرف عطف وأصلح فعل ماضٍ معطوف على خاف ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (بينهم) ظرف مكان متعلق بأصلح أي بين الموصي والموصى إليهم (فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس (إثم) اسم لا المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ، والجملة المرتبطة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (إن الله غفور رحيم) ان واسمها وخبراها ، والجملة تعليل لرفع الإثم لا محل لها .

البلاغــة :

١ ــ إقامة الظاهر مقام المضمر لزيادة الاهتمام بشأنه ، ولو جرى على نسق الكلام السابق لقال : فإنما إثمه عليه وعلى من يبدله . وذلك للتشهير والمناداة بفضائح المبدلين .

٢ ــ المجاز المرسل في قوله : خاف . فقد جاءت بمعنى الظن والتوقع،والعلاقة في هذا المجاز السببية،لأنه تعبير عن السبب بالمسبب.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

اللغـة :

(الصيام) في اللغـة الإمساك عن الطعـام والشراب والكلام والنكاح والسير ، وله مصدران : صَوْم وصِيَام ، وصامت الريح : ركدت ، وصامت الشمس : كبدت أي كانت في كبد السماء ، وصامت الدّابّة : أمسكت عن الجري ، قال النابغة الذبياني :

خيلٌ صيام وخيل غـير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أي ممسكة عن الجري ثم خصّصه الاسلام بالمعنى المعروف له .

(رمضان) : في الأصل مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء ، فأضيف إليه وجعـل علماً ومنـع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون ، والمناسبة بين معناه وعبادة الصائم واضحة والعرب يضيفون لفظ شهر الى كل من أسماء الشهر المبتدئة براء كربيع ورمضان ولم يستثن من ذلك سوى رجب فلا يضيفون اليه لفظ شهر وقد نظم بعضهم ذلك فقال :

ولا تضف شهراً الى اسم شهر إلاّ لما أوّلـه الرّا فادر
واستثن منـه رجبا فيمتنـع لأنـه فيما رووه قـد سمـع

والمسألة على كل حال خلافية فعليك بالأحوط .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (كتب) فعل ماض مبني على الفتح وهو مبني للمجهول أي فرض (عليكم) الجار والمجرور

متعلقان بكتب (الصيام) نائب فاعل كتب (كما كتب) تقدم إعرابها ، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أو حال كما اختاره سيبويه (على الذين) الجار والمجرور متعلقان بكتب (من قبلكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول وجملة النداء وما تلاها مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية الصيام (لعلكم تتقون) جملة الرجاء حالية وجملة تتقون خبر لعل (أياماً) ظرف متعلق بالصيام في الظاهر ولكن فيه فصلا بين المصدر وصلته ، وقد منع النحاة ذلك ، ولهذا نرجح نصبه بفعل محذوف يدل عليه ما قبله والتقدير صوموا أياماً (معدودات) صفة للأيام وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ، والتنوين يفيد القلة تسهيلاً على المكلفين (فمن) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ (كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر تقديره هو (منكم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (مريضاً) خبر كان (أو) حرف عطف (على سفر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف معطوف على « مريضاً » والاستعلاء جميل هنا أي مستعلياً على السفر ملياً به ، فهو حال أيضاً (فعدة) الفاء رابطة لجواب الشرط وعدة مبتدأ خبره محذوف أي فعليه عدة ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره فالحكم عدة ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (من أيام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لعدة (أخر) صفة لايام وعلامة جره الفتحة لانه ممنوع من الصرف ، وسيأتي حكمه في باب الفوائد (وعلى الذين) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (يطيقونه) فعل مضارع والواو فاعل والهاء مفعول به والجملة لا محل لها لانها صلة الموصول أي يتكلفونه بجهد ومشقة (فدية) مبتدأ مؤخر (طعام مسكين) بدل مطابق من فدية ومسكين مضاف اليه (فمن)

الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (تطوع) فعل ماض وهو فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو (خيراً) منصوب بنزع الخافض أي بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ، ولك أن تعربه صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق نابت عنه صفته أي تطوعاً خيراً (فهو) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ، وهو مبتدأ (خير) خبر (له) الجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل ورد على غير القياس ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محـل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (وأن تصوموا) الواو استئنافية مسوقة لتقرير الافضلية ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ (خير) خبره (لكم) الجار والمجرور متعلقان بخير(ان)شرطية (كنتم)فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها (تعلمون) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم ، وجواب الشرط محذوف ، وقد تقدمت نماذج له ، والجملة الشرطية تفسيرية للخبرية كأنه قال : شرع لكم هذه الاحكام جميعها إيثاراً لخيركـم ، فإن شئتم الخـير فافعلوها ولا تخلوا بها (شهـر رمضان) خبر لمبتدأ محذوف ورمضان مضاف اليه (الذي) صفة لشهر (أنزل فيه القرآن) الجملة الفعلية لامحل لها لانها صلة الموصول ، والقرآن نائب فاعل (هدى) حال أي هادياً (للناس) الجار والمجرور متعلقان بهدى أوصفة لهدى (وبينات) عطف على هدى فهو حال أيضا (من الهدى) صفة لبينات (والفرقان) عطف على الهدى ، أي الفارق بين الحق والباطل (فمن) الفاء الفصيحة أي اذا شئتم معرفة حكـم التشريع فيه ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ (شهد) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر يعود على من (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حـال (الشهر) منصوب على الظرفية ولايكون مفعولا به لانه المقيم والمسافر كلاهما شاهد للشهر (فليصمه) الفاء رابطة لجواب الشرط لان الجملة طلبية واللام لام الامر ويصم فعل

مضارع مجزوم باللام والهاء ضمير الظرف ولا ينصب على الظرفية ولا يجوز أن يكون مفعولا به فهو منصوب بنزع الخافض أي فليصم فيه والجملة الطلبية في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن) الواو عاطفة من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر تقديره هو (مريضا) خبر كان (أوعلى سفر) عطف على « مريضا » وقد تقدم القول به فجدد به عهداً (فعدة) الفاء رابطة لجواب الشرط وعدة مبتدأ خبره محذوف أي فعليه عدة، والجملة في محل جزم جواب الشرط (من أيام) متعلقان بمحذوف صفة لعدة (أخر) صفة لايام مجرور بالفتح لانه ممنوع من الصرف وسيأتي حكمه (يريد الله) فعل مضارع وفاعله والجملة لامحل لها لانها تعليل كما سيأتي فيباب البلاغة (بكم) الجار والمجرور متعلقان بيريد (اليسر) مفعول به (ولا يريد بكم العسر) الجملة عطف على سابقتها (ولتكملوا) الواو عاطفة واللام لام التعليل ، تكلموا فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعدها واللام ومجرورها متعلقان بفعل محذوف أي شرع (العدة) مفعول به (ولتكبروا) عطف على قوله لتكملوا (الله) نصب لفظ الجلالة على نزع الخافض أي لله ولك أن تعربه مفعولا به على تضمين تكبروا معنى تحمدوا والدليل عليه قوله (على ما هداكم) فالتعدي بالاستعلاء لا يكون إلا للحمد وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بعلى ، والجار والمجرور متعلقان بتكبروا أي على هدايته إياكم (ولعلكم) عطف على ما تقدم ولعل واسمها (تشكرون) الجملة خبر لعل .

البلاغة :

اللف والنشر ، في قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر » الخ ..

وهو يبدو هنا كأخذة السحر لا يملك معه البليغ أن يأخذ أو يدع وقلّ من ينتبه له ، فقوله : « لتكملوا العدة » علة للأمر بمراعاة العـدة ، وقوله:«ولتكبروا الله» علة للأمر بالقضاء ، وقوله:«ولعلكم تشكرون» علة للترخيص والتيسير ، وقد تقدم القول فيه ، ونزيده بسطاً فنقول : انه ضربان : أولهما أن يكون النشر على ترتيب اللـف ، وثانيهما أن يكون على غـير ترتيب اللف ، ويعتمد فيه على ذكاء السامع وذوقه ، وسيأتي منه ما يخلب العقول .

الفوائـد :

(أخر) تكون على نوعين :

ـ جمع أخرى تأنيث آخر وهي اسم تفضيل لاينصرف لعلتين هما الوصفية والعدل ، ومعنى العدل أنه عدل عن الالف واللام ، وذلك أنها اسم تفضيل ولاسم التفضيل ثلاث حالات :

آ ـ مقترن بأل .

ب ـ مقترن بمن الجارة .

ج ـ مضاف .

ولما كانت أخر لم تقترن بشيء وليست مضافة قدر عدلها عن الالف واللام .

ـ جمع أخرى بمعنى آخرة وهي منصرفة لفقدان علة العدل .

مناقشة لا بد منها :

اختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه » الخ اختلافاً شديداً لا يتسع المجال للاسهاب فيه ، فنقتبس ما قالوه بطريق الإلماع ، ثم ندلي بما عنّ لنا والله الملهم الى السّداد .

القول بالنسخ :

فمنهم من قال : ان الحكم فيها منسوخ بالآية بعدها « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » والرخصة فيها للمريض والمسافر ، وهو ما اختاره الامام الطّبري في تفسيره الكبير ، ونقله الزمخشري في كشافه وأبو حيان في البحر ، مع التصريح بأن هذا قول أكثر المفسرين ، على أن الامام الطّبري نقل كذلك قول من قالوا ، لم ينسخ ذلك وهو حكم مثبت من لدن نزلت هذه الاية الى قيام الساعة .

رأي ابن كثير :

واحترز ابن كثير فقال بعد تلخيص أقوال المفسرين قبله : فحاصل الامر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بايجاب الصيام عليه ، وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لايستطيع الصيام فله أن يفطر ولاقضاء عليه لأنه ليست له حال يصير اليها ويتمكن من القضاء .

الزمخشري متردّد :

وتردد الزمخشري بين القول بالنسخ وبين أن يكون تأويل الاية على تقدير : « ومن يتكلفونه على جهد منهم وعسر ، وهم الشيوخ

والعجائز ، وحكم هؤلاء الافطار والفدية » وهو على هذا الوجه غير مسوخ •

ومشكلة زيادة لا :

على أن القائلين بعدم النسخ ذهبوا في تأويل الآية مذاهب شتى ، فمنهم من صرح بأنها على تقدير حذف « لا » النافية ، وهي مرادة ، ونقلوا عن ابن عباس قوله : « لارخصة الاللذي لايطيق الصوم » ، وعن عطاء : « هو الكبير الذي لا يستطيع بجهد ولا بشيء من الجهد ، وأما من استطاع بجهد فليصم ولا عذر له في تركه » ، وقال ابو حيان في البحر : « وجوز بعضهم أن تكون « لا » محذوفة فيكون الفعل منفياً وتقديره : « وعلى الذين لا يطيقونه » حذف « لا » وهي مرادة •

أبو حيان يخطّىء القائلين بالحذف :

واستطرد أبو حيان معقباً فقال : « وتقدير « لا » خطأ . لانه مكان اليأس ، وعلى ذلك درج الجلال » •

الفقهاء لا يختلفون في جواز الفطر للشيخ والمريض :

ولا نعلم خلافاً بين الفقهاء في جواز الفطر والفدية للشيخ الهرم والمريض الذي لايرجى برؤه ، لكنهم اختلفوا في المرضع والحامل قياسا على الشيخ الهرم فالإمام الشافعي قال بالفدية قياساً على الشيخ الهرم ، وأوجب عليهما القضاء مع الفدية أما الامام أبو حنيفةفأوجب على الحامل والمرضع ـ اذا خافتا على الوليد ـ القضاء لاالفدية ، وأبطل القياس على الشيخ الهرم لانه لايجب عليه القضاء •

نستبعد حذف لا :

على أننا نستبعد أن تكون لا محذوفة هنا وهي مرادة ، فالآية من آيات التشريع والأحكام ، والفعل فيها مثبت ، وتأويلها على تقدير «لا» محذوفة ينقض الاثبات بالنفي ولو كانت الفدية على من لايطيقونه لأخذ حرف النفي مكانه في نص الحكم الشرعي ، ولم يدع لنا مجالاً للاختلاف على تأويله بين النقيضين من اثبات ونفي أما الطاقة فهي في العربية أقصى الجهد ونهاية الاحتمال واستعمال القرآن الطاقة اسماً وفعلاً يؤذن بأنها مما يستنفد الجهد وطاقة الاحتمال ، كما تشهد بذلك آياتها الثلاث ، وكلها من سورة البقرة .

١ ــ « قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » .

٢ ــ « ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به » .

٣ ــ « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

فندرك أن الامر في احتمال الصوم اذا جاوز الطاقة ، وخرج الى ما لا يطاق سقط التكليف لانه لاتكليف شرعاً بمالايطاق ، والله سبحانه لا يكلف نفساً الا وسعها .

٣ ــ قد يشرب العرب لفظاً معنى لفظ ، فيعطى حكمه ويسمى ذلك تضميناً ، كما ضمن « لتكبدوا » معنى « تحمدوا » ومنه قول الفرزدق :

كيف تراني قالباً مجني ؟ قد قتل الله زياداً عنّي

فضمن «قتل» معنى «صرف» « الصرف » وذلك كثير في كلامهم.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) ﴾

اللغــة :

(الرفث) بفتحتين : كلام يقع وقت الجماع بين الرجال والنساء ، يستقبح ذكره في وقت آخر ، وأطلق على الجماع للزومه له غالباً ، وفي المصباح : « رفث في منطقه رفثاً من باب طلب ، ويرفث بالكسر لغة . والرفث : النكاح لقوله تعالى : أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » . وفي الاساس واللسان : وقيل : الرفث بالفرج الجماع، وباللسان المواعدة للجماع ، وبالعين الغمز للجماع . والاصل في تعدية الرفث بالباء ، وانما جاءت تعدية في الآية بإلى لتضمينه معنى الافضاء .

(تختانون أنفسكم) : تخونون أنفسكم وتنقصونها حظها من الخير ، واشتقاق الاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب وفيه زيادة وشدّة .

الاعراب :

(وإذا) الواو استئنافية والجملة استئنافية مسوقة لبيان أنه سبحانه يجيب كل من دعاه (سألك) فعل ماض والكاف مفعوله (عبادي) فاعل والجملة في محل جر بالاضافة (عني) الجار والمجرور متعلقان بسألك (فإني) الفاء رابطة لجواب وان واسمها (قريب) خبرها والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أجيب) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا والجملة الفعلية خبر ثان (دعوة) مفعول به (الداع) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة ، وقد جرت عادة القراء على إسقاط الياء من الداع ودعاني لأنها لم تثبت لها صورة عندهم في المصحف ، فمن القراء من أسقطها تبعاً للرسم وقفاً ووصلاً ، ومنهم من أثبتها في الحرين ومنهم من أثبتها وصلاً وحذفها وقفاً (إذا) الظرف متعلق بأجيب (دعانِ) الجملة في محل جر بالاضافة (فليستجيبوا) الفاء الفصيحة واللام لام الأمر ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر أي فليطلبوا إجابتي لأن السين والتاء في استفعل للطلب ، والمعنى فليستجيبوا إلي بالطاعة ، يقال منه : استجبت له واستجبته بمعنى أجبته قال :

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى

فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(لي) الجار والمجرور متعلقــان بيستجيبوا (وليؤمنوا بي) عطف عــلى قوله فليستجيبوا لي (لعلهم يرشدون) لعلّ واسمها ، وجملة الرجاء حالية (أحل) فعل ماض مبني للمجهول (لكم) الجار والمجرور متعلقان بأحل (ليلة الصيام) الظرف ظاهر الكلام أنه متعلق بأحل ، وقد أعربه الكثيرون كذلك ، وفيه أن الإحلال ثابت قبل ذلك الوقت ، فالأولى تقديره بمحذوف مدلول عليه بلفظ الرفث ، أي أن ترفثوا ، ولم نعلقه بالرفث لأن فيه تقديم معمول الصلة المفهومة من ال على الموصول (الرفث) نائب فاعل لأحــل (إلى نسائكم) الجار والمجرور متعلقان بالرفث وجملة أحل وما تلاها مستأنفة مسوقة لإزالة اللبس . وإيضاح ذلك أنه كان في مستهل الأمر إذا أفطر الرجل حلّ له الطعام والشراب والجماع الى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقــد قبلها . فإذا صلاها أو رقد حرم عليه ذلك الى الليلة القابلة . ثم إن عمر بن الخطاب واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة ، فلما اغتسل أخــذ يبكي ويلوم نفسه ، فأتى النبي صــلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله إني أعتذر الى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة ، وأخبره بما فعل ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما كنت جديراً بذلك يا عمر . فنزلت (هن) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (لباس) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لباس والجملة مفسرة لا محل لها لبيان سبب الإحــلال (وأنتم لباس لهن) عطف عــلى سابقتها (علم الله) الجملة تعليل لسبب نزول الآية (أنكم) أن واسمها (كنتم) فعل ماض ناقص والتاء اسمها (تختانون أنفسكم) الجملة الفعلية خبر كنتم . وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علم (وعفا عنكم) عطف على جملة علم الله (فالآن) عطف على محذوف مقدر أي فتبتم فتاب عليكم والآن ظرف زمان متعلق بباشروهنّ (باشروهن) فعــل أمر وفاعــل ومفعول به (وابتغوا) عطف على باشروهن (ما) اسم موصول في محل نصب

مفعول به (كتب الله لكم) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (وكلوا واشربوا) الواو استئنافية مسوقة لتعميم الحكم ، نزلت في صرمة بن قيس ، وذلك أنه كان يعمل في أرض له وهو صائم ، فلما أمسى رجع الى أهله فقال : هل عندك من طعام ؟ فقالت : لا ، وأخذت تصنع له طعاماً ، فأخذه النوم من التعب ، فكره أن يأكل خوفاً من الله ، فأصبح صائماً مجهوداً في عمله مكدوداً ، فلم يكد ينتصف النهار حتى غشي عليه ، فلما أفاق أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع ، فنزلت الآية (حتى) حرف غاية وجر (يتبين) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والمصدر المنسبك من أن والفعل متعلقان بكلوا (لكم) الجار والمجرور متعلقان بيتبين (الخيط) فاعل (الأبيض) صفة ، وهو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود (من الخيط) الجار والمجرور متعلقان بيتبين ، وجاز تعليق الحرفين بفعل واحد وإن اتحد لفظاهما لاختلاف معنييهما (الأسود) صفة (من الفجر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي حال كون الأبيض هو الفجر . روى البخاري ومسلم عن عدي ابن حاتم قال : لما نزلت عمدت الى عقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي ، وجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار . وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب البلاغة .

(ثم أتموا) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وأتموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الصيام) مفعول به (إلى الليل) الجار والمجرور متعلقان بأتموا (ولا تباشروهن) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتباشروهن فعل مضارع مجزوم بلا (وأنتم) الواو للحال ، وأنتم مبتدأ (عاكفون) خبر (في المساجد) جار ومجرور متعلقان

بعاكفون والجملة الاسمية حالية (تلك) اسم إشارة مبتدأ (حدود الله) خبر ومضاف إليه وجملة تلك استئنافية (فلا تقربوها) الفاء الفصيحة ، ولا ناهية ، وتقربوها فعل مضارع مجزوم بلا ، أي إذا شئتم السلامة بأنفسكم فانتهوا ولا تقربوها ، فقد كان بعضهم يخرج وهو معتكف ويجامع امرأته ويعود والجملة استئنافية (كذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال (يبين الله) فعل مضارع وفاعله (آياته) مفعول به والجملة استئنافية (للناس) الجار والمجرور متعلقان بيبين (لعلهم يتقون) لعل واسمها ، وجملة يتقون خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

١ ـ الكناية في قوله : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » لأن اللباس ما يكون بجسم الإنسان ، والرجل والمرأة إذ يشتمل كل واحد منهما على الآخر ويعتنقان يشبهان اللباس المشتمل عليهما . قال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها   تثنت عليه فكانت لباسا

نماذج من الكناية :

وقد تقدم ذكر الكناية ونزيد هنا الموضوع بسطاً فنقول : إن الغرض من الكناية تنزيه اللسان عما لا يليق ذكره ، والكناية عنه بأرشق لفظ ، ولكل كناية غرض ، والأغراض لا عداد لها ، ولهذا كان غور الكناية لا يسبر فمن أمتعها قول الشريف الرضيّ :

برد السوّار لها فأحميت القلائد بالعناق

أي أنه لما برد سوارها ، آخر الليـل ، علمت أن نسمة الفجر طلعت ، فأحميت قلائدها بالعناق كي تصير القلائد مكذبة لما أشار إليه السوار من طلوع الفجر المؤذن بالفراق ، فعدل عن التصريح بذلك الى برد السوار لينقل الذهن الى هبوب نسمة الفجر المؤذنة بالفراق والداعية له ، وقد اشتهرت الكنايـة في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام تصوّناً منه وترفعاً ، فمما جـاء من هـذا الديباج قوله : « إن امرأة كانت فيمن كان قبلنا ، وكان لها ابن عمّ يحبها فراودها عن نفسها ، فامتنعت عليه ، حتى إذا أصابتها شدة فجاءت إليه تسأله فراودها ، فمكنته من نفسها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له : لا يحلّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وتركها » وهذه كناية واقعة موقعها . ومن ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رويدك سوقك بالقوارير » يريد بذلك النساء فكنّى عنهن بالقوارير ، وذلك أنه كان في بعض أسفاره ، وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير .

ومن الكناية أيضاً في هـذه الآية قوله : « فالآن باشروهن » والمباشرة في قول الجمهور الجماع ، وقيل الجماع فما دونه . وهو مشتقّ من تلاصق البشرتين ، فيدخل فيه المعانقة والملامسة .

٢ ــ التشبيه البليغ فقد شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق بالخيط الأبيض الممدود ، وما يمتدّ من غبش الليل بالخيط الاسود الممدود ، وهو تشبيه مألوف كثيراً . ولو لم يذكر من الفجر لكان استعارة تصريحية ، ولكن ذكر المشبّه أعاده الى التشبيه البليغ المحذوف الأداة .

٣ ـ الطباق لأنه طابق بين الابيض والاسود ، أما ذكر بقية الألوان فيسمى تدبيجاً كقول أبي تمام :

تردّى ثياب الموت حمراً فما دجا
لها الليل إلا وهي من سندس خضرُ

الفوائد :

« حتّى » في الكلام على ثلاثة أنواع :

١ ـ تكون لانتهاء الغاية ، فتجر الاسماء على معنى ، كقوله تعالى: سلام هي حتى مطلع الفجر » وتنصب الافعال بأن مضمرة بعدها كالآية .

٢ ـ وتكون عاطفة .

٣ ـ وتكون حرف ابتداء يبتدأ بها الكلام كقول المتنبي :

هو الجد حتى تفضل العين أختها
وحتى يكون اليوم لليوم سيد

فرفع الفعلين بعدها لأنها ابتدائية . وسيأتي مزيد من أبحاث (حتى) التي لا تنتهي ، فقد كان الفراء يقول عند احتضاره : أموت وفي قلبي شيء من حتى .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

اللغـة :

(تدلوا بها) تلقوا بها ، وأدلى الدلو أرسلها في البئر ، وسقى أرضه بالدّالية وبالدوّالي وهي النواعـير ، ودلّى شيئاً في مهواة وتدلّى هو بنفسه ودلّى برجليه من السرير ودلاّه بحبل من سطح أو جبل . قال الفرزدق :

همـا دلّتاني من ثمانـين قامـةً
كما انقضّ بازٌ أقتمُ الرّيش كاسره

والدوالي : عنب أسود غير حالك ، ولا أدري علام استند صاحب المنجد في زعمه : إنها مولّدة . هذا وقد تقصيت كل ما فاؤه دال وعينه لام فاذا به يفيد معنى التّدلّي والانملاس ، ومنه الدلج وهو السّرى بالليل ، ولا يخفى ما فيـه من الانملاس ، ودلف الشيخ مشى فوق الدّبيب كأنه يتدلى من مكانٍ عالٍ . وهذا من العجب بمكان .

الاعراب :

(ولا تأكلوا) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حكم آخر يتعلق بالأموال وطرق اكتسابها ، ولا ناهية ، وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (أموالكم) مفعول به (بينكم) ظرف متعلق بمحـذوف حال من أموالكم ، أي لا تأكلوها كائنة بينكـم

(بالباطل) الجار والمجرور متعلقان بتأكلوا أي لا تتناولوها بسبب باطل (وتدلوا) الواو عاطفة ، وتدلوا فعل مضارع معطوف على تأكلوا داخل في حيز النهي ، ولك أن تجعلهـا للمعية ، وتدلوا منصوب بأن مضمرة بعدها (بها) الجار والمجرور متعلقان بتدلوا (إلى الحكام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي لاجئين متحاكمين (لتأكلوا) اللام للتعليل ، وتأكلوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والواو فاعل والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله (فريقاً) مفعول به (من أموال الناس) الجار والمجرور متعلقـان بمحذوف صفة (بالإثم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي متشبثين بما يستوجب الإثم من شهادة الزور واليمين الكاذبة (وأنتم) الواو حالية ، وأنتم ضمير منفصل مبتدأ (تعلمون) فعل مضارع مرفوع، وفاعل ، والجملة خبر، والجملة بعد واو الحال حالية.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

اللغـة :

(مواقيت) : جمع ميقات ، وأصله مِوْقات قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها ، وهي معالم يوقّت الناس بها شئون معايشهم .

الاعراب :

(يسألونك) فعل مضارع مرفوع ، وفاعـل ، ومفعول به ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في اختلاف الأهلة ، بعد أن ألحفوا في السؤال عن ذلك . روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريّ قالا : يا رسول الله ، ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، لا يكون على حال واحدة ؟ فجاءت الآية بالحكم الشامل الحاسم . والحكمة المتوخاة من تطور الهلال لتوقيت المعايش واتساقها على نمط واحد باهر ، والهلال مفرد وجمع ، باختلاف زمانه ، ويجمع قياساً على أهلّة ، وهو مقيس في فِعال المضعّف ، نحو : عنان وأعنّة ، وزِمام وأزمّة ، وسنان وأسنّة . (عن الأهلة) الجار والمجرور متعلقان بيسألونك (قل) فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة استئنافية (هي مواقيت) جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب مقول القول (للناس) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمواقيت (والحج) عطف على الناس (وليس) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للاستطراد ، وسيأتي ذكره ، أو كأنه تعكيس في سؤالهم ، وإن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره ، وليس فعل ماض ناقص (البر) اسم ليس (بأن تأتوا البيوت) الباء حرف جر زائد في خبر ليس ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر ليس ، والبيوت مفعول به (من ظهورها) الجار والمجرور متعلقان بتأتوا (ولكن) الواو عاطفة ، ولكن حرف للاستدراك مشبه بالفعل (البر) اسمها المنصوب ، ولا بد من تقدير محذوف ليتسق الكلام ، كأنه قيل : إن ما تعملونه من استقصاء في السؤال ليس براً ، ولكن البر (من) اسم موصول خبر لكن ، ولا من حذف مضاف ، أي برّ مَن (اتقى)

الجملة صلة الموصول لا محل لها (وأتوا) الواو عاطفة ، وعطف الإنشاء على الخبر جائز ، فقد تقدمت جملتان خبريتان وهما : ليس البر ، ولكن البر من اتقى ، وعطف عليها جملتان إنشائيتان وهما : وأتوا البيوت ، واتقوا الله (البيوت) مفعول به (من أبوابها) الجار والمجرور متعلقان بأتوا (واتقوا الله) الجملة عطف على الجملة الأمرية (لعلكم تفلحون) لعل واسمها ، وجملة تفلحون خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

البلاغـة :

« الاستطراد » وهو فن دقيق متشعب ، يجنح اليه المتكلم في غرض من أغراض القول يخيل إليك انه مستمر فيه ، ثم يخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ، ثم يرجع الى الاول ، فقد ذكر عن الأهلة واختلافها أنها مواقيت للحج ، وأن مثلهم في السؤال كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره ، فقد كان ناس من الانصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً — أي بستاناً — ولا داراً ولا فسطاطاً من باب ، فاذا كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ، منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلماً فيه يصعد ، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ، فقيل لهم ذلك . ومن جميل هذا الفن قول عبد المطلب :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فان تسلّت أسلناها على الأسل
لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

الفوائـد :

اختلف علماء البلاغة في السؤال : أهو سؤال عن السبب أم عن

الحكمة ؟ واختار الزمخشري والراغب والقاضي البيضاوي أنه سؤال عن الحكمة كما يدل عليه الجواب إخراجاً للكلام على مقتضى الظاهر لأنه الأصل ، واختار السكاكي أنه سؤال عن السبب ، لأن الحكمة ظاهرة لا تستحق السؤال عنها ، والجواب من الأسلوب الحكيم • وقد أطال كل فريق في الاحتجاج لما يدعيه ، وانتهى بهم الأمر الى التراشق بقوارص الكلام ، مما لا يتسع له المقام فلله در رجال التراث عندنا ، ما أشد تقصيهم وأكثر تنقيبهم •

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ ﴾

اللغــة :

« ثقفتموهم » : وجدتموهم ، وثقف الشيء : أخذه أو ظفر به أو أدركه ، وثقفتُ العلم والصناعة في أوحى مدة إذا أسرعت أخذه ، وغلام ثقف لقف ، وقد ثقف ثقافة بفتح الثاء ، والثاء والقاف تدلان على معنى الأخذ على وجه الغلبة إذا اجتمعتا في أول الكلمة ، فالثقل

معروف ينوء به صاحبه لأنه يغلبه ويثوءه ، وأثقله المرض غلبه ، والثقال بفتح الثاء : المرأة العظيمة الكفل ، الثقيلة التصرف . قال الراعي :

ثقال إذا راد النساء فريدة صناع فقد صادت لدى الغوانيا

وثقب الشيء بالمثقب،وثقب اللآل الدرةوثقبن البراقع لعيونهن. قال المثقب العبدي :

أرين محاسناً وكنن أخرى وثقّبن الوصاوص للعيون

الاعراب :

(وقاتلوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أحكام القتال ، وهي أول آية نزلت في المقاتلة في المدينة لإعلاء كلمة الله . وقاتلوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل (في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بقاتلوا (الذين يقاتلونكم) اسم الموصول مفعول به ، وجملة يقاتلونكم صلة (ولا تعتدوا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتعتدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل (إن الله) إن واسمها (لا يحب المعتدين) لا نافية ، ويحب فعل مضارع مرفوع ، والفاعل مستتر يعود على الله ، والمعتدين مفعول به ، وجملة لا يحب المعتدين خبر إن ، وجملة إن وماتلاها تعليلية(واقتلوهم) عطف أيضاً ، وكرر الأمر بقتلهم للتأكيد (حيث) ظرف مكان مبني على الضم متعلق باقتلوهم (ثقفتموهم) فعل وفاعل ومفعول به ، والميم علامة جمع الذكور وقد أشبعت بالواو الزائدة،والجملة الفعلية في محل جر بالاضافة (وأخرجوهم) عطف على اقتلوهم (من حيث) أدخل

حرف الجر على حيث ، ولا يجر إلا بهـا وبالباء ، والجـار والمجرور متعلقان بأخرجوهم (أخرجوكم) فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل جر بالإضافة (والفتنة) الواو اعتراضية والفتنة مبتدأ(أشد)خبر (من القتل) الجار والمجرور متعلقان بأشدّ،والجملة اعتراضية لامحل لها جارية مجرى المثل كما سيأتي(فإن) الفاء استئنافية،وإن شرطية(قاتلوكم) فعل ماض مبني على الضم ، والواو فاعل ، والكاف مفعول .. ، والفعل في محل جزم فعل الشرط (فاقتلوهم) الفاء رابطة لجواب الشرط ، واقتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وجملة فاقتلوهم في محل جزم جواب الشرط (كذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (جزاء الكافرين) مبتـدأ مؤخر والجملة استئنافية (فإن) الفـاء استئنافية ، وان شرطية (انتهوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (فإنّ) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وانّ حرف مشبه بالفعل (الله) اسم إن (غفور رحيم) خبران لإن •

البلاغـة :

في قوله تعالى : « والفتنة أشد من القتل » فن ارسال المثل ، فهي جملة مسوقة مساق المثل ، لأن الإخراج من الوطن هو الفتنة التي ما بعدها فتنة ، وقيل لبعضهم : ما أشدّ من الموت ؟ قال : الذي يُتمنّى معـه الموت ، والإخراج من الوطن بمثابة إخراج الروح من الجسم • قال ابن الرومي :

فقد ألفتـه النفس حتى كأنه   لها جسد إن بان غودر هالكا

ولعل زعيم الشعراء المبدعين فيه أبو الطيب المتنبي •

ولو أردنا الاقتباس لضاق بنا المجـال وحسبك أن ترجـع الى ديوانه لتجد ما يستهويك •

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩٣) ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٩٤) ﴾

الاعراب :

(وقاتلوهم) الواو حرف عطف ، وقاتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به • أمرهم بالقتال تفادياً لطروء الفتنة ، وهي الإخراج من الوطن (حتى) حرف غاية وجر ، والمراد به هنا التعليل (لا) نافية (تكون) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، وهي هنا تامة ، والجار والمجرور متعلقان بقاتلوهم ، و (فتنة) فاعل تكون (ويكون) عطف على تكون وهي هنا ناقصة (الدين) اسمها (لله) الجار والمجـرور متعلقان بمحذوف خبرها ، ولا يبعد أن تكون تامة أيضاً ، فيكون الدين فاعلاً والجار والمجرور متعلقين بمحذوف حال ، أي خالصاً لله (فإن) الفاء استئنافية ، وإن شرطية (انتهوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط ، ولا نافية للجنس (عدوان) اسمها المبنى على الفتح (إلا) أداة حصر (على الظالمين)

الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا والجملة في محل جزم جواب الشرط (الشهر الحرام) الشهر مبتدأ ، والحرام صفة (بالشهر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ولا بد من حذف مضاف ، أي هتك حرمة الشهر الحرام ، وهو ذو القعدة من السنة السابعة للهجرة وبهتك حرمة الشهر الحرام وهو ذو القعدة من السنة السادسة فقد قاتلوكم عام الحديبية ، فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة من السنة السابعة وكراهيتهم القتال فيه : هذا الشهر مقابل بهذا الشهر وهتكه بهتكه وجزاء كل شرّ شرّ مثله (الحرام) صفة والجملة استئنافية (والحرمات قصاص) الواو عاطفة ، والحرمات مبتدأ ، وقصاص خبر (فمن) الفاء الفصيحة ، ومن شرطية مبتدأ (اعتدى) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (عليكم) الجار والمجرور متعلقان باعتدى (فاعتدوا) الفاء رابطة لجواب الشرط واعتدوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، والجملة الواقعة بعد الفاء الفصيحة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (عليه) الجار والمجرور متعلقان بقوله فاعتدوا (بمثل) الجار والمجرور متعلقان باعتدوا أو بمحذوف حال (ما) مصدرية (اعتدى) فعل ماض ، والمصدر المنسبك من ما واعتدى مضاف إليه أي بمثل اعتدائه (عليكم) الجار والمجرور متعلقان باعتدى (واتقوا الله) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للتحذير من المبالغة في الانتقام ، لأن النفس مفطورة على حب المبالغة في الانتقام ، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ، ولفظ الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (ان الله) ان واسمها (مع المتقين) مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ،

والمتقين مضاف إليه ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا •

وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

اللغـة :

(التهلكة) : من نوادر المصادر وليس فيما يجري على القياس ، وفي القاموس : إنه مثلث اللام •

واقتصر الجوهري في صحاحه والرازي في مختاره على تثليث لام مهلك ، وأما التهلكة فهي بضم اللام •

الاعراب :

(وأنفقوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للأمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالنفس ، وأنفقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا (ولا تلقوا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتلقوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (بأيديكم) الباء مزيدة ، مثلها في أعطى بيده للمنقاد ، لأن ألقى فعل يتعدّى بنفسه ، وقيل ضمّن تلقوا معنى فعل يتعدّى بالباء ، أي لا تفضوا بأيديكم ، وقيل : المفعول الثاني محذوف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم (إلى التهلكة) الجار والمجرور متعلقان بتلقوا (وأحسنوا) الواو عاطفة ، وأحسنوا فعل أمر وفاعل (إن الله) إن واسمها (يحب المحسنين) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ،

وجملة يحب المحسنين خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها .

البلاغة :

المجاز المرسل في الأيدي ، والمراد بها الأنفس ، لأن البطش والحركة يكون بها ، فهي مجاز مرسل علاقته الجزئية ، من إطلاق الجزء وإرادة الكل ، أو السببية ، لأن اليد سبب الحركة كما تقدم .

لمحة تاريخية :

اختلف المفسرون في معنى إلقاء الأيدي الى التهلكة ، وأقرب ما يقال فيها : إن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدوّ فصاح به الناس: ألقى بيده الى التهلكة. فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية،إنما أنزلت فينا،صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه، وشهدنا معه المشاهد،وآثرناه على أهلينا وأموالنا وأولادنا،فلما وضعت الحرب أوزارها رجعنا الى أهلينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها ، فكانت التهلكة، الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد . وقال آخرون في تفسير هذه الآية : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، بالإسراف وتضييع وجه المعاش ، أو بالكفّ عن الغزو والإنفاق فيه ، فإن ذلك مما يقوي العدوّ ويسلطهم عليكم . وعن أسلم أبي عمران قال : غزونا المدينة ــ يريد القسطنطينية ــ وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قال : فصففنا صفيّن لم أرَ صفيّن قط أعرض ولا أطول منهما ، والروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة ،

قال : فحمل رجل منا على العدّو فقال الناس : مه ، لا إله إلا الله ، يلقي بيده الى التهلكة . قال أبو أيوب الأنصاري : إنما تتأولون هذه الآية هكذا ، إن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة ، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، إنّا لما نصر الله نبيه وأظهر الاسلام قلنا بيننا : إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها ، فأنزل الله الخبر من السماء ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى استشهد ودفن بالقسطنطينية ، قلت : وهذه الغزوة غير الغزوة المشهورة التي مات فيها أبو أيوب ، وقد غزاها يزيد بن معاوية بعد ذلك سنة تسع وأربعين للهجرة ، ومعه جماعة من سادات الصحابة . ثمّ غزاها يزيد سنة اثنين وخمسين ، وهي التي مات فيها أبو أيوب ، وقبره هناك الى الآن وقد شيد عليه مسجد شهير . وإنما أطلنا في هذا الصدد لأنه يناسب حالتنا الراهنة ، وحالة كل أمة تتخلف عن الجهاد ، وتهمل تعبئة الإمكانيات ، وحشد الطاقات .

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ

ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

اللغـة :

(العمرة) في الحج معروفة ، وقد اعتمر ، وأصله من الزيارة . قال الزجاج : معنى العمرة في العمل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمَرْوَة فقط ، والفرق بين الحج والعمرة أن العمرة تكون للانسان في السنة كلها ، والحج وقت واحد في السنة ، وأحكامها في علم الفقه ، والجمع : عمر وعُمُرات .

(أحصرتم) منعتم ، يقال : أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز . قال ابن ميادة :

وما هجر ليـلى أن تكون تباعـدت
عليك ولا أن أحصـرتك شغـول

(استيسر) تيسّر ، يقال : يسر الأمر واستيسر .

(الهدي) : يطلق على الحيوان الذي يسوقه الحاجّ أو المعتمر هدية لأهل الحرم . وفي المختار : قرىء « حتى يبلغ الهدي محلّه » مخفّفاً ومشدّداً . والواحدة هَدْيَة وهَدِيّة ، ويقال : ما أحسن هِـديته أي سيرته ، وكانوا يقسمون بها في أيمانهم . قال العلاء ابن حذيفة الغنوي :

يقولون من هـذا الغريب بأرْضنا
أما والهـدايا إنني لغـريب

(محله) : اسم مكان من حل يحل ، أي صار ذبحه حلالاً . وكسرت الحاء لأن عين مضارعه مكسورة .

الاعراب :

(وأتموا) الواو عاطفة ، وأتموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الحج) مفعول به (والعمرة) معطوف على الحج (لله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي خالصاً لوجهه ، ولك أن تعلقهما بأتموا فتكون اللام هي لام المفعول لأجله ، وقد اقتبس الشعراء هـذا التعبير الجميل وصرفوه الى مناحي التغزل ، فقال ذو الرمّة وأبدع :

تمام الحجّ أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف على خرقاء ، وهي محبوبته من بني عامر ، كبعض مناسك الحج التي لا ندحة عن إتمامها (فإن) الفاء الفصيحة ، وإن شرطية (أحصرتم) فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط (فما) الفاء رابطة . وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ خبره محذوف ، أي فعليكم ما استيسر والجملة جزم جواب الشرط (استيسر) فعل ماض ، وفاعله مستتر ، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (من الهدي) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي كائناً من الهدي (ولا) الواو حرف عطف ، ولا ناهية (تحلقوا) فعل

مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (رءوسكم) مفعول به (حتى يبلغ) حتى حرف غاية وجر والجار والمجرور متعلقان بتحلقوا ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة (الهدي) فاعـل (محله) مفعول به (فمن) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، واسمها ضمير مستتر يعود على من (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (مريضاً) خبر كان (أو) حرف عطف (به) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (أذى) مبتدأ مؤخر وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين (من رأسه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لأذى (ففدية) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وفدية مبتدأ محذوف الخبر أي فعليه فدية والجملة جواب الشرط (من صيام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفدية (أو) حرف عطف (صدقة) عطف على صيام (أو) حرف عطف (نسك) معطوف عـلى صيام وفعـل الشرط وجوابه خبر من (فإذا) الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن (أمنتم) الجملة الفعلية في محل جر بالإضافة . (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) الفاء جواب إذا ومن اسم شرط جازم مبتدأ وتمتع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبالعمرة متعلقان بتمتع ، والى الحج متعلقان بمحذوف ، أي واستمر تمتعه وانتفاعه بالمحظورات الى الحج (فما) الفاء رابطة لجواب الشرط وما اسم موصول مبتدأ خبره محذوف ، أي فعليه ما (استيسر) فعل ماض ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة فما استيسر في محل جزم جواب الشرط (من الهدي) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (فمن) الفاء استئنافية ومن شرطية مبتدأ (لم يجد) لم حرف نفي وقلب وجزم ، ويجد فعل مضارع مجزوم بلم ، والفعل

المجزوم هو فعل الشرط ، وفاعله ضمير مستتر يعود على من ، ومفعوله محذوف لظهور المعنى ، والتقدير فمن لم يجد ما استيسر من الهدي (فصيام) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وصيام مبتدأ محذوف الخبر ، أي فعليه فصيام ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (ثلاثة أيام) مضاف إليه (في الحج) الجـار والمجرور متعلقان بمحـذوف حال (وسبعة) عطف عـلى ثلاثة (إذا رجعتم) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن ، وجملة رجعتم في محل جر بالإضافة (تلك) اسم الإشارة مبتدأ (عشرة) خبر (كاملة) صفة (ذلك) اسم الإشارة مبتدأ (لمن) اللام حرف جر ، ومن اسم موصول في محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (لم يكن) لم حرف نفي وقلب وجزم ، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم (أهله) اسمها ، وجملة لم يكن لا محل لها لأنها صلة اسم الموصول (حاضري) خبر يكن (المسجد) مضاف إليه (الحرام) صفة (واتقوا الله) الواو استئنافية ، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ، ولفظ الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (ان الله) ان واسمها (شديد العقاب) خبر أنّ ، وأنّ وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا .

البلاغـة :

في هذه الآية فنّ بياني رفيع دقيق المأخذ ، ويسميه علماء البلاغة التكرير،وحدّه هو أن يدل اللفظ على المعنى مردداً، وهو في الآية بقوله تعالى: «تلك عشرة كاملة» بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين،ثم قال كاملة،وذلك توكيد ثالث،والأمر إذا صدر من الآمر على المأمور بلفظ التكرير ولم يكن موقتاً بوقت معيّن كان في ذلك إهابـة الى المبادرة لامتثال الأمر والانصياع للحكم عـلى الفور من غـير ريث

ولا إبطاء ، ومن ثم وجب صوم الأيام السبعة عند الرجوع فوراً ، فتفطّن لها فإنها من الأسرار . وسترد للتكرير أمثلة في القرآن الكريم توضحه تمام الإيضاح وقد رمق الشعراء سماء القرآن فقال أبو تمام مادحاً :

نهوض بثقل العبء مُضطلع به
وإن عظمت فيه الخطوب وجلّت

والثقل هو العبء ، وإنما كره للمبالغة . وقال البحتري متغزلاً :

ويوم تثنّت للوداع وسلّمت بعينين موصول بلحظهما السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمر

فقد أراد تشبيه طرفها لفتوره بالنائم ، فكرر المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف إليه ، وهو قوله « كرى النوم » تأكيداً له وزيادة في بيانه ، أو ليزيل كل وهم قد يساور السامع .

قال المبرّد وأحسن : « ذكر ذلك ليدل على انقضاء العدد لئلا يتوهم متوهّم أنه قد بقي بعد ذكر السبعة شيء آخر » .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟

فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

اللغــة :

(الفسوق) : يقــال فَسَقَ عن أمر الله أي خرج ، وفسقت الرّطبة عن قشرها ، والفأرة عن جحرها ، ومن غريب الفاء والسين أن اجتماعهما فاءً وعيناً للكلمة يدلّ على استكراه في معنى الكلمــة ، وهذا أمر عجيب تميّزت به لغتنا على سائر اللغات . فمن ذلك فسأ الثّوب أي شقّه ، وأنت تكره أن يفسأ لك أحــد ثوبك ، وفسىء بكسر السين خرج صدره ودخل ظهره ، وتلك صورة مستكرهــة منبوّة ، وفسخ العقد نقضه ، وما أحسب أحداً يرضى أن يفسخ له عقد ، والفسل المسترذل المستوخم ، قال الفرزدق :

فلا تقبلوا منهم أباعر تشترى بوكس ولا سوداً تصحّ فسولها

الاعراب :

(الحج أشهر معلومات) مبتدأ وخبر ، ومعلومات صفة لأشهر ، والأشهر المعلومات : شوّال وذو القعــدة وعشر ذي الحجــة عند أبي حنيفة ، وعند الشافعي : تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر ، وعند مالك : ذو الحجة كله في أحد أقواله ، نزّل بعض الشهر منزلة الشهر كله ، تقول : رأيتك سنة كذا وإنما وقعت الرؤية في ساعة من السنة لا كلها ، والجملة مستأنفة لا محــل لها (فمن) الفاء الفصيحة لأنها جاءت بمثابة إجابة بالتفصيل لمن استوضح عن المجمــل ، ومن اسم

شرط جازم مبتدأ (فرض) فعل الشرط ، وفاعله هو (فيهن) الجار والمجرور متعلقان بفرض (الحج) مفعول به ، أي على نفسه (فلا رفث) الفاء رابطة لجواب ، ولا نافية للجنس ، ورفث اسمها ، وقد تقدم معنى الرفث (ولا فسوق) عطف على قوله فلا رفث (ولا جدال في الحجّ) عطف أيضاً ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (وما) الواو استئنافية ، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتفعلوا (تفعلوا) فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون (من خير) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يعلمه الله) جواب الشرط ، والهاء مفعول به ، والله فاعل (وتزودوا) الواو استئنافية ، وتزودوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (فإن) الفاء تعليلية ، وإن حرف مشبه بالفعل (خير الزاد) اسم ان ومضاف إليه (التقوى) خبرها ، والجملة لا محل لها (واتقون) الواو عاطفة ، واتقون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية ، وياء المتكلم المحذوفة والمدلول عليها بالكسرة مفعول به (يا أولي الألباب) يا أداة نداء ، وأولي الألباب منادى مضاف وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والألباب مضاف إليه ، والجملة معطوفة على جملة تزودوا .

البلاغة :

١ ــ في هذه الآية ضرب من النهي عجيب ، وذلك أن المنهيّ عنه يتوقف مقياسه على حسب موقعه ، بحيث يعتبر غير مستحقّ للنهي فيما لو وقع في غير ذلك الموقع ، وتخصيص الحجّ بالنهي عن

الرفث والفسوق والجدال فيه يشعر بأن هذه الاعمال في غير الحجّ ، وإن كانت منهياً عنها وقبيحة ، إلا أن ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كلا قبح بالنسبة لوقوعها في الحجّ ، فاجتنابها متحتّم على كل حال ، ولكن اجتنابها في الحجّ أمر فوق الاجتناب • وللنهي في لغتنا العربية فروع وشعاب لا يكاد يسبر لها غور ، ومن ذلك أن تنهى عن أمر هو في الحقيقة ممدوح ومحمود ، ولكنه يوبق صاحبه إذا بلغه ، وقد فطن شاعر الخلود المتنبي الى هذه الأسرار عندما نهى صاحبيه أن يبلغا سيف الدولة مديحه فيه فيزداد اندفاعاً ويرمي بنفسه في المخاطر الموبقة ، قال وقد سما ما شاء :

فلا تبْلغــاه ما أقول فإنّــه   شجاع متى يذكر له الطعن يشتق

فهو لم يقصد من التماسه من صاحبيه أن يكتما عن سيف الدولة ما سمعاه من صفات أعماله ، وطعان فرسانه ، رفقاً به وحذراً أن يدفعه الشوق الى التطويح بنفسه في المخاطر • ويشبهه الى حدّ ما قول كثيّر صاحب عزة :

فلا تذكــراه الحاجبيّة إنّــه   متى تذكــراه الحاجبيّة يحزن

٢ ـ التشبيه البليغ ، فقد شبه التقوى بالزاد بجامع التقوية وشدّ الأسر والامتناع •

٣ ـ الإطناب في قوله : « يا أولي الألباب » فإن الأمر بالتقوى ليس خاصاً بأولي الألباب وحدهم ، ولا يتوجّه الكلام اليهم دون غيرهم بصدد الحث عليها ، لأن كل إنسان مأمور بالتقوى ، ويسمى

هذا ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص على العام وأرجحيته ، وإنما يتفاضل الناس بالألباب التي هي العقول ، وقد رمق المتنبي سماء هذا المعنى فقال :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

٤ ــ استعمل القرآن الألباب مجموعة فلم يأت بها مفردة لأنها من الألفاظ التي يسمج مفردها ويعذوذب جمعها ، وهذا خاصة كامنة في لغتنا .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾

اللغة :

(أفضتم) : دفعتم أنفسكم وسرتم للخروج منها ، والإفاضة دفع بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثرة ، وفي المصباح : « وأفاض الناس من عرفات دفعوا منها ، وكل دفعة إفاضة . وأفاضوا من منى الى مكة يوم النحر رجعوا إليها ، ومنه طواف الإفاضة أي طواف الرجوع من منى الى مكة » .

(عرفات) : علم للموقف واستدل سيبويه على علميته بقوله : « هذه عرفات مباركاً فيها » بنصب « مباركاً » على الحال ولو كان نكرة لجرى عليه صفة ، وبأنه لو كان نكرة لدخلت عليه الألف واللام ، وهي لا تدخل . وسيأتي حكم إعرابه في الفوائد .

(المشعر) : جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح وسمي مشعراً من الشعار وهو العلامة .

الاعراب :

(ليس عليكم جناح) ليس فعل ماض ناقص وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم وجناح اسم ليس المؤخر (أن) حرف مصدري ونصب (تبتغوا) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل وان وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي : في أن تبتغوا ، والجار والمجرور صفة لجناح (فضلاً) مفعول به (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان بتبتغوا أو بمحذوف صفة لفضلاً (فإذا) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب (أفضتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (من عرفات) الجار والمجرور متعلقان بأفضتم (فاذكروا) الفاء رابطة لجواب الشرط واذكروا فعل أمر وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (الله) مفعول به (عند المشعر) الظرف متعلق باذكروا (الحرام) صفة للمشعر ، ولك أن تعلق الظرف بمحذوف حال أي : كائنين عند المشعر الحرام (واذكروه) الواو عاطفة وكررها للتوكيد . واذكروه فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (كما هداكم) الكاف

حرف جر وما مصدرية ، وهي مع مجرورها في محـل نصب مفعول مطلق أو حال ، أي : اذكروه ذكراً حسناً ، أو اذكروه مثل هدايته إياكم وجملة هداكم لا محل لها لأنها واقعة بعد موصول حرفي (وإن) الواو حالية وإن مخففة من الثقيلة وقد تقدم حكمها إذا خففت ، وإن الأكثر إهمالها (كنتم) كان الناقصة واسمها (من قبله) الجار والمجـرور متعلقان بمحذوف حال (لمن الضالين) اللام هي الفارقة ، ومن الضالين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم . (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (أفيضوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (من حيث) الجار والمجرور متعلقان بأفيضوا وقد تقدم القول في حيث (أفاض الناس) فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (واستغفروا الله) الواو عاطفة واستغفروا الله فعل وفاعل ومفعول به (إن الله غفور رحيم) ان واسمها وخبراها ، والجملة تعليلية لا محل لها .

الفوائد :

يعرب عرفات إعراب الجمع المؤنث السالم ، ومثله جميع ما سمّي به كأذرعات ، وهذا هو الفصيح فيها . وأجاز بعضهم أن تعرب إعراب مالا ينصرف ، وقيـل : يعرب إعراب الجمع المؤنث السالم غـير أنه لا ينون . وقد روي قول امرىء القيس بالأوجه الثلاثة :

تنّورتها من أذرعات وأهلـُها ‏ ‏ ‏ ‏ بيثرب أدنى دارِها نظر" عالِ

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى
ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى
ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

اللغــة :

(المناسك) : جمع منسك ، بفتح السين وكسرها ، وهو مصدر ميمي أو اسم مكان ، والأول أرجح ، أي عبادات حجكم .

الاعراب :

(فإذا) الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (قضيتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر بالاضافة (مناسككم) مفعول به والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة (فاذكروا الله) الفاء رابطة لجواب الشرط واذكروا الله : فعل أمر وفاعل ومفعول ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (كذكركم) الكاف مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق أي : اذكروا الله ذكراً مماثلاً لذكركم آباءكم ، أو حال (آباءكم) مفعول به للمصدر المضاف لفاعله (أو أشد ذكراً) هذا العطف مما يُشْكِلُ على المعرب ، وفيه أقوال يضيع الطالب في متاهاتها . ولما كانت الأقوال التي أوردها النحاة والمفسرون متساوية الرجحان رأينا تلخيصها على وجه مبسط قريب :

١ ــ « أشدّ » معطوفة على الكاف ، أي كذكركم أو ذكر قوم أشد منهم ذكراً •

٢ ــ أشدّ معطوفة عــلى آبائكم فهي منصوبة بمعنى أو أشد من ذكر آبائكم •

٣ ــ أشدّ معطوفة على نفس الذكر ، ولا بد من حمل الكلام عندئذ على المجاز العقلي من باب قولهم : شعر شاعر ، وجن جنونه ، ونحوهما • ويبقى على هذه الأوجه أمر أكثر إشكالاً ، وهو أن اسم التفضيل يضاف الى ما بعــده إذا كان من جنس ما قبله ، كقولك : ذكرك أشدّ ذكر ووجهك أحسن وجه ، وإذا نصب ما بعده على التمييز كان ما بعده غير الذي قبله ، كقولك : عليٌّ أجمل وجهاً ، فالجمال للوجه لا لعلي ولو قلت : زيد أكرم أباً لكان زيد من الأبناء ، ولو قلت: زيد أكرم أبٍ لكان زيد من الآباء •

٤ ــ وأخيراً وجه لجأ إليه أبو البقــاء العكبري بعد أن أعيته الحيل فقال : وعندي أن الكلام محمول على المعنى ، والتقدير : أو كونوا أشد ذكراً لله منكم لآبائكم • ودل على هذا المعنى قوله تعالى : « فاذكروا الله » • أي كونوا ذاكريه •

وبعد أن أورد أبو حيّان هــذه الوجوه وصفها كلها بالضعف وقال : « وقد ساغ لنا حمل الآية على معنى أنهم أمروا بأن يذكروا الله ذكراً يماثل ذكر آبائهم أو أشد ، وذلك بتوضيح واضح ذهلوا عنه ، وهو أن يكون « أشدّ » منصوباً على الحال وهو نعت لقوله : «ذكراً» لو تأخر ، فلما تقدم انتصب على الحال ، كقولهم :

لميـــة موحشاً طلـــل يلوح كأنـــه خلـــل

فلو تأخر لكان : لميّة طلل موحش" ، وكذلك لو تأخر هـذا لكان « أو ذكراً أشد » يعني من ذكركم آباءكم ، ويكون إذ ذاك « أو ذكراً أشد » معطوفاً على محل الكاف من كذكركم » •

قلنا : ولعله أقرب الى المنطق وأدناه الى الفهـم ، وقد اكتفى به بعض المفسرين المتأخرين في حواشيهم المطوّلة • (فمن الناس) الفاء استئنافية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) اسم موصول مبتدأ مؤخّر (يقول) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على من ، وقد روعي لفظ « من » وهو مفرد ، ولو روعي معنـاه لقال : يقولون ، والجملة المستأنفة لا محـل لها وهي مسوقة لبيان حال الكافرين وحال المؤمنين والفرق بين المطلبين وجملة « يقول » صلة من • (ربنا) منادى مضاف منصوب وقد حذف حرف النداء (آتنا) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، والفاعل مستتر تقديره أنت ، وضمير المتكلم المجموع مفعول آت الأول والمفعول الثاني محذوف أي نصيبنا و (في الدنيا) جار ومجرور متعلقان بآتنا (وما) الواو حالية وما نافية (له) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقـدّم (في الآخـرة) جار ومجرور متعلقان بمحـذوف حال (من خلاق) من حرف جر زائد وخلاق مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتـدأ مؤخر (ومنهـم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) عطف على الجملة السابقة ، وقد تقدم إعرابها ، وصرح هنا بالمفعول الثاني ترغيباً وتعليماً (وقنا) الواو عاطفة و « قِ » فعل أمر مبني على حـذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقـديره أنت

وضمير الجمع مفعول « قِ » الأول (عذاب النار) مفعول « قِ » الثاني (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (لهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (نصيب) مبتدأ مؤخر والجملة خبر اسم الإشارة ، والجملة مستأنفة لبيان حال الفريق الثاني ، لأن حال الفريق الأول تقدم ذكره بقوله « وما له في الآخرة من خلاق » (مما) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب (كسبوا) فعل ماض وفاعل والجملة صلة الموصول « ما » (والله) الواو مستأنفة والله مبتدأ (سريع الحساب) خبره . والجملة المستأنفة مسوقة لبيان قدرته تعالى على محاسبة جميع الخلائق في أقل من لمح البصر .

البلاغة :

وردت في أحد الأعاريب لقوله : « أشد ذكراً » إشارة الى المجاز العقلي ، وقد سبق بحثه ، ونزيد هذا المجاز بسطاً فنقول : إسناد الذكر الى الذكر مستحيل ولكنه ملابسة له أصبح كأنه شخص عاقل أجنبيّ عنه يقوم به ، وجميل قول أبي تمام :

تكاد عطاياه يجنّ جنونها إذا لم يعوّذها بنغمة طالب

فقد أسند الجنون الى مصدره ، والسرّ فيه ما أوضحناه من الملابسة الشديدة التي تجعل غير العاقل عاقلاً لشدة وقوعه منه، ويكاد الطلاب يلتبس عليهم الفرق بينه وبين الاستعارة المكنية مع أنه ليس فيه مشابهة مقصودة . وقال أبو فراس :

سيذكرني قومي إذا جــد جدهــم
وفي الليــلة الظلمــاء يفتقــد البدر

ولأبي الطيب مقطوعة وردت على نمط المجاز العقلي ، وهي من جيد الشعر :

صحب الناس قبلنــا ذا الزمانا وعناهــم من أمــره ما عنانا
وتولوا بغصــة كلهــم منــــه وإن سر بعضهــم أحيانا
ربما تحسن الصنيــع لياليـــه ولكن تكــدر الإحسانا
كلما أنبــت الزمان قنـــاة ركب المــرء في القنــاة سنانا

الفوائـد :

تزاد « من » الجــارة في الفاعــل والمفعول به والمبتدأ بشرط أن تسبق بنفي أو نهي أو استفهام وأن يكون مجرورها نكرة وعندئذ تطرد الزيادة ، وسيأتي المزيد من أمثلتها .

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) ﴾

اللغــة :

(تحشرون) : تجمعون ، والحاء والشين إذا وقعتا فاء وعينا للكلمة دلّتا على معنى الجمع والامتلاء والحشد ، وهذا ما تقصيناه وحشدنا له كل ما وصلت إليه أيدينا من مظانّ اللغة ومراجعها المطولة ، ومنه الحشّاش أي جامع الحشيش أو شاري الحشيشة ، وهي نبات تستخرج منه مادة مسكرة ، والحشمة : الحياء ، وهي تدل على أن المرء جمــع نفسه كيلا تبدر منــه بادرة . ومنه الحشم أي الخدم المجتمعون .

الاعراب :

(واذكروا الله) الواو عاطفة واذكروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعــل ومفعول به (في أيام) الجار والمجرور متعلقان باذكروا (معدودات) صفة لأيام ، وهي أيام التشريق الثلاثة ، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وهو مذهب الشافعي ، أو يوم النحر ويومان بعده وهو مذهب أبي حنيفة (فمن) الفاء استئنافية ومن شرطية مبتدأ (تعجل) فعل ماض في محــل جزم فعل الشرط (في يومــين) الجار والمجرور متعلقان بتعجل (فلا إثم) الفاء رابطــة ولا نافية للجنس وإثم اسمها المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن تأخر فلا إثم عليه) تقــدم إعرابها والجملة معطوفــة (لمن اتقى) الــلام حرف جر ومن اسم موصول في محـــل جــرّ باللام والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي ذلك التّخيــير . ونفي الإثم عن المتعجّــل والمتأخر كائن لمن اتقى

(واتقوا الله) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (أنكم) ان واسمها (إليه) الجار والمجرور متعلقان بتحشرون (تحشرون) فعل مضارع وفاعل والجملة الفعلية خبر أن ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

اللغــة :

(ألدّ الخصام) الألدّ : صفة مشبّهة ، والتّلدّد : شدة الجدال ، وتركت فلاناً يتلدّد أي يتلفّت يميناً وشمالاً من حيرته فما يستقرّ على حال ، فهي كلمــة متحرّكة تمثّل صورة مركّبة ، والخصام : مصدر خاصم ، قاله الخليل ، وقال الزجاج : الخصام : جمع خصم كصعب وصعاب ، وضخم وضخام .

الاعراب :

(ومن الناس) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم والجملة منسوقة على جملة فمن الناس الخ (من) اسم موصول مبتدأ مؤخر (يعجبك قوله) فعل مضارع ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (في الحياة) الجار والمجرور متعلقان « بقوله » أو يعجبك ، فعلى الأول يكون القول صادراً في الحياة ، وعلى الثاني يكون الإعجاب صادراً فيها (الدنيا) صفة للحياة (ويشهد) الواو استئنافية أو عاطفة ويشهد فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو (الله) لفظ الجلالة مفعول به (على ما) الجار والمجرور متعلقان بيشهد (في قلبه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول أي من مدلول القول (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (ألد الخصام) خبر (وإذا) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب (تولى) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة في محل جر بالإضافة (سعى) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان بسعى (ليفسد فيها) اللام للتعليل ويفسد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيفسد (ويهلك الحرث والنسل) عطف على ليفسد (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (لا) نافية (يحب الفساد) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو أي الله تعالى والفساد مفعول به ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر الله (وإذا قيل) الواو عاطفة على قوله يعجبك ، ولك أن تجعلها استئنافية ، وإذا ظرف لما يستقبل من

الزمن وجملة قيل في محل جر بالإضافة (له) الجار والمجرور متعلقان بقيل (اتق الله) اتق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ولفظ الجلالة مفعول به ، والجملة مقول القول (أخذته العزة) فعل ماض وتاء التأنيث الساكنة والهاء مفعول به والعزة فاعله والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (بالإثم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي ملتبسة ، وتكون الباء للمصاحبة. ويجوز أن يتعلقان بأخذته ، فتكون الباء لمجرد التعدية (فحسبه جهنم) الفاء الفصيحة كأنه أجاب عن مصيره وحسبه خبر مقدم وجهنم مبتدأ مؤخر (ولبئس المهاد) الواو واو القسم واللام واقعة في جواب القسم أي والله ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعله والمخصوص بالذم محذوف أي هي ، والجملة جواب قسم لا محل لها .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

اللغة :

(يشري) : يبيع .

(السلم) : الاستسلام وهو بكسر السين وفتحها •

(كافّة) : من الكفّ كأنهم كفّوا عن أن يشذ واحد منهم •

الاعراب :

(ومن الناس) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على قوله : « فمن الناس » لاستيفاء أقسامهم (يشري نفسه) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والجملة صلة الموصول (ابتغاء مرضاة الله) مفعول لأجله وما بعده مضاف اليه (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (رءوف) خبر (بالعباد) الجار والمجرور متعلقان برءوف (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعراب نظائرها (ادخلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (في السلم) الجار والمجرور متعلقان بادخلوا والجملة استئنافية (كافة) حال من الواو في ادخلوا ومن السلم لأنه يذكر ويؤنث (ولا) الواو عاطفة ولا ناهية (تتبعوا) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل (خطوات الشيطان) مفعول به ومضاف إليه (إنه) ان واسمها (لكم) جار ومجرور متعلقان بعدو (عدو) خبر (مبين) صفة والجملة تعليلية لا محل لها • (فإن زللتم) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وزللتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط (من بعد ما جاءتكم البينات) الجار والمجرور متعلقان بزللتم وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة وجاءتكم البينات فعل ومفعول به وفاعل (فاعلموا) الفاء رابطة لجواب الشرط واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو

فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (أن الله عزيز حكيم) أن واسمها وخبراها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

اللغة :

(الظّلل) : جمع ظُلّة بضم الظاء ، وهي كل ما أظلّك : مثل ظلال جمع ظِل ّ .

(الغمام) : السحاب الأبيض الرقيق ، وهو مظنّة الرحمة ، ويغطي السماء ويغيّر لونها . ومن عجيب أمر الغين والميم أنهما إذا وقعتا فاءً وعيناً للكلمة دلتا على معنى التغطية وحجب الشيء وإخفائه ، ومنه غمد السيف أي قرابه الذي يخفيه ، وتغمّد الله فلاناً برحمته ستره ، وغمره الماء غطاه ، وأرض غمقة تغمرها الأنداء ، وعن عمر بن الخطاب : « إن الأردنّ أرض غمقة وإن الجابية أرض نزهة » . وغم الهلال اختفى . وهذا من الأعاجيب .

الاعراب :

(هل) حرف استفهام معناه الإنكار والتوبيخ (ينظرون) فعل

مضارع مرفوع والواو فاعل ومعناه ينتظرون ، أو ينظرون من النظر (إلا) أداة حصر (أن يأتيهم) أن حرف مصدري ونصب وهي ومافي حيزها في تأويل مصدر مفعول ينظرون ، والجملة مستأنفة مسوقة لتوبيخ المحجمين عن الإسلام أو الزّالون المخطئون (الله) فاعل يأتيهم (في ظلل) الجار والمجرور متعلقان بيأتيهم (من الغمام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لظلل (والملائكة) الواو عاطفة والملائكة عطف على الله (وقضي الأمر) عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار ، ولك أن تجعلها جملة مستأنفة (والى الله) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بترجع (ترجع) فعل مضارع مبني للمجهول (الأمور) نائب فاعل (سل بني إسرائيل) سل فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبني مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم واسرائيل مضاف إليه وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف والجملة استئنافية (كم آتيناهم) كم اسم استفهام في محل نصب مفعول به ثان لآتيناهم وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وجملة آتيناهم في موضع المفعول الثاني لسل لأنها معلقة عن العمل عاملة في المعنى . وإنما علقت « سل » وليست من أفعال القلوب لأن السؤال سبب العلم فأجري السبب مجرى المسبب في ذلك . وأجاز بعضهم أن تكون كم خبرية وفي ذلك اقتطاع للجملة التي هي فيها (من آية) تمييز كم الاستفهامية وإذا فصل بينها وبين مميزها فالأحسن أن يؤتى بـ « مِن » . واختلف في « من » فقيل : هي زائدة ، واختاروا في حواشي المغنى أن تكون بيانية والتمييز محذوف . ومن آية : متعلقان بالفعل . وسيرد المزيد من هذا البحث في باب الفوائد (بينة) صفة

وجملة « سل بني إسرائيل » مستأنفة مسوقة للتنديد ببني إسرائيل الذين يكفرون بنعمة الله ويبدلونها (ومن) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لزيادة التقريع وإقامة الحجة عليهم ، ومن شرطية في محل رفع مبتدأ (يبدل) فعل الشرط (نعمة الله) مفعول به (من بعد ما جاءته) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالاضافة ، وجاءته فعل ماض ومفعول به ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هي (فإن الله) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها (شديد العقاب) خبرها وجملة ان وما بعدها في محل جزم جواب الشرط الجازم .

البلاغـة :

في قوله تعالى « في ظلل من الغمام » مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن الغمام مظنّة الرحمة أو العذاب وسببهما ، فمنه تهطل الأمطار ، وقد تنشأ السيول المتلفة الجارفة ، وتنزل الصواعق المهلكة .

الفوائـد :

أورد ابن هشام فصلاً في إعراب هذه الآية نلخصه فيما يلي لأهميته:

« قوله تعـالى : « سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية » إن قدرت « من » زائدة فـ « كم » مبتدأ أو مفعول لـ « آتينا » مقدراً بعده ، وإن قدرتها بياناً لـ « كم » كما هي بيان لـ « ما » في « ما ننسخ من آ ية » لم يجز واحد من الوجهين لعدم الراجع حينئذ الى كم ، وإنما هي مفعول ثان مقدم مثل : « أعشرين درهماً أعطيتك » وجوز

الزمخشري في : كم أن تكون خبرية ، أي أن ما سبق كله بناء على أن « كم » اسم استفهام . وهذا مقابله ثم قال : « ولم يذكر النحويون أن كم الخبرية تعلق العامل عن العمل ، وجوز بعضهم زيادة « من » وإنما تزاد بعد الاستفهام بـ « هل » خاصة ، وقد يكون تجويزه ذلك على قول من لا يشترط كون الكلام غير موجب مطلقاً ، أو على قول من يشترطه في غير باب التمييز ، ويرى أنها في : « رطل من زيت » و « خاتم من حديد » زائدة لا مثبتة « ا هـ » .

هذا وتأتي كم على قسمين : استفهامية وخبرية ، وسيرد الكثير من أبحاثهما في هذا الكتاب .

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) ﴾

الاعراب :

(زين) فعل ماض مبني للمجهول (للذين كفروا) الجار والمجرور متعلقان بزين ، وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (الحياة) نائب فاعل (الدنيا) صفة للحياة والجملة مستأنفة مسوقة للتنديد بمن جعلوا الدنيا وما فيها من متع خلوب هدفهم فيها (ويسخرون) معطوفة على جملة زين ، ويحتمل أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف ، أي وهم يسخرون فيكون من عطف الاسمية على الفعلية ، للإشعار

بأنه أتى بالأولى فعلية دلالة على التجدد والحدوث (من الذين) الجار والمجرور متعلقان بيسخرون (آمنوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الذين (والذين) الواو عاطفة والذين مبتدأ (اتقوا) الجملة صلة الموصول (فوقهم) ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر الذين (يوم القيامة) متعلق بما تعلق به الظرف (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يرزق) فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على الله لفظ الجلالة والجملة خبر لفظ الجلالة الله (من) اسم موصول مفعول به (يشاء) فعل مضارع والجملة صلة من (بغير حساب) الجار والمجرور متعلقان بيرزق .

البلاغـة :

في هذه الآية مفارقة في الجمل ، فقد عبر عن زينة الحياة الدنيا في نظر الذين كفروا وعن سخريتهم من المؤمنين بالفعلية إشارة الى الحدوث ، وإن ذلك أمر طارىء لا يلبث أن يزول بصوارف متعددة . أما استعلاء الذين اتقوا عليهم فهو أمر ثابت الديمومة لا يطرأ عليه أي تبديل .

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ

بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

الاعراب :

(كان الناس أمة) كان واسمها وخبرها (واحدة) صفة (فبعث) الفاء عاطفة على جملة مقدرة اختصاراً وإيجازاً ، أي كان الناس متفقين على الحق فاختلفوا فبعث . والكلام مستأنف مسوق للدلالة على كيفية الاختلاف السائد بين الناس والزيغ المؤدي الى التفريق بينهم ، وذلك بدلالة ما بعده وبعث فعل ماض (الله) فاعل (النبيين) مفعول به (مبشرين ومنذرين) حالان والثاني معطوف على الأول (وأنزل) عطف على فبعث (معهم) ظرف زمان متعلق بمحذوف حال من « الكتاب » أي وأنزل الكتاب مصاحباً لهم وقت الإنزال (الكتاب) مفعول به (بالحق) جار ومجرور متعلقان بأنزل والباء للملابسة ، أي أي أنزله إنزالاً ملتبساً بالحق (ليحكم) اللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولام التعليل ومجرورها المؤول متعلقان بأنزل أيضاً (بين الناس) الظرف المكاني متعلق بيحكم، والناس مضاف إليه (فيما) الجار والمجرور متعلقان بيحكم (اختلفوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة « ما » الموصولية (فيه) الجار والمجرور متعلقان باختلفوا (وما) الواو عاطفة وما نافية (اختلف) فعل ماض (فيه) الجار والمجرور متعلقان باختلف (إلا) أداة حصر (الذين) فاعل اختلف (أوتوه) فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل هو المفعول الاول والهاء مفعول به ثان(من بعد)الجار

والمجرور متعلقان باختلف (ما) مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف إليه ، أي من بعد مجيء البينات (جاءتهم البينات) فعل ومفعول به مقدم والبينات فاعل مؤخر (بغياً) مفعول لأجله ، أي حسداً منهم ، وقيل : حال مؤولة ، وليس ببعيد (بينهم) الظرف المكاني متعلق بمحذوف صفة لبغياً (فهدى الله الذين آمنوا) الفاء عاطفة وهدى فعل ماض والله فاعل والذين وصلتها مفعول به (لما) الجار والمجرور متعلقان بهدى وما موصولية (اختلفوا) فعل وفاعل والجملة صلة ما (فيه) الجار والمجرور متعلقان باختلفوا (من الحق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من «ما» (بإذنه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الذين آمنوا ، أي : مأذوناً لهم فهو حال من المفعول به (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يهدي) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى ، والجملة في محل رفع خبر الله (من) اسم موصول مفعول به (يشاء) الجملة صلة الموصول لا محل لها (إلى صراط مستقيم) الجار والمجرور متعلقان بيهدي ومستقيم صفة .

البلاغة :

في هذه الآية الكريمة فن القلب ، وهو شائع في كلامهم ، ومثل له السكاكي والزمخشري والجوهري بقوله تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار » والأصل فيه : ويوم تعرض النار على الذين كفروا . كما مثلوا في الشعر بقول عروة بن الورد :

فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك إلا ما أطيق

والاصل فديت نفسه بنفسي ،فالمفدي نفس المحبوب ، والمفدي به نفس الشاعر ، لا العكس كما هو ظاهر البيت ، ويقول المتنبي :

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

لأن أصله كيف لا يموت من يعشق ، والصواب خلافه . وأن المراد أنه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق . وفي الآية التي نحن بصددها قال أبو جعفر الطبري : « وإنما معنى ذلك : فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه ، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطق العرب ، ومثل له أبو جعفر بقول النابغة الجعدي :

كانت فريضة ماتقول كما كان الزناء فريضة الرجم

وإنما الرجم فريضة الزنا .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾

اللغـــة :

(زلزلوا) أزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم

من الهول والفزع . وتكرير الزاي واللام إشعار بتكرير الإزعاج مرّة بعد مرة . وقد ألمع ابن جنّي في كتاب الخصائص الى هذا الباب وسماه قوة اللفظ لقوة المعنى،كما ذكره ابن الأثير فيكتاب المثل السائر. وخلاصة ماقرراه أن اللفظ إذا كانعلىوزن ثم نقل الى وزنآخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر من الذي تضمنه ، فاخشوشن تدل على زيادة الخشونة أكثر من خشن ، واعذوذب الماء تدل على زيادة العذوبة أكثر من عذب ، وسيأتي الكثير من الأمثلة في هذا الكتاب .

(حسبتم) حسبت زيداً قائماً أحسبه من باب تعب ، أي بكسر السين في الماضي وفتحها في المضارع ، في لغة جميع العرب ، إلا بني كنانة : فانهم يكسرون سين المضارع مع كسر سين الماضي أيضاً على غير قياس ، حسباناً بالكسر ، بمعنى ظننته . وحسبت المال حسباً من باب قتل ، أي بفتح السين في الماضي وضمها في المضارع ، أحصيته عدداً وفي المصدر أيضاً ، وحُسباناً بالضم .

الاعراب :

(أم) عاطفة منقطعة مقدرة ببل ، وهمزة الاستفهام محذوفة ، والمعنى : بل أحسبتم ، والاستفهام للتوبيخ والإنكار (حسبتم) فعل وفاعل (أن تدخلوا) أن حرف مصدري ونصب وتدخلوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (الجنة) مفعول به على السعة ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سد مسد مفعولي حسبتم (ولما) الواو حالية ولما حرف نفي جازم (يأتكم) فعل مضارع مجزوم بلما وعلامة جزمه حذف حرف العلة والكاف مفعول

يأتكم (مثل) فاعل يأتكم (الذين) مضاف إليه (خلوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الذين (من قبلكم) الجار والمجرور متعلقان بخلوا (مستهم) مسّ فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والهاء مفعول به (البأساء) فاعل (والضراء) عطف على البأساء ، والجملة مستأنفة لا محل لها ، كأن قائلاً قال : كيف كان ذلك المثل وما هي ما هيته ؟ فقيل : مستهم البأساء ، ولك أن تجعلها تفسيرية ، وعلى كل حال لا محل لها من الاعراب (وزلزلوا) الواو عاطفة وزلزلوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة معطوفة على مستهم (حتى يقول الرسول) حتى حرف غاية وجر ويقول فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والرسول فاعل (والذين) عطف على الرسول (آمنوا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الذين (معه) الظرف المكاني متعلق بآمنوا (متى نصر الله) متى اسم استفهام في محل نصب ظرف على الظرفية الزمانية والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ونصر الله مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب مقول القول (ألا) أداة استفتاح وتنبيه (إن نصر الله قريب) ان واسمها وخبرها والجملة مستأنفة .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾

الاعراب :

(يسألونك) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به (ماذا) تقدّم القول في ماذا فيجوز أن نعربها اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لينفقون ، ويجوز إعراب ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وذا اسم موصول في محل رفع خبر والجملة في محل نصب مفعول مقدم لينفقون ، وجملة يسألونك مستأنفة مسوقة للاستفهام عن المال المنفق ومصرفه . قالوا : والسائل عمرو بن الجموح ، وكان شيخاً ذا مال ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا ينفق ؟ وعلى من ينفق ؟ وهذا كله في صدقة التطوع (ينفقون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مفعول ثان ليسألونك (قل) فعل أمر وفاعله والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الجواب عن السؤال ، (ما أنفقتم) ما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم لأنفقتم وأنفقتم فعل في محل جزم فعل الشرط وفاعل ، والجملة مقول القول (من خير) الجار والمجرور في محل نصب حال (فللوالدين) الفاء رابطة لجواب الشرط والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي فهو للوالدين ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) كلها معطوفة على الوالدين (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) تقدم إعرابها في الآية السابقة .

الفوائد :

قاعدة عامة لإعراب أدوات الشرط :

« من ، ما ، مهما » : إن كان فعل الشرط يطلب مفعولاً به فهي منصوبة محلاً على المفعولية ، وإن كان لازماً أو متعدياً استوفى مفعوله فهي مرفوعة محلاً على الابتداء .

« حيثما » في محل نصب ظرف زمان .

« متى ، أيان ، أين ، أنى » في محل نصب ظرف زمان .

« كيفما » في محل نصب حال من فاعل الشرط .

« أي » بحسب ما تضاف إليه .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾

الاعراب :

(كتب عليكم القتال) كتب فعل مبني للمجهول وعليكم متعلقان بكتب ، والقتال نائب فاعل ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية القتال . ومعنى كتب فرض ، والفرض إما عين إذا دخل العدو البلاد ، وإما فرض كفاية إذا كان العدو ببلاده (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (كره) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بكره ، والجملة الاسمية بعد واو الحال في محل نصب على الحال (وعسى) الواو

استئنافية وعسى فعل ماض جامد لانشاء التّرجّي وهي هنا تامة ، وذلك مطرد في عسى واخلولق وأوشك إذا وليتها أن (أن تكرهوا) أن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل عسى (شيئاً) مفعول به (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (خير) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بخير والجملة الاسمية بعد الواو في محل نصب حال . وهنا مشكلة نعرض لها في باب الفوائد (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم) تقدم إعرابها (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يعلم) فعل مضارع وفاعل مستتر والجملة خبر المبتدأ (وأنتم) الواو عاطفة وأنتم مبتدأ (لا تعلمون) لا نافية وتعلمون فعل مضارع والواو فاعل والجملة خبر أنتم .

البلاغة :

في الآية الطباق بين الحب والكره وبين كرهٌ وشرٌّ ، ويسمى حينئذ مقابلة وقد تقدم بحثها .

الفوائد :

يتشكل في الآية مجيء الحال من النكرة بغير شرط من شروطها المعروفة ، ولذلك جنح بعض المعربين الى إعراب الجملة وهي « وهو خير لكم » صفة لشيئاً ، وإنما دخلت الواو على الجملة الواقعة صفة لأن صورتها صورة الحال ، فكما تدخل الواو عليها حالية تدخل عليها صفة ، وذلك ما أجازه الزمخشري في قوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » وسترد في مكانها .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ
وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ
إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

اعراب :

(يسألونك عن الشهر الحرام) جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان حكم القتال في الشهر الحرام ، وهو رجب ، ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به ، والجار والمجرور متعلقان بيسألونك ، والحرام صفة (قتالٍ) بدل اشتمال من الشهر (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لقتال ، ووجهه أن السؤال عن الشهر لم يكن إلا باعتبار ما وقع فيه من القتال ، والمعنى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام . وأنشد سيبويه :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدّما

(قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت يا محمد والجملة مستأنفة (قتال) مبتدأ ، وساغ الابتداء به وهو نكرة لأنه وصف (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (كبير) صفة للقتال (وصد) عطف على قتال فهو مبتدأ وساغ الابتداء به لأنه مندرج لما عطف عليه من معارف (عن سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بصد (وكفر به) عطف على صد ، والجار والمجرور متعلقان بكفر (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله أي وعن المسجد الحرام (وإخراج أهله) عطف على صد (أكبر) خبر ما تقدم جميعه وجملتها أربعة وأخبر عنها بأكبر لأنه اسم تفضيل يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجرداً من الألف واللام ومن الإضافة (عند الله) الظرف المكاني متعلق بأكبر (والفتنة) الواو استئنافية والفتنة مبتدأ (أكبر من القتل) خبر والجملة لا محل لها ، ويمكن إعراب الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال ، ومن القتل الجار والمجرور متعلقان بأكبر (ولا يزالون) الواو عاطفة ولا يزالون فعل مضارع ناقص من أخوات كان والواو اسمها (يقاتلونكم) فعل مضارع وفاعل ومفعول به والجملة خبر يزالون (حتى يردوكم) حتى حرف غاية وجر أو للتعليل ، ويردوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى (عن دينكم) الجار والمجرور متعلقان بيردوكم (إن) شرطية (استطاعوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله ، أي يردّوكم (ومن) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (يرتدد) فعل الشرط (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (عن دينه) الجار والمجرور متعلقان بيرتدد (فيمت) الفاء عاطفة ويمت فعل مضارع مجزوم عطفاً

على يرتـدد (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (كافـر) خبر والجملة الاسمية في محل نصب حال (فأولئك) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ (حبطت أعمالهم) فعل وفاعل والجملة خبر أولئك ، وجملة الاشارة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابـه خبر من (في الدنيا) الجار والمجـرور متعلقـان بحبطت (والآخرة) عطف على الدنيا (وأولئك) الواو عاطفة وأولئك مبتدأ (أصحاب النار) خبر (هـم) ضمير منفصل مبتـدأ (فيها) الجار والمجرور متعلقان بقوله خالدون (خالدون) خبر وجملة هم فيهـا خالدون في محل نصب حال (إن الذين) ان واسمها (آمنوا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الذين (والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) عطف عـلى ما تقدم (أولئك) اسم الاشارة مبتدأ (يرجون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبر أولئك (رحمة الله) مفعول به ، وجملة الاشارة جملة اسمية في محل رفـع خبر إن (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (غفور رحيم) خبران لله •

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

اللغــة :

(الخمر) : سمّيت الخمر بالمصدر من خمره خَمْراً إذا ستره للمبالغة في تضييعها للعقول وسترها وإخفائها • وقيل : إنما سميت الخمر خمراً لأنها تركت حتى أدركت ، يقال : اختمر العجين أي بلغ إدراكه ، وقيل : إنما سميت الخمر خمراً لأنها تخالط العقــل ، من المخامرة وهي المخالطة، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة موجودة في الخمر، وهذا موجز لبعض أسماء الخمر التي هي صفات :

الشمول : لأنها تشمل القوم بريحها •

المشمولة : التي أبرزت للشمال •

الرحيق : صفوة الخمر التي ليس فيها غش •

الخندريس : القديمة منها •

الحمّيا : الشديدة منها •

العُقار : بضم العين لأنها عاقرت الدّنّ •

الراح : لأن شاربها يرتاح لها أو التي يستطيب ريحها ، ويقال : بل التي يجد بها روحاً • وقد جمع ابن الرومي معاني الراح بقوله :

والله ما أدري لأيـــة علّــة يدعونها في الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتياح نديمهــا المرتاح

المدامة : التي أديمت في مكانها حتى سكنت حركتها •

المعتّقة : التي أديمت في مكانها حتى عتقت •

القهوة : هي التي تقهي صاحبها ، أي تذهب بشهوة طعامه •

السلاف : التي تحلب عصيرها من غير عصر •

الصهباء : لأنها تترجح بين الحمرة والشقرة •

الكُميت : بضم الكاف لما فيها من سواد وحمرة •

القرقف : لبرودتها • وغير ذلك •

(الميسر) : مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع ، يقال : يسرته : إذا قمرته ، وقمره : غلبه بالقمار • قال الشاعر :

قالـت : أنا قمرتـه   قلت : اسكتي فهو قمر

واشتقاق الميسر إما من اليسر لأن فيه أخذ المال بيسر من غير كدّ وتعب ، وإما من اليسار أي الغنى لأنه سبب له • وقد تفنّن البشر ، الى اليوم ، في ألعاب الميسر المحرمة عقلاً وشرعاً لأنها مفسدة ما بعدها مفسدة • قال أديب إسحق من شعراء العصر الحديث :

لكل نقيصة في الناس عـار   وشرّ معايب المـرء القمار

(العفو) : الزيادة عن الحاجة •

الاعراب :

(يسألونك عن الخمر والميسر) فعل وفاعل ومفعول به والجار والمجرور متعلقان بيسألونك والميسر معطوف على الخمر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان تحريم الخمر والميسر لما فيهما من مفاسد اجتماعية

ضارة (قــل) فعــل أمر وفاعله ضمير مستتر تقــديره أنت والجملة مستأنفة أيضا (فيهما) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (إثم) مبتدأ مؤخر (كبير) صفة لإثم ، والجملة الاسمية مقول القول (ومنافع للناس) عطف عــلى إثم ، وللناس جار ومجــرور متعلقان بمحذوف صفة (وإثمهما) الواو عاطفة وإثم مبتدأ والهاء مضاف إليه ، والميم والألف حرفان دالاّن على التثنية (أكبر) خبر (من نفعهما) الجار والمجرور متعلقان بأكبر (ويسألونك) عطف عــلى يسألونك (ماذا ينفقون) تكرّر إعرابها فجدّد به عهداً (قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة (العفو) مفعول به لفعل محذوف تقديره أنفقوا والجملة مقول القول (كذلك يبين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال ، ويبين فعل مضارع مرفوع (الله) فاعل يبــين (لكم) الجار والمجرور متعلقان بيبين (الآيات) مفعول به (لعلكم) لعل واسمها (تتفكرون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبر لعل وجملة الرجاء حالية وجملة كذلك يبين الخ مستأنفة (في الدنيا والآخرة) الجار والمجرور متعلقان بتتفكرون أو بيبين فالمعنى على الأول: فيما هو صلاحكم في الدارين وعلى الثاني يبين لكم الآيات فيما ينفعكم في الدارين (ويسألونك عن اليتامى) تقدم إعرابها (قل) فعل أمر وفاعل مستتر والجملة مستأنفة (إصلاح) مبتدأ وسوغ الابتداء به وصفه بالجار والمجرور (لهم) الجار والمجرور صفة لإصلاح (خير) خبر إصلاح والجملة الاسمية مقول القول (وإن) الواو استئنافية وإن شرطية (تخالطوهم) فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به أي تحسنوا معاشرتهم بالمخالطة والمعاشرة الطيبة (فإخوانكم) الفــاء رابطة لجواب الشرط وإخوانكم خبر لمبتــدأ محذوف أي فهم إخوانكم ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب

الشرط . ولا بد من تقدير محذوف أي فلكم ذلك ثم علل ذلك بقوله : فهم إخوانكم (والله) الواو استئنافية والواو مبتدأ (يعلم) الجملة خبر المبتدأ وفاعل يعلم ضمير مستتر يعود على الله تعالى (المفسد) مفعول به (من المصلح) الجار والمجرور متعلقان بيعلم لتضمنه معنى يميز (ولو) الواو استئنافية ولو شرطية (شاء الله) فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف تقديره إعناتكم (لأعنتكم) اللام واقعة في جواب لو وأعنتكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة لأعنتكم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (إن الله) إن واسمها (عزيز حكيم) خبر إن ، والجملة لا محل لها لأنها بمثابة التعليل .

الفوائد :

لمحة تاريخية أدبية : نزلت في الخمر أربع آيات :

١ ــ الأولى نزلت في مكة وهي : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً » فكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم .

٢ ــ والثانية نزلت في المدينة فقد أتى عمر بن الخطاب ومعاذ ابن جبل وجماعة من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال ؟ فتركها قوم لقوله : « قل فيهما إثم كبير » .

٣ ــ والثالثة أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً ودعا إليه ناساً فشربوا وسكروا ، وحضرت صلاة المغرب ، فقدموا أحدهم ليصلي بهم ، فقرأ : « قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون » بحذف « لا »

النافية ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فقلّ من يشربها .

٤ ــ والرابعة أن عتبان بن مالك دعا قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص الى طعام وشراب ، فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار ، حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار ، فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه ، فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري ، فقال عمر : اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تعالى : « إنما الخمر والميسر » الى قوله « فهل أنتم منتهون » فقال عمر : انتهينا يا رب .

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) ﴾

الاعراب :

(ولا) الواو استئنافية ولا ناهية (تنكحوا) بفتح التاء مضارع نكح مجزوم بلا والواو فاعل (المشركات) مفعول به وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (حتى يؤمنّ) حتى حرف غاية وجر

ويؤمن فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهو في محل نصب بأن مضمرة بعد حتى ونون النسوة فاعل والجار والمجرور من حتى والمصدر المؤول متعلقان بتنكحوا (ولأمة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الفرق بين المؤمنة والمشركة واللام للابتداء وأمة مبتدأ ، وساغ الابتداء بالنكرة لوصفها (مؤمنة) صفة لأمة (خير) خبر (من مشركة) الجار والمجرور متعلقان بخير (ولو) الواو للحال ولو شرطية بمعنى إن (أعجبتكم) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هي يعود على الأمة والكاف مفعول به ، وجملة أعجبتكم خبر لكان المحذوفة هي واسمها بعد لو ، وجملة لو أعجبتكم حالية والمعنى ولأمة مؤمنة خير من مشركة حال كونها قد أعجبتكم لجمالها ومالها ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب الفوائد (ولا) الواو عاطفة ولا ناهية (تنكحوا) بضم التاء مضارع أنكح مجزوم بلا والواو فاعل (المشركين) مفعول به (حتى يؤمنوا) حتى حرف غاية وجر ويؤمنوا فعل مضارع مجزوم بأن مضمرة بعد حتى (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) تقدم إعراب مثيلتها (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (يدعون الى النار) الجملة خبر اسم الاشارة والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في ذلك ، ولك أن تجعلها مفسرة . وعلى كل حال لا محل لها (والله يدعو الى الجنة) عطف على ما تقدم (والمغفرة) عطف على الجنة (بإذنه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي آذناً بذلك (ويبين آياته) عطف على يدعو وآياته مفعول به وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة (للناس) الجار والمجرور متعلقان بيبين (لعلهم) لعل واسمها (يتذكرون) الجملة الفعلية خبر لعل ، وجملة الرجاء حالية .

الفوائد :

يطرد حذف كان واسمها وبقاء خبرها بعد إن ولو الشرطيتين ، وسيرد تفصيل ذلك في مواضعه .

لمحة تاريخية : في هذه الآية تهذيب رفيع وتعاليم إنسانية رائعة وشجب للتمييز العنصري واللوني ، قيل : نزلت هذه الآية في عبد الله ابن رواحة ، وقد كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوماً فلطمها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال له النبي : وما هي يا عبد الله ؟ قال : هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي قال : هذه مؤمنة قال عبد الله : فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا : أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فنزلت .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾

اللغــة :

(المحيض) مصدر ميمي أو اسم زمان ، والحيض : سيلان الدم. والتفصيل فيه مبسوط في كتب الفقه .

الاعراب :

(ويسألونك عن المحيض) كلام معطوف على الأحكام المتقدمة ويلاحظ أنه صدر السؤال بالواو ثلاث مرات وجاء مجرداً منها أربع مرات ، لأن ما جاء مقترناً بالواو حدث السؤال عنه في وقت واحــد فحسن عطفه بالواو ، أما حيث تختلف الأزمنة في السؤال فقد جاء الكلام مجرداً من الواو تنبيهاً على انقطاع المدد وتفاوتها . وهذا من أسرار القرآن ومعاجزة البديعــة . وعن المحيض متعلقان بيسألونك (قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة (هو) مبتدأ (أذى) خبر والجملة الاسمية مقول القول (فاعتزلوا) الفاء الفصيحة أي إذا شئتم معرفة حكمه فاعتزلوا ، والجملة بعدها لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غــير جازم (النساء) مفعول به (في المحيض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبّسات بالمحيض (فإذا) الفاء عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (تطهرن) فعل ماض مبني عــلى السكون لاتصاله بنون النسوة والنون ضمير متصل في محل رفع فاعل وجملة تطهــرن في محل جر بالإضافــة (فأتوهن) الفاء رابطة لجواب إذا وأتوهن فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (من حيث) من حرف

جر وحيث ظرف مكان مبني على الضم في محل جر بمن والجار والمجرور متعلقان بأتوهن (أمركم الله) فعل ماض ومفعول به وفاعل والجملة في محل جر بالاضافة (إن الله) إن واسمها (يحب) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى والجملة في محل رفع خبر إن (التوابين) مفعول به وجملة إن وما تلاها تعليلية لا محل لها (ويحب المتطهرين) عطف على جملة يحب التوابين (نساؤكم) مبتدأ (حرث) خبر (لكم) الجار والمجرور صفة لحرث (فأتوا) الفاء استئنافية وأتوا : فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (حرثكم) مفعول به . والجملتان الاسمية والفعلية مستأنفتان مسوقتان لبيان الحكم في هذه المسألة الاجتماعية، فقد اعتزل المسلمون نساءهم عملاً بظاهر آية المحيض ، فأخرجوهن من البيوت ، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت ، وإن استأثرنا بها هلكت الحيّض ! فقال : إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهنّ ، ولم تؤمروا بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم . ثم إن اليهود جرياً على عادتهم في المكابرة واللجاج وإحداث التفرقة والبلبلة أخذوا يروّجون أقوالاً لا حقيقة لها . منها قولهم : من أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول ، فنزلت الآية الثانية والثالثة تسهيلاً على العباد وتوفيراً للذتهم ، كما سيأتي في باب البلاغة (أنى شئتم) مفعول فيه ظرف مكان متعلق بأتوا ، وجملة شئتم في محل جر بالإضافة (وقدموا لأنفسكم) عطف على ما تقدم (واتقوا الله) عطف أيضاً (واعلموا أنكم ملاقوه) عطف آخر ، وأن وما في حيزها سدّت مسد مفعولي اعلموا ، وملاقوه خبر أن وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم (وبشر المؤمنين) عطف آخر على ما تقدم .

البلاغــة :

١ ــ التشبيه البليغ : فقد شبّه النساء بالحرث أولاً لما بــين ما يلقى في أرحامهن من النّطف وبين البذور من المشابهة ، ووجه الشبه أن كلاً منهما مادة ما يحصل منه •

٢ ــ الكناية ، فقد كنّى بإتيان الحرث في أية كيفية عن إتيان المرأة في الكيفية التي يشاؤها المرء من غير حظر ولا حرج ما دام المأتى واحداً وهو موضع الحرث •

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾

اللغــة :

(عرضة) العرضة بالضم : الشيء الــذي ينصب ويعرض ، ويقال : هو عرضة لكذا ، أي قوي عليه ، وهو عرضة للناس ، أي : لا يزالون يقعون فيه ، وجعلته عرضة كذا ، أي نصبته • أي لا تجعلوا الله كالغرض المنصوب للرماة ، فكلما أردتم الامتناع من شيء ــ ولو كان خــيراً ــ تتوصلون الى ذلك بالحلف (اللغو) الساقط الــذي لا يؤبه له ولا يعتدّ به من كلام وغيره ، والمراد به هنا ما يسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف •

الاعراب :

(ولا تجعلوا) الواو استئنافية مسوقة لمعالجة مشكلة اجتماعية خطيرة ، وهي جعل اسم الله معرضاً للايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به • أو لا تجعلوه برزخاً حاجزاً بأن تحلفوا به ، فذلك لأن العرضة إما بمعنى فاعل وإما بمعنى مفعول ، ولا ناهية وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بها (الله) مفعول به أول لتجعلوا (عرضة) مفعول به ثان (لأيمانكم) الجار والمجرور متعلقان بعرضة (أن تبروا) أن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول لأجله أو بدل (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف على أن تبروا وبين ظرف متعلق بتصلحوا (والله سميع عليم) جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، والله مبتدأ وسميع عليم خبراه (لا) نافية (يؤاخذكم) فعل مضارع ومفعول به (الله) فاعله والجملة مستأنفة (باللغو) الجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم (في أيمانكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال(ولكن)الواو عاطفةولكن مهملة للاستدراك (يؤاخذكم) فعل مضارع ومفعول به (بما كسبت قلوبكم) الجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم وما مصدرية أو اسم موصول وقلوبكم فاعل (والله غفور حليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور حليم خبراه •

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ

أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ
وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ
ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

اللغـة :

(يؤلون) : يقسمون ، والإيـلاء من المـرأة أن يقول : والله لاأقربك أربعة أشهر فصاعداً وفي هذا الفعل مباحث تتعلق بعلم الفقه يرجع إليها في مظانّها •

(فاءوا) رجعوا •

(التربص) الانتظار والتأنّي ، قال :

تربّصْ بها ريب المنون لعلها　　　تطلّق يوماً أو يمـوت حليلها

(قروء) جمع قرء ، وهو الطهر ، كما ذهب إليه الشافعي • أو الحيض كما ذهب إليه أبو حنيفة • وخـلاف الفقهاء عند الاحتمال اللغوي جميل جداً • فمن إطلاقه على الطهر قول الأعشى :

أفي كل عام أنت جاشم غزوة　　　تشدّ لأقصاها عظيم عزائكا

مورثة مالا وفي الحي رفعـة　　　لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أي أطهارهن . ومن إطلاقه على الحيض قول النبي صلى الله عليه وسلم : « دعي الصلاة أيام اقرائك » .

الاعراب :

(للذين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (يؤلون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (من نسائهم) الجار والمجرور متعلقان بيؤلون، وحق تعدية فعل الإيلاء بـ«على»ولكنه ضمنهمعنى البعد لأن المقسمين يبعدون عن نسائهم نسائهم (تربص) مبتدأ مؤخر و (أربعة أشهر) أربعة أشهر مضاف إليه ، والكلام مستأنف لإتمام التشريع (فإن فاءوا) الفاء استئنافية وإن شرطية وفاءوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط (فإن الله غفور رحيم) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها وخبراها وجملة إنّ وما تلاها في محل جزم جواب الشرط (وإن عزموا الطلاق) الواو عاطفة وإن شرطية وعزموا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط والطلاق منصوب بنزع الخافض لأن عزم يتعدى بـ « على » وجواب الشرط محذوف تقديره فليوقعوه (فإن الله سميع عليم) الفاء عاطفة على الجواب المحذوف بمثابة التعليل ، وان واسمها وخبراها (والمطلقات) الواو استئنافية والمطلقات مبتدأ (يتربصن) فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل ، وجملة يتربصن خبر المطلقات ، والجملة المستأنفة لا محل لها مسوقة لبيان أحكام الطلاق (بأنفسهن) الجار والمجرور متعلقان بيتربصن ، ومعنى الباء السببية أي من أجل أنفسهن ، لأن نفوس النساء طوامح الى الرجال فهن أدرى بقمع شرّتها (ثلاثة قروء)قال المعربون مفعول به ليتربصن،وأرى أن النصبعلى الظرفية الزمانية أرجح

ويتعلق الظرف بيتربصن أي : مدة ثلاثة قروء (ولا يحل لهن) الواو عاطفه ولا نافية ويحل فعل مضارع معطوف على يتربصن (أن يكتمن) أن حرف مصدري ونصب ويكتمن فعل مضارع مبني على السكون في محل نصب بأن ونون النسوة فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يحل (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (خلق الله) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (في أرحامهن) الجار والمجرور متعلقان بخلق (إن) شرطية (كن) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ونون النسوة ضمير متصل في محل رفع اسم كان (يؤمنّ) خبر كن وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله أي فلا يجرؤن على ذلك (بالله) الجار والمجرور متعلقان بيؤمن (واليوم الآخر) عطف على الله لفظ الجلالة (وبعولتهن) الواو عاطفة وبعولتهن مبتدأ (أحق) خبر (بردهن) الجار والمجرور متعلقان بأحق (في ذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي حالة كون الرّدّ في مدة ذلك التربّص (ان أرادوا اصلاحاً) ان حرف شرط جازم ، أرادوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف تقديره : فبعولتهن أحق بردهن ، والواو فاعل ، اصلاحاً مفعول به (ولهن) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (مثل الذي عليهن بالمعروف) مثل مبتدأ مؤخر واسم الموصول مضاف اليه وعليهن صلة الموصول وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائناً في الوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة . وتفصيل هذه الأحكام في كتب الفقه (وللرجال) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عليهن) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه تقدم على موصوفه (درجة) مبتدأ مؤخر (والله عزيز حكيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وعزيز حكيم خبراه .

الفوائد :

لوحظ أنه أضاف الثلاثة الى قروء ، وهي من جموع الكثرة ، لأنه لما جمع المطلقات وكان الواجب على كل منهن ثلاثة أقراء جمع القروء جمع كثرة ليتناسق الكلام ، أو أنه من باب الاتساع ، ووضع أحد الجمعين في موضع الآخر ، للنكتة المشار إليها آنفاً .

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ ﴾

الاعراب :

(الطلاق مرتان) مبتدأ وخبر والجملة مستأنفة لبيان عدد الطلاق الجائز (فإمساك) الفاء الفصيحة كأنه قيل : إذا علمتم كيفية التطليق فعليكم أحد الأمرين . وإمساك مبتدأ خبره محذوف أي فعليكم إمساكهن . وإنما قدرنا الخبر قبله لتسويغ الابتداء بالنكرة (بمعروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لإمساك (أو تسريح بإحسان) أو حرف عطف وتسريح عطف على إمساك والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لتسريح . والمراد بالإحسان

استمرار إيصال المعروف أو تأدية جميع حقوقها المالية لرأب الصدع الذي أحدثه الطـلاق (ولا) الواو استئنافية أو عاطفـة ولا نافية (يحل) فعل مضارع مرفوع (لكم) الجار والمجرور متعلقان بيحل (أن تأخذوا) أن وما بعدها في تأويل مصدر فاعل يحل (مما) الجار والمجرور متعلقان بتأخذوا أو بمحذوف حال (آتيتموهن) الجملة صلة الموصولة والواو بعد الميم التي هي لجمع الذكور لإشباع ضمة الميم (شيئاً) مفعول به (إلا أن يخافا) إلا أداة حصر لتقدم النفي أو استثناء ، وأن والفعل بعدها في تأويل مصدر ، وقد اختلف في إعراب هذا المصدر اختلافاً شديداً ، فالظاهر أنه نصب على الحال ، أي إلا خائفين ، ويشكل عليه أن سيبويه منع في كتابه وقوع أن والفعل حالاً، نصّ على ذلك في آخر باب « هذا باب ما يختار فيه الرفع » . وعلى هذا لا مندوحة عن الرجوع الى الوجه الثاني من أوجه الاستثناء وهو أن يكون الكلام تاماً منفياً فننصبه على الاستثناء من المفعول به ، وهو « شيئاً » . كأنه قيـل : ولا يحل لكم أن تأخـذوا بسبب من الأسباب إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود الله ، فذلك هو الذي يبيح لكم الأخذ . ويكون حرف العلة قد حذف مع « أن » وهو جائز في العربية ، فتأمل وتدبّر (أن لا يقيما حدود الله) أن وما في حيزها في موضع نصب مفعول يخافا ، وحدود الله مفعول به ولا نافية (فإن خفتم) الفاء استئنافية وإن شرطية وخفتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل (أن لا يقيما حدود الله) أن وما بعدها في موضع نصب مفعول به لخفتم (فلا جناح عليهما) الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس وجناح اسمها وعليهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (فيما افتدت به) الجار والمجرور موضع نصب على الحال وجملة افتدت صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بافتدت

وجملة فلا جناح في محل جزم جواب الشرط (تلك حدود الله) تلك اسم الاشارة مبتدأ وحدود الله خبره (فلا تعتدوها) الفاء الفصيحة أي إذا عرفتم هذه الأحكام فلا تتجاوزوها ، والجملة بعدها لا محل لها من الإعراب . وجملة « تلك حدود الله » مستأنفة ولا ناهية وتعتدوها فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به (ومن يتعد حدود الله) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر الوعيد بعد النهي عن تعديها ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويتعد فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وحدود الله مفعول به (فأولئك هم الظالمون) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثانٍ والظالمون خبره ، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول أو هم ضمير فصل لا محل لها والظالمون خبر أولئك . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ

ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ
وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

اللغـة :

(ضراراً) مصدر بمعنى الاضرار ، كان الرجـل يطلق المـرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطوّل عليها العدة فنهي عنه والتفاصيل في كتب الفقه .

الاعراب :

(فإن طلقها فلا تحلّ له) الفاء استئنافية أو عاطفة وإن شرطية وطلقها فعل ماض في محل جزم فعـل الشرط والهاء مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية وتحل فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هي أي المطلقة والجار والمجرور متعلقان بتحل والجملة في محل جزم جواب الشرط (من بعد) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائنة بعد الطلقتين الاثنتين (حتى تنكح زوجاً غيره) حتى حرف غاية وجر وتنكح فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بتحل وزوجاً مفعول به وغيره صفة (فإن طلقها) الجملة مستأنفة وقد تقدمت والفاعل مستتر يعود على الزوج الثاني (فلا جناح عليهما أن يتراجعا) الفاء رابطة ولا نافية للجنس وجناح اسمها المبني على الفتح وعليهما الجار والمجرور متعلقان بمحـذوف خبرها وجملة فلا جناح جواب شرط وأن وما في حيزها مصدر منصوب

بنزع الخافض أي في التراجع والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، والضمير يعود على الزوجة والزوج الأول (إن ظنا) إن شرطية وظنا فعل ماض مبني على الفتح والألف فاعل وهو فعل الشرط وجوابه محذوف دل عليه ما قبله (أن يقيما) أن وما في حيزها مصدر منصوب مفعولي ظنّا والألف فاعل (حدود الله) مفعول به (وتلك) الواو استئنافية وتلك مبتدأ (حدود الله) خبر (نبينها) فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله تعالى والهاء مفعول به والجملة في محل رفع خبر ثان أو حال (لقوم) الجار والمجرور متعلقان بنبينها (يعلمون) الجملة صفة لقوم (وإذا طلقتم النساء) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتتمة بيان أحكام الطلاق . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة طلقتم النساء في محل جر بالاضافة والنساء مفعول طلقتم (فبلغن أجلهن) الفاء عاطفة وبلغن فعل ماض مبني على السكون ونون النسوة فاعل وأجلهن مفعول به (فأمسكوهن بمعروف) الفاء رابطة لجواب الشرط وأمسكوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به والجار والمجرور متعلقان بأمسكوهن (أو سرحوهن بمعروف) الجملة معطوفة على سابقتها (ولا تمسكوهن ضرارا) الواو عاطفة ولا ناهية وتمسكوهن فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به والنون علامة التأنيث ، وضراراً مفعول لأجله أو مفعول مطلق أو مصدر في موضع الحال ، والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان (لتعتدوا) اللام للتعليل وتعتدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بـ « ضراراً » فيكون بمثابة علة للعلة كما تقول : « ضربت ابني تأديباً لينتفع » ولا يسوغ جعله علة ثانية لئلا يتعدد المفعول لأجله ، ومعنى الاعتداء الظلم بمجاوزة الحدود

المبينة (ومن يفعل ذلك) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويفعل فعل الشرط والفاعل هو وذلك مفعول به (فقد ظلم نفسه) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق وظلم فعل ماض وفاعله هو ونفسه مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط . وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) الواو حرف عطف أو استئناف ولا ناهية وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وآيات الله مفعول به أول وهزواً مفعول به ثان لتتخذوا أي مهزوءاً بها (واذكروا نعمة الله عليكم) الواو حرف عطف واذكروا فعل أمر وفاعل ونعمة الله مفعول به وعليكم متعلقان بنعمة (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) الواو عاطفة وما اسم موصول معطوف على نعمة وجملة أنزل صلة « ما » وعليكم متعلقان بأنزل ، ومن الكتاب الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، والحكمة عطف على الكتاب (يعظكم به) فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره هو والكاف مفعول به والجملة حال ، والجار والمجرور متعلقان بيعظكم (واتقوا الله) الواو حرف عطف ، اتقوا عطف على اذكروا (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) عطف على ما تقدم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

اللغـة :

(تعضلوهن) العضل هو الحبس والتضييق ، ومنـه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج . وقد رمق ابن هرمة سماء القرآن فأخذ اللفظة أخذاً رشيقاً بقوله :

وإن قصائدي لك فاصطنعني عقائـل قد عضلن عن النكاح

شبه القصائد بالنساء ورشح ذلك بالعضل وهو المنع من النكاح. وللعين مع الضاد إذا وقعنا فاء وعيناً للكلمة سر غريب ، فهما تفيدان عندئذ معنى الحبس والشدة ، ومنه سيف عضب : أي شديد قاطع ، والعضد معـروف وهو أشد عضو في الانسان . وهـذا من أغرب ما تميزت به لغتنا العربية .

الاعراب :

(وإذا طلقتم النساء) الواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب وجملة طلقتم النساء : في محل جر بإضافة الظرف إليها . والنساء مفعول به (فبلغن أجلهن) الفاء عاطفة وبلغن فعل ماض مبني على السكون والنون فاعل وأجلهن أي عدتهن مفعول به والجملة عطف علـى جملة طلقتم (فلا تعضلوهن) الفـاء رابطـة ولا ناهية وتعضلوهن فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به والجملة لا محـل لها لأنها جواب إذا (أن ينكحن أزواجهـن) أن وما بعدها مصدر منصوب بنزع الخافض أي من النكاح . وارتأى أبو حيان أن يكون المصدر في موضع نصب على البدل من الضمير ، بدل اشتمال ، ولا بأس بما ارتآه . وأزواجهن مفعول به (إذا تراضوا بينهم بالمعـروف) إذا ظرف مستقبل متضمن معـنى الشرط متعلق

بتعضلوهن أو بينكحن . وجملة تراضوا في محل جر بالإضافة ، وبينهم ظرف متعلق بتراضوا وبالمعروف متعلقان بمحذوف حال من فاعل تراضوا أو صفة لمصدر محذوف ، أي تراضيا كائناً بالمعروف ، ولا مانع من تعليقهما بتراضوا أي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة (ذلك)اسم الاشارة مبتدأ والإشارة لجميع ما فصله من الأحكام (يوعظ به) فعل مضارع مبني للمجهول والجار والمجرور متعلقان بيوعظ وجملة يوعظ به خبر لاسم الاشارة وجملة الاشارة مستأنفة (من كان) من اسم موصول في محل رفع نائب فاعل يوعظ وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو والجملة صلة (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يؤمن بالله واليوم الآخر) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كان (ذلكم أزكى لكم وأطهر) ذلكم : مبتدأ وأزكى خبره ولكم جار ومجرور متعلقان بأزكى أو أطهر والجملة استئنافية (والله يعلم) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر (وأنتم لا تعلمون) الواو حرف عطف وأنتم مبتدأ ولا نافية وجملة لا تعلمون خبر أنتم .

البلاغة :

في الآية مجاز مرسل طريف وهو قوله تعالى : (أن ينكحن أزواجهن) فتسمية المطلقين لهن بالأزواج مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان .

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ

نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ
مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم
مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

اللغة :

(الحول) السنة لأنها تحول أي تمضي والجمع حئول بضم الحاء وأحوال ، وهذه امرأة لا تضع إلا تحاويل ولا تلد إلا تحاويل ، أي تلد سنة وسنة لا تلد ، وحوليات زهير أي قصائده المطوّلة التي يستغرق في نظمها حولاً كاملا .

(تضار) مضارع ضارّ بتشديد الراء ولذلك فتح آخره كما سيأتي .

(الفصال) بكسر الفاء : الفطام قبل الحولين ، وفصلت الأم رضيعها فطمته ، وهذا زمن فصاله كما يقال زمن فطامه .

الاعراب :

(والوالدات) الواو عاطفة أو استئنافية والجملة معطوفة أو

مستأنفة مسوقة لإتمام هذه الأحكام والوالدات مبتدأ (يرضعن) فعل مضارع مبني على السكون والنون فاعل (أولادهن) مفعول به والجملة خبر للوالدات (حولين) ظرف زمان متعلق بيرضعن (كاملين) صفة لأنه مما يتسامح به ، تقول : أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لمن) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره ذلك الحكم لمن والجملة مستأنفة (أراد أن يتم الرضاعة) جملة أراد لا محل لها لأنها صلة من ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به فتكون « مَنْ » واقعة على الأم . كأنه قيل : لمن أراد أن يتم الرضاعة من الوالدات . ويجوز أن يعلق الجار والمجرور بيرضعن ، فتكون واقعة على الأب ، كأنه قيل : لأجل من أراد أن يتم الرضاعة من الآباء (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) الواو عاطفة وعلى المولود متعلقان بمحذوف خبر مقدم وله جار ومجرور في محل رفع على أنه نائب فاعل للمولود لأنه اسم مفعول . ورزقهن مبتدأ مؤخر وكسوتهن عطف عليه . وبالمعروف متعلقان بمحذوف حال (لا تكلف نفس إلا وسعها) الجملة تفسيرية لا محل لها ولا نافية وتكلف فعل مضارع مبني للمجهول ونفس نائب فاعل وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان . وكلّف بتشديد اللام فعل يتعدى لاثنين ، قال عروة :

يكلفني عمي ثلاثين ناقة ... ومالي يا عفراء غير ثمان

فالياء مفعول أول وثلاثين مفعول ثان (لا تضار والدة بولدها) لا ناهية وتضار فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون ؛ وثابت الفتحة لخفتها في المضعف ، والفعل مبني للمجهول ، وقرىء في السبع برفع تضارُّ ، على أن « لا » نافية . ووالدة نائب فاعل

والجار والمجرور متعلقان بتضار والجملة حالية (ولا مولود له بولده) عطف على ما تقدم والباء فيهما للسببية ، أي وأضيف الولد إليها تارة وإليه تارة أخرى ، بمثابة استعطاف لكل من الوالدين ومناشدتما بأن يتعهداه ويعملا على استصلاحه ، فلا يكون سبباً لإلحاق الضر بهما ، ولذلك جعلها بعض الحذاق من معربي القرآن زائدة ولا داعي لدعوى الزيادة . (وعلى الوارث مثل ذلك) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومثل ذلك مبتدأ مؤخر (فإن أرادا فصالاً) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاستقصاء الحكم في هذه المسألة الاجتماعية . وإن شرطية وأرادا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والألف فاعل وفصالاً مفعول به (عن تراض منهما وتشاور) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفصالاً ومنهما صفة لتراض وتشاور عطف على تراض (فلا جناح عليهما) الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس وجناح اسمها وعليهما خبرها والجملة جواب الشرط (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) الواو عاطفة وإن شرطية وأردتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به لأردتم وأولادكم مفعول به ثان لتسترضعوا والمفعول الأول محذوف والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم ، نصّ على هذا الاعراب سيبويه وعلق الشهاب على البيضاوي بأن أرضع يتعدى الى مفعول واحد ، فإن زيدت فيه السين والتاء صار متعدياً لاثنين ، وجرى الزمخشري أيضاً على ذلك . وقيل إنما يتعدى للثاني بحرف جر ، فيكون أولادكم منصوباً بنزع الخافض، ويكون الجار والمجرور موضع المفعول الثاني ، قال الزجاج والتقدير : أن تسترضعوا لأولادكم غير الوالدة . (فلا جناح عليكم) تقدم إعرابها (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن

خافض لشرطه منصوب بجوابه المحذوف وجملة سلمتم في محل جر بالإضافة ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة آتيتم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وبالمعروف الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (واتقوا الله) الواو استئنافية . وجملة « اتقوا الله » من الفعل والفاعل والمفعول به مستأنفة مسوقة للمبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع وعدم التفريط بحقوقهم (واعلموا) عطف على واتقوا (أن الله بما تعملون بصير) أن وما بعدها سدت مسد مفعولي اعلموا وجملة تعملون صلة ما ، وبصير خبر أن .

الفوائد :

الفعل المضعف إذا جزم أو بني على السكون جاز فيه ثلاث لغات:

١ ــ الفتح مطلقاً ، وعندنا أنه الأولى لخفته على اللسان .

٢ ــ الكسر مطلقاً ، كأنهم شبهوه بالتقاء الساكنين .

٣ ــ الاتباع لحركة الفاء وروي قول جرير باللغات الثلاث :

فغضّ الطرفَ إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾

اللغــة :

(يتوفون) بالبناء للمجهول أي تقبض أرواحهم بالموت ، وهو مأخوذ من توفّيت الدّين إذا قبضته . والمتوفّي هو الله ، والمتوفّى

بالفتح هو العبد . ويحكى أن أبا الأسود الدّؤليّ كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل : من المتوفي ؟ بكسر الفاء . فقال : الله تعالى . وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي بن أبي طالب على وضع النحو .

(المقتر) الضيّق الرزق .

الاعراب :

(والذين يتوفّون منكم) اضطرب كلام المفسرين والمعربين وأئمة اللغة في إعراب هذا التركيب البليغ ، وأدلى كل واحد منهم بحجة ، وحشد كل ما لديه ، لإثبات ما ارتآه . ولهذا تعذّر على المعرب المفاضلة والترجيح ، وسنلخص ما رأيناه أقرب الى الصواب منها :

رأي سيبويه : وهو إعراب « الذين » مبتدأ خبره محذوف ، أي فيما يتلى عليكم حكمهم . وسيرد مثله في القرآن الكريم ، ومنه « والسارق والسارقة » . وجملة « يتربصن » تفسيرية للحكم المتلوّ لا محل لها .

رأي الزمخشري : وهو « الذين » مبتدأ على تقدير حذف المضاف ، أراد : وأزواج الذين يتوفون منكم ، وخبره جملة يتربصن .

رأي المبرّد : وهو جعل جملة « يتربصن » خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير : أزواجهم يتربصن، والجملة الاسمية خبر «الذين»، والرابط هو الضمير ، أي النون في « يتربصن » ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم آخر .

منكم : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (ويذرون)

عطف على يتوفون (أزواجاً) مفعول به (يتربصن بأنفسهن) فعل مضارع مبني على السكون وقد مر إعراب الجملة فيما تقدم (أربعة أشهر) ظرف زمان متعلق بيتربصن (وعشراً) عطف على أربعة • وذكر العدد لأنه أراد عشر ليال ، والأيام داخلة معها ، ولا تراهم أبداً يستعملون التذكير تقول : صمت عشراً وسرت عشراً ، قال :

أشوقاً ولمّا يمض لي غير ليلة فكيف إذا جدّ المطيّ بنا عشرا

(فإذا بلغن أجلهن) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب ، وبلغن فعل وفاعل ، وأجلهن مفعول به ، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة (فلا جناح عليكم) الفاء رابطة للجواب ، ولا نافية للجنس وجناح اسمها ، وعليكم متعلقان بمحذوف خبرها والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فعلن صلة الموصول ، وفي أنفسهن جار ومجرور متعلقان بفعلن وبالمعروف الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبسات بالمعروف (والله بما تعملون خبير) الواو استئنافية والله مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بخبير وجملة تعملون صلة الموصول وخبير خبر لفظ الجلالة (ولاجناح عليكم فيما عرّضتم به)تقدم إعرابها والواو عاطفة (من خطبة النساء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (أو أكننتم في أنفسكم) أو حرف عطف وجملة أكننتم عطف على عرّضتم وفي أنفسكم متعلقان بأكننتم (علم الله أنكم ستذكرونهن) الجملة بمثابة التعليل لا محل لها وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي علم ، وجملة ستذكرونهن خبر أن (ولكن لا تواعدوهن سراً) الواو عاطفة على محذوف وقع عليه

الاستدراك ، أي فاذكروهن • و « لكنْ » مخففة مهملة ولا ناهية وتواعدوهن فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والهاء مفعول أول وسراً مفعوله الثاني ، لأن السر معناه هنا النكاح • ويجوز أن يعرب حالاً مؤولة أي مستخفين عن الناس، أو منصوباً بنزع الخافض أي في السر، ويجوز أيضاً أن يعرب مفعولاً مطلقاً أي مواعدة سراً • والوجه هو الأول ، وإنما ألمعنا الى هذه الوجوه لأن بعضهم قال : إن فعل المواعدة لا يتعدى الى مفعولين ، والعرب كثيراً ما يستعملون السر بمعنى النكاح قال الأعشى :

ولا تقربن من جارة إنّ سرها   عليك حرام فانكحن أو تأبــدا

وتأبدا فعل أمر وألفــه منقلبة عن نون التوكيد أي : انفر من الأنيس أيها المخاطب (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) إلا أداة استثناء وأن مصدرية وتقولوا فعل مضارع منصوب بأن وأن وما بعــدها مصدر في محل نصب على الاستثناء من « سراً » وقولاً مفعول مطلق ومعروفاً صفة (ولا تعزموا عقدة النكاح) الواو حرف عطف ولا ناهية وتعزموا فعل مضارع مجزوم بلا وعقدة النكاح منصوب بنزع الخافض أي : على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) حرف غاية وجر ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والكتاب فاعــل وأجله مفعول به والجار والمجرور متعلقان بتعزموا (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) الواو عاطفة واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأن واسمها وجملة يعلم خبر أن ، وأن وما دخلت عليه سدت مسد مفعولي اعلموا ، وما اسم موصول مفعول به ، وفي أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة ما أي استقر في أنفسكم (فاحذروه) الفاء الفصيحة أي إذا علمتم ذلك فاحذروه (واعلموا

أن الله غفور حليم) الواو عاطفة واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا (لا جناح عليكم) الجملة استئنافية (إن طلقتم النساء) إن شرطية وطلقتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وجواب الشرط محذوف أي فلا تعطوهن المهر والجملة استئنافية (ما لم تمسوهن) ما مصدرية ظرفية زمانية أو شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتمسوهن فعل مضارع مجزوم بلم (أو تفرضوا لهن فريضة) الظاهر أنها عاطفة وتفرضوا عطف على تمسوهن ، ولكن يشكل على ذلك أمران ، أولهما أن المعنى يصير : لاجناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهن في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين ، مع أنه إذا انتفى الفرض دون المسيس لزم مهر المثل ، وإذا انتفى المسيس دون الفرض لزم نصف المسمّى ، فكيف يصح نفي الجناح عند انتفاء أحد الأمرين ؟ وثانيهما أن المطلقات المفروض لهن قد ذكرن ثانياً بقوله تعالى:« وإن طلقتموهن» الآية ، وترك ذكر الممسوسات لما تقدّم من المفهوم ، ولو كان تفرضوا مجزوماً لكانت الممسوسات والمفروض لهن مستويات في الذكر ، وقد تولى ابن الحاجب الجواب على الإشكال الأول بمنع كون المعنى مدة انتفاء أحدهما ، بل مدة لم يكن واحد منهما وذلك بنفيهما جميعاً ، لأنه نكرة في سياق النفي الصريح بخلاف الأول فإنه لا ينفي إلا أحدهما . وأجاب بعضهم عن الثاني بأن ذكر المفروض لهن إنما كان لتعيين النصف لهن لا لبيان أن لهن شيئاً في الجملة . وعلى كل حال فالأولى جعل أو بمعنى إلى وتفرضوا منصوب بأن التي بمعنى إلاّ أو إلى فتأمل هذا الفصل ، وحاصل ما تقدم أن الجزم عطفاً على تمسّوهن يؤدي لاختلاف الآيتين نسقاً ، وعدم التخالف أولى ، والجملة معطوفة على جواب أن المحذوف . والمعنى إن طلقتم النساء زمان عدم المس

وفرض الفريضة فــلا تعطوهن المهر (ومتعوهن) عطف عــلى فلا تعطوهن المهر أي أعطوهن ما يتمتعن به (على الموسع قدره) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وقدره مبتدأ مؤخر والجملة حالية (وعلى المقتر قدره) عطف على ما تقدم (متاعاً بالمعروف) متاعاً : مفعول مطلق ومتاعاً اسم مصدر بمعنى المصدر أي تمتيعاً وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (حقاً على المحسنين) مفعول مطلق لفعل محذوف ، وعلى المحسنين الجار والمجرور متعلقان بالمصدر (وإن طلقتموهن) عطف على ما تقدم وقد مر إعرابه (من قبل أن تمسوهن) الجار والمجرور متعلقان بطلقتموهم وأن وما في حيزها في تأويــــل مصدر مجــرور بالإضافة أي من قبــل المسيس (وقــد فرضتم لهن فريضة) الواو حالية وقد حرف تحقيق وفرضتم فعــل وفاعل ولهن الجار والمجرور متعلقان بفرضتم وفريضة إما مفعول به وهي بمعنى المفعول أي شيئاً مفروضاً وإما مفعول مطلق بمعنى فرضاً (فنصف) الفاء رابطة لجواب الشرط ونصف مبتدأ والخبر محذوف أي فعليكــم نصف ، أو خبر لمبتدأ محــذوف أي فالواجب نصف (ما فرضتم) ما اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة فرضتم صلة الموصول والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط (إلا أن يعفون) إلا أداة استثناء وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن عفوهن عن النصف وسقوطه ليس من جنس استحقاقهن ، وفي هذا الحكم مباحث فقهية طريفة تؤخذ من مظانها • ويعفون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ولا أثر للعامل في لفظه وهو في محــل نصب فالنون ضمير وليست علامة إعراب كما في قولك : الرجال يعفون (أو يعفوَ) عطف على يعفون وعلامة نصبه الفتحة (الذي) فاعل يعفو (بيده عقــدة

النكاح) بيده الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعقدة النكاح مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة الموصول (وأن تعفوا أقرب للتقوى) الواو استئنافية وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مؤوّل في محل رفع مبتدأ وأقرب خبر وللتقوى متعلقان بأقرب (ولا تنسوا) الواو عاطفة ولا ناهية وتنسوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (الفضل) مفعول به (بينكم) الظرف متعلق بمحذوف حال (إن الله بما تعملون بصير) إن واسمها ، والجار والمجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون صلة ما ، وبصير خبر إن ، والجملة تعليل لما تقدم .

البلاغة :

١ ـ في هذه الآية فن طريف وهو فن التعريض ، وبعضهم يدخله في باب الكناية ، ونرى أنه فنٌ قائم بنفسه ، وهو هنا في قوله تعالى : « فيما عرضتم به من خطبة النساء » كأنه يقول لمن يريد خطبتها : إنك جميلة ، أو من يجد مثلك ؟ أو نحو ذلك . ومن بديع التعريض في الشعر قول أبي الطيب المتنبي معرضاً بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا ... دِ أنكر أظلافه والغبب

يريد أن من ركب الثور وكان من عادته أن يركب الجواد ينكر أظلاف الثور وغببه أي اللحم المتدلي تحت حنك الثور ، وأما من كان مثل كافور سبق له ركوب الثور فلا ينكر ذلك منه إن ركبه بعد الجواد . وله أيضاً فيه يستزيده من الجوائز :

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله

فإني أغني منذ حين وتشرب

يقول مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك .

﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾

اللغـة :

(الوسطى) : الفضلى من قولهم للأفضل : الأوسط . وليست من الوسط الذي معناه التوسط بين شيئين، لأن فُعلى معناها التفضيل، ولا يبنى للتفضيل إلا ما يقبل التفاوت أي الزيادة والنقص ، والوسط بمعنى الخيار يقبلهما بخلاف التوسط بين الشيئين فإنه لا يقبلهما ، ولذلك لا يجوز أن يبنى منه أفعل التفضيل .

(قانتين) : طائعين أو ساكتين .

(رجالاً) : جمع راجل أي مشاة .

الاعراب :

(حافظوا على الصلوات) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام صلاة الخوف . وحافظوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وعلى الصلاة جار ومجرور متعلقان بحافظوا (والصلاة) عطف على الصلوات (الوسطى) صفة (وقوموا لله قانتين) الواو حرف عطف وقوموا عطف على حافظوا ولله جار ومجرور متعلقان بقانتين وقانتين حال من فاعل قوموا (فإن خفتم) الفاء استئنافية وإن شرطية وخفتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط (فرجالاً) الفاء رابطة لجواب الشرط ورجالاً حال والعامل محذوف تقديره فصلوا أو فحافظوا عليها رجالاً والجملة في محل جزم جواب الشرط(أو ركباناً) عطف على «رجالاً»(فإذا أمنتم) الفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب وجملة أمنتم في محل جر بالإضافة(فاذكروا الله)الفاء رابطة لجواب إذا واذكروا الله فعل وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (كما علمكم) الكاف ومدخولها في محل نصب على المفعولية المطلقة أو على الحال وما مصدرية وجملة علمكم لا محل لها لأنها جواب موصول حرفي (ما لم تكونوا تعلمون) ما اسم موصول مفعول ثان لعلمكم وجملة لم تكونوا صلة وجملة تعلمون خبر تكونوا، والمراد ما لم تكونوا تعلمونه من صلاة الخوف وهي مبسوطة في كتب الفقه (والذين يتوفون منكم) الواو استئنافية والذين مبتدأ وجملة يتوفون صلة والواو نائب فاعل ومنكم متعلقان بمحذوف حال (ويذرون أزواجاً) عطف على يتوفون وأزواجاً مفعول به (وصية لأزواجهم) وصية مفعول مطلق لفعل محذوف أي يوصون وصية

وهذه الجملة الفعلية خبر الذين والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لوصية (متاعاً الى الحول) يجوز أن تنصب متاعاً على المفعولية المطلقة لفعل محذوف ، أي يمتعوهن متاعاً أو على أنها بدل من وصية أو على الحال . وقيل منصوب بوصية ، وقيل بفعل محذوف ، أي متعوهن متاعاً . والى الحول جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاعاً أي ممتداً الى الحول (غير إخراج) غير حال ، أي حالة كونهن غير مخرجات من مسكنهن . وقال الأخفش هي صفة لقوله متاعاً ، كأنه قال : لا إخراجاً . واختاره ابن جرير الطبري ، ولا مانع منه . وقيل : منصوب بنزع الخافض . وإنما أوردنا هذه الأوجه لأنها متساوية الرجحان (فإن خرجن) الفاء استئنافية وإن شرطية وخرجن فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط (فلا جناح عليكم) الفاء رابطة لجواب الشرط والجملة في محل جزم جواب الشرط (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فعلن صلة الموصول وفي أنفسهن متعلقان بقوله فعلن ، ومن معروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (والله عزيز حكيم) الجملة استئنافية والله مبتدأ وعزيز حكيم خبراه .

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وللمطلقات متاع بالمعروف) الواو استئنافية والجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومتاع مبتدأ مؤخر وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع (حقاً على المتقين) حقاً مفعول مطلق لفعل محذوف وعلى المتقين جار ومجرور متعلقان بـ « حقاً » (كذلك يبين الله لكم آياته) كذلك في محل نصب مفعول مطلق أو حال ، والله فاعل يبين ، ولكم متعلقان ببيّين ، وآياته مفعول به (لعلكم تعقلون) لعل واسمها وجملة تعقلون خبرها وجملة الرجاء حالية .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾

الاعراب :

(ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) الهمزة للاستفهام التقريري ، ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره أنت والجار والمجرور متعلقان بـ « تر » وجملة خرجوا صلة الموصول ، والرؤية هنا قلبية ولكنها تضمنت معنى الانتهاء فعدّيت بإلى ، والمعنى ألم ينته الى علمك ، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال أولئك القوم . ومن ديارهم متعلقان بخرجوا (وهم ألوف) الواو حالية وهم مبتدأ ألوف خبر والجملة في محل

نصب على الحال (حذر الموت) مفعول لأجله وهم قوم من بني إسرائيل هربوا من الطاعون الذي اجتاح أرضهم (فقال لهم الله موتوا) الفاء عاطفة وقال فعل ماض ولهم متعلقان بقال والله فاعل وجملة موتوا في محل نصب مقول القول (ثم أحياهم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وأحياهم معطوف على محذوف أي فماتوا ثم أحياهم وعطف بثم لإفادة معنى تراخي المدّة بين الإماتة والإحياء (إن الله لذو فضل على الناس) الجملة مستأنفة مسوقة للمفارقة بين فضل الله تعالى على الناس وجحودهم لهذا الفضل بعدم الشكر وإن واسمها واللام المزحلقة وذو فضل خبر إن وعلى الناس متعلقان بمحذوف صفة لفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) الواو حالية ولكن حرف استدراك ونصب وأكثر الناس اسمها وجملة لا يشكرون خبرها (وقاتلوا في سبيل الله) الواو عاطفة على مقدر يفهم من سياق الكلام أي لا تفروا أيها المؤمنون كما فر بنو إسرائيل وقاتلوا أعداءكم وفي سبيل الله متعلقان بقاتلوا (واعلموا أن الله سميع عليم) عطف أيضاً وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا وسميع عليم خبران لأن .

البلاغة :

١ ـ المراد بالاستفهام التقرير مشوباً بالعجب والتشويق الى معرفة فحوى القصة واكتناه مغزاها .

٢ ـ المجاز المرسل في قوله : « حذر الموت » والمراد مرض الطاعون الذي اجتاحهم ، والعلاقة هي اعتبار ما يئول اليه هذا المرض.

٣ ــ الطباق بين الإماتة والإحياء .

٤ ــ الإيجاز بالحذف في قوله : « موتوا » وقوله « ثم أحياهم » فقد حذف فماتوا للاستغناء عن ذكره للتنبيه على أن كل شيء لا يتخلف عن إرادته تعالى .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾

اللغــة :

(القرض) : اسم مصدر ، لأن المصدر إقراض ، والقرض هنا بمعنى الشيء المقرض ، ويظهر أثر ذلك في الإعراب ، كما سيأتي .

(الأضعاف) : جمع ضعف ، ويجوز أن يكون الضعف اسم مصدر ، ويظهر أثر ذلك في الإعراب أيضاً .

الاعراب :

(من ذا الذي) من استفهامية مبتدأ وذا اسم إشارة خبر والذي بدل من اسم الإشارة أو نعت له والجملة استئنافية (يقرض الله) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (قرضاً حسناً) مفعول مطلق ، ويجوز أن يكون بمعنى الشيء المقــرض فيكون مفعولاً به ثانياً ، وحسناً صفة (فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) الفاء للسببية ويضاعفه فعل

مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة جواباً للاستفهام، والجار والمجرور متعلقان بيضاعفه . وأضعافاً حال مبينة من الهاء ، وأجاز أبو البقاء إعرابها مفعولاً به ثانياً ، وإذا اعتبرناه اسم مصدر فيجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً . ومن أمثلة أسماء المصدر : العطاء بمعنى الإعطاء ، قال القطامي :

أكفراً بعد ردّ الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا

وكثيرة : صفة لأضعاف ، ووجود هذه الصفة يرجح إعرابه حالاً (والله يقبض ويبسط) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يقبض خبر ، ويبسط عطف على يقبض (وإليه ترجعون) الواو عاطفة وإليه جار ومجرور متعلقان بترجعون ، والجملة عطف على سابقتها .

البلاغة :

١ ــ الاستعارة التصريحية في يقرض ، فقد حذف المشبّه وهو العمل الصالح وأبقى المشبه به وهو ما يقترض من مال وغيره ، ورشح للاستعارة بمضاعفتها ، كما يحصل في القروض والفوائد المترتبة عليها .

٢ ــ الطباق بين يقبض ويبسط .

الفوائد :

رجح ابن جرير قراءة الرفع في « فيضاعفه » باثبات الألف ورفع

يضاعفه . وعلل ترجيحه بأن الجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعاً .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾

(الملأ) : من القوم : وجوههم وأشرافهم ، وهو اسم للجماعة ، لا واحد له من لفظه . سموا بذلك لأنهم يملئون القلوب والعيون حسناً وبهاء ، والجمع أملاء ، مثل سبب وأسباب ، قال :

وقال لها الأملاء من كل معشر   وخير أقاويل الرّجال سديدها

ويقال : هو مليء ومليّ : أي غنيّ مقتدر .

الاعراب :

(ألم تر الى الملأ من بني إسرائيل) الهمزة للاستفهام التقريري ، والكلام مستأنف مسوق لتقرير قصة حافلة بالعبر كما سيأتي ، ولم

حرف نفي وقلب وجزم ، و « تر » فعل مضارع مجزوم بلم والرؤية هنا قلبية مضمنة معنى العلم والانتهاء لتصح التعدية بإلى ، وقد تقدم نظيرها . والفاعل مستتر تقديره أنت والى الملأ متعلقان بـ « تر » . ومن بني إسرائيل متعلقان بمحذوف حال والجملة الفعلية استئنافية (من بعد موسى) متعلقان بمحذوف حال أي من بعد موته أيضاً(إذ قالوا) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالقصة المقدرة ، أي الى قصة ملأ بني إسرائيل . ولما كانت الذوات لا يتعجب منها صار المعنى : ألم تر الى ما جرى للملأ من بني إسرائيل من بعد موت موسى ، وجملة قالوا في محل جر بالإضافة (لنبي) الجار والمجرور متعلقان بقالوا (لهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة . وهو يوشع صاحب قصة وقوف الشمس التي كانت مصدراً رائعاً لافتنان الشعراء وسنوردها قريباً (ابعث لنا ملكاً) الجملة مؤلفة من فعل الأمر والفاعل في محل نصب مقول القول ، ولنا متعلقان بابعث ، وملكاً مفعول به أي قائداً (نقاتل في سبيل الله) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ، وفي سبيل الله متعلقان بنقاتل وجملة نقاتل عطف على ابعث (قال) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ، والجملة مستأنفة (هل عسيتم) هل حرف استفهام للتقرير وعسيتم فعل ماض من أفعال الرجاء والتاء اسمها (إن كتب عليكم القتال) إن شرطية وكتب فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط وعليكم متعلقان بكتب ، والقتال نائب فاعل . وجواب الشرط محذوف تقديره: فلا تبادرون الى القتال ، وفعل الشرط وجوابه جملة اعتراضية بين اسم عسى وخبْرها وهو قوله (أن لا تقاتلوا) وأن حرف مصدري ونصب ولا نافية وتقاتلوا فعل مضارع منصوب بأن وجملة هل عسيتم مقول

القول (قالوا) الجملة مستأنفة وقالوا فعل وفاعل (وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله) الواو عاطفة لمجرد ربط الكلام بما قبله ، وما اسم استفهام مبتدأ ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وأن لا نقاتل في سبيل الله : المصدر المنسبك من أن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض والتقدير : وما لنا في ترك القتال ؟ (وقد أخرجنا من ديارنا) الواو حالية وقد حرف تحقيق وأخرجنا فعل ماض مبني للمجهول والضمير نائب فاعل ومن ديارنا متعلقان بأخرجنا (وأبنائنا) عطف على « ديارنا » ، ولا بد من تضمين فعل الإخراج معنى البعد ليصح العطف . والجملة في موضع نصب على الحال (فلما كتب عليهم القتال) الفاء استئنافية و « لما » حينية أو رابطة ، وكتب فعل ماض مبني للمجهول وعليهم جار ومجرور متعلقان بكتب ، والقتال نائب فاعل (تولوا إلا قليلا منهم) جملة تولوا لا محل لها لأنها جواب «لما» وهي شرطية غير جازمة ، وتولوا فعل وفاعل وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى متصل لأنهم من جنس القوم ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « قليلاً » . (والله عليم بالظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وعليم خبر وبالظالمين الجار والمجرور متعلقان بعليم .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ

وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

اللغة :

(طالوت) ومثله جالوت ، اسمان أعجميان ولذلك امتنعا من الصرف للعلمية والعجمة فلا عبرة بمن يقول : إنهما اسمان عربيان .

(التابوت) : من التوب وهو الرجوع والإنابة لأنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه ، وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت وجبروت، وقد نسجت حوله أساطير يلعب فيها الخيال دوره .

الاعراب :

(وقال لهم نبيّهم) الواو عاطفة وقال فعل ماض ولهم متعلقان بـ « قال » ونبيهم فاعل (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) إن واسمها وجملة قد بعث خبرها وطالوت مفعول به وملكاً حال من طالوت وإن وما بعدها جملة اسمية في محل نصب مقول القول ، (قالوا : أنى يكون له الملك علينا) الجملة مستأنفة وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال ، ويكون : فعل

مضارع ناقص ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « يكون » المقدم . والملك اسم يكون المؤخر وعلينا جار ومجرور متعلقان بالملك، لأن مادة « ملك » تتعدى بـ « على » . تقول ملك على القوم أمرهم وجملة الاستفهام وما في حيزه في محل نصب مقول قالوا . أي كيف يكون وهو ليس من سبط المملكة ! فقد كان أبوه عاملاً بسيطاً .

وهكذا تتأصل في اليهود العنصرية والطبقية منذ أبعد الآماد (ونحن أحق بالملك منه) الواو حالية ونحن مبتدأ واحق خبره وبالملك جار ومجرور متعلقان بأحق ، ومنه متعلقان بأحق أيضاً ، والجملة التالية للواو في محل نصب على الحال (ولم يؤت سعة من المال) الواو عاطفة فقد أضافوا الى العنصرية والطبقية حبّ المال والتعويل عليه في الأرجحية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويؤت فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بلم ، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو ، وسعة مفعول به ثان . وأصل سعة وسعة ، فحذفت الواو حملاً على المضارع . ومن المال جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لسعة (قال : إن الله اصطفاه عليكم) قال : فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على النبي ، وإن واسمها ، واصطفاه فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة خبر إن وجملة إن ومافي حيزها في محل نصب مقول القول وعليكم جار ومجرور متعلقان باصطفاه (وزاده بسطة في العلم والجسم) الواو عاطفة وزاده فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وبسطة مفعول به ثان ويجوز إعراب بسطة تمييزاً إن قلنا إنه يتعدى لواحد . وفي العلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبسطة ،

والجسم عطف على العلم (والله يؤتي ملكه من يشاء) الواو عاطفة ، الله مبتدأ ، وجملة يؤتي خبر ، ملكه : مفعول به أول ، من اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان ، وجملة يشاء صفة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وواسع عليم خبراه (وقال لهم نبيهم)الواو عاطفة أو استئنافية مسوقة للتدليل على صحة كلامه، وقال فعل ماض ولهم متعلقان بـ « قال » ونبيهم فاعل (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) إن واسمها وملكه مضاف إليه ، وأن يأتيكم مصدر مؤول في محل رفع خبر إن ، وإن ومافي حيزها في محل نصب مقول القول ، والتابوت فاعل يأتيكم والكاف مفعول به مقدم (فيه سكينة) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وسكينة مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب حال من التابوت (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لسكينة (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) بقية معطوف على سكينة ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبقية وترك آل موسى : الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وآل موسى فاعل ترك وآل هارون عطف على آل موسى (تحمله الملائكة) فعل مضارع والهاء مفعول به والملائكة فاعله والجملة حال ثانية من التابوت (إن في ذلك لآية لكم) إن حرف مشبه بالفعل والجملة بمثابة التعليل لامحل لها ، وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم واللام المزحلقة وآية اسم إن المؤخر ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية والجملة تعليلية لامحل لها (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كان ، ومؤمنين خبرها . وجواب الشرط محذوف تقديره فتدبروا الأمر واعتبروا وامتثلوا أمر ربكم وآياته . والجملة الشرطية استئنافية .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن
شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً
بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم
مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ
اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا
دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ
وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾

اللغــة :

(فصل) بمعنى انفصل ، فهو لازم ويكون متعــدياً ، فيكون

مفعوله محذوفاً . وفصل العسكر عن البلد فصولاً .

(غرفة) بضم الغين بمعنى مفعول ، ويجوز فتح الغين على أنه مصدر مرة ، وقد قرىء بها أيضاً .

الاعراب :

(فلما فصل طالوت بالجنود) الفاء عاطفة عـلى جمل محذوفة تقدر بحسب ما يقتضيه سياق الكلام ، والتقدير فأقروا بملكه وتنادوا إلى الجهاد ، فلما ..... ، ولما ظرفية حينية فهي اسم أو رابطة ، فهي حرف متضمنة معنى الشرط على كل حال ، وجملة فصل طالوت بالجنود في محل جر بالإضافـة إن كانت ظرفاً ، وبالجنود متعلقان بفصل أو بمحذوف حال أي والجنود مصاحبوه (قال إن الله مبتليكم بنهر) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وإن واسمها ومبتليكم خبرها والجار والمجرور متعلقـان بمبتليكم والجملة الاسمية مقول القول (فمن شرب منه فليس مني) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ وشرب فعل ما ض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ، ومنه جار ومجرور متعلقان بشرب والفاء رابطة لجواب االشرط وليس فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقـديره هو ومني جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن لم يطعمه فانه مني) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ولم حرف نفي وقلب وجزم ويطعمه فعل مضارع مجزوم بلم والفاء رابطة وان واسمها ومني جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (إلا من اغترف غرفة بيده) إلا أداة استثناء ومن اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من قوله : فمن شرب منــه ، وفصل بينهما بالجملة الثانية للعنايــة بمحتواها ، وجملة اغترف لا محل لها لأنها صلة وغرفة مفعول به أو مفعول مطلق إذا اعتبرنا غرفة مصدر مرة ، وبيده متعلقان بمحذوف صفة لغرفة (فشربوا منه) الفاء الفصيحة وشربوا فعل وفاعل ومنه متعلقان بشربوا (إلا قليلاً منهم) إلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى من قوله : فشربوا منه ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « قليلاً » (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) الفاء عاطفة أو استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة حرفية متضمنة معنى الشرط على كل حال ، وجملة جاوزه في محل جر بالإضافة إذا اعتبرنا « لما » ظرفية أو لا محل لها من الاعراب ، وهو ضمــير منفصل تأكيد للضمير المستكنّ في « جاوزه » والذين عطف على « هو » وجملة آمنوا صلة الموصول ومعه ظرف مكان متعلق بجاوزه ، والمعنى : فلما جاوزه وجاوز معه الذين آمنوا وهم الذين اقتصروا على الغرفة ، أو الذين لم يذوقوا الماء أصلاً للإشارة الى الحكمة من الابتلاء ، وهي أن يرجع المتزلزل منهم قبل لقاء العدو ، لأن المتزلزلين إذا ظلوا فيهم ثم هربوا لكان ذلك سبباً لتخاذل الجنود ، وما أعجب أساليب القرآن !! (قالوا) فعل وفاعل (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) الجملة في محل نصب مقول القول ، ولا نافية للجنس ، وطاقة اسمها ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، واليوم ظرف متعلق بما تعلق به الخبر ، وهو « لنا » وكذلك

قوله بجالوت . ولا يجوز تعليق واحد من هذه الظروف بـ « طاقة » لئلا يلزم تنوينه ، إذ يصبح شبيهاً بالمضاف ، ولم يقرأ به أحد . على أنـه يجوز تفادياً لتعليق الثلاثة بمتعلق واحد أن يعلق واحـد منها بمحذوف حال ، فيكون بمثابة التبيين لانتفاء الطاقة (قال الذين) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (يظنون أنهم ملاقوا الله) جملة يظنون لا محل لها لأنهـا صلة الذين والواو فاعـل ، وأن واسمهـا وخبرهـا سدت مسد مفعولي يظنون ، والله مضاف لقولـه « مـلاقوا » (كـم من فئة قليـلة) كم خبرية في محل رفع مبتدأ ومن فئة تمييز كم الخبرية ، وقد تقدم القول فيها وقليلة صفة لفئة وجملة (غلبت فئة كثيرة بإذن الله) خبر لـ « كم » وجملة كم وما في حيزها في محل نصب مقول القول (والله مع الصابرين) الواو استئنافية والله مبتدأ ومـع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر والصابرين مضاف إليه (ولما برزوا لجالوت وجنوده) الواو استئنافية ولما حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وقد تقدم إعرابها ، والجار والمجرور متعلقان ببرزوا ، وجنوده عطف على جالوت (قالوا) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ربنا أفرغ علينا صبراً) ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأفرغ فعل أمر معناه هنا الدعاء ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأفرغ وصبراً مفعول به والجملة مقول القول (وثبت أقدامنا) عطف على جملة أفرغ ، (وانصرنا على القوم الكافرين) عطف أيضاً (فهزموهم بإذن الله) لك أن تجعل الفاء عاطفة على جمل محذوفة يقتضيها سياق الكلام ،

أي فنشبت المعركـة والتحم الجيشان فهزموهم . ولك أن تجعلهـا فصيحة أي إذا شئت أن تعرف ماذا أسفرت عنه المعركة فقد هزموهم وهزموهم فعل وفاعل ومفعول به (وقتل داود جالوت) الواو عاطفة وفعل وفاعل ومفعول به(وآتاه الله الملك والحكمة)الواو عاطفةوآتاه فعل ماض والهاء مفعول به أول والله فاعل والملك مفعول به ثان والحكمة عطف على الملك(وعلمه مما يشاء)عطف على«آتاه»ومما متعلقان بعلمه وجملةيشاء صلة والمفعول به محذوف، لأن الصناعات التي تعلمها داود كثيرة منها صناعة الحديد ، وقد لان في يده وفهم منطق الطير والبهائم (ولولا دفع الله الناس) الواو استئنافية ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ودفع مبتدأ محذوف الخبر تقديره موجود ولفظ الجلالة مضاف إليه والناس مفعول به للمصدر (بعضهم ببعض) بعضهم بدل من الناس والجار والمجرور متعلقان بدفع (لفسدت الأرض) اللام واقعة في جواب لولا وجملة فسدت الأرض لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والمعنى امتنع فساد الأرض لوجود دفع الله الناس بعضهم ببعض . وهذا مشاهد معاين (ولكن الله ذو فضل على العالمين) الواو استئنافية ولكن واسمها وذو فضل خبرها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفضل (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر والجملة مفسرة (تتلوها عليك بالحق) والجملة في محل نصب حال ، ولك أن تجعل آيات الله بدلاً من اسم الإشارة ، وجملة تتلوها هي الخبر والأول أمكن . وعليك جـار ومجرور متعلقـان بنتلوها وبالحق متعلقان بمحـذوف حال أي مؤيدة بالحق مدعومة باليقـين الذي

لا يتسرب إليه الشك (وإنك لمن المرسلين) الواو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إنك .

لمحة تاريخية أدبية : قلنا في مستهل هذه الآيات : إننا سنشير الى حادثة أدبية تاريخية تتعلق بيوشع خليفة موسى عليهما السلام ، وبرا بالوعد نقول : لما قاتل يوشع الجبارين كان اليوم يوم الجمعة ، فلما جنحت الشمس إلى المغيب خاف أن تغيب عنهم قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحلّ له قتالهم ، فدعا الله تعالى فردّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وقد انتهز أبو تمّام الطائي هذه الرواية الشعرية المجنّحة فصاغ منها معنى مبتكراً في الشعر يسمى التلميح ، وهو أن يشير الشاعر في بيته أو الناثر في كتابته الى قصة معلومة على جهة التمثيل ، وأحسنه فقال :

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى
قلوباً عهدنا طيرها وهي وُقّعُ

فرُدّتْ علينا الشّمس والليلُ راغمٌ
بشمس لها من جانب الخدر مطلع

نضا ضوءها صِبْغَ الدّجنّة وانطوى
لبهجتها ثوبُ السماء المجزّع

فوالله ما أدري أأحــــلامُ نائــــمٍ
ألمّت بنا أم كان في الرّكــب يوشعُ

وقد رمق شوقي في العصر الحديث هذه السماء العالية ، وقال في مطلع قصيدة رثى بها الزعيم المصري سعد زغلول :

شيّعوا الشمس ومالوا بضحاهــــا
وانحــنى الركــب عليهــا فبكاهــا

ليتــني في الرّكـــب لمّــا أفلــت
يوشــــع همّت فنــــادى فثناهــا

ولكن التكلف ظاهر في مقام الرثاء ، وذلك لا يتلاءم مع حرارة العاطفة المحتدمة .

لمحة تاريخية ثانية :

كانت هذه القصة مصدراً خصباً للإنتاج والتصوير ، فقد طلب جالوت زعيــم الجبارين قوم يوشع للمبارزة فهابوه وامتنعوا ، لأنه كان جباراً عظيماً كبير الجسم جداً ، ولكن داود وكان صغيراً لم يبلغ الحلم يرعى الغنم برز له بمقلاعه الشهير فرماه بحجر ، في قصة شائقة ، فقتله ثم استقل بالملك . وهكذا تبرز العنصرية في بني إسرائيل منذ فجر التاريخ حتى اليوم .

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) ﴾

الاعراب :

(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) جملة اسمية مستأنفة مسوقة لتقرير حال جماعة الرسل المذكورة قصصها في السورة واسم الاشارة مبتدأ والرسل خبر، فضلنا فعل ماض مبني على السكون، و « نا » فاعل وجملة فضلنا حالية ، ويجوز إعراب الرسل بدلاً من اسم الاشارة وجملة فضلنا خبر وبعضهم مفعول به وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بفضلنا (منهم من كلم الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وكلم الله فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول والعائد محذوف هو المفعول به والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها . ويجوز إعرابها بدلاً من جملة فضلنا على الحالين المتقدمين أو خبراً ثانياً لاسم الإشارة (ورفع بعضهم درجات) الواو حرف عطف ورفع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى وبعضهم مفعول به ودرجات منصوب بنزع الخافض أي في درجات ، وأعربها أبو البقاء حالاً مؤولة من « بعضهم » أي : ذا درجات وكلاهما صحيح (وآتينا عيسى بن

مريم البينات) الواو عاطفة وآتينا فعل وفاعل وعيسى مفعول به وابن بدل من « عيسى » أو صفة له ومريم مضاف اليه والبينات مفعول به ثان وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم (وأيدناه بروح القدس) الواو حرف عطف وأيدناه فعل وفاعل ومفعول به والجار والمجرور متعلقان بأيدناه والقدس مضاف اليه (ولو شاء الله) الواو استئنافية ولو شرطية ، شاء الله فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف تقديره : عدم اقتتالهم (ما اقتتل الذين من بعدهم) ما نافية واقتتل الذين فعل وفاعل ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (من بعد ما جاءتهم البينات) الجار والمجرور متعلقان باقتتل أو بدل من قوله : « من بعدهم » بإعادة الجارّ وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة ، أي : من بعد مجيء البينات (ولكن اختلفوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لاستدراك ما قبلها ، ولكن حرف استدراك مهمل ، واختلفوا فعل وفاعل (فمنهم من آمن) الفاء تفريعية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وآمن فعل ماض وفاعله هو والجملة صلة (ومنهم من كفر) عطف على الجملة السابقة (ولو شاء الله ما اقتتلوا) تقدم إعرابها وتكررت لتأكيد الكلام (ولكن الله يفعل ما يريد) الواو استئنافية ولكن حرف مشبه بالفعل ، واسمها الله ، وجملة يفعل خبرها وما اسم موصول مفعول به ، وجملة يريد صلة الموصول .

البلاغـة :

في قوله : « ورفع بعضهم درجات » فن الإبهام وفيه من التفخيم والتنويه بالمنزلة ما لو نطق به لم يعدل إبهامه لما ينطوي عليه من شهادة

بأنه العلم الذي لا يشتبه به ، والمتميز على غيره ، فهو يريـد محمداً صلى الله عليه وسلم ، وحسبه القرآن الذي أنزل عليه ، فهو المعجزة الباقية على وجه الدهر ، فعدم الذكر أبلغ من الذكر ، والإبهام أبلغ من الإيضاح . سئل الحطيئة : من أشعر الناس ؟ فذكر زهيراً والنابغة ، ثم قال : ولو شئت لذكرت الثالث ، أراد نفسه . ولو صرح بذلك لم يكن بهذه المثابة من الفخمبة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾

اللغـة :

(الخلة) بضم الخاء : المودة والصداقة ، سمّيت بذلك لأنها تتخلل الأعضاء ، أي تدخل خلالها . والخليل : الصديق لمداخلته إياك ، وتخلّل مودته جوانحك . ويحتمـل أن يكون الخليل بمعنى فاعـل أو مفعول .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) يا : حرف نداء ، أي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب ، والهاء للتنبيه ، الذين بدل من أيها ، آمنوا : فعل وفاعل وجملة آمنوا صلة (أنفقوا مما رزقناكم) فعـل أمر والواو فاعل ومما جار ومجرور متعلقان بأنفقوا ، ورزقناكم فعل

وفاعل ومفعول ، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما ، والجملة كلها مستأنفة (من قبل أن يأتي يوم) الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا أيضاً ، ولا مانع من تعليق حرفين بلفظ واحد لاختلافهما معنى ، فـ « من » الأولى للتبعيض والثانية للابتداء ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة ، أي : من قبل إتيان ، ويوم فاعل يأتي (لا بيع فيه ولا خلة) لا النافية للجنس أهملت لتكررها ، وستأتي أحكامها في مكان آخر . وبيع مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه . وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره ولا خلة عطف على « لا بيع » (ولا شفاعة) عطف أيضاً (والكافرون هم الظالمون) الواو استئنافية والكافرون مبتدأ وهم مبتدأ ثان والظالمون خبره والجملة الاسمية خبر « الكافرون » أو « هم » ضمير فصل أو عماد ، و « الظالمون » خبر « الكافرون » .

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

اللغـة :

(القيّوم) فيعول : من قام بالأمر إذا دبّره أحسن تدبـير ،

وأصله « قيووم » اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فيها فصار « قيوماً » . قال أميّة ابن أبي الصلت :

لم تخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر" يعوم
قدّره المهيمن القيوم والحشر والجنة والجحيم
إلاّ لأمر شأنه عظيم

(السِنَة) بكسر السين : ما يتقدم النوم من الفتور والاسترخاء مع بقاء الشعور . وهو المسمى بالنعاس ، قال عدي بن الرقاع وأبدع :

وسنان أقصده النعاس فرنّقت في عينه سِنَة" وليس بنائم

فلذلك نفى النوم لأنه سلب للحواس وأثبت السِّنة في البيت .

(الكرسي) معروف . والياء ليست للنسبة ولو كانت للنسبة لخرج إلى حيز الصفة وأصله من تركب الشيء بعضه على بعض ومنه الكُرّاسة . سميت بذلك لتركب بعض أوراقها على بعض . وفي العرف الدارج ما يجلس عليه . وتكرس فلان الحطب وغيره إذا جمعه . وكرّس البناء إذا أسسه .

(يئوده) يثقله ويشق عليه .

الاعراب :

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم) كلام مستأنف فخم مسوق" لجمع أحكام الألوهية وصفات الإله الثبوتية والسلبية . والله مبتدأ

ولا نافية للجنس وإله اسمها المبني على الفتح وإلا أداة حصر و « هو » بدل من محل لا واسمها . وقد تقدم إعراب الشهادة مفصلاً . والجملة الاسمية « لا إله إلا هو » خبر الله والحي خبر ثان والقيوم خبر ثالث . ولك أن تعربهما صفتين لله (لا تأخذه سنة ولا نوم) الجملة خبر رابع للمبتدأ ولا نافية وتأخذه فعل مضارع ومفعول به وسنة فاعل تأخذه ولا نوم عطف على سنة (له مافي السموات ومافي الأرض) الجملة خبر خامس وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر وفي السموات الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ، وما في الأرض : معطوف على ما في السموات (من ذا الذي يشفع) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على المشركين الذين زعموا أن الأصنام تشفع لهم. ومن اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ وذا اسم إشارة في محل رفع خبر « من » . والذي اسم موصول بدل أو « من ذا » كلها اسم استفهام مبتدأ « والذي » هو الخبر . واعلم أن « ذا » الواقعة بعد « ما » الاستفهامية يجوز جعلها اسم موصول اتفاقاً ، وأما الواقعة بعد « من » فالأكثر أنها اسم إشارة . ويشفع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عنده إلا بإذنه) الظرف متعلق بيشفع أو بمحذوف حال من الضمير في يشفع، وإلا أداة حصر وبإذنه الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الجملة خبر سادس ويعلم فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على الله تعالى وما اسم موصول مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، وأيديهم مضاف إليه والواو حرف عطف وما عطف على « ما » الأولى والظرف متعلق بالصلة المحذوفة (ولا يحيطون بشيء من علمه) الجملة معطوفة على ما تقدم

ولا نافية ويحيطون فعل مضارع والواو فاعل وبشيء جار ومجرور متعلقان بيحيطون ، من علمه : جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء (إلا بما شاء) إلا أداة حصر ، بما : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل من شيء بإعادة الجار ، وجملة شاء لا محل لها لأنها صلة ما ومفعول المشيئة محذوف تقديره : أن يعلمهم به (وسع كرسيه السموات والأرض) الجملة خبر سابع ولك أن تنصبها على الحال ووسع كرسيه فعل ماض وفاعل والسموات مفعول به ، والأرض عطف على السموات (ولا يئوده حفظهما) الواو عاطفة ولا نافية ويئوده فعل مضارع ومفعول به حفظهما : فاعل والهاء مضاف إليه ، والميم والألف حرفان دالان على التثنية (وهو العلي العظيم) الواو عاطفة وهو مبتدأ والعليّ خبره والعظيم خبر ثان .

البلاغة :

انطوت هذه الآية على أهم المسائل المتعلقة بالذات الإلهية . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة . وفيها آية هي سيدة آي القرآن وهي آية الكرسي .

وتلخص فيما يلي فنون البلاغة المنطوية فيها :

١ ـ الاستعارة التصريحية في قوله : « وسع كرسيه السموات والأرض » فالكلمة مجاز عن علمه تعالى أو ملكه وتصوير صحيح لعظمته ، حذف المشبه وهو العلم والقدرة والعظمة وما يترتب على الجلوس فوق كرسي الملك من معاني الأبهة والإحاطة الجامعة .

ملاحظة ابن قتيبة :

على أن ابن قتيبة لاحظ في كتابه « مشكل القرآن » أن هـذا يخالف نصوص اللغة . ورد على المعتزلة في آرائهم ، قال ما نصه :

« وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردّوه الى مذاهبهم، ويحملوا التأويل على نحلهم ، فقال فريق منهم في « وسع كرسيه السموات والأرض » أي علمه . وجاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر : « ولا يكرسىء علم الله مخلوق » كأنه عندهم : ولا يعلم علم الله مخلوق . والكرسي غير مهموز ، ويكرسىء مهموز ، يستوحشون أن يجعلوا لله كرسياً » ولكننا لا نوافق ابن قتيبة على رأيه فإن كثيرين من أهل السنة ذهبوا الى ذلك .

رأي التّفتازانيّ :

قال التفتازاني : إنه من باب إطلاق المركّب الحسّيّ المتوهم على المعنى العقلي المحقق .

رأي القرطبيّ :

وفي تفسير القرطبي : « وقال ابن عباس : كرسيّه : علمه ، ورجحه الطبري . وقيل كرسيه قدرته التي يمسك بها السموات والأرض ، كما تقول : اجعل لهذا الحائط كرسياً ، أي ما يعمده » .

وهذا قريب من قول ابن عباس . وهذا بحث طويل يتشعب فيه الجدال ، بين أهل السنة والاعتزال ، فليرجع فيه الى المطولات .

٢ ــ الايجاز : فقد تضمنت آية الكرسي من الإيجاز مالا مطمح فيه لتقليد أو محاكاة ويمكن القول : إن البيان اتحد بالمبين في تصوير الملك الحقيقي الذي لا ينازع فيه بأرشق عبارة وأدق وصف ، وفيها ما يسمى بالفصل في علم المعاني ، وهو حذف العاطف للدلالة على أن كل صفة من صفات هذا الملك العظيم مستقلة بنفسها ، وذلك على النحو التالي :

آ ــ الجملة الأولى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » وقد بيّن فيها قيامه سبحانه بتدبير الخلق وتنسيق شئونهم ، وإحكام معايشتهم وهمينته عليه دون أن يكون ساهياً عنه طرفة عين •

ب ــ الجملة الثانية : « له ما في السموات ومافي الأرض » وقد بيّن فيها أنه مالك لما يدبره غير منازع في ملكه •

جـ ــ الجملة الثالثة : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » وقد بين فيها كبرياء شأنه وتضاؤل الجميع أمام قدرته التي لا تحدّ •

د ــ الجملة الرابعة : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » وقد صور فيها إحاطته بأمور الخلق وأحوالهم بحيث لا يغرب عنه شيء •

هـ ــ الجملة الخامسة : « وسع كرسيه السموات والأرض » الى آخر الآية ، وقد نوّه فيها بتعلقه بالمعلومات كلها وكل شيء عنده بمقدار •

٣ ــ إيجاز الإيجاز : فقد اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل

عليه آية من آيات الله سبحانه ، وذلك أنها مشتملة عـلى سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى ظاهراً في بعضها ومستكناً في بعضها الآخر ، وذلك على الترتيب التالي :

١ ـ الله ، ٢ ـ هو ، ٣ ـ الحي ، ٤ ـ القيوم ، ٥ ـ ضمير لا تأخذه ، ٦ ـ ضمير له ، ٧ ـ ضمير عنده ، ٨ ـ ضمير بإذنه ، ٩ ـ ضمير يعلم ، ١٠ ـ ضمير علمه ، ١١ ـ ضمير شاء ، ١٢ ـ ضمير كرسيه ، ١٣ ـ ضمير يئوده ، ١٤ ـ وهو ، ١٥ ـ العلي ، ١٦ ـ العظيم ، ١٧ ـ الضمير المستكنّ الذي اشتمل عليه المصدر وهو « حفظهما » فإنه مصدر مضاف الى المفعول وهو الضمير البارز ولا بد له من فاعل وهو الله ، ويظهر ذلك عند فكّ المصدر فيقول : ولا يئوده أن يحفظهما هو . وقد حاول أحد الأعلام أن يوصلها الى واحد وعشرين موضعاً ، ويعتبر الأسماء المشتقة الواردة فيها تحتاج الى ضمير كالحي والقيوم والعلي والعظيم ، فيكون كل واحد باثنين وبذلك تضاف أربعة مواضع الى المواضع السبعة عشر، فيكون المجموع واحداً وعشرين موضعاً . وقد نازعه علم آخر فقال : هذا لطيفٌ جداً ولكن المشتق لا يقع على موصوفه إلا باعتباره محتملاً لضمير ، فلا يمكن أن يتميز بحكم الانفراد عن الضمير ، ولهذا فالاسم المشتق لا يحتمّل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علماً ، ألا تراك إذا قلت : زيد كريم فإن « كريم » لم يقع على زيد إلا لأنه يتحمل ضميره ، حتى إذا جرّدت النظر اليه لم تجده مختصاً بزيد بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس . وهـذا من أدق مباحث علـم المعاني ، فتدبره والله يعصمك .

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ

بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾

اللغـة :

(الطاغوت) : كل معبود من دون الله ، والجمع طواغٍ وطواغيت والخلاف حول هذا اللفظ كثير ، وهو يكون واحداً وجمعاً ، ومذكراً ومؤنثاً، قال تعالى في الزمر: « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ». وسيأتي مزيد من البحث عنه .

(العروة الوثقى) العروة في الأصل : موضع شد اليد ، وأصل المادة تدل على التعلق . والعروة من الدلو والكوز : المقبض ، ومن الثوب : أخت زرّه ، واعتراه الهمّ : تعلق به ، قال :

وإني لتعروني لذكراك هـزّة   كما انتفض العصفور بلّله القطر

(الوثقى) : فـُعْلـَى للتفضيل ، مؤنث الأوثق ، كفضلى تأنيث الأفضل . وجمعها على وُثـَق ، وهي ما يوثق به ويستعصم .

(انفصام) انقطاع ، وأصل الفصم الكسر .

الاعراب :

(لا إكراه في الدين) جملة مستأنفة مسوقة لبيان أن العاقل لا يحتاج للإكراه على الدين ، بل يختار تلقائياً الدين الحق . ولا نافية للجنس وإكراه اسمها . في الدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (قد تبين الرشد من الغي) الجملة تعليلية لا محل لها وقد حرف تحقيق وتبين فعل ماض والرشد فاعله ومن الغي جار ومجرور متعلقان بتبين (فمن يكفر بالطاغوت) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكفر فعل الشرط المجزوم وفاعله ضمير مستتر يعود على «من» وبالطاغوت جار ومجرور متعلقان بيكفر (ويؤمن بالله) الواو عاطفة ويؤمن عطف على يكفر والجار والمجرور متعلقان بيؤمن (فقد استمسك بالعروة الوثقى) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه مقترن بقد، واستمسك فعل ماض وفاعله مستتر يعود على من ، وبالعروة متعلقان باستمسك والوثقى صفة للعروة . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من ، وجملة من يكفر لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (لا انفصام لها) الجملة في محل نصب حال من العروة ولا نافية للجنس وانفصام اسمها المبني على الفتح ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (والله سميع عليم) الجملة إما أن تكون مستأنفة مسوقة لحمل الناس على الإيمان والردع عن الكفر ، وإما أن تكون اعتراضاً تذييلياً للغاية نفسها والله مبتدأ وسميع عليم خبراه (الله ولي الذين آمنوا) الجملة مستأنفة لبيان مافي الإخراج من فضل ، والله مبتدأ وولي خبر والذين مضاف اليه وجملة آمنوا صلة الموصول (يخرجهم من الظلمات الى النور) الجملة إما حال من الضمير المستكن في « ولي » أو خبر ثان للمبتدأ « الله » ومن الظلمات

متعلقان بيخرجهم والى النور متعلقان بيخرجهم لاختلاف المعتيين ، أي بدءاً من الظلمات وانتهاء الى النور أو حال من الموصول (والذين كفروا) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول (أولياؤهم الطاغوت) مبتدأ وخبر والجملة الاسمية خبر الذين والرابط الضمير (يخرجونهم من النور الى الظلمات) تقدم إعراب شبيهها (أولئك أصحاب النار) مبتدأ وخبر والنار مضاف اليه والجملة حالية (هم فيها خالدون) مبتدأ وخبر وفيها متعلقان بخالدون والجملة حال ثانية •

البلاغة :

١ ـ العروة الوثقى : استعارة تصريحية تمثيلية ، فقد شبّه من يسلك سبيل الله بمن آخذ بحبل وثيق مأمون لا ينقطع ، فهو آمن من الانزلاق ، والتردّي في مهاوي الخطل والضلال •

٢ ـ الاستعارة التصريحية في استعارة الظلمات والنور للضلال والهدى •

٣ ـ في قوله تعالى : « يخرجونهم من النور الى الظلمات » فن نفي الشيء بإيجابه وهو فن عجيب فحواه أن المتكلم يثبت شيئاً في كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته • وحاصل ما ذكرناه أن الذين كفروا لم يسبق لهم نور حتى يخرجوا منه ، فقد يوهم ظاهر الكلام أنه كان لهم نور في الأصل ، ثم أخرجوا منه ، والمراد نفي النور عنهم أصلاً • ومثله قول مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

ومثله قول أبي الطيب المتنبي :

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمّام ماثلة أوراكهنّ صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الحالة ، والمراد في باطنه عدم الحمام مطلقاً ، وسيأتي المزيد من بحثه في هذا الكتاب . وقد يجوز أن يكون من باب المشاكلة ، وقد تقدمت . وحاصلها أن ذكر الإخراج الثاني مشاكله للأول على حد قوله : « قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً » مع التسليم بأن المراد بالذين كفروا الذين لم يسبق لهم إيمان أصلاً ، فتأمل .

٤ ـ جمع الظلمات وأفرد النور لسر بلاغيّ عجيب . وهو ينطوي على الإشارة إلى وحدة الحق وتعدد أنواع الظلمات التي هي الضلالات وما أكثرها ، ولأن طريق الحق واضحة المعالم لا لبس فيها ، ولا تشعّب في مسالكها أما طريق الضلال فهي ملتبسة على من يسلكها .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ

عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

اللغـة :

(حاجّ) غالب خصمه بالحجة ومن أقوالهم : كانت بينهما محاجّة وملاجّة •

(خاوية) : ساقطة أو خالية من أهلها •

(يتسنه) : الهاء أصلية أو للسكت • أي لم تمرّ السنة عليها ، والشيء عادة يتغير بمرور الزمان • فلام السنة واو أو هاء • وقيل : أصلها يتسنّن ، من الحمأ المسنون • وسيرد في الإعراب تفصيل واف عن هذه اللفظة •

(ننشزها) نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب •

الاعراب :

(ألم تر الى الذي حاجّ إبراهيم في ربه) كلام مستأنف مسوق للتعجب من قصة أحد الطواغيت ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد العموم . فالهمزة للاستفهام التعجبي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والى الذي جار ومجرور متعلقان بـ « تر » ولا بد من حذف مضاف ، أي الى قصة الذي حاجّ ، وحاجّ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وابراهيم مفعول به وفي ربه جار ومجرور متعلقان بحاجّ (أن آتاه الله الملك) أن حرف مصدري ونصب ، آتاه فعل ماض في محل نصب بأن والهاء مفعول به والمصدر المنسبك من أن والفعل بعدها في محل نصب مفعول لأجله بتقدير اللام، لأن شرطاً من شروط المفعول لأجله قد فقد وهو اتحاد الفاعل وحذف اللام قياسي قبل أنْ وأنّ . والمراد أقدم على محاجّة إبراهيم وملاحاته لبطره وصلفه ، وكان الأجدر به أن يشكر على النعمة ، ويتواضع عند الرفعة . وهذا أولى من جعله ظرفاً بمعنى وقت إيتاء النعمة . والمصادر قد تقع ظروفاً مثل خفوق النجم ومقدم الحاجّ (إذ قال إبراهيم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بحاج وأجاز الزمخشري والجلال أن يكون بدلاً من « أن آتاه » إذا جعل بمعنى الوقت ، ولكن النحاة نصّوا على أنه لا يقوم مقام ظرف الزمان إلا المصدر المصرح بلفظه ، فلا يجوز : أجيء أن يصيح الديك ، ولا : جئت أن صاح الديك ، وقال ابراهيم فعل وفاعل والجملة في محل جر بالاضافة (ربي الذي يحيي ويميت) ربي مبتدأ والذي خبره وجملة يحيي صلة الموصول لا محل لها ويميت عطف على يحيي وجملة ربي الخ مقول القول

(قال أنا أحيي وأميت) الجملة مستأنفة وقال فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وأنا مبتدأ وأحيي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والجملة خبر أنا وجملة أنا أحيي جملة اسمية في محل نصب مقول القول ، وأميت عطف على أحيي (قال إبراهيم) فعل وفاعل والجملة مستأنفة مسوقة للانتقال من حجة الى حجة أظهر (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق)الفاء الفصيحة وهي الواقعة في جواب شرط مقدر . أي إذا كنت قادراً كما تدعي كذباً وافتئاتاً . فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ... ، وإن واسمها ، وجملة يأتي خبرها والجملة بعد الفاء لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم والجار والمجرور « بالشمس » متعلقان بيأتي ومن المشرق جار ومجرور متعلقان بيأتي أيضاً (فأت بها من المغرب) كرر الفاء الفصيحة للتأكيد وارهاصاً بالحجة وأت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل أنت ، بها متعلقان بأت ، من المغرب متعلقان به أيضاً (فبهت الذي كفر) الفاء عاطفة وبهت من الأفعال التي أتت مبنية للمجهول والذي نائب فاعل أي على اللفظ ويجوز أن يكون فاعلاً باعتبار المعنى ، ولعله أولى . وكفر فعل ماض وفاعل مستتر والجملة صلة الذي (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواو استئنافية ، الله مبتدأ وجملة لا يهدي خبره والقوم مفعول به الظالمين صفة (أو كالذي مرّ على قرية) تقدير الكلام : أو أرأيت مثل الذي ، فأو حرف عطف والكاف اسم بمعنى مثل ، فحذف لدلالة « ألم تر » عليه ، ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيراً ، والغرض من ذلك التعجب ، فيقال : ألم تر الى الذي صنع كذا ، بمعنى انظر اليه . وعلى كل حال فالكاف الاسمية معطوفة على « الذي حاج ابراهيم » والذي مضاف اليه وجملة « مر على قرية » صلة الموصول ، والقرية قيل :

أراد بها بيت المقدس حين خربها بختنصّر (وهي خاوية على عروشها) الواو للحال وهي مبتدأ وخاوية خبر وعلى عروشها جار ومجرور متعلقان بخاوية . والمعنى سقطت السقوف أولاً ثم تلتها الأبنية . وهذا التصوير تجسيد شعري لفناء المحدثات ، يبدأ الفناء بالعوالم والكائنات الحية ثم تتلوها الجمادات ، وقد رمق من طرف خفي أبو الطيب المتنبي سماء هذا المعنى البديع فنقله نقلاً دقيقاً أسرع من تنقّل الطيوف في الأجفان فقال يرثي :

أين الذي الهرمان من بنيانه ؟ ماقومه ؟ مايومه ؟ ما المصرع؟

تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع

والبيت الثاني هو المقصود ، ومعناه أن الآثار وهي المباني تبقى بعد أربابها لتدلّ على تمكنهم وقوتهم ، ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء ، وسيدركها الخراب فتسقط متداعية ثم تسقط فوقها العروش ، والسقوف المشيدة ، فتذهب الآثار ، وقد ذهب المفسرون في قصة هذا المارّ مذاهب طريفة يحلو الرجوع اليها في المطولات ، وهل قال ما قال بمعرض الإنكار للبعث ؟ وهل كان كافراً ؟ هذه كلها حدوس تتألف منها قصة مجنحة ، فمن لنا بالكاتب المبدع ؟ (قال : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها) قال : فعل وفاعله هو ، وأنى فيها وجهان : أحدهما أن تكون بمعنى متى فتكون ظرفاً متعلقاً بيحيي . وثانيهما أن تكون بمعنى كيف فتكون حالاً من هذه ، والعامل فيها يحيي . وجملة يحيي في محل جر بالاضافة إذا كانت « أنى » ظرفاً . أو مقولا للقول إذا كانت بمعنى كيف . ويحيي فعل مضارع وهذه مفعول مقدم والله فاعل مؤخر وبعد موتها ظرف زمان متعلق بيحيي أيضاً . وجملة قال مستأنفة مسوقة للتّلهّف عليها ، والتشوق الى عمارتها مع استشعار اليأس منها

(فأماته الله مائة عام) الفاء عاطفة وأماته الله فعل ومفعول به وفاعل ومائة ظرف زمان متعلق بأماته وعام مضاف اليه (ثم بعثه) عطف على أماته ، وعطف بثم للإشعار بالتراخي وطول المدة (قال : كم لبثتَ) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال قد يساور الخاطر كأنه قيل : فماذا قال الله تعالى له حين بعثه بعد الموت ؟ وكم اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بلبثت ومميزها محذوف كأنه قيل : كم وقتاً لبثت ؟ ولبثت فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول (قال : لبثتُ يوماً أو بعض يوم) جملة القول مستأنفة لتكون بمثابة الرد على السؤال وجملة لبثت في محل نصب مقول القول ويوماً ظرف زمان متعلق بلبثت وأو حرف عطف وبعض يوم عطف على يوماً ، منتظم في سلك الظرف الزمني (قال : بل لبثت مائة عام) جملة قال استئنافية، بل حرف عطف عاطفة على جملة محذوفة ، لا بد من تقديرها ، والتقدير: ما لبثت ؟ يوماً أو بعض يوم ؟ بل لبثت مائة عام ومائة عام ظرف . والجملة مقول القول (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه) الفاء الفصيحة ، وهي هنا جواب لشرط مقدر تقديره : إذا حصل لك ارتياب وعدم طمأنينة في أمر البعث فانظر . وانظر فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والى طعامك جار ومجرور متعلقان بانظر وشرابك عطف على طعامك ولم حرف نفي وقلب وجزم ويتسنه فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون إذا كانت الهاء أصلية ، وإذا كانت الهاء للسكت كان الفعل مجزوماً بحذف حرف العلة ، وعندئذ تثبت هاء السكت في الوقف لا في الوصل وسيأتي حكمها . وإذا كان الفعل من التّسنّن الذي هو التغير كان مجزوماً بالسكون المقدر على حرف العلة المحذوف الذي أبدلت النون الثانية منه وجملة لم يتسنه حال . (وانظر الى حمارك) عطف على ما تقدم ، وإنما خصه بالذكر لأن المارّ

كان يركبه ، ولأن العبرة بالكائنات الحية أشد تأثيراً وقد تقدم إعراب مثلها (ولنجعلك آية للناس) الواو عاطفة واللام للتعليل ونجعلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، واللام والمصدر المجرور بها متعلقان بفعل محذوف ، أي : فعلنا ذلك كله لنجعلك آية والفاعــل ضمير مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به أول ، وآية مفعول به ثان وللناس جار ومجرور متعلقان بمحــذوف صفة لآية (وانظر الى العظام كيف ننشزها) الواو عاطفة وانظر فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والى العظام جار ومجرور متعلقان بانظر، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وصاحب الحال الضمير المنصوب في ننشزها والجملة بدل من العظام وهي في محل جر أو نصب لأن نظر البصرية تتعدى بإلى وهي معلقة عن العمل بسبب الاستفهام فتكون في محل نصب، أي الى حال العظام وننشزها فعل مضارع مرفوع والهاء مفعول به والفاعــل مستتر تقديره نحن (ثم نكسوها لحماً) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ونكسوها فعل مضارع ينصب مفعولين أولهما الهاء ولحماً وهو المفعول الثاني (فلما تبين له) الفاء عاطفة على مقدر يستوجبه السياق كأنه قال : فأنشزها الله وكساها لحماً ، فنظر اليها فتبين له كيف يتم الإحياء والبعث . ولما ظرفية غــير جازمة متعلقــة بالجواب ، وتبين فعل ماض مبني على الفتح الظاهر ، وفاعل تبين ضمير مستكن يعود على كيفية الإحياء ، وقدّره الزمخشري تقديراً طريفاً ، قال : « فلما تبين له ما أشكل عليه » وقدره الجلال : فلما تبين له ذلك بالمشاهدة . والجار والمجرور متعلقان بتبين وجملة تبين في محل جر بالإضافة (قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير) قال فعل وفاعله مستتر ، وجملة أعلم مقول القول وجملة القول لا محل لها لأنها جواب شرط غــير جازم وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي أعلم .

الفوائـد :

١ ــ ينوب عن الظرف المصدر إذا كان مضافاً اليه وأن يكون معيناً لوقت أو مقدار نحو جئتك صلاة العصر ومقدم الحاج •

٢ ــ هاء السكت : سميت بذلك لأنه يسكت عليها دون آخر الكلمة ، ولها ثلاثة مواضـع :

آ ــ الفعل المعتّل بحذف آخره لجزم أو سـكون مثل : لم يتسنه ولم يغزه ولم يخشه ولم يرمِه واغزُه واخشه وارمِه ومنـه قوله تعالى : « فبهداهم اقتده° » وهي في كل هذا جائزة لا واجبة ، إلا في مسألة واحدة ، وهي أن يكون الفعل قد دخله الحذف وبقي على حرف واحد ، كالأمر من وعى يعي ، فإنك تقول : عِه° ، بحذف فائه ولامه •

ب ــ ما الاستفهامية المجرورة بالحرف ، وذلك أنه يجب حذف ألفها إذا جرت ، نحو عمّ ومم وبم وفيم • فإذا وقفت عليها ألحقتها الهاء حفظاً للفتحة الدالة على الألف •

جـ ــ كل مبني على حركة بناء ولم يشبه المعرب ، وذلك كيـاء المتكلم وهو وهي ، فإنك تقف عليها بهاء السكت محافظة على الفتحة ، وفي القرآن : « ماهيه° » و « ماليه° » و « سلطانيه° » ، وقال حسان :

إذا ما ترعرع منـا الغـلام فما إن يقـال له : ما هوه ؟

وحق هـاء السكت أن تكون ساكنة وتحريكهـا لحن عنـد البصريين • وكان أبو الطيب المتنبي يراغم النحاة فقال :

واحرَّ قلباهُ ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وهو — كما تعلم — كوفي ، والكوفيون يجيزون ذلك ، والواقع أن علماء النحو اضطربوا كثيراً في هذه المسألة ، ووقفوا حائرين أمام قول عروة في حبيبته عفراء :

يا مرحباه بحمار عفرا ويا مرحباه بحمار ناجيه

وقد دافع أبو البقاء العكبري عن أبي الطيب المتنبي في شرحه لديوانه في بحث شيق حبذا لو رجعت اليه .

٣ — الاستفهام في هذه الآية خرج عن معناه الأصلي ، فالأول « ألم تر » معناه التعجب ، أي : أعجب يا محمد من هذه القصة ، والاستفهام الثاني للاستعظام ، وهو « أنى يحيي هذه الله بعد موتها » .

لمحة تاريخية لا بدّ منها :

كان عزيز بن شرخيا من سكان بيت المقدس ، وقد كان في جملة من سباهم بختنصّر ، فلما خلص من السبي وجاء ورآها على تلك الحالة ، وكان راكباً على حمار ، دخلها وطاف فيها ، فلم ير أحداً فيها . وكان أغلب أشجارها حاملاً ، فأكل من الفاكهة ، واعتصر من العنب ، ثم ربط حماره بحبل ، وجعل فضل الفاكهة في سلة ، وفضل العصير في زق أو ركوة ، ثم ألقى الله عليه النوم فنام ، ولما نام نزع الله منه الروح ، وأمات حماره ، وبقي عصيره وتينه عنده ، فلما مضى من وقت موته سبعون سنة سلط الله ملكاً من ملوك فارس ، فسار بجنوده حتى أتى بيت المقدس فعمره ، وصار أحسن مما كان ، وعاد أهلها اليها

وأعمى الله العيون عن عزير هذه المدة . فلما مضت المائة أحياه الله ثم أخذ ينظر الى حماره تدب فيه الروح وتتلملم الأوصال ، الى آخر تلك القصة التي تتمنى أن يعمد أليها كاتب قصصي بارع فيجعل منها قصة فنية . وهي تشجب أقوال اليهــود في عزير أنه ابن الله ، تعالى الله عن ذلك .

ملاحظات هامة :

١ ــ تحدثنا عن قوله تعالى : « ألم تر » في باب الإعراب ، وقد عثرنا على تقرير هام للتفتازاني خلاصته : تقرير هذا أن كلاً من لفظ « ألم تر » و « أرأيت » مستعمل لقصد التعجب ، إلا أن الأول تعلق بالمتعجّب منه فيقال : ألم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه ، فتعجب من حاله . والثاني تعلق بمثل المتعجب منه فيقال : أرأيت مثل الذي صنع كذا ؟ بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل . ولا يصح : ألم تر الى مثله ، إذ يصير التقدير : انظر الى المثل وتعجب من الذي صنع . فلذا لم يستقم عطف « كالذي مرّ » عــلى « الذي حاج » واحتيج الى التأويل في المعطوف بجعله متعلقاً بمحذوف ، أي أرأيت الى ، أو في المعطوف عليه ، نظراً الى أنه في معنى : أرأيت كالذي حاج ، فيصــح العطف عليه حينئــذ .

قلت : وهذه دقة نظر وبعد غور لا حدّ لهما ، واستقصاء علمي منقطع النظير ، ولم نصحح إعرابنا كما ارتآه ، واكتفينا بإثبات هذه الملاحظــة .

٢ ــ قال أبو السعود العماري مفتي التخت العثماني الذي تقلد

الإفتاء الإسلامي مدة ثلاثين سنة ، وصاحب التفسير المسمى « إرشاد السليم الى مزايا الكتاب الكريم » والمتوفى سنة ألف وخمسمائة وأربع وسبعين للميلاد في صدد بحثه عن الكاف في قوله « أو كالذي » : والكاف إما اسمية كما اختاره قوم ، جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر ، كقولك : الفعل الماضي مثل نصر ، وإما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى : أولم تر الى الذي مر على قرية كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود ، أي قد رأيت ذلك وشاهدته .

٣ ـ قال ابن هشام في المغني : « ومن الوهم في هذا الباب قول بعضهم في قوله تعالى « وانظر الى العظام كيف ننشزها » أن جملة الاستفهام حالية ، والصواب أن « كيف » وحدها حال من مفعول ننشزها ، وأن الجملة بدل من العظام » .

وأورد الدسوقي في حاشيته على ابن هشام أن هذه الجملة لا تحل محل المبدل منه ، وهو شرط في صحة البدل . وفات الدسوقي أن الالتفات للمعنى أي الى العظام وكيفية نشوزها ، على أن هذه القاعدة أغلبية .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

اللغــة :

(فَصُرهُنّ) : بضم الصاد ويجوز كسرها ، فعل أمر من صار يصُور أو من صار يصير بمعنى ضمّ أو مال ، قال :

وفرع يصير الجيد وحف كأنــه　　على الليت قنوان الكروم الدّوالح

يصف شعر محبوبته بأنه يميل عنقها لثقله عليه ويشبهه بعناقيد الكروم المثقلات بالحمل . وقال في مختار الصحــاح : « وصارَهُ أمالَهُ، من باب قال وباع ، وقرىء فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها، وصار الشيء أيضاً من البابين قطعه وفصله ، فمن فسره بهذا جعل في الآية تقديماً وتأخيراً ، أي فخذ إليك أربعة من الطير فصرهن » .

الاعراب :

(وإذ قال إبراهيم) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لإيراد دليل آخر على رعاية الله للمؤمنين ، وفيه تنويه بأن الرؤية والعيان لا بد منهما لتدعيم الاعتقاد وترسيخه ، إذ لم يكن إبراهيم شاكاً في إحياء الله للموتى ، وإذ ظرف متعلق بما ذكر مقدراً وقال ابراهيم فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (رب أرني كيف تحيي الموتى) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ، والجملة في محل نصب مقول القول . وأرني فعل أمر من الإراءة البصرية المتعدية لواحد ، وبدخول الهمزة صارت متعدية لاثنين . وأصل أرني أرئيني ، فحذفت الياء الأولى فصار أرئني ، ثم نقلت حركة الهمزة الى الراء وحذفت الهمزة ،

وأرني فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والنون للوقاية وياء المتكلم مفعول به أول ، وكيف استفهام حال وتحيي فعل مضارع وفاعله مستتر والموتى مفعول به وجملة كيف تحيي الموتى في محل نصب مفعول أرني الثاني (قال أولم تؤمن) قال فعل ماض والفاعل هو والجملة مستأنفة بمثابة التقرير للواقع ، أي : أتسأل ولم تؤمن ، والهمزة للاستفهام التقريري ، لأن الاستفهام إنما هو عن أمر متقرر الوجود عند السائل والمسئول على السواء ، والواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم وتؤمن فعل مضارع مجزوم بلم والجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول (قال بلى) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الإيمان ، وأتى بـ « بلى » التي هي حرف جواب لتثبت الإيمان المنفي ، ولو كان الجواب بنعم لكان كفراً (ولكن ليطمئن قلبي) الواو عاطفة على جملة محذوفة تقديرها : « سألتك » ، ولكن حرف استدراك مهمل وليطمئن اللام للتعليل ويطمئن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة ولا بد من تقدير محذوف ليصح تعليق اللام ، أي ولكن سألتك كيفية الإحياء ليطمئن قلبي ، وقلبي فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، والياء مضاف اليه (قال فخذ أربعة من الطير) جملة مستأنفة مسوقة للتدليل على ولاية الله تعالى للمؤمنين والسير بهم في آماد الطريق المستقيم ، والفاء هي الفصيحة أي إذا أردت معرفة ذلك عياناً فخذ ، وخذ فعل أمر والفاعل أنت وأربعة مفعول به ومن الطير جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأربعة (فصرهن إليك) الفاء عاطفة وصرهنّ فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والنون علامة النسوة لا محل لها من الاعراب وإليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي مضمومات إليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً)

ثم حرف عطف للترتيب والتراخي واجعل فعل أمر والفاعل أنت وعلى كل جار ومجرور متعلقان باجعل على أنه مفعون ثان لـ « اجعل » وجبل مضاف اليه ومنهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « جزءاً » فلما تقدمت على الموصوف أعربت حالاً وجزءاً هو المفعول الأول (ثم ادعهن يأتينك سعياً) عطف أيضاً وادعهن فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل أنت والهاء مفعول به والنون علامة التأنيث لا محل لها ويأتينك فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم جواب الطلب والنون فاعل والكاف مفعول به والجملة جواب الطلب لا محل لها وسعياً مفعول مطلق أي مشياً سريعاً . ولك أن تعربها حالا ، أي مسرعات (واعلم أن الله عزيز حكيم) الواو عاطفة واعلم فعل أمر والفاعل أنت وان واسمها وخبراها سدت مسد مفعولي اعلم .

البلاغــة :

في هذه الآية إيجاز بالحذف وقد حذف تتمة القصة ، إذ حكى سبحانه أوامره ، ولم يتعرض لامتثال إبراهيم عليه السلام لها ، لأن ذلك مدرك بالبداهة .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ

مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

اللغـة :

(السنبلة) معروفة ، وزنها فنْعُلة ، فالنون زائدة ، يقال : أسبل الزرع : أرسل ما فيه . وحكى بعض اللغويين : سنبل الزرع ، فتكون النون أصلية ، ووزنه فعلل . وقد روى الأساس واللسان : « وأسبل الزرع وسنبل : خرج سَبَلُه وسُنْبُلُه » .

(المن) أن يعتدّ على من أحسن اليه بإحسانه .

الاعراب :

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل لإنفاق الأموال في سبيل الله ، ولا بد من حذف مضاف ، أي : مثل نفقتهم . ومثل مبتدأ والذين مضاف اليه وجملة ينفقون لا محل لها لأنها صلة الموصول وأموالهم مفعول به وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بينفقون (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) الجار والمجـرور متعلقان بمحـذوف خبر ، ولا بـد من حـذف مضـاف أيضاً ، أي كمثل باذر حبة . وأنبتت فعل ماض والفاعل هي وسبع مفعول به وسنابل مضاف اليه وعلامـة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف لأنه عـلى صيغـة منتهى الجموع وجملة أنبتت صفـة لحبة (في كل سنبلة مائة حبة) في كل الجار والمجرور متعلقان بمحذوف

خبر مقــدم وسنبلة مضاف اليه ، ومائــة حبة مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة لسنابل فتكون في محل جر ، أو صفة لسبع فتكون في محل نصب (والله يضاعف لمن يشاء) الواو استئنافية والله مبتدأ ويضاعف فعــل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود عــلى الله تعالى وجملة يضاعف في محل رفــع خبر للمبتدأ « الله » ولمن الجــار والمجرور متعلقان بيضاعف وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة من (والله واسع عليم) الواو عاطفــة والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليــم خبر ثان (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) لك أن تجعلها تابعة للجمــل السابقة على أنها مبدلة منها ، ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لذكر الإنفاق غير المشوب بالمن • والذين مبتدأ أو بدل من الذين الأولى وجملة ينفقون أموالهم لا محل لها لأنها صلة وفي سبيل الله متعلقان بينفقون (ثم لا يتبعــون ما أنفقوا منّــاً ولا أذى) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي في الزمان والرتبة ، ولا نافية ويتبعون فعل مضارع معطوف على ينفقون وما اسم موصول مفعول به أول وجملة أنفقوا صلة ما ومناً مفعول به ثان ولا أذى عطف على « مناً » (لهم أجرهم عند ربهم) الجار والمجرور خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر والظرف متعلق بمحذوف حال وربهم مضاف اليه والجملة الاسمية في محل رفع خبر الذين إذا كانت مبتدأ ، أما إذا كانت بدلاً فالجملة استئنافية (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعراب هذه الآية بحروفها •

البلاغــة :

١ ــ التشبيه التمثيلي : فقد شبه نفقــة المنفقين في سبيل الله بالحبة في مضاعفــة الأجر ، فهي عنــدما يغرسها الغارس تنبت ساقاً

يتشعّب منه سبع شعب ، لكل واحد سنبلة . وفيه تجسيد بديع بعقد المماثلة بين المشبّه والمشبه به . والغرض من التشبيه هنا توضيح المعنى وتقريبه للأذهان أولاً ، ثم تأييده بالدليل المحسوس الذي لا يكابر فيه المكابر ، ولا يتعنّت فيه المتعنّت ثانياً ، ثم تزيين المشبه وتجميله ، وإلهاب الرغبة فيه ، بحيث لا يتردد أحد في الإنفاق بعد أن رأى بعينه سلفاً ما أعد له من جزاء ثالثاً .

٢ ــ « ثم » في أصل وضعها تشير الى أن ثمة تراخياً بين المعطوف بها والمعطوف عليه ، وهذا التراخي قد اختلف فيه ، فبعضهم يقول : إنه تراخي الزمن وبُعد ما بينهما . والزمخشري يرحمه الله يحمله على التفاوت في الرتبة ، فإلى أيهما يعتزي في هذه الآية ؟

لقد أفاض علماء البيان في هذا الباب ، فقال قوم : المراد التراخي في الزمن نظراً للغالب من أن وقوع المنّ والأذى يكون بعد الإنفاق حتماً ، بل هما مترتبان عليه ، ولا يمكن تصورهما قبل وقوعه ، وهذا حسن جميل ، وذهب الزمخشري الى أن التراخي هنا محمول على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما ، حيث لا يمكن حملها على الزمان لسياق يأبى ذلك في الآية . وحاصله أنها استعيرت من تباعد الأزمنة لتباعد المرتبة ، وهذا من أبدع ما يصل اليه الفكر الراجح والذكاء البعيد الغور ، فإن استخراج هذه الاستعارة على هذا الشكل لا يدركه قصار النظر والابتدائيون ، وعلى هذا يقال : معنا ها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه ، ومعناها المستعارة اليه دوام وجود الفعل وتراخي زمان بقائه .

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ
﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ
مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ
عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا
كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا
وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

اللغـة :

(رئاء) مصدر راءى مراءاة ورئاء ، والأصل : رياياً ، فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة . والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة . والمفاعلة على بابها من المشاركة ، لأن المرائي يري الناس أعماله حتى يروه الثناء عليه والاحترام له .

(صفوان) : حجر كبير أملس .

(الوابل) : المطر الكثير . قال الأصمعي : أخف المطر وأضعفه الطـلّ ، ثم الرذاذ أقوى منه ، ثم البغش والـدّث ، ومثله الرّكّ والرهمة . وقال النضر بـن شـميل : أول المطر رش وطش ، ثم طل ورذاذ ، ثم نضح ونضخ ، ثم هطل وتهتان ، ثم وابل وجود .

(صلد) : صلب أملس أو أجرد نقي من التراب الذي كان عليه.

الاعراب :

(قـول معـروف ومغفرة خـير مـن صدقـة يتبعهـا أذى) قول مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت ، معروف : صفة لقول ومغفرة عطف على قول ، خير خبر ، من صدقة جار ومجرور متعلقان بخير ، يتبعها فعل مضارع والهاء مفعول به والجملة صفة لصدقة ، أذى فاعـل ، (والله غني حليم) الواو استئنافية والله مبتـدأ وغني حليم خبراه . (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى) كـلام مستأنف مسوق لبيان حكم هـذه المسألة ، وهي إبطال الصدقات بالمن والأذى . ولا ناهية وتبطلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعـل وصدقاتكم مفعول بـه منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ، والكاف مضاف اليه وبالمن جار ومجرور متعلقان بتبطلوا والأذى عطف على المن (كالذي) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت لمصدر محذوف ، فهو مفعول مطلق أي لا تبطلوها إبطالاً كإبطال الـذي ... أو حال من ضمير المصدر المقدر ، كما نص عليه سيبويه ، أو من فاعل تبطلوا . أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الـذي ينفق ماله رئاء الناس والوجهان

جيدان • (ينفق ماله رئاء الناس) جملة ينفق ماله صلة الموصول لا محل لها ورئاء الناس مفعول لأجله وقد استكمل شروط النصب فلا يعدل عنه الى وجه آخر كما زعم بعض المعربين (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) الواو حرف عطف ، لا نافية ، يؤمن فعل مضارع وفاعله هو ، وبالله متعلقان بيؤمن ، واليوم الآخر معطوف على الله (فمثله كمثل صفوان) الفاء استئنافية جيء بها لمجرد الربط بين الجمل ، ومثله مبتدأ وكمثل الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر وهو مضاف ومثل مضاف اليه وصفوان مضاف الى مثل (عليه تراب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وتراب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جر صفة لصفوان (فأصابه وابل) الفاء عاطفة عطفت أصابه على متعلق عليه ، أي : استقر عليه فأصابه ، والهاء مفعول به ووابل فاعل (فتركه صلداً) الفاء عاطفة وترك فعل ماض ينصب مفعولين أولهما الهاء والثاني صلداً (لا يقدرون على شيء) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال ، كأنه قيل فماذا كان مآلهم ؟ فقيل : لا يقدرون ، ولا نافية ويقدرون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وعلى شيء جار ومجرور متعلقان بيقدرون ، وأعاد الضمير مجموعاً وهو في الظاهر مفرد ، لأن «الذي» يراد به الفريق الذي ينفق والجنس الذي ينفق (مما كسبوا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء وجملة كسبوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ما (والله لا يهدي القوم الكافرين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتعريض بأن المن والأذى من صفات الكفار والله مبتدأ وجملة لا يهدي خبر والقوم مفعول به والكافرين صفة للقوم (ومثل الذين ينفقون أموالهم) الواو عاطفة على « فمثله » ومثل مبتدأ ولا بد من تقدير مضاف تقديره نفقات ، والذين مضاف

اليه وجملة ينفقون أموالهم لا محل لها لأنها صلة الموصول (ابتغاء مرضاة الله) مفعول لأجله وشروط النصب متوفرة فيه ومرضاة الله مضاف اليه (وتثبيتاً من أنفسهم) عطف على ابتغاء ، ومن أنفسهم متعلقان بـ « تثبيتاً » أي منطلقاً من أصل أنفسهم ، وقال ابن عطية : « ولا يصح أن يكون ابتغاء مفعولاً من أجله لعطف « تثبيتاً » عليه ، ولا يصح « تثبيتاً » أنه مفعول من أجله لأن الانفاق ليس من أصل التثبيت » ، ولهذا رجّح أبو حيان أن يكون « ابتغاء » مصدراً في موضع الحال ، أي : مبتغين ، وكذلك « وتثبيتاً » . وفي كلامهما شيء غير قليل من بعد الغور وحسن التقدير . ولكن يمكن القول أن التثبيت من أفعال القلوب ، لأنه صادر عنها ، وهو يحدو صاحب القلب الى التثبيت ، ولهذا نرجح ما أعربناه (كمثل جنة بربوة) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر للمبتدأ « مثل الذين » وبربوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لجنة (أصابها وابل) فعل ومفعول به وفاعل والجملة صفة لجنة أيضاً (فآتت أكلها ضعفين) الفاء عاطفة وآتت فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هي يعود على جنة وأكلها مفعول به والهاء مضاف اليه وضعفين حال (فإن لم يصبها وابل فطلّ) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويصبها فعل مضارع مجزوم بـ « لم » في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وطل خبر لمبتدأ محذوف أي فالذي يصيبها طلٌ والجملة في محل جزم جواب الشرط (والله بما تعملون بصير) الواو استئنافية والله مبتدأ والجار والمجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون صلة الموصول وبصير خبر الله .

البلاغـة :

١ ــ التشبيه التمثيلي الأول : فقـد شبه إنفـاق الأموال رئاء الناس ثم إتباع ذلك بالمنّ والتطاول بالإحسان بالتراب الذي يوضع على الصخر الأملس يأتي عليه الوابل من المطـر فيذروه ويذهب به ولا يترك له أثراً •

٢ ــ التشبيه التمثيلي الثاني : فقد شبه إنفاق الأموال الخالص من الرياء في سبيل الله وابتغاء مرضاته بالبستان الوريف الظلال فوق ربوة عالية يكفيها القليل من المطر لتربو وتهتز وتمرع وتخصب •

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾

اللغـة :

(نخيل) النخيل : قيل : هو اسم جمع ، واحدته نخلة • وقيل : هو جمع نخل ، ونخل اسم جنس •

(الأعناب) : جمع عنب ، أو هو اسم جنس ، واحدته عِنَبَة

(إعصار) : ريح شديدة مرتفعة ، وقيل : هو الريح السموم • سميت بذلك لأنها تلتف كما يلتف الثوب المعصور ، وقيل لأنها تعصر السحاب • ويجمع الإعصار على أعاصير •

الاعراب :

(أيود أحدكم) جملة مستأنفة مسوقة لضرب مثل آخر لنفقة المرائين والمانّين • والهمزة للاستفهام ويود فعل مضارع وأحدكم فاعله والكاف مضاف اليه (أن تكون له جنة) أن وما بعدها مصدر في محل نصب مفعول يود وله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجنة اسمها المؤخر • (من نخيل وأعناب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لجنة وأعناب عطف على نخيل (تجري من تحتها الانهار) تجري فعل مضارع ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري والهاء مضاف اليه والانهار فاعل والجملة صفة ثانية لجنة (له فيها من كل الثمرات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ومن كل الثمرات الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة للمبتدأ المؤخر والمحذوف أي له رزق كائن من كل الثمرات حالة كونه فيها ، والجملة صفة ثالثة لجنة (وأصابه الكبر) الواو حالية وجملة أصابه الكبر في محل نصب حال ولا بد من تقدير « قد » (وله ذرية ضعفاء) الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وذرية مبتدأ مؤخر وضعفاء صفة لذرية والجملة في محل نصب على الحال من الهاء في « أصابه » (فأصابها إعصار) الفاء حرف عطف وأصاب فعل ماض والهاء مفعول به وإعصار فاعل والجملة معطوفة على صفة الجنة (فيه نار) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونار مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة لإعصار (فاحترقت) عطف على أصابها (كذلك يبين الله لكم الآيات) الجار والمجرور « كذلك » متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف أو في محل نصب حال ويبين فعل مضارع مرفوع والله فاعل يبين ولكم متعلقان بيبين والآيات مفعول به منصوب

بالكسرة وجملة يبين استئنافية (لعلكم تتفكرون) لعل واسمها وجملة تتفكرون خبرها وجملة الرجاء في محل نصب على الحال .

البلاغـة :

في هذه الآية يسمو البيان القرآني الى أعلى ذروة يتصورها العقل البشري ، وجميع آي القرآن من البيان الرفيع السامي . ولكن هذه هذه الآية وآيات كثيرة وردت وسترد في مواطنها استوفت من الناحية البيانية الغاية ، وأربت على النهاية ، وهي بمثابة المثل لنفقة المرائي الذي ينفق للتبجح وإعـلان حب النفس ، وإيهام الناس بأنه بالـغ أقصى الغايات ، بينما تذهب أعماله سدى . وسنبسط القول فيها بسطاً يتفق مع مراميها البعيدة ، وفيما يلي ما أدركناه منها :

١ ــ الاستفهام في قوله : أيود ؟ للإنكار والنفي . أما مصب النفي فهو في قوله : « فأصابها إعصار » لأنه مناطه ومثابته . وجميل قول ابن عباس فيها : « هو مثـل لرجل عمـل بالطاعات ثم زين له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله وطاح بها » .

٢ ــ وفي هذه الآية فن التتميم وقـد تقدمت الاشارة اليه . ونزيده هنا بسطاً ، فنقول : هو أن يأتي الشاعر أو الكاتب في كلامه بكلمات لو طرحت لنقص معناه أو صوره مع بقاء الكلام سليماً . وإليك الصور التي اندرجت فيها :

آ ــ لما ذكر سبحانه الجنة لم يكتف بذكرها مجردة من كل قيد، لأن الجنة في اللغة لفظ يصدق على كل شجر متكاثف ملتف ، يستر من يتفيأ بظلاله الوريفة . ومن هذا الشجر ما هو محدود النفع كالأثل والخمط وغـيرهما من الاشجار التي لا تصلـح إلا للحطب ، ومنها

ما يتضاعف نفعه فيؤكل ثمره وتستخرج منه مواد أخرى نافعة ثم يكون حطبه صالحاً للوقود ، فتمم ذلك النقص بقوله : « من نخيل وأعناب » ، وفهم بالبداهة أن هذه الجنة تميزت بأن أشجارها من الصنف الثاني المتضاعف النفع أي أن احتراق تلك الجنة ــ ولو كانت تضم الأثل والخمط ونحوهما مما هو محدود النفع ــ يشجي صاحبها، فكيف إذا كانت من نخيل وأعناب ؟ ألا يكون الأسف عليها أشد ؟ والشجا باحتراقها أعظم ؟

ب ــ ثم تمم ذلك بذكر الأنهار الجارية للدلالة على ديمومة الخصب . إذ ما الفائدة منها إذا نضبت فيها الأمواه ؟ ألا يكون مآلها الى اليبس والذبول ؟

جـ ــ ولدفع الإيهام الذي يخيل الى السامعين أن هذه الجنة قدتكون مقتصرةعلىهذين الضربين من الثمرات،وهما : النخيل والأعناب تمم بقوله « له فيها من كل الثمرات » ، أي أنها تجمع جميع أفانين الثمر ، فالحسرة إذن على احتراقها أشد ، والأسف على فنائها أعمّ .

د ــ ولما فرغ من وصف الجنة شرع في وصف الحادث المهلك الذي أدى الى فناء الجنة بقوله : « فأصابها إعصار » يجتاح الأخضر واليابس ويهلك الحرث والنسل .

هـ ــ على أن الإعصار مهما يبلغ تأثيره فانه ربما كان مؤجل الإهلاك ، فدفع هذا الإيهام بقوله : « فيه نار » فأحرقها بعد أن أودى بأشجارها . ولم يكتف بذكر النار لأنها قد تأتي على شيء مما تحرقه ويبقى بعد ذلك شيء آخر منها فدفع هذا الإيهام مرة أخرى بذكر الاحتراق .

البحتريّ والتّتميم :

ومن التتميم في الشعر قول البحتري في وصف الإبل التي براها السير والسّرى :

كالقسيّ المعطّفات بل الأسـ ـهم مبريّة بل الأوتار

فقد شبه الإبل بالقسي المعطفات ، وهو تشبيه جميل لما فيه من تنويه بالنحول ، ولما في خلق الإبل من الحدب والانحناء . ثم جعلها مبرية على طريق الإضراب الذي يلمح الى الغلط ، ثم ترقى في ذلك فجعلها كالأوتار . وهذا كله من أوابد البحتري التي أطلق عليها اسم « سلاسل الذهب » كما كان يسميها النقاد القدامى ، على أني وقفت بعد ذلك على حديث للرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم فعلمت أن البحتري لم يبتكر هذه المعاني العميقة المصوغة في أجمل بيان ، وأنه رمق سماء الحديث النبوي ، وأنه أخذه أخذاً يسبق أسهمه المبرية، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « لو صليتم لله حتى تعودوا كالقسيّ ، وصمتم حتى تعودوا كالأوتار » . وهذا مما أخذ بنصه وفصه .

٣ ـ وفي هذه الآية أيضاً فنّ « الطاعة والعصيان » وقد أطلق هذه التسمية شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبو العلاء المعري عندما نظر في شعر أبي الطيب المتنبي ، وتحدث عنه في كتابه « معجز أحمد » ، يعني أحمد المتنبي فأتى على قوله :

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

وقال : « أراد المتنبي الطّباق فعصاه وأطاعه الجناس فانه أراد أن يقول : يرد يداً عن ثوبها وهو مستيقظ ، فعصاه ذلك لامتناع

دخوله في الوزن فقال وهو قادر لأن القادر مستيقظ وزيادة ، ليكون بينها وبين القافية تجانس ، فأطاعه الجناس المقلوب بين قادر وراقد ، وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ » .

أقول : هذا ما ذكره أبو العلاء المعري ، وليس في بيت المتنبي شيء من ذلك ، ولو أراد أن يقول : « يردّ يداً عن ثوبها وهو ساهر » أو « متنبها » بحذف لفظة « وهو » لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن ، وإنما مراده بيان العفاف من القادر لا من غيره ، أي أنه مع قدرته عليها لا يبيح لنفسه مدّ يده الى إزارها ، كما أنه إذا رأى خيالها في المنام امتنع عنه كما يمتنع عنه في اليقظة . يصف نفسه ببعد الهمة عن مغازلة النساء ، إذن ففن الطاعة والعصيان الذي ابتدعه المعري ولم يوفق في التمثيل له أثبته علماء البيان ومثلوا لـه بقول ابن النبيـه :

بيضاء حجّبهـا الواشون حـين سرت
عني فلـو لمحت صبـغ الدجى لمحت

أراد أن يقول : فلو لمحت سواد الدجى ، ليأتي نوع التدبيـج بقوله بيضاء وسواد ، فعصاه الوزن فقال : « صبغ الدجى » وهو مرادف للسواد ، فصدق عليه أنه عصاه التدبيج وأطاعه فن الإرداف . ومثله قول الأرّجانيّ :

كم رعت هـذا الحي إما زائراً فرداً وإما سـائراً في جحفل

أراد أن يقول : وإما محارباً ، لتكون المقابلة بين زائر ومحارب ، ولا شك أن الزائر يكون مسالماً بين قوله « فرداً » وقوله « في جحفل » فعصاه الوزن وأعطاه الجناس اللاحـق بين زائر وسائر . أما في الآية

الكريمة التي نحن بصددها فإنها وقع فيها التتميم ، وقد تحدثنا عنه قبل قليل فيها . ولما كان المتكلم في الأصل يقصد المساواة في كل ما يتكلم به فإذا عصته المساواة للأغراض الآنفة الذكر أطاعه التتميم فتنبه لهذا فإنه من دقائق الفنون .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

اللغــة :

(تغمضوا) الإغماض : غضّ البصر ، وأغمضت العين إغماضاً وغمّضتها تغميضاً : أطبقت الأجفان . والمراد به هنا التجاوز والتسامح والمساهلة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها ، وجملة النداء وما يليه مستأنفة مسوقة لبيان ما ينفق منه ، أي أنفقوا من حلال ما كسبتم وجيده (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أنفقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن طيبات الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا وما اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة كسبتم صلة الموصول (ومما أخرجنا لكم من الأرض) ومما عطف على من طيبات وجملة أخرجنا لا محل لها لأنها صلة الموصول ولكم جار ومجرور متعلقان بأخرجنا ومن الأرض متعلقان بأخرجنا . ولك أن تعلقهما بمحذوف

حال ، أي : ناجماً من الأرض . ويرحم الله الفقهاء ما أثقب أذهانهم فأبو حنيفة أبقاه على عمومه في الزكاة ، والشافعي خصه بما يزرعه الآدميون وكلاهما صحيح (ولاتيمّموا الخبيث منه) الواو عاطفة ولاناهية وتيمموا فعل مضارع مجزوم بلا وأصل تيمموا : تتيمّموا بتاءين حذفت إحداهما تخفيفاً والواوفاعل والخبيث مفعول به ومنه متعلقان بمحذوف حال من الخبيث (تنفقون) الجملة حالية ومفعول تنفقون محذوف أي تنفقونه (ولستم بآخذيه) الواو حالية وليس واسمها والباء حرف جر زائد وآخذيه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وحذفت النون للإضافة والهاء مضاف اليه ، والجملة حال من فاعل تنفقون أي الواو (إلا أن تغمضوا فيه) أداة حصر وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن تغمضوا ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، فهو استثناء من أعم الأحوال ، ولك أن تعلقهما بآخذيه ، وهو أسهل (واعلموا أن الله غني حميد) الواو استئنافية واعلموا فعل أمر والواو فاعل وأن واسمها وخبراها سدت مسد مفعولي اعلموا .

البلاغة :

في هذه الآية استعارة تصريحية وذلك في قوله : « إلا أن تغمضوا فيه » شبه التجاوز عن الشيء الجدير بالمؤاخذة بغض العين عما يتفادى المرء رؤيته مما يكره .

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ

ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ
أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ
﴿٢٧٠﴾

اللغة :

(الفحشاء) : المراد بها هنا البخل ، والفاحش البخيل . قال طرفة بن العبد :

أرى المـوت يعتـام الكـرام ويصطفي
عقيـلة مـال الفـاحش المتشـدّد

قال الكلبي : « كل فحشاء في القرآن فالمراد بها الزنى ، الا هـذا الموضع » .

الاعراب :

(الشيطان يعدكم الفقر) كـلام مستأنف مسوق للتحذير من الإصاخة للشيطان ووساوسه . والشيطان مبتدأ وجملة يعدكم خبر والفقر مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض (ويأمركم بالفحشاء) عطف عـلى : « يعدكم الفقر » والجار والمجرور متعلقان بيأمركـم (والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) عطف على الجملة المستأنفة ، ومغفرة مفعول به ثان ومنه : جـار ومجرور متعلقـان بمحذوف صفة لمغفرة ، وفضلاً : عطف على مغفرة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وواسع عليم خبران لله (يؤتي الحكمة من يشاء) الجملة خبر ثالث لله أو جملة مستأنفة ويؤتي فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والحكمة مفعول به أول ومن اسم موصول في محل

نصب مفعول به ثان وجملة يشاء صلة الموصول (ومن يُؤتَ الحكمة) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويؤت فعل الشرط مبني للمجهول وعلامة جزمه حذف حرف العلة ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو والحكمة مفعول به ثان (فقد أوتي خيراً كثيراً) الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وأوتي فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وخيراً مفعول به ثان وكثيراً صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومايذّكّر إلاأولو الألباب)الواوعاطفة وما نافية ويذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وأولو فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والألباب مضاف اليه (وما أنفقتم من نفقة) الواو عاطفة وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لأنفقتم ومن نفقة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجعلها كثيرون زائدة ، وهو أسهل ، ولكنه غير مقيس (أو نذرتم من نذر) عطف على ما تقدم (فإن الله يعلمه) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها وجملة يعلمه خبرها والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وما للظالمين من أنصار) الواو الاستئنافية وما نافية وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وأنصار مبتدأ مؤخر .

﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ

إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

الإعراب:

(إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي) كلام مستأنف مسوق لتفصيل ما أجمل في الجملة الشرطية السابقة ولذلك ترك العاطف ، وإن حرف شرط جازم وتبدوا فعل مضارع فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والصدقات مفعول به ، فنعما : الفاء رابطة لأن الجواب فعل جامد قال بعضهم في مواضع ربط الجواب بالفاء :

اسمية طلبية وبجامد وبما ولن وبقد وبالتنفيس

ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح وما نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز وفاعل نعم ضمير مستتر مفسر بـ « ما » هي : ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ خبره جملة نعما لأنه المخصوص بالمدح وجملة نعما هي جملة اسمية في محل جزم جواب الشرط (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) الواو عاطفة وإن شرطية وتخفوها فعل مضارع فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به وتؤتوها عطف عليه والهاء مفعول به أول والفقراء مفعول به ثان (فهو خير لكم) الفاء رابطة للجواب وهو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وخير خبر ولكم جار ومجرور متعلقان بخير والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (ويكفّر عنكم من سيئاتكم) الواو استئنافية ويكفّر فعل مضارع مرفوع والجملة خبر لمبتدأ محذوف أي والله يكفر عنكم وعنكم جار ومجرور متعلقان بيكفر وقرىء بالجزم عطفاً على موضع الفاء في قوله

« فهو خير لكم » لأنه جواب الشرط ومن سيئاتكم متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محذوف أي : شيئاً من سيئاتكم ، نص على ذلك سيبويه ، وهو أولى من جعلها زائدة في الكلام الموجب ، كما صنع المعربون كأبي البقاء وغيره (والله بما تعملون خبير) الواو استئنافية والله مبتدأ وخبير خبره والجار والمجرور متعلقان بخبير وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة (ليس عليك هداهم) كلام مستأنف مسوق للتشدد في العقيدة والنهي عن التساهل مع أعداء الله وأعداء دينه ، ومعلوم أنه كانت هنا قرابات ومصاهرات في اليهود ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق عليهم لحملهم على الانضواء الى الدين القويم . وليس فعل ماض ناقص وعليك خبرها المقدم وهداهم اسمها المؤخر وهو مصدر مضاف لمفعوله (ولكن الله يهدي من يشاء) الواو اعتراضية لا محل لها والجملة لا محل لها ولكن واسمها وجملة يهدي خبرها ومن اسم موصول مفعول يهدي وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) الواو عاطفة على ما قبلها وما شرطية جازمة في محل نصب مفعول به مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط ومن خير في محل نصب حال والفاء رابطة لجواب الشرط ولأنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف والتقدير :فهو لأنفسكم،والجملة في محل جزم جواب الشرط(وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله) الواو عاطفة وما نافية وتنفقون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعله وإلا أداة حصر وابتغاء مفعول لأجله فالاستثناء من أعم العلل ووجه الله مضاف اليه (وما تنفقوا من خير) تقدم إعرابها (يوف إليكم) جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ونائب الفاعل مستتر تقديره هو واليكم جار ومجرور

متعلقان بيوفّ (وأنتم لا تظلمون) الواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة لا تظلمون خبر أنتم ، والجملة الاسمية في محل نصب حال . ولك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها .

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾

اللغــة :

(أُحصروا) أحصرهم الجهــاد وأرصدهم للمناضلة في سبيل الله ، وصرف نفوسهم عن الاشتغال بأي شيء سواه . وأرصد الشيء أعدّه لأمر من الأمور ، وفي الحديث : « إلا أن أرصده لدين عليّ » ويستعملونها اليوم خطأ ، فيكتبون : « رصد المبلغ لكذا » والصواب: « أرصد » فتنبّه .

(سيماهم) السيما : بالقصر العــلامة ، ويجوز مدها : السيماء . وبعض بني أسد وثقيف يقولون : بسيميائهم . ومن ذلك قول ابن عنقاء الفزاري :

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر

(الإلحاف) شدة الإلحاح في المسألة وفي الحديث : « من سأل وله أربعون درهماً فقد ألحف » .

الاعراب :

(للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : صدقاتكم للفقراء ، والذين صفة للفقراء وجملة أحصروا في سبيل الله لا محل لها لأنها صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بأحصروا (لا يستطيعون ضرباً في الأرض) الجملة في موضع نصب على الحال ، وجملة للفقراء مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عن سؤال نشأ مما سبق كأنهم سألوا لما أمروا بالصدقات : لمن هي ؟ فقيل : إنها لهؤلاء . ولا نافية ويستطيعون فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وضربا مفعول به وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بضرباً (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) الجملة حال ثانية للفقراء ويحسبهم فعل مضارع والهاء مفعول يحسب الأول ، والجاهل فاعل وأغنياء مفعول به ثان ومن التعفف جار ومجرور في موضع نصب على أنه مفعول لأجله ، وجُرّ بـ « من » لأنه فقد شرطاً من أهم شروطه وهو اتحاد الفاعل ، ففاعل الحسبان هو الجاهل وفاعل التعفف هم الفقراء (تعرفهم بسيماهم) الجملة حال ثالثة للفقراء وبسيماهم جار ومجرور متعلقان بتعرفهم (لا يسألون الناس إلحافاً) الجملة حال رابعة ولا نافية ويسألون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والناس مفعول به وإلحافاً يجوز فيه أن يعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، أي : يلحفون إلحافاً ، أو مصدراً مؤولاً في موضع الحال ، أي لا يسألون

حالة كونهم ملحفين ، أو مفعولاً من أجله وقد استوفى شروطه. (وما تنفقوا من خير) تقدم إعرابه قريباً (فإن الله به عليم) الفاء رابطة وان واسمها والجملة خبرها ، والجملة اسمية في محل جزم جواب الشرط. وبه جار ومجرور متعلقان بالخبر « عليم » (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان صفة الصدقة ووقتها . ونزول الآية في أبي بكر أو علي بن أبي طالب لا ينزع عنها صفة شمول الحكم وعمومه . والذين مبتدأ وينفقون فعل مضارع والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول والواو فاعل وأموالهم مفعول به بالليل جار ومجرور متعلقان بتنفقون ، والنهار معطوف على الليل ، وسراً وعلانية مصدران منصوبان على الحالية أو بنزع الخافض (فلهم أجرهم عند ربهم) الفاء رابطة للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها ولما في الموصول من رائحة الشرط والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر والظرف عند متعلق بمحذوف حال وربهم مضاف اليه والجملة خبر للموصول « الذين » (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعرابها بحروفها كثيراً .

البلاغـة :

في قوله تعالى : « لا يسألون الناس إلحافاً » فن من أبدع الفنون البيانية ويسمونه « نفي الشيء بإيجابه » وحدّه أن يثبت الشاعر أو الكاتب شيئاً في ظاهر كلامه ثم ينفي ما هو من سببه . وهو كثير في القرآن الكريم . أما في هذه الآية فالمنفيّ في ظاهر الكلام هو الإلحاف في السؤال ، لا نفس السؤال مجازاً ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة نفس السؤال ، إلحافاً كان أو غير إلحاف . وهذا الذي يقتضيه المديح ،

وهو ، كما ترى ، من طرائف علم البيان ومن بارعة قول علي بن أبي طالب في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه : « لا تثنى فلتاته » ، أي : لا تذاع سقطاته . فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثمّ فلتات ، غير أنها لا تذاع . وليس المراد ذلك ، ولكن المراد أنه لم يكن ثم فلتات للنبي فتثنى . وهذا من أغرب ما توسعت فيه لغتنا العربية . وزعم ابن الأثير في كتابه « المثل السائر » أنه قليل في الشعر ، وأنه لم يسمع منه غير بيت واحد لامرىء القيس ، وهو قوله :

على لاحبٍ لا يهتدي بمناره إذا ساقه العود الدّيافيُّ جرجرا

فقوله : « لا يهتدي بمنارة » يوهم أن له مناراً ، إلا أنه لا يهتدى به . وليس المراد ذلك بل المراد أن لا مناراً له يهتدى به . وقد نسي ابن الأثير قول مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني :

تراه في الأمن في درع مضاعفةٍ
لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

فإن ظاهر الكلام نفي عبق الطيب ومسح الكحل . والمراد نفي الطيب والكحل مطلقاً ، لانهماكه في قيادة الجيوش وحفظ الثغور والحراسة على خطوط القتال .

٢ ــ وفي الآية فن المقابلة ، فقد تكرر الطباق بين الليل والنهار ، وبين السر والعلانية .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ
ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا
سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

اللغــة :

(الربا) الإرباء الزيادة على الشيء ، يقال منه : أربى فلان على فلان إذا زاد عليه . وإنما قيل للرابية رابية لزيادتها في العظم والإشراف على ما استوى من الأرض مما حولها .

(المس) : الجنون .

الاعراب :

(الذين يأكلون الربا) كلام مستأنف مسوق لذكر حكم الربا وهي الزيادة في المعاملة بالنقود . والذين مبتدأ وجملة يأكلون الربا لا محل لها لأنها صلة الموصول (لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المس) لا نافية ويقومون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر الذين وإلا أداة حصر وكما يقوم الكاف حرف جر وما مصدرية وهي مع مدخولها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول مطلق أو حال وجملة يقوم لا محل لها

لأنها واقعة بعد موصول حرفي والذي فاعل وجملة يتخبطه الشيطان لا محل لها لأنها صلة الموصول ومن المس جار ومجرور متعلقان بيقومون أي لا يقومون من جراء المس إلا كما يقوم المصروع، ولك أن تعلقهما بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه . واختار أبو حيّان تعليقهما بيتخبطه على سبيل التأكيد ورفع ما يتحمله « يتخبطه » من المجاز ، وهو وارد ، وما اخترناه أولى (ذلك بأنهم قالوا) اسم الإشارة مبتدأ والإشارة الى العذاب النازل بهم ، والباء حرف جر وان واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « ذلك » أي : بسبب قولهم وجملة الإشارة استئنافية وقالوا فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل (إنما البيع مثل الربا) إنما كافة ومكفوفة مهملة والبيع مبتدأ ومثل خبر البيع والربا مضاف إليه علامة جره الكسرة المقدرة والجملة في محل نصب مقول القول (وأحل الله البيع وحرم الربا) الواو حالية بتقدير قد بعدها ، وفيه دلالة على أن القياس يهدمه النص ، لأنه قد يكون فاسداً ، وليس ثمة أفسد من قياسهم لتحليل ما حرم الله . وأحل فعل ماض والله فاعله والبيع مفعول به وحرم الربا عطف والجملة بعد الواو حالية (فمن جاءه موعظة من ربه) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وجاءه فعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وموعظة فاعل ومن ربه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لموعظة (فانتهى) الفاء عاطفة ، انتهى عطف على جاءه وفاعله هو (فله ما سلف) الفاء رابطة لجواب الشرط والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة سلف صلة الموصول (وأمره الى الله) الواو عاطفة أو حالية وأمره مبتدأ والى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة فله ما سلف في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن عاد فأولئك أصحاب

النار) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ وعاد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة واسم الإشارة مبتدأ وأصحاب النار خبروالجملة المقترنة بالفاءفي محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (هم فيها خالدون) هم مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بخالدون وخالدون خبر « هم » والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (يمحق الله الربا) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان مصير الربا ويمحق فعل مضارع والله فاعله والربا مفعوله (ويربي الصدقات) عطف على يمحق الله الربا (والله لا يحب كل كفار أثيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يحب خبر وكل مفعول به وكفار مضاف إليه وأثيم صفة لكفار .

البلاغة :

١ ـ التشبيه التمثيلي في تشبيه آكلي الربا عند خروجهم من أجداثهم بمن أصابه مس ّ فاختل طبعه ، وانتكست حاله ، وصار يتهافت في مشيته ويتكاوس في خطوته ، ويترنح ترنح الشارب السكران ثم يهوي مكباً على وجهه من سوء الطالع وقبح المنقلب ، وشناعة المصير ، والجزاء عادة وعقلاً من جنس العمل .

٢ ـ التشبيه المقلوب : في قولهم : « إنما البيع مثل الربا » وهم يريدون القول بأن الربا مثل البيع ليصلوا الى غرضهم ، وهو تحليل ما حرّمه الله ، فعكسوا الكلام للمبالغة ، وهو في البلاغة مرتبة عليا يصبح المشبّه به قائماً بالمشبّه وتابعاً له . ومنه في الشعر قول البحتري يصف بركة بناها المتوكل على الله :

كأنّها حين لجّت في تدفّقها   يد الخليفة لمّا سال واديها

والأصل تشبيه يد الخليفة بالبركـة ، فقلب الكلام للمبالغة . وقول الآخر :

وبـدا الصباح كأن غرتـه وجـه الخليفة حـين يمتدح

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

الاعراب :

(إن الـذين آمنـوا) كـلام مسـتأنف مسوق لبيان حـال المؤمنـين العاملين إن واسـمها ، وجملة آمنوا لا محـل لها لأنها صلة الموصول (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكـاة) الجمل الثلاث معطوفة على الصلة داخلة في حيزها (لهم أجرهم عند ربهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتـدأ مؤخر والظرف متعلق بمحذوف حال والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعرابها بحروفها (ياأيها الذين آمنوا)تقدم اعرابها أيضاً(اتقوا الله)فعل أمر وفاعله ومفعوله والجملة مستأنفة(وذروا مابقي من الربا)الواو عاطفة وذروا فعل أمر والواو فاعل وما اسم موصول مفعول به وجملة بقي لا محل لها لأنها صلة

الموصول والجار والمجرور متعلقان ببقي أو بمحذوف حال من فاعل بقي (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف أي فذروا والجملة استئنافية (فإن لم تفعلوا) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتفعلوا فعل مضارع مجزوم بلم وهو فعل الشرط (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) الفاء رابطة لجواب الشرط وأذنوا فعل أمر وفاعله والجار والمجرور بحرب متعلقان بأذنوا ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لحرب ورسوله عطف على الله والجملة في محل جزم جواب الشرط (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) الواو عاطفة وإن شرطية وتبتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب ولكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ورؤوس أموالكم مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط . (لا تَظلمون ولا تُظلمون) جملة لا تَظلمون في محل نصب على الحال وهي بالبناء للفاعل وجملة ولا تظلمون عطف عليها وهي بالبناء للمفعول .

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

اللغة :

(ظرة) بكسر الظاء : مصدر بمعنى التأخير .

(ميسرة) : مصدر ميمي بمعنى اليسار والسعة ، أو اسم زمان ، أي وقت اليسار .

الاعراب :

(وإن كان ذو عسرة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لتقرير وجوب الإنظار والإمهال للمدين المعسر . وفي ذلك صلاح للعباد وتأليف بين القلوب . وإن شرطية وكان فعل ماض تام بمعنى حدث ووجد ، وهي تكتفي بفاعلها كسائر الأفعال . أي وإن حدث ذو عسرة، وذو فاعلها وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وعسرة مضاف إليه (فنظرة الى ميسرة) الفاء رابطة لجواب الشرط ونظرة خبر لمبتدأ محذوف أي فالحكم نظرة والجار والمجرور متعلقان بنظرة أو بمحذوف صفة لها والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وأن تصدقوا خير لكم) الواو استئنافية وأن وما في حيزها مصدر مؤوّل في محل رفع مبتدأ وخير خبر والجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل على غير القياس (إن كنتم تعلمون) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وجملة تعلمون في محل رفع خبرها وجواب الشرط محذوف وجملة الشرط استئنافية (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر والواو فاعل ويوماً مفعول وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة في محل نصب صفة ليوماً وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجعون (ثم توفى كلّ نفس ما كسبت) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وتوفى فعل مضارع مبني للمجهول وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان وجملة كسبت لا محل لها لأنها صلة (وهم لا يظلمون) الواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون في محل رفع خبر وجملة وهم لا يظلمون في محل نصب حال .

الفوائد :

تختص كان بأمور تشاركها فيها أخواتها ، وبأمور تنفرد بها . وتؤخذ هذه الأمور من كتب النحو . وهي هنا مختصة بالتمام وتشاركها فيها أخواتها إلا ثلاثة أفعال لزمت النقصان ، وهي ما فتيء وما زال وليس . ومن مسائلها الهامة في التمام المثال المشهور : « كائناً ما كان » . ونستعمله في كتاباتنا كثيراً ، ولذلك نرى إعرابه تسهيلاً للطالبين ، وقد اختلف النحاة في إعرابه فقال الفارسي : هما تامان في الموضعين ، وما مصدرية وهي وما بعدها مصدر مؤول في محل رفع فاعل كائناً ، أي كونه . وقيل : هما ناقصان في الموضعين ، وفي « كائناً » ضمير هو اسمها والخبر ما الموصولية وجملة كان صلة ما واسم كان ضمير مستتر فيها وخبرها محذوف تقديره إياه ، واسم « كائناً » المستتر وخبر كان عائدان على الشخص المضروب في قولك : لأضربنه كائناً الذي كان إياه ، وكائناً حال من مفعول لأضربنه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ

ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

اللغـة :

(تداينتم) : دان بعضكم بعضاً ويقال : داينت الرجـل . أي عاملته . قال رؤبة :

داينـتُ أرْوَى والـدُّيون تُقْضَى
فَمَطَلَـتْ بعضـاً وأدّت بعضـا

ويقولون : أبعتَ بدين أم بعين ؟ وهي النقد . ودنت وأدّنت وتديّنت واستدنت : أي استقرضت ، قال كثـيّر :

قضى كـلُّ ذي دين فوفّى غريمـه
وعـزّة ممطـولٌ معنّى غريمهـا

(وليملل) من الاملال والاملاء بمعنى واحد ، هذا وقد أبدلت الياء من حروف صالحة العدة على سبيل الشذوذ ، ولا يقاس عليه . ومن ذلك قولهم : أمليت الكتاب ، قال تعالى : « فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » . والأصل : أمللت ، وقال تعالى : « وليملل الذي عليه الحقّ » . والوجه أنهما لغتان ، لأن تصرفهما واحد ، تقول : أملى الكتاب يمليه إملاء ، وأملّه يملّه إملالاً ، فليس جعل أحدهما أصلاً والآخر فرعاً بأولى من العكس . وقالوا : قصّيت أظفاري ، حكاه ابن السكّيت في قصّصت ، أبدلوا من الصاد الثالثة ياء لثقل التضعيف . ويجوز أن يكون المراد تقصّيت أظفاري أي أتيت على أقاصيها ، لأن المأخوذ أطرافها ، وطرف كل شيء أقصاه . وهذا بحث يطول فيه القول ، فنجتزىء بما تقدّم ، وستقع على أمثلة صالحة أخرى في هذا الكتاب .

(فرهان) بكسر الراء : مصدر أو جمع رهن . والرهن ما يوضع تأميناً للدين ، وحبس الشيء مطلقاً ، والشيء المرهون . وقرىء فرهن بضمتين : جمع رهن أيضاً .

الإعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها وجملة النداء وما يليها مستأنفة مسوقة للشروع في بيان أحكام الديْن والتعامل مع الناس على وجه يكفل المصلحة الاجتماعية العامة (إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة تداينتم في محل جر بالاضافة وبدين متعلقان بتداينتم وإلى أجل متعلقان بمحذوف صفة لدين ومسمى صفة لأجل والفاء رابطة لجواب إذا واكتبوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة

المقترنة بالفاء لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويكتب فعل مضارع مجزوم باللام وبينكم ظرف مكان متعلق بيكتب وكاتب فاعل وبالعدل متعلقان بكاتب بمثابة الصفة له أي بكاتب مأمون على مايكتب بالسوية والتحوّط ، لا يزيد على ما يجب أن يكتب ، ولا ينقص . ولا داعي لما ذكره ابن عطية من أن الباء متعلقة بقوله تعالى « وليكتب » وليست متعلقة بكاتب ، لأنه كان يلتزم أنلا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه ، وقد يكتبها الصبيّ والعبد المتحوط إذا أقاما فقهها (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله) الواو عاطفة ولا ناهية ويأب فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وكاتب فاعل وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب بنزع الخافض ، لأن أبى بمعنى امتنع ، وكما علمه الله : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو نصب على الحال وجملة علمه لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي (فليكتب) الفاء الفصيحة أي اذا علمتم هذا الحكم فليكتب واللام لام الأمر ، يكتب فعل مضارع مجزوم باللام والفاعل هو (وليملل الذي عليه الحق) الواو عاطفة والذي فاعل يكتب وعليه متعلقان بمحذوف خبر مقدم والحق مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة الموصول (وليتق الله ربه) الواو عاطفة واللام لام لأمر ويتق فعل مضارع مجزوم باللام وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ولفظ الجلالة مفعول به وربه بدل (ولا يبخس منه شيئاً) الواو عاطفة ولا ناهية ويبخسْ فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل هو ، منه جار ومجرور متعلقان بيبخس أو بمحذوف حال لأنه كان صفة لقوله « شيئاً » وتقدمت عليه . وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به أي

لا ينقص منه شيئاً (فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً) الفاء استئنافية وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والذي اسم كان وعليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والحق مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة ، وسفيهاً خبر كان وأو حرف عطف وضعيفاً عطف على سفيهاً (أو لا يستطيع أن يملّ هو) أو حرف عطف ولا نافية ويستطيع فعل مضارع وأن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول يستطيع وهو فاعل أو تأكيد للفاعل المستتر (فليملل وليه بالعدل) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويملل فعل مضارع مجزوم باللام ووليه فاعل وبالعدل متعلقان بمحذوف حال أي عادلاً ولك أن تعلقهما بقوله فليملل والجملة في محل جزم جواب الشرط (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) الواو عاطفة واستشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وشهيدين مفعول به ومن رجالكم متعلقان بمحذوف صفة أو بقوله واستشهدوا (فإن لم يكونا رجلين) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكونا فعل مضارع مجزوم بلم وهو فعل الشرط والألف اسمها ورجلين خبرها (فرجل وامرأتان) الفاء رابطة لجواب الشرط ورجل خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف وامرأتان عطف على رجل والتقدير فالشهود رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يشهدون والجملة في محل جزم جواب الشرط (ممن ترضون من الشهداء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة وجملة ترضون لا محل لها لأنها صلة ومن الشهداء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (أن تضل إحداهما) أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب على أنه مفعول من أجله ، لأن الضلال سبب

للتذكير ، فكأنه قيل : إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى ، وسيأتي المزيد من هذا الاعراب في باب الفوائد وإحداهما فاعل تضل (فتذكر إحداهما الأخرى) الفاء حرف عطف وتذكر عطف على أن تضلّ وإحداهما فاعل والأخرى مفعول به (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) الواو عاطفة ولا ناهية ويأب فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف حرف العلة والشهداء فاعل وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وما زائدة ودعوا فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة في محل جر بالاضافة (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله) الواو عاطفة ولا ناهية وتسأموا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وأن وما في حيزها مفعول به لتسأموا ، وصغيراً حال والواو حرف عطف و « كبيراً » عطف على « صغيراً » وإلى أجله متعلقان بمحذوف حال أي مستقراً في الذمة الى حلوله ، ولا يجوز تعليقه بتكتبوه لعدم استمرار الكتابة الى أجله (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة) الجملة لا محل لها لأنها مفسرة ، وذلكم مبتدأ وأقسط خبره . ويلاحظ أنه ورد اسم التفضيل من الرباعي والقياس أن يأتي من الثلاثي ، لأن الفعل أقسط أي عدل ، أما قسط الثلاثي فهو بمعنى جار ، قال تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » . وعند ظرف مكان متعلق بأقسط ولفظ الجلالة مضاف إليه وأقوم عطف على أقسط وللشهادة متعلقان بأقوم ، والمعنى أصح وأثبت (وأدنى أن لا ترتابوا) الواو عاطفة وأدنى عطف على أقوم وأن ومافي حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي أقرب من انتفاء الريبة والجار والمجرور متعلقان بأدنى (إلا أن تكون تجارة حاضرة) إلا أداة استثناء وأن وما في حيزها مصدر منصوب على الاستثناء المنقطع ،

لأنها تجارة حاضرة لا تحتاج الى استشهاد أو كتابة ، على أنه يصح اعتباره استثناء متصلاً ، كأنه استثناء من التجارة ، فالأمر بالكتابة ساري المفعول ، واستثنى الكتابة بالتجارة الحاضرة • وتكون فعل مضارع واسمها مستتر تقديره هي أي التجارة ، وتجارة خبر • ويصح اعتبار « تكون » تامة ، وتجارة فاعل ، وقد قرىء بهما جميعاً • وحاضرة نعت لتجارة (تديرونها بينكم) الجملة صفة ثانية لتجارة وبينكم ظرف مكان متعلق بتديرونها (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) الفاء عاطفة عطفت هذه الجملة على جملة « إلا أن تكون تجارة » أي تسبب عن ذلك رفع الجناح في عدم الكتابة • وليس فعل ماض ناقص وعليكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجناح اسمها المؤخر وأن وما في حيزها مصدر مؤوّل منصوب بنزع الخافض ، أي في أن لا تكتبوها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لجناح (وأشهدوا إذا تبايعتم) الواو عاطفة وأشهدوا فعل أمر والواو فاعل وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة تبايعتم في محل جر بالإضافة والجواب محذوف تقديره فأشهدوا ، ولك أن تجرد إذا عن الشرطية وتجعلها لمجرد الظرفية الزمانية ، أي افعلوا الشهادة وقت التبايع (ولا يضار) الواو عاطفة ولا ناهية ويضار فعل مضارع يحتمل أنه مبني للمعلوم فأصله يضارِر بكسر الراء الأولى ، ويحتمل أنه مبني للمجهول فأصله يضارَر بفتحها ، وهو مجزوم على كل حال ، وحرك بالفتح لخفته لأنه مضعف (كاتب ولا شهيد) كاتب فاعل أو نائب فاعل والواو حرف عطف ولا نافية وشهيد عطف على كاتب (وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم) الواو عاطفة وإن شرطية وتفعلوا فعل مضارع فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والفاء رابطة لجواب الشرط

وإن واسمها ، وفسوق خبرها وبكم متعلقان بمحذوف صفة لفسوق ، أي لاحق . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (واتقوا الله) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعول به (ويعلمكم الله) الواو استئنافية ولا مكان لجعلها حالية ، كما قرر الجلال وتابعه كثيرون من المفسرين والمعربين ، لأن المضارع المثبت لا تباشره واو الحال ، وإن حاول بعضهم تقدير مبتدأ محذوف لتكون الجملة اسمية أي وهو يعلمكم لما فيه من تكلف ، وفي جعلها عاطفة خلاف للأولى ، لأن فيه ارتكاب عطف الخبر على الإنشاء ، وذلك موضع خلاف سيرد في مكانه من هذا الكتاب والله فاعل يعلمكم والكاف مفعول يعلمكم (والله بكل شيء عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر الله .

البلاغة :

لعل هذه الآية من أحفل الآيات بذكر شئون المعايش التي تنتظم بها أمور العباد ، وتضمن لمتبعها حسن المعاد ، وقد شدد الله سبحانه فيها على حسن المعاملة التي هي جماع أمر الدين وعموده ، وبالغ في التوصية بحفظ المال الحلال ، وإحاطته بما يصونه من الهلاك ، ولذلك اشتملت على ضروب من التوكيدات نوجزها فيما يلي ، تاركين للقارىء الرجوع الى المظان المعروفة .

١ ــ أمر بالكتابة بقوله : « فاكتبوه » حذراً من الاستهداف للخطأ أو النسيان .

٢ ــ وذكر « بدين » مع أنه مفهوم من قوله : « تداينتم » للتأكيد وليرجع إليه الضمير بقوله : « فليكتبوه » إذ لو لم يذكر

لوجب أن يقال : فاكتبوا الدين ، وفي ذلك إخلال بحسن النظم، وليدل على العموم ، أي : أي دين قليلاً كان أم كثيراً •

٣ ــ وذكر « الى أجل مسمى » على سبيل التأكيد ، وليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً بالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام • ولو قال الى الحصاد مثلاً لم يجز لعدم التسمية •

٤ ــ وأناط الكتابة بكاتب بالعدل متسم به •

٥ ــ ونهى عن أن يأبى من يطلب إليه الكتابة ما كلف به •

٦ ــ وكرر الأمر بالكتابة بصيغة أخرى تشدداً في الكتابة فقال : « فليكتب » •

٧ ــ وأمر الذي عليه أن يملي على الكاتب بالعدل ، لئلا تبقى له حجة •

٨ ــ وتحوط للأمر بأن أمره باتقاء الله بقوله : «وليتق الله ربه» •

٩ ــ وعقب على الاتقاء بما يحتمه من عدم البخس ، واستعمل هذه اللفظة التي هي في الأصل اللغوي للعين العوراء ، يقال : بخست عينه ، أي عورت • ولا يخفى ما في هذا من التصوير المجسد الحاكي •

١٠ ــ واحتاط بما قد يطرأ على الأناسي من السأم والملالة ، وما يترتب عليهما من تفريط ، فتعم حينئذ الفوضى ، ويطرأ الخلل ؛ لأنهم لم يستوفوا كتابة ما شهدوا عليه ، سواء أكان كبيراً أم صغيراً •

١١ ــ وبعد أن أوصى بما أوصى ، نبه الى أن ذلك هو السبيل الأقوم ، والطريق الأعدل ، صرح باسمه تعالى فقال : « عند الله » تبياناً للمصير المعلوم ، وتحذيراً من تفريط المفرط وافتئات المفتئت •

١٢ ــ وختم الآية بذكر الله ثلاث مرات متعاقبة ، لإدخال الروع في القلوب ، وإحداث المهابة في النفوس ، وترسيخ الحكم في الأذهان ، والإشعار بأنه تعالى مطلع على السرائر ، لا تغربُ عنه همسات القلوب ، وخلجات الضمائر .

الفوائد :

مثّل الزمخشري لقوله تعالى: « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » بقولهم : أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه ، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه . فكأنه قيل : إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى . وتساءل التفتازاني في حواشيه على الكشاف فقال : « ومما ينبغي أن يتعرض له وجه تكرّر « إحداهما » ولا خفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمر ، إذ ليست المذكورة هي المناسبة إلا أن يجعل « إحداهما » الثانية في موقع المفعول ، ولا يجوز تقدم المفعول على الفاعل في موضع الإلباس . نعم يصح أن يقول : « فتذكر الأخرى » فلا بد للعدول من نكتة » . ولم يتعرض التفتازاني للنكتة ، وترك قارئه في حيرة من أمره . على أن الدماميني ذكر في شرح المغني أن المقصود هو كون التذكير من إحداهما للأخرى كيفما قدّر لا يستقيم إلا كذلك ، ألا ترى أنه لو قيل : أن تضلّ إحداهما فتذكرها الأخرى ، وجب أن يكون ضمير المفعول عائداً على الضالة ، فيتعيّن لها ، وذلك مخل بالمعنى المقصود ، لأن الضالة الآن في الشهادة قد تكون هي الذاكرة لها في زمان آخر ، فالمذكرة حينئذ هي الضالة ، فإذا قيل : فتذكرها الأخرى لم يفد ذلك لتعيّن عود الضمير الى الضالة . وإذا قيل : فتذكر إحداهما الأخرى ، كان مبهماً في واحدة

منهما . فلو ضلت إحداهما فذكّرتها الأخرى فذكرت كان داخلاً ، ثم لو انعكس الأمر والشهادة بعينها في وقت آخر اندرج أيضاً تحته لوقوع قوله « فتذكر إحداهما الأخرى » غير معيّن ، فظهر الوجه الذي لأجله عدل عن « فتذكرها » الى « فتذكر إحداهما الأخرى » . وفي النفس من هذا التقرير مالا يحتمله هذا الكتاب .

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

الإعراب :

(وإن كنتم على سفر) الواو استئنافية وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وعلى سفر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم (ولم تجدوا كاتباً) الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتجدوا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وكاتباً مفعول به والجملة حالية ويجوز لك أن تجعل الواو عاطفة فتكون الجملة معطوفة على فعل الشرط فهي في محل جزم (فرهان مقبوضة) الفاء رابطة لجواب الشرط ورهان مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت ، ومقبوضة صفة والخبر محذوف تقديره تستوثقون بها ؛ ولك أن تعربها خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : فالمعتمد عليه رهان ، لأن السفر مظنة لإعواز الكتب .

وتفاصيل المسألة مبسوطة في كتب الفقه والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (فإن أمن بعضكم بعضاً) الفاء عاطفة وإن شرطية وأمن فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعضكم فاعل وبعضاً مفعول به (فليؤد الذي اؤتمن أمانته) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويؤد فعل مضارع مجزوم باللام وعلامة جزمه حذف حرف العلة والجملة في محل جزم فعل الشرط والذي اسم موصول فاعل واؤتمن فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو والجملة صلة وأمانته مفعول به ليؤد (وليتق الله ربه) تقدم إعرابه بحروفه (ولا تكتموا الشهادة) الواو عاطفة ولا ناهية وتكتموا فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والشهادة مفعول به (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكتمها فعل الشرط والهاء مفعوله والفاء رابطة لجواب الشرط وان واسمها ، وآثم خبرها وقلبه فاعل آثم لأنه اسم فاعل . ويصح في مثل هذا التركيب أن يكون الضمير في فإنه للشأن وآثم خبر مقدم وقلبه مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (والله بما تعملون عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وبما متعلقان بعليم وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول وعليم خبر « الله » .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التصريحية التبعية في قوله تعالى : « على سفر » فقد شبه تمكنهم من السفر وارتياضهم عليه وتمرسهم به بتمكن الراكب من ركوبه .

٢ ــ المجاز العقلي في قوله : « آثم قلبه » فقد أسند الإثم الى القلب ، والمقصود الإنسان كله لا قلبه وحده لسر عجيب ، وهو أن القلب بمثابة الرأس للأعضاء ، وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله ، وقد تعلق الشعراء بأذيال هذه البلاغة وحسبنا أن نذكر تلفت القلب في قول الشريف الرضي البديع :

ولقد وقفت على ديارهم وطلولها بيد البلى نهب
وبكيت حتى ضج من لغب نضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

وصرح دعبل الخزاعي بجناية القلب والطرف بقوله :

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضلّ بل هلكا
لا تأخذا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ
وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

اللغة :

(الوسع) : ما يسع الانسان ولا يضيق عليه .

(الطاقة) : المجهود والقدرة . وهي مصدر جاء على حذف الزوائد ، والأصل الإطاقة .

(الإصر) : العب ، وأصره حبسه ، وبابه ضرب . والمراد به التكاليف الشاقة التي ينوء بها الجسم ، وتعيا عنها النفس .

الإعراب :

(لله مافي السموات ومافي الأرض) كلام مستأنف لا محل له من الإعراب مسوق للاستدلال على قوله : « والله بما تعلمون عليم » وغلب غير العقلاء على غيرهم من العقلاء باستعمال « ما » لأنهم أكثر .

والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له من الإعراب لأنه صلة الموصول ، ومافي الأرض عطف على « مافي السموات » (وإن تبدوا مافي أنفسكم) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان التكاليف . والمؤاخذة تكون بالخواطر التي

لا ندحة للمرء عنها • وقد نظم بعضهم مراتب القصد بقوله :

مراتب القصد خمس : هاجس ذكروا
وخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همٌ فعزم كلها رفعت
سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

وتفصيل ذلك مبسوط في المطوّلات فليرجع إليها من يشاء • وإن شرطية وتبدوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والجملة لا محل لها وما اسم موصول مفعول به وفي أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (أو تخفوه) عطف على تبدوا والهاء مفعول به (يحاسبكم به الله) جواب الشرط مجزوم والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به والجار والمجرور متعلقان بيحاسبكم ، والله فاعل والجملة لا محل لها (فيغفر لمن يشاء) الفاء استئنافية ويغفر فعل مضارع مرفوع ، أي فهو يغفر ، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة ويغفر فعل مضارع مجزوم بالعطف على يغفر ، وكلتا القراءتين من السبع ، وقرىء أيضاً بالنصب على إضمار « أن » فينسبك من ذلك مصدر مرفوع معطوف على متوهم ، أي تكن محاسبة فغفران • ويتخرّج على ذلك بيت النابغة الذبيانيّ :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

يروى بجزم نأخذ ورفعه ونصبه ، على أن سيبويه استضعف النصب لأن القارىء الزعفراني ليس من السبعة ، ولأنه موجب • ونص

عبارة سيبويه « وقد يجوز النصب في الواجب في ضرورة الشعر وهو ضعيف في الكلام » . ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر وجملة يشاء صلة (ويعذب من يشاء) عطف على ما تقدم (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية والله مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بقدير ، وقدير خبر « الله » (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) جملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم آمن بكل ما فرض الله على العباد ، من الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد ، وما ورد ذكره في السورة من قصص الأنبياء. وآمن الرسول فعل وفاعل وبما جار ومجرور متعلقان بآمن وجملة أنزل لا محل لها لأنها صلة الموصول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وإليه جار ومجرور متعلقان بأنزل ومن ربه جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً ، ولك أن تعلقهما بمحذوف حال أي حالة كونه نازلاً من ربه لأنه يضمن السعادة للمجتمع البشري (والمؤمنون) يجوز أن تكون الواو عاطفة والمؤمنون عطف على الرسول ، فيكون الوقف هنا . ويشهد لهذا الإعراب ما قرأه علي بن أبي طالب : « وآمن المؤمنون » فأظهر الفعل ، ويجوز أن تكون الواو استئنافية والمؤمنون مبتدأ أول (كلٌ آمن) كل مبتدأ ثان وجملة آمن خبره والجملة الاسمية خبر المبتدأ الأول وهو المؤمنون والرابط محذوف على الوجه الثاني . وعلى الوجه الأول تكون جملة « كل آمن » مستأنفة . وساغ الابتداء بكل وهو نكرة لأنه بنية الإضافة أي كل واحد منهم والتنوين عوض عن الكلمة المحذوفة (بالله وملائكته وكتبه ورسله) الجار والمجرور متعلقان بآمن وما بعده عطف عليه (لا نفرق بين أحد من رسله) هذه الجملة مقول قول محذوف وجملة القول في محل نصب على الحال أي قائلين لا نفرق ، ولا نافية ونفرق فعل مضارع مرفوع وبين ظرف مكان متعلق بنفرق

وأحد مضاف إليه ومن رسله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد ، ولم يقل : بين آحاد ، لأن الأحد يتناول الواحد والجمع كما في قوله تعالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين » فوصفه بالجمع لكونه في معناه ولذلك دخل عليه بين وسيرد في هذا الكتاب تفصيل ممتع عن أحد (وقالوا سمعنا وأطعنا) الواو استئنافية وقالوا فعل ماض والواو فاعل وجملتا سمعنا وأطعنا مقول القول (غفرانك ربنا) مفعول مطلق بإضمار عامله ، ومنه قولهم : غفرانك لا كفرانك ، أي نستغفرك ولا نكفرك . وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء (وإليك المصير) الواو عاطفة والمعطوف عليه محذوف داخل في حيز القول أي : قائلين منك المبدأ وإليك المصير. وإليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) جملة مستأنفة مسوقة لإزالة الحرج عن النفوس ولبيان أن المؤاخذة قاصرة على ما في الوسع والطاقة فما عداه من خواطر النفس وهواجسها لا محاسبة عليه وبذلك يزول الإشكال الذي ساور بعض المفسرين فقد قالوا : إن الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ بهما ، فما معنى الدعاء بذلك وهو يكاد يكون من تحصيل الحاصل ؟ ولا نافية ويكلف فعل مضارع مرفوع والله فاعله ونفساً مفعول به أول وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) الجملة مفسرة لما أجمله في قوله « وسعها » وسيأتي بيان ذلك في باب البلاغة . ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة كسبت لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وعليها ما اكتسبت : عطف على ما تقدم وقد ذكر إعرابه (ربنا لا تؤاخذنا) ربنا منادى مضاف ولا ناهية معناها هنا الدعاء وتؤاخذنا فعل مضارع

مجزوم بلا ونا مفعول به والفاعل أنت والجملة داخلة في حيز القول المتقدم وجملة النداء استئنافية (إن نسينا أو أخطأنا) إن شرطية ونسينا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ونا فاعل أو أخطأنا عطف عليه والجواب محذوف أي فلا تؤاخذنا وجملة الشرط وجوابه في محل نصب على الحال (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) تقدم إعرابه وتوسيط النداء بين المتعاطفين لإظهار مدى الضراعة والاسترحام والمبالغة في التذلل والاعتراف لله سبحانه بربوبيته (كما حملته) تقدم في مثل هذا التركيب أنه مفعول مطلق أو حال وما مصدرية على كل حال (على الذين من قبلنا) على الذين متعلقان بجملة ومن قبلنا متعلقان بمحذوف صلة الذين أي كانوا من الأمم السالفة (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) عطف على ما تقدم وما مفعول به ثان لتحملنا ولا نافية للجنس وطاقة اسمها المبني على الفتح في محل نصب ولنا جار ومجرور متعلقان بطاقة وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (واعف عنا) دعاء معطوف على ما تقدم وعنا متعلقان باعف (واغفر لنا) عطف آخر (وارحمنا) عطف آخر (أنت مولانا) أنت ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ومولانا خبر والجملة مستأنفة بمثابة الاعتراف لله تعالى بأنه المولى ، لأن المولى مصدر ميمي من ولي يلي ، والمعنى أنت مولانا بك نلوذ ، وإليك نلتجىء ، وعليك نتكل ، ومن حق المولى أن ينصر من يليه ويجيره إذا خاف ويحوطه بعنايته ويكلاه برعايته • (فانصرنا على القوم الكافرين) الفاء للتعليل والجملة مسوقة لتعليل ما تقدم ، فإن كونه مولانا سبب سبب لطلب النصرة منه ، وعلى القوم متعلقان بانصرنا وذكر لفظ القوم للتعميم لأن النصر على الأفراد لا يستلزم النصر على المجموع فدفع ذلك الإيهام بذكر لفظ القوم والكافرين صفة •

البلاغــة :

في هذه الأبيات طائفة من فنون البلاغة نجملها بما يلي :

١ ــ حسن الختام : وقد تقــدّم بحثه ، ومن حق سورة البقرة وقد اشتملت على العديد من الأحكام ، وانطوت على التشريع البيان ــ أن يتناول ختامها شكر المنعم الذي منّ على الإنسان بالعقل ليفكّر ، ومن حق المنعم عليه أن يعترف لمن أسدى إليه الآلاء أن يشكرها ولمن نصب أمامه محاريب الفكر ومجالي الإبداع أن يفكر فيها ويتدبرها ، ويشهد لمن أبدعها بالحول والطّول والانفراد بالوحدانية المتجلية على قلوب المؤمنين . فبالفكر وحده يحيا الإنسان وبالفكر استدل عــلى وجوده وما أجمل قوله صلى الله عليه وسلم : « السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها ، فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ، ولن تستطيعها البطلة » قيل : وما البطلة ؟ قال : السحرة . ومعنى كونها فسطاط القرآن أنها اشتملت عــلى معظم أمور الدين أصولاً وفروعاً، والإرشاد الى ما فيه حسن المعايش في الدنيا والفوز في الآخرة.

٢ ــ المقابلة : في قوله : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فقد طابق بين لها وعليها ، وبين كسبت واكتسبت . فالفعــل الأول يختص بالخير ، والفعل الثاني يختص بالشر فإن في الاكتساب اعتمالاً، والشر تتشهّاه النفس وتجنح إليه بالطبع بخلاف الخير فإنه يهبط على النفس كما يهبط الفيض من آلاء الله ، وكما يشرق اليقين في النفس . إشراقاً جعل من فلاسفة الإشراق مؤمنــين ، ومن الغزالي وديكارت أوّابين متبتّلين ...

الفوائد :

١ ـ (بين) ظرف للمكان أو الزمان لا يضاف إلا لمتعدّد ، وقد أضيف في الآية الى « أحد » لأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب ، يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع كما يستوي فيه المذكر والمؤنث . فمعنى لا نفرّق بين أحد من الرسل : لا نفرق بين جمع من الرسل . وقد اختلف علماء اللغة : هل تعاد بين بعد ورودها بين المتعاطفين أم لا ؟ نحو : جلست بين زيد وعمرو . هل يقال : جلست بين زيد وبين عمرو؟ أجاز ذلك قوم على أن تكون بين للتأكيد .

ومن روائع النكت أنه لا يعطف بعدها إلا بالواو فلا يقال : جلست بين زيد فعمرو . وقد اعترض على ذلك بقول امرىء القيس في مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدّخول فحومل

قال الأصمعي : الصواب أن يقال : بين الدخول وحومل ، لأن البينية لا يعطف عليها بالفاء لأنها تدل على الترتيب ، وقال يعقوب بن السكيت في الدفاع عن امرىء القيس : إنه على حذف مضاف وأن التقدير : بين أهل الدخول فحومل . وقال المرادي : إنه على اعتبار المتعدّد حكماً لأن الدخول مكان لا يجوز أن يشتمل على أمكنة متعددة ، كما تقول قعدت بين الكوفة ، تريد بين دورها وأماكنها . هذا وتشبع حركة النون فتصير « بينا » و « بينما » . وتضاف عندئذ الى الجمل ، قال أبو ذؤيب :

بينا تعنقه الكماة وروغه   يوماً أُتيح له جريء سلفع

سورة آل عمران
مدنية وآياتها مائتان

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾
مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ
يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

(ألم) تقدم الكلام على فواتح السّور في أول البقرة .

(التوراة والإنجيل) : اسمان أعجميان ، وقيل عربيان . وعلى القول بعربيتهما فالتوراة مشتقة من قولهم : ورى الزّند إذا قدح فظهر منه نار . فلما كانت التوراة فيها ضياء يخرج به من الضلال الى الهدى كما يخرج بالنور من الظلام الى النور سمي هذا الكتاب بالتوراة. وقيل : هي مشتقة من وريت في كلامي من التورية . وسميت التوراة لأن فيها تلويحات وإيحاءات ومعاريض . أما الانجيل فهو على رأي القائلين بعربيته مشتق من النجل وهو التوسعة . ومنه قولهم : عين نجلاء أي واسعة . وسمي الانجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن في التوراة .

الإعراب :

(ألم) خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم القول فيه مفصّلا (الله لا إله إلا هو) الله مبتدأ ولا نافية للجنس وإله اسمها وإلا أداة حصر وهو بدل من محل لا واسمها على الصحيح أو من الخبر المحذوف أي لا إله موجود إلا هو ، والجملة خبر « الله » وقد تقدّم الكلام مفصلاً في إعراب كلمة الشهادة (الحي القيوم) خبر ثان وثالث لـ « الله » أو خبران لمبتدأ محذوف أي هو الحيّ القيوم (نزّل عليك الكتاب بالحق) الجملة خبر رابع لـ « لله » أو خبر ثان إن جعلنا الحي القيوم خبرين لمبتدأ محذوف • ونزل فعل ماض مبني على الفتح وعليك متعلقان بنزل والكتاب مفعول به وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الكتاب أي متلبساً بالحق (مصدقاً لما بين يديه) مصدقاً : حال مؤكدة واللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بقوله مصدقاً وبين ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول ويديه مضاف إليه مجرور بالياء لأنه مثنى وحذفت النون للإضافة والهاء مضاف إليه (وأنزل التوراة والانجيل) عطف على ما تقدم (من قبل) جار ومجرور متعلقان بأنزل (هدى للناس) حال من التوراة والانجيل ولم يثنّ لأنه مصدر أي هادين • ويجوز إعراب هدى مفعولاً من أجله أي أنزل هذين الكتابين لأجل هداية الناس • وللناس متعلقان بهدى (وأنزل الفرقان) الواو حرف عطف وجملة أنزل الفرقان عطف على جملة أنزل التوراة والإنجيل • من قبيل عطف العام على الخاص أي الكتب التي تفرق بين الحق والباطل (إن الذين كفروا بآيات الله) جملة مستأنفة للتحدث عن وفد نجران والتفاصيل مبسوطة في المطوّلات • وإن واسمها • وجملة

كفروا صلة الموصول وبآيات الله متعلقان بكفروا (لهم عذاب شديد) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وشديد صفة والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (والله عزيز ذو انتقام) الواو استئنافية والله مبتدأ وعزيز خبر أول وذو انتقام خبر ثان (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) إن واسمها ، وجملة لا يخفى عليه شيء خبرها وفي الأرض متعلقان بمحذوف صفة لشيء ولا في السماء عطف على ما تقدم (هو الذي يصوركم في الأرحام) جملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان علمه سبحانه واطلاعه على مالا يدخل تحت الوجود وهو تصوير عباده في أرحام أمهاتهم وهو مبتدأ والذي خبره وجملة يصوركم صلة الموصول وفي الأرحام متعلقان بيصوركم (كيف يشاء) كيف هنا أداة شرط في محل نصب على الحال ولم تجزم لعدم اتصال « ما » بها . ومفعول يشاء محذوف تقديره تصويركم والجملة حالية (لا إله إلا هو) تقدم إعرابه وكرره لتأكيد الكلام و (العزيز الحكيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو .

البلاغة :

١ ــ المجاز في قوله : « لما بين يديه » والمراد ما أمامه .

٢ ــ الطباق بين « الأرض » و « السماء » .

٣ ــ الإيجاز بالحذف ، فقد حذف مفعول « يشاء » للغرابة وإظهار قدرة الله تعالى .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى

ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾

اللغــة :

(محكمات) : أحكمت عباراتها ، ووضحت دلالاتها ، وحفظت من الاحتمــال والاشتباه .

(متشابهات) فيها احتمال للتأويل . وفي هذه الكلمة إيهام ، فإن مفردها متشابه ، وكيف يتشابه الشيء مع نفسه ؟ وإنما يقع التشابه بين الاثنين . ومثله يقتتلان ، والمفرد لا يقتتل ، فكيف يقتتل الواحد مــع نفسه ؟ وقد وجه هذا الاعتراض الى تقي الدين بن تيمية الإمام المشهور فقال لمن سأله : « هذا ذهنٌ جيد » . ثم عدل عن الجواب . والذي يبدو للخاطر أن العرب نطقت بألفاظ من هذه الصيغة ولم ترد بها المفاعلة كقولهم : طابقت النّعْل ، وعاقبت اللص ، وخامرت الحبّ ، وعاقرت الخمر . ولو فرضنا أن الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب أن التشابه لا يكون إلا بين اثنين فما فوقهما ، وإذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل واحد مشابها للآخر ، فلما لم يصح التشابــه إلا في حالة الاجتماع وصف بالجمع لأن كل واحد من مفرداته يشابه الآخر .

الحكمة في المتشابه :

فإذا خطر لك أن تسأل عن السر في الجنوح الى ذكر المتشابه به في القرآن ، والعدول عن تعميم الحكم ؟ قيل إن القرآن في الأصل نزل على أسلوب العرب وبألفاظهم ووفقاً لكلامهم ، وهو على ضربين :

منه المحكم الذي لا يخطئه السامع ، ولا يغرب عن الفهم ، ومنه ما حفل بضروب المجازات ، وأنواع الكنايات والإشارات والتلويحات • وقد كان هذا الضرب الثاني ، أفعل في نفوسهم ، وأكثر استهواء لهم ، فأنزل القرآن مفرغاً في الأسلوبين ، حاوياً للنوعين ، ليكون التحدي أعم وأشمل ، ولو نزل كله محكماً لما ترددوا في التماس المطاعن ، ولما أحجموا عن المكابرة واللجاج والاعتراض ، ولقالوا : هـلاّ نزل بالضرب الذي نستحسنه ، ونميل إليه ؟ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لما يتميّز به المتشابه من كدّ القرائح في استخراج المغالق واكتناه المرامي ، وحسر الستار عن الطرائف التي تتعالى على النظرة السطحية البدائية ، حتى إذا فتح الله عليه وتمكن من سبر أغوار المتشابه ، كان إيمانه أرسخ ويقينه أقوى من أن تعصف به الشبهات •

(الزيغ) الميل عن الحق والجنوح الى الباطل • والزاي والياء إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة أفادتا هذا المعنى وسمي الزيت زيتاً لأنه سائل يميل بسرعة ، وزاغت الشمس تزيغ مالت ، وقس على ذلك •

الإعراب :

(هو الذي أنزل عليك الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتفصيل آيات الكتاب وأنها قسمان : قسم يفهمه الناس ، وقسم لا يفهمونه لقصورهم وعجزهم • وهو مبتدأ والذي خبره وجملة أنزل عليك الكتاب لا محل لها لأنها صلة الموصول وعليك متعلقان بأنزل والكتاب مفعول به (منه آيات محكمات) الجملة حال من الكتاب والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر ومحكمات صفة لآيات (هن أم الكتاب) الجملة صفة ثانية لآيات وهن ضمير منفصل في محل

رفع مبتدأ وأم الكتاب خبره ، وأخبر عن الجمع بالواحد لأن كل واحدة بمثابة أم واحدة (وأخر متشابهات) عطف على آيات محكمات (فأما الذين في قلوبهم زيغ) الفاء استئنافية مسوقة لتفصيل موقف الناس منه ، وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وزيغ مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول (فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) الفاء رابطة لجواب أما وجملة يتبعون خبر الذين واستغنى عن الجواب اكتفاء بالفاء وما اسم موصول مفعول به وجملة تشابه صلة الموصول ومنه متعلقان بتشابه وابتغاء مفعول لأجله والفتنة مضاف إليه (وابتغاء تأويله) عطف على ابتغاء الفتنة (وما يعلم تأويله) الواو حالية وما نافية ويعلم فعل مضارع مرفوع وتأويله مفعول به مقدم والجملة في محل نصب على الحال (إلا الله) إلا أداة حصر والله فاعل يعلم مؤخر (والراسخون في العلم يقولون) تكلم المعربون والمفسرون كثيراً وأطالوا حول هذه الآية ، والقول الفصل فيها أنه يجوز أن تكون الواو عاطفة والراسخون معطوفة على « الله » والمعنى : لا يهتدي الى تأويله إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم وتمكنوا منه ، ويجوز أن يتم الوقوف على قوله : « إلا الله » وتكون الواو استئنافية والراسخون مبتدأ خبره جملة يقولون . وعلى القول الاول تكون جملة يقولون : حالية أي قائلين ، وقد نشأ عن هذا الاختلاف في التفسير انقسام العلماء الى فريقين : أصحاب تأويل وأصحاب ظاهر ، ولسنا في صدد الترجيح والمفاضلة بين الآراء المتضاربة ولكننا سنورد لمحة عنه في باب الفوائد (آمنا به كلٌ من عند ربنا) الجملتان مقول القول وآمنا فعل وفاعل وبه متعلقان بآمنا وكل مبتدأ ساغ الابتداء به لما في « كل » من معنى العموم والتنوين عوض عن كلمة ، ومن عند ربنا الجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر (وما يذكر إلا أولو الألباب) الواو حالية أو مستأنفة وما نافية ويذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وأولو فاعل يذكر مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والألباب مضاف إليه •

الفوائد :

١ ــ أفرد بعضهم هذه المسألة بكتاب خاص لسعة الكلام فيها ، وقد استدل القاضي البيضاوي والزمخشري قبله على اختيارهما الوقوف على « العلم » لأن في ذلك حفزاً للعقول على التفكير والإبداع ، وقال الحشوية ما خلاصته : الوقف على قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » واجب حتى يكون قوله : « والراسخون » كلاماً مستأنفاً ، فاذا لم يقف عليه بل وقف على قوله « والراسخون في العلم » ليكون عطفاً على قوله : « إلا الله » كان لا بد أن يبتدىء بقوله : « يقولون آمنا به » أراد به : قائلين ، وهو حال ، وهو باطل ، لأنه لا يخلو إما أن يكون حالاً عن « الله » أو عن الراسخين في العلم ، كان كأن الله سبحانه والراسخين في العلم قالوا : آمنا به كل من عند ربنا • وذلك في حقه تعالى محال ، أو يكون حالاً عن الراسخين في العلم فقط ، وعندئذ يتخصص المعطوف بالحال دون المعطوف عليه ، وهو أيضاً غير جائز ، لأنه منافٍ للقاعدة المقررة في العربية ، وهي أن المعطوف في حكم المعطوف عليه ، فثبت أن الوقف على قوله : « إلا الله » واجب • وإذا كان الوقف عليه واجباً فقد خاطبنا الله بما لا نفهمه وهو المهمل • قلت : لا يخفى ما في حذلقة الحشويين من براعة مبنية على المغالطة فهم يجيزون الخطاب بالمهمل ، فإنه يجوز تخصيص المعطوف بالحال حيث لا لبس ،

وهو كثير في القرآن . ومنه : « ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة » فإن « نافلة » حال من المعطوف فقط ، وهو « يعقوب » لأن النافلة هو ولد الولد وإنما هو يعقوب دون إسحق .

ما يقوله الرازي :

واستدل الامام فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب على أن الوقف الصحيح على قوله « إلا الله » بستة أوجه ، ملخص الثاني منها أن الآية دلت على أن طلب التأويل مذموم لقوله تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ » الى آخر الآية ، ولو كان التأويل جائزاً لما ذمّه الله . وملخص الرابع : أنه لو كانت الواو في قوله : « والراسخون » عاطفة لصار قوله: « يقولون آمنا به » ابتداء ، وهو بعيد عند ذوي الفصاحة ، بل كان الأَوْلى أن يقولوا : وهم يقولون آمنا به ، أو يقال : ويقولون : آمنا به، ولهذا كله أسغنا الوجهين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾

الإعراب :

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الجملة مقول قول محذوف وربنا منادى مضاف ولا ناهية وهي هنا بمعنى الدعاء وتزغ فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل أنت وقلوبنا مفعول به والظرف الزماني متعلق بتزغ

وهو مضاف الى الظرف الذي هو إذ وإذ ظرف لما مضى من الزمن وجملة هديتنا في محـل جر بالإضافة وقيـل خرجت إذ عن الظرفية فهي بمعنى « أن » ولكن حكمها لم يتغير فهي ملازمة للإضافـة اليها ، وهو قول" جميل (وهب لنا من لدنك رحمة) الواو عاطفة وهب فعل أمر ولنا جار ومجرور متعلقان بهب ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ولدن ظرف مبني عـلى السكون في محل جر بمن والكاف مضاف إليه ورحمة مفعول به (إنك أنت الوهاب) الجملة تعليل للدعاء لا محل لها وإن واسمها ، وأنت ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ والوهاب خبر أنت والجملة الإسمية في محل رفع خبر إن ويجوز أن تعرب أنت ضمير فصل لا محل له والوهاب خبر إن (ربنـا إنك جامع الناس) ربنـا منادى مضاف ، وإن واسمها ، وجامع الناس خبرها والجملة داخلة في حيز مقول القول (ليوم لا ريبَ فيهِ) الجار والمجرور متعلقان بجامع ولا نافية للجنس وريب اسـمها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها . وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم (إن الله لا يخلف الميعاد) الجملة تعليلية للحكم فإنه في مقام إلتماس الإنعام وإن واسمها ، وجملة لا يخلف الميعاد مفعول به بمعنى المصدر وهو الوعد ، وقـد قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) الجملة مستأنفة وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول ولن حرف نفي ونصب واسـتقبال وتغني فعل مضارع منصوب بلن والجملة خبر إن وعنهم متعلقان بتغني وأموالهم فاعل تغني ولا أولادهم عطف عـلى أموالهم ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « شيئاً » فلما تقدم أعرب حالاً على القاعدة المشهورة ، والتقدير لن تدفـع عنهم الأموال

والأولاد شيئاً من عذاب الله وشيئاً مفعول به أو في موضع المصدر تقديره غنى، فيكون مفعولاً مطلقاً (وأولئك هم وقود النار) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير عدم الإغناء، ولك أن تجعل الواو عاطفة والجملة معطوفة على خبر إن وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ وهم مبتدأ ثان ووقود النار خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة، ويجوز أن يكون هم ضمير فصل ووقود النار خبر أولئك وقد تقدم تقريره كثيراً .

الفوائد :

(لدن ولدى) ظرفان للمكان والزمان مبنيّان على السكون، والغالب في لدن أن تجر بمن كما في الآية، وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم لزمتها نون الوقاية نحو لدني، وقد تترك هذه النون فيقال لَدُني . وتضاف إلى المفرد وإلى الجملة . وتقع بعد لدن « غدوة » فيجوز جر غدوة بالإضافة، ويجوز نصبها على التمييز، أو على أنها خبر كان المقدرة مع اسمها، أي : لدن كان الوقت غدوة . والفرق بين لدن ولدى أن لدن لا تقع عمدة في الكلام ولدى تقع، فلا يقال : لدنه علم، ولكن يقال لديه علم .

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾

اللغة :

(الدأب) مصدر دأب في العمل من باب قطع إذا كدح فيه، غلب استعماله في العادة والشأن، ومنه قول امرىء القيس :

كدأبك مـن أم الحويرث قبلها وجارتها أمّ الرباب بمأسـل

الإعراب :

(كدأب آل فرعون) الكاف اسم بمعنى مثل في محل رفـع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير دأب هؤلاء كدأب من قبلهم • ولك أن تجعل الكاف حرف جر فيكون الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لذلك المبتدأ المحذوف • ويجوز نصب محل الكاف ومدخولها على المفعولية المطلقة أو الحال وقـد تقدم كثيراً • وآل مضاف إليه وفرعون مضاف إليه أيضاً مجرور وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (والذين من قبلهم) الواو حرف عطف على آل فرعون والجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل لـه لأنه صلة الموصول (كذبوا بآياتنا) فعل وفاعل وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بـكذبوا والجملة تفسيرية لا محل لها • ولك أن تعرب الواو استئنافية فيكون الذين مبتدأ خبره جملة كـذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) الفاء عاطفة وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل والجار والمجرور متعلقان بأخذهم فتـكون الباء للسببية أو بمحذوف حال فتـكون الباء للملابسة أي متلبسين بذنوبهم (والله شديد العقاب) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير العقاب والواو استئنافية والله مبتدأ وشـديد العقاب خبره •

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾

الإعراب :

(قل للذين كفروا) جملة مستأنفة مسوقة للرد على اليهود الذين

ركبوا رؤوسهم بعد موقعة بدر وقالوا للنبي صلى اللـه عليه وسلم الذي حاول حقناً لدمائهم أن يحذرهم من عواقب الغرور والطيش :لا تحسب أنّا أغمار أي غير مجربين على القتال . وقل فعل أمر وفاعله ضمـير مستتر يعود على النبي صلى اللـه عليه وسلم أي أنت . وللذين جار ومجرور متعلقان بقـل وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (ستغلبون) السين حرف استقبال وتغلبون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو نائب فاعل والجملة في محل نصب مقول القول (وتحشرون) الواو حرف عطف وجملة تحشرون معطوفة على ستغلبون داخلة في حيز القول (إلى جهنم) الجار والمجرور متعلقان بيحشرون وجرت جهنم بالفتحة لأنها ممنوعـة من الصرف للعلمية والتانيث وسيأتي القول عنها في مكان آخر (وبئس المهـاد) الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها داخلة في حيز القول ويجوز أن تكون الواو استئنافية والجملة مسوقة لردعهم وتهويل جهنم لهم وبئس فعـل ماض جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعل بئس والمخصوص بالذّم محذوف تقديره جهنم وإنما حذف لفهم المعنى . وفيـه تأييد لمذهب سـيبويه وهو إعراب المخصوص بالذّم أو المدح مبتدأ خبره الجمـلة قبله ، ومذهب غيره أنه خبر لمبتدأ محذوف ، ويرد عليه أنه يلزم من ذلك حذف الجملة برأسها من غير أن يبقى ما يدل عليها ، وذلك لا يجوز حتماً لأن حذف المفرد أهون من حذف الجملة .

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾

اللغــة :

الفئة : الجماعة ولا واحد لها من لفظها وجمعها فئات وقــد تجمــع بالواو والنون جبراً لما نقص ، وإنما سميت الجماعة فئة لأنــه يفــاء إليها ، أي يرجــع في وقت الشدة • وقال الزّجاج : الفئة : الفرقة ، مأخوذ من قولهم : فأوت رأسه بالسيف أي قطعته •

(العبرة) : الاتعاظ ، يقال منه : اعتبر ، وهو الاستدلال بشيء على شيء يشبهه ، واشتقاقها من العبور وهو مجاوزة الشيء إلى الشيء ، ومنه عبر النهر بفتح العين : وهو شطه ، والمعبر السفينة ، والعبارة يعبر بها إلى المخاطب بالمعاني ، وعبرت الرؤيا مخففاً ومثقلاً نقلت ما عندك من علمها إلى الرّائي أو غيره ممن يجهل ، وكان الاعتبار انتقالاً من منزلة الجهل إلى منزلة العلم ، ومنه العَبرة بفتح العين وهي الدمــع لأنها تجاوز العين •

الإعراب :

(قد كان لكم آية) الجملة داخلة في حيز القول السابق أي قــل لليهود : ستغلبون وقل لهم : قد كان وقيل : هي عامة وإن الخطــاب لجميع الكفار فتكون مستأنفة أو لجميع المؤمنين ، والعبرة لا تختص بأحد ، وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وآية اسمها المؤخر (في فئتين التقتا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية وجملة التقتا صفة للفئتين والتاء تاء التأنيث الساكنة وحركت بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين التي هي فاعل وقد كان ذلك اللقاء يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) فئة خبر لمبتدأ

محذوف أي إحداهما فئة ويجوز جر فئة على البدلية من فئتين وهي إحدى القراءات وجملة تقاتل صفة لفئة وفي سبيل الله متعلقان بتقاتل (وأخرى كافرة) الواو عاطفة وأخرى عطف على فئة وكافرة صفة فمن رفع الأول رفعه ومن جر الأول جرّه (يرونهم مثليهم رأي العين) جملة يرونهم نعت للفئة التي تقاتل في سبيل الله وهم النبي وصحابته ، ويرونهم فعل وفاعل ومفعول به والرؤية بصرية أو بمثابتها لشدة الالتحام ومثليهم حال ورأي العين مفعول مطلق مؤكد لعامله (والله يؤيد بنصره من يشاء) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يؤيد خبر وبنصره متعلقان بيؤيد ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) الجملة مستأنفة مسوقة للحث على الاعتبار وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم واللام المزحلقة وعبرة اسم إن المؤخر ولأولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعبرة وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والأبصار مضاف اليه .

البلاغة :

انطوت هذه الآية على أرفع الخصائص البيانية فمنها :

١ ــ الاحتباك وهو الحذف من كلامين متقابلين وكل منهما يدل على المحذوف من الآخر ففي قوله تعالى : « فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة » حذف من الكلامين ، وتقديره : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان . فحذف من الأول ما يفهم من الثاني ، وحذف من الثاني ما يفهم من الأول .

٢ ـ الكلام الموجه لأن المعنى إما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره وإما أن يحتمل منه الشيء وغيره ، وتلك الغيرية إما أن تكون ضداً أو لا ، وهذه الآية احتملت معنيين متغايرين ، وتلك الغيرية ضد إذا احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للمشركين في وقت واحد ، وليس هناك ما يرجح واحداً على الآخر لأن كلاً منهما يصح إطلاقه في الآية . وقد ورد في الحديث من التوجيه قول النبي صلى الله عليه وسلم « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وهذا يشتمل على معنيين متضادين أحدهما إن المراد به إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فاصنع ما شئت ، والآخر : أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحيا منه فافعل ماشئت . وهذان معنيان ضدان ، أحدهما مدح والآخر ذمّ .

المتنبي والكلام الموجه

وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية واستغلها في مدائحه لكافور ، حاكم الأخشيد في مصر ، فقد كان مضطراً إلى مجاملته لتفادي المكروه إن جابهه بما يكنه من احتقار ، فجنح إليه في أماديح ليكون ظاهرها المديح وباطنها الهجاء ، فمن ذلك قوله فيه :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً   لمن في نعمائه يتقلب

وهذا البيت يحتمل معنيين ضدين أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم ، فيكون مدحاً . وكذلك أورده ليوهم كافوراً أنه يريد ذلك . وثانيهما أن المنعم يحسد المنعم عليه ليقرر حقيقة رسخت في هذا المخلوق الذي قذفت به المقادير ليكون ملكاً فهو ينعم على الآخرين ثم ما يلبث أن يحسدهم على ما نالوه من نعمائه . وهذا من أعجب ما اتفق

في الشعر ، وهو من خصائص هذا الشـاعر العجيب . وكثيراً ما كان يجنح أبو الطيب إلى هذا اللون من الشعر في أماديحه لكافور ، ومن ذلك قوله فيه من قصيدة مطلعها :

عدوّك مذموم بكل لسان ولـو كان مـن أعدائك القمران

ثـم قـال فيـه :

ولله سر في عـلاك وإنمـا كلام العـدا ضرب من الهـذيان
فما لك تعنى بالأسنة والقنا وجدك طعـان بغـير سـنان

أي دع أعداءك يقولوا ما أرادوا ويحدسوا في الأسباب التي جعلت منك ملكاً فإن ذلك من أسرار الله في خلقه ، يرفع الوضيع ويغني البليد ويرزق الفدم الغبي ، ثم يقول له مخاطباً : إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بحظك وسعدك ، وهذا مما لا فضل فيه ، ويستوي فيه الفدم وغـير الفدم .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾

اللغـة :

(القناطير) جمـع قنطار ، مأخوذ من قنطر الشيء إذا أحكه وهو هنا يعني المال الـكثير . والقنطـار يختلف مـع الأيـام والبلاد ، وقد اختلف علماء اللغة في نونه فقال فريق : إنها أصلية ، وإن وزنـه

فعلال كقرطاس ، وقيل : إنها زائدة وإن وزنه على فنعال • وقد خبط فيه صاحب المنجد خبطاً عجيباً • (المسومة) وصف للخيل أي المعلمة بعلامة تعرف بها ، والخيل فيه قولان : أحدهما أنه جمع لا واحد له من لفظه بل مفرده فرس ، والثاني أن واحده خائل فهو نظير راكب وركب وتاجر وتجر وطائر وطير ، وسيبويه يدرجه مع قوم ورهط ونساء ، ويجعله اسم جمع ، وغيره يجعله جمع تكسير • واشتقاق الخيل إما من الاختيال وهو العجب ، سميت بذلك لاختيالها في مشيتها ، والثاني من التخيل ، لأنها تتخيل في صورة هي أعظم منها •

(الأنعام) جمع َنعم بفتحتين ، والنعم اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وهو يذكر ويؤنث ، ويطلق على الابل والبقر والغنم • وسيرد المزيد من بحثه في سورة الأنعام •

(المآب) يصح أن يكون مصدراً صحيحاً أو اسماً للمكان أو الزمان ، وهو على كل حال مفعل بفتح العين من آب يئوب أي رجع ، وأصله مأوب ، فنقلت حركة الواو إلى الهمزة الساكنة قبلها فقلبت الواو ألفاً •

الإعراب :

(زين للناس حب الشهوات) كلام مستأنف لا محل له مسوق لبيان حقارة أعراض الدنيا • زين فعل ماض مبني للمجهول وللناس جار ومجرور متعلقان بـ « زين » وحب الشهوات نائب فاعل (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة) من بيانية وهي مع مجرورها متعلقان بمحذوف حال والبنين : الواو عاطفة والبنين معطوف على النساء مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والمقنطرة صفة للقناطير

(من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) من بيانية أيضاً وهي ومجرورها متعلقان بمحذوف حال وما بعده عطف عليه (ذلك متاع الحياة الدنيا) اسم الإشارة مبتدأ ومتاع الحياة خبر والدنيا صفة والجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان حقارة ذلك كله لأنه فانٍ لا يبقى (والله عنده حسن المآب) الواو استئنافية وما بعدها كلام مستأنف مسوق للدلالة على أنه ليس فيما عدد من ظواهر النعمة خير ولا ينفع ، والله مبتدأ والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وحسن المآب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر « الله » .

البلاغـة :

في الآية فن مراعاة النظير ، وهو أن يجمع الشاعر أو الناثر بين أمر وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المقابلة والمطابقة ، وقد جمع سبحانه في هذه الآية معظم وسائل النعيم الآيلة بالمرء إلى الانهماك في الفتنة والانسياق مع دواعي النفوس الجموح ، وقد زينت للناس واستهوتهم بالتعاجيب والمفاتن ، ابتلاء لهم . وللمتكلمين مناظرات وجولات حول تزيين هذه الشهوات ، والمزين لها ، ويشتجر الخلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال ، مما لا سبيل إلى ذكره لأنه خارج عن نطاق كتابنا ، ولكننا نجتزي بالإلماع إليه ، ليرجع من يشاء إلى المظان المعروفة .

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾

الإعراب :

(قل) : فعل أمر وفاعله أنت ، أي : يا محمــد ، والكلام مستأنف مسوق لتقرير وتحقيق الخير لما عند الله وأفضليته على شهوات الدنيا (أؤنبئكم بخير من ذلكم) الهمزة للاستفهام التقريري وأنبىء فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبخير جار ومجرور متعلقان بأنبئكم على أنه ناب مناب المفعول الثاني كما سيأتي في باب الفوائد ، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بخير والإشارة إلى أنواع الشهوات الآنفة الذكر • وجملة الاستفهام في محل نصب مقول القول (للذين اتقوا عند ربهم جنات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجملة اتقوا لا محل لها لأنها صلة الموصول وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال من جنات لأنه كان في الأصل صفة لها فلما تقدم عليها أعرب حالاً • وجنات مبتدأ مؤخر • ولك أن تعلق الظرف بما تعلق بــه « للذين » من الاستقرار لأنه من جملة الخبر ، ولك أن تجعل الكلام موصولاً فلا تقف عند ذلكم وعندئذ يكون للذين نعتاً للخير وجنات خبر لمبتدأ محذوف (تجري من تحتها الأنهار) الجملة صفة لجنات والأنهار فاعل تجري ومن تحتها متعلقان بتجري (خالدين فيها) حال من الذين اتقوا وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (وأزواج مطهرة) أزواج عطف على جنات ومطهرة نعت لأزواج (ورضوان من الله) عطف على جنات أيضاً (والله بصير بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ وبصير خبر وبالعباد متعلقان ببصير •

الفوائــد :

(أنبأ ونبأ) فعلان يتعديان إلى ثلاثة مفاعيل إذا كانا بمعنى العلم •

وأما في الآية فهو بمعنى الاخبار ، فيتعديان لاثنين فقط . والحقيقة أن الذي يتعدى لثلاثة مفاعيل فعلان ، وهما أرى وأعلم ، أما الخمسة الباقية وهي أخبر وخبّر وأنبأ ونبأ وحدث فقد ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، ومنه قول الحارث بن حلزة اليشكري :

إن منعتم ما تسألون فمن حـدثـ ... ـتموه له علينا العلاء

فهو شاهد على أنه متعد لثلاثة مفاعيل ، فالتاء هي المفعول الأول والميم علامة جمع الذكور والواو لإشباع ضمة الميم والهاء هي المفعول الثاني وجملة له علينا العلاء جملة اسمية في موضع المفعول الثالث فافهم ذلك جيداً لأنه عزيز المنال . هذا وتستعمل هذه الأفعال الخمسة متعدية لواحد بأنفسها وإلى مضمون الثاني والثالث بالباء نحو حدثتك بأمر .

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

اللغة :

(الأسحار) جمع سحر كفرس وأفراس : أواخر الليل ، وسميت بذلك لما فيها من الخفاء . والسّحر : وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفّس الصبح . واختلف أهل اللغة في تحديده بالضبط فقال الزّجاج وجماعته : إنه الوقت قبل طلوع الفجر ، وقال الرّاغب في مفرداته :

السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار ، ثم جعل اسماً لذلك الوقت . وأما السَّحر بسكونه فهو منتهى قصبة الحلقوم . ومنه قول عائشة رضي اللـه عنها : « قبض رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بين سَحري ونحري » . ومن مجاز العرب قولهم : انتفخت مساحره ، إذا ملّ وجبـن .

(القسـط) : العـدل . يقـال أقسـط أي عـدل ، وقسـط أي جار ، فهو مدح في الرباعي وذم في الثلاثي .

الإعراب :

(الذين يقولون) اسم الموصول يجوز فيه الرفـع على إنه خبر لمبتدأ محذوف أي : هم الذين ، والنصب على المدح بفعل محذوف أي أمدح الذين ، والجرّ على أنه بدل من اسم الموصول في الآية السابقة أو نعت له يقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة (ربنا إننا آمنا) الجملة مقول القول وربنا منادى محذوف منه حرف النداء ، وإن واسـمها وجملة آمنا خبرها (فاغفر لنـا ذنوبنا) الفاء للتعليل ، لأن الإيمان علة الغفران واغفر فعل آمر للدعاء ولنا متعلقان به وذنوبنا مفعول به (وقنا عذاب النار) الواو حرف عطف وقِ فعل أمر للدعاء مبني على حذف حرف العلة وحذفت واو المثال كما هي القاعدة ، والفاعل أنت ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول وعذاب النار مفعول به ثان (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسـحار) الصابرين منصوب على المدح بفعل محذوف وما بعـده عطف عليه ، وهي في الأصل صفات قطعت عن الوصفية بتوسـط واو العطف بينها للدلالة على انفرادهم بأنواع الكمالات كما سـيأتي في باب البلاغة والجملة استئنافية (شهد الله) فعل وفاعل والجملة مستأنفة

مسوقة لتمداد أصول الدين وفضائله وقد وردت فيها أحاديث كثيرة (أنه لا إله إلا هو) أن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض أي بأنه ، والجار وما بعده متعلقان بشهد وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة فجدد به عهداً (والملائكة وأولو العلم) الواو حرف عطف والملائكة عطف على الله وأولو العلم عطف أيضاً . ورفع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (قائماً بالقسط) حال لازمة من الله أو من الضمير المنفصل الواقع بعد إلا ، ولعله أولى . وجاز مجيء الحال بعد معطوفين لأمن الالتباس ، فلو لم يؤمن الالتباس لم يجز مجيء الحال ، نحو جاء عليّ وخالد ضاحكاً لعدم العلم بمن هو الضاحك . وواضح أن القيام بالقسط من خصائص الله تعالى فيكون بمثابة التتمة لكمال الأفعال بعد كمال الذات . وهنا بحث هام سيأتي في باب الفوائد (لا إله إلا هو) تقدم إعرابها (العزيز الحكيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو ولك أن تعربهما بدلين من « هو » .

البلاغة :

١ ـ في دخول الواو على الصفات مع أن الموصوف واحد تفخيم للموصوف لأنه إيذان بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف ثم إن الموصوف ليس واحداً كما يبدو للنظرة العجلى .

٢ ـ وفي الآية الأخيرة رد العجز على الصدر ، فقد رد « العزيز » إلى تفرده بالوحدانية التي تقتضي العزة ، ورد « الحكيم » إلى العدل الذي هو القسط ، فهو تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف .

الفوائد :

١ ـ المثال الذي فاؤه حرف علة إذا بني منه فعل أمر حذفت واوه

أو ياؤه ، فتقول في وعد : عِدْ فإذا كان لفيفاً مفروقاً أي إذا كانت فاؤه ولامه حرفي علة أصبح على حرف واحد لأن الحرفين يحذفان ، فتقول في وعي : عِ ، وفي وقى قِ وفي وفى فِ وفي وأى إِ وعلى هذا يتخرج اللغز المشهور الذي يتندر به صغار المعربين وهو :

إن هندُ المليحةُ الحسناءَ   وأي من أضمرت لخل وفاء

وإيضاحه كما يلي : إن : فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والنون نون التوكيد الثقيلة ، ومعنى إ : عد ، وفعله وأى ، أي عدي يا هند وعد امرأة أضمرت الوفاء لخلها • وهند منادى مفرد علم محذوف منه حرف النداء مبني على الضم والمليحة نعت على اللفظ والحسناء نعت ثان لهند على المعنى ووأي مفعول مطلق • وإنما نبهنا إلى إعرابه لنبين أن للنحاة المتأخرين أموراً متكلفة يجدر بنا اجتنابها لأنها تفسد الذوق وتعطل الملكة الفنية وهي أشبه بالألاعيب •

٣ ــ الأصل في الحال أن تكون متنقلة لاثابته ، وتقع وصفاً ثابتاً في ثلاث مسائل :

آ ــ أن تكون مؤكدة لمضمون جملة قبلها ، نحو : زيد أبوك عطوفاً ، فإن الأبوة من شأنها العطف ، وذلك مستفاد من مضمون الجملة • أو لعاملها نحو « ويوم أبعث حياً » فإن البعث من لازمه الحياة فمعناها مستفاد من دون ذكرها •

ب ــ أن يدل عاملها على تجديد ذات صاحبها وحدوثه أو تجدد صفة له ، فالأول نحو قولهم : « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها » فيديها بدل من الزرافة بدل بعض من كل ، وأطول حال ملازمة من يديها ومن رجليها متعلقان بأطول لأنه اسم تفضيل ، وعامل الحال خلق ،

والثاني نحو قوله تعالى « وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً » فالكتاب قديم والإنزال حادث ، أي محدث النزول لا الوجود .

ج ـ أن يكون مرجعها إلى السماع نحو « قائماً بالقسط » . على أن بعضهم أعرب « قائماً » بأنه نصب على المدح كما في قول امرىء القيس :

إذا قلت : هاتي نوليني تمايلت   عليّ هضيم الكشح ريا المخلخل

فهضيم نصب بتقدير أمدح لا حال ، لأنها صفة لازمة . بقي الاعتذار عن جهة تأخيره عن المعطوفين فقال التفتازاني كأنها للدلالة على علو مرتبتهما ، أي الملائكة وأولي العلم حيث قرنا به تعالى من غير فاصل ، فتنبه لهذا الفصل ، فله على الفصول الفضل .

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

الإعراب :

(إنّ الدين عند الله الإسلامُ) الجملة مستأنفة مؤكدة للأولى وإن واسمها ، وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف حال والإسلام خبر إن . وقد اعترض أبو البقاء على مجيء الحال بعد إن ، وهو اعتراض مردود ، لأنهم جوزوا في « ليت » وفي « كأن » وفي هاء التنبيه أن تعمل في الحال ، لما تضمنت هذه الأحرف من معاني التمني والتشبيه والتنبيه ، وإن للتأكيد فلتعمل في الحال أيضاً فلا تتقاعد عن « ها »

التي للتنبيه ، بــل هي أولى منهــا ، وذلك أنهــا عاملة ، و « هــا » التي للتنبيه ليست عاملة فهي أقرب لشبه الفعل من « ها » ، ولك أن تجعلها حالاً من الدين أي كائناً وثابتاً عند اللــه . والاسلام خبر إن (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الاختلاف وما نافية واختلف الذين فعل وفاعل وجملة أوتوا صلة الموصول وأوتوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وهو المفعول الأول والكتاب مفعول به ثان (إلا من بعد ما جاءهم العلم) إلا أداة حصر ومن بعد جار ومجرور متعلقان باختلف وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة أي من بعد مجيء العلم لهم وجاءهم فعل ومفعول به والعلم فاعله (بغياً بينهم) مفعول لأجله وبينهم ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة (ومن يكفر بآيات الله) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويكفر فعل الشرط وبآيات اللــه جار ومجرور متعلقان بيكفر (فإن الله ســريع الحساب)الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وسريع الحساب خبرها والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعــل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغــة :

اشتملت هذه الآية على ضروب من المبالغات في ذم اليهود ، وذلك عــلى النحــو التالي :

آ ــ وصفهم بأنهم أهل الكتاب ، والاختلاف بحد ذاته قبيح ، ولكنه بعد إتيان الكتاب والعلم بنواجمه أقبح .

ب ــ ثم ترقى في المبالغة فوصفهم بأنهم بعد أن أوتوا كتــاباً

جاءهم علم آخر يوضح لهم طريق الصواب ، ولكن طبيعة اللجاج المركوزة في نفوسهم أبت إلا التمادي في الضلال وركوب متن الشطط فكان القبح أزيد .

جـ ـ ثم ترقى مرة أخرى في المبالغة فجعل الاختلاف بعد ظهور العلم لديهم مرتين متتاليتين لم يكن إلا بغياً منهم وهذا ما تعالمه الناس منهم واشتهروا به إلى اليوم ، وبذلك استوفت المبالغة غايتها فسبحان المتفرّد بالبيان .

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

اللغة :

(حاجوك) : خاصموك يقال : حاجّه حِجاجاً ومُحاجّةً أي خاصمه وجادله .

الإعراب

(فإن حاجوك فقل) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتضيق الخناق على اليهود الذين أخذوا يحرجون النبي فيكيدون له وإن شرطية وحاجوك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به والفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (أسلمت وجهي

لله) الجملة في محل نصب مقول القول وأسلمت فعل وفاعل ووجهي مفعول به والجار والمجرور متعلقان بأسلمت (ومن اتبعن) الواو للعطف أو للمعية ومن اسم موصول معطوف على التاء في أسلمت أو مفعول معه وجملة اتبعن صلة الموصول ، والنون للوقاية وقد حذفت ياء المتكلم وقفاً ووصلاً موافقة للرسم . والذي حسن ذلك أنها فاصلة ورأس آية . وسيرد أمثالها مثل أكرمن وأهانن . وقال بعض النحاة : حذفت مع نون الوقاية خاصة ، فإن لم تكن هناك نون فالكثير إثباتها . على أن هذه الياء أثبتت في بعض القراءات السبع .

(وقل للذين أوتوا الكتاب) الواو عاطفة وقل فعل أمر وللذين جار ومجرور متعلقان بقل وجملة أوتوا الكتاب صلة والواو نائب فاعل والكتاب مفعول به ثان (والأميين) عطف على الذين أوتوا الكتاب وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم ، والمراد بهم مشركو العرب ، وإن كانوا يكتبون ويقرؤون ، لأنه لم ينزل عليهم كتاب بعد (أأسلمتم) الجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول ومعنى الاستفهام التنديد والتعبير كما سيأتي في البلاغة (فإن أسلموا فقد اهتدوا) الفاء استئنافية وإن شرطية وأسلموا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق واهتدوا فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة المقترنة في محل جزم جواب الشرط (وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) الجملة معطوفة على الجملة الأولى وإنما كافة ومكفوفة وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والبلاغ مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب

الشرط (والله بصير بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ بصير خبر وبالعباد متعلقان ببصير •

البلاغة :

١ ــ المجاز المرسل في قوله : أسلمت وجهي تعبيراً عن الكل بأشرف أعضائه وهو الوجه ، والعلاقة هنا الكلية •

٢ ــ الاستفهام في قوله : « أأسلمتم » معناه التنديد والتعيير ، كأنما قد أفرغ جهده في مناصحتهم ، ولم يترك وسيلة إلا تشبث بها لإفهامهم ، ولكنهم لم يفهموا • وفي هذا الضرب من الاستفهام استركاك لعقولهم وامتهان لأفهامهم ، فكأنما أصبحت الحجج عندهم كلا حجج . وأصبحت البراهين أضيع ما يكون لديهم ، فلم يبق أمامه سوى أن يسألهم منددا : أأسلمتم بعد هذا كله ؟ أم لا يجدي الضرب على الحديد البارد ؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

اللغة :

(حبطت) : ذهبت سدى وفسدت ، وهو من مجاز اللغة • والأصل في الحبوط أو الحبط بالسكون أن تأكل الماشية خضرة فتستوبلها وتهلك • ومنه حبط دم القتيل بكسر الباء أي هدر وبطل •

الإعراب :

(إن الذين يكفرون بآيات الله) كلام مستأنف مسوق للحديث عن اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى اللـه عليه وسلم ، فقد قتل آباؤهم الأنبياء من قبل ، وهم اليوم يحاولون التشبه بآبائهم الأولين ، ويرضون بفعلهم ، فيتحينون الفرص لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أحبط أعمالهم . وإن واسمها ، وجملة يكفرون صلة الموصول والجار ولمجرور متعلقان بيكفرون (ويقتلون النبيين بغير حق) الواو عاطفة ويقتلون فعل مضارع معطوف على يكفرون والنبيين مفعول به منصوب بالياء وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي ظالمين ، وإنما قيد القتل . وقتل النبيين لا يكون إلا كذلك ، زيادة في التشنيع عليهم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) عطف على ما تقدم ومن الناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائنين منهم (فبشرهم بعذاب أليم) الفاء واقعة في جواب الموصول لما فيه من رائحة الشرط ، ودخول إن على الموصول لا يؤثر في خبريته فالجملة خبر إن لأن المعنى لم يتغير بل ازداد تأكيداً وذلك شائع في القرآن وفي الشعر العربي ، قال :

فوالله ما فارقتكم قالياً لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون

ولكن إذا دخلت ليت أو لعل على « الذي » امتنع دخول الفاء لنسخ الخبرية ، وتحول الكلام إلى إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب كما هو مقرر في علم المعاني ، وسيأتي في باب الفوائد بحث هام في أسرار الحروف . وبشرهم فعل أمر والهاء مفعول به والفاعل أنت وبعذاب متعلقان ببشرهم وأليم صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل رفع خبر إن

(أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) الجملة مفسرة للذين يقتلون لا محل لها وأولئك مبتدأ والذين خبر وجملة حبطت أعمالهم صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بحبطت (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد لفظاً وناصرين مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر •

الفوائد :

جرى النحاة والمعربون على القول بزيادة بعض الحروف ، ولا يعنون بزيادتها أنها جاءت لغواً أو عبثاً وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد ولكننا نريد أن نميط اللثام عن شيء غفل عنه هؤلاء جميعاً ، ورددوه وهم لا يكتنهون فحواه حتى صار من المقولات البديهية ، وقد مر بك حتى الآن وسيمر معك الكثير من الأحرف التي قالوا بزيادتها ، ومع ذلك قصروا عملها على الشكل دون المعنى ، فقوله : « وما لهم من ناصرين » لا غنى عن إيراد « من » الزائدة لفظاً فالخبر بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتمل الصدق والكذب ، و « من » هي التي نقلته من أصل وضعه الأول إلى دلالة النفي البات والإنكار الحاسم ، وسيطالع القارىء في كتابنا ما يذهله من أسرار هذه الحروف التي يمر النحاة بها مروراً سريعاً ، فهم يقولون بزيادتها ويتركون الطالب في مهامة الحيرة ، لأن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

﴿ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

الإعراب :

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق للتعجب من حالهم وسوء صنيعهم والهمزة للاستفهام التعجبي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل أنت وإلى الذين متعلقان بـ « تر » والرؤية هنا بصرية ، وجملة أوتوا صلة الموصول والواو نائب فاعل ونصيباً مفعول به ثان ومن الكتاب متعلقان بمحذوف صفة لنصيباً (يُدْعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم) جملة يدعون حاليّة ويدعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وإلى كتاب الله جار ومجرور متعلقان بيدعون وليحكم اللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيدعون وبينهم ظرف مكان متعلق بيحكم (ثم يتولّى فريق منهم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ويتولى فعل مضارع مرفوع والفريق فاعل والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة (وهم معرضون) الواو حالية وهم مبتدأ ومعرضون خبر والجملة في محل نصب على الحال (ذلك بأنهم قالوا) ذلك مبتدأ والجملة استئنافية والإشارة إلى التولي عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وبأنهم الباء حرف جر وإن مع مدخولها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر أي ذلك التولّي بسبب قولهم وجملة قالوا خبر إن (لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودات)

الجملة في محل نصب مقول قولهم ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتمسنا فعل مضارع منصوب بلن ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول بـه والنار فاعل تمسنا وإلا أداة حصر وأياماً ظرف متعلق بتمسنا ومعدودات صفة وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) الواو عاطفة وغرهم فعل ومفعول بـه وفي دينهم متعلقان بغرهم وما اسم موصول في محل رفع فاعل وجملة كانوا يفترون صلة الموصول وكان واسمها وجملة يفترون خبرها .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

اللغـة :

(تولج) تدخل ، من أولج الشيء أدخله . وولج يلج من باب وعـد ولوجاً ، ولجة : دخـل .

الإعراب :

(فكيف إذا جمعناهم) هذا التركيب من المشكلات ويتلخص من الأوجه التي أوردها المعربون ، وجهان جديران بالاعتبار :

١ ــ كيف اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم والمبتدأ محذوف تقديره حالهم ، وتكون جملة قائمة بذاتها ، وكيف عندئذ لا يستغنى عنها : كما مر في قاعدة كيف .

٢ ــ كيف اسم استفهام في محل نصب حال من فعل محذوف هو جواب إذا ، أي استقرت . وإذا على الوجه الأول متعلقة بالاستقرار الذي تعلقت به « كيف » و « إذا » غير متضمنة معنى الشرط ، بل هي للظرفية المحضة ، وعلى الوجه الثاني هي ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلقة بالجواب المحذوف وهو استقرت . وعلى هذا الوجه يتخرج البيت المشهور :

أشوقاً ولمّا يمض لي غير ليلة   فكيف إذا جد المطي بنا عشرا

وقد رجح ابن هشام وأبو البقاء الحالية . ونحن نرى الوجه الأول أبعد عن التكلف ، لأننا لا نرى أثراً للشرطية في « إذا » بهذا التركيب العجيب ، فتأمل . وجملة جمعناهم في جر بالإضافة والفاء الداخلة على كيف استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لإبطال ما غرهم ولتهويل ما سيحيق بهم من الأهوال (ليوم لا ريب فيه) الجار والمجرور متعلقان بجمعناهم ولا نافية للجنس وريب اسمها مبني على الفتح في محل نصب وفيه متعلقان بمحذوف خبرها وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم (ووفيت كلّ نفس ما كسبت) الواو عاطفة ووفيت فعل ماض مبني للمجهول وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول مفعول بـه وجملة كسبت صلة الموصول (وهم لا يظلمون) الواو حالية وهم مبتدأ ولا نافية ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة لا يظلمون في محل رفع خبرهم والجملة الإسمية المقترنة بالواو في محل نصب على الحال (قل اللهم مالك الملك) كلام مستأنف مسوق للرد

على المنافقين الذين لم يصدقوا قوله : إن أمتي ظاهرة . وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت واللهم : منادى مفرد علم والميم المشددة عوض عن « يا » لا محل لها ومالك الملك منادى ثان حذف منه حرف النداء أي يا مالك الملك ، وإنما لم يجعل نعتاً لأن الميم المشددة تمنع التبعية كما قرر سيبويه إذ قال : « إن الميم أخرجت هذه اللفظة عن نظائرها من الأسماء » . قال ابن يعيش : « واعلم أن سيبويه لايرى نعت « اللهم » لأنه لفظ لا يقع إلا في النداء ، فهو لا ينعت » . وخالفه أبو العباس المبرد واستدل بقوله تعالى : « اللهم فاطر السموات والأرض » .فسيبويه يحمل فاطر السموات على أنه نداء ثان لا نعت ، وقال المبرد : إن الميم بدل من « يا » والمنادى مع « يا » لا يمتنع وصفه ، فكذا مع ما هو عوض عنها (تؤتي الملك من تشاء) لك أن تجعل هذه الجملة حالية من المنادى لأنه بمثابة المفعول به وتؤتي فعل مضارع فاعله مستتر تقديره أنت والملك مفعول به أول ومن اسم موصول مفعول به ثان وجملة تشاء صلة الموصول (وتنزع الملك ممن تشاء) عطف على ما تقدم (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) عطف أيضاً (بيدك الخير) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والخير مبتدأ مؤخر والجملة حالية أيضاً (إنك على كل شيء قدير) جملة مستأنفة بمثابة التعليل لما تقدم (تولج الليل في النهار) الجملة حالية أيضاً (وتولج النهار في الليل) عطف على الجملة الآنفة (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) عطف أيضاً (وترزق من تشاء بغير حساب) عطف أيضاً ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة تشاء صلة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل ترزق .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التصريحية إذ أراد بالحي والميت المسلم والكافر ،

فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به . وإذا أراد النطفة والبيضة كان الكلام جارياً على جانب الحقيقة ، لا على جانب المجاز .

٢ ـ الاكتفاء في قوله : « بيدك الخير » فاقتصر على الخير من باب الاكتفاء بالمقابل أي والشر ، كقوله تعالى : « سرابيل تقيكم الحر » أي والبرد ، ولأن الخير هو المرغوب فيه .

٣ ـ المقابلة فقد طابق بين « تؤتي وتنزع » وبين « تعز وتذل » وبين « الليل والنهار » وبين « الحي والميت » .

٤ ـ وخرج بالاستفهام عن معناه الحقيقي بقوله : « فكيف » إلى معنى التهويل واستفظاع ما أعد الله لهم في يوم عصيب تحار فيه الأبصار والبصائر ، وتشخص فيه القلوب والضمائر .

الفوائــد :

(اللهم) قد تخرج عند النداء المحض فيكون لها معنيان :

آ ـ أن يذكرها المجيب تمكيناً للجواب في نفس السامع ، فإذا حدثك أحد بشيء قلت : اللهم نعم .

ب ـ أن تستعمل للدلالة على الندرة وقلة وقوع المذكور معها ، كقولك لمن كان متكاسلاً : إنك ناجح اللهم ، إن بذلت مجهوداً أكبر ، وقد علمت أنه غير باذل أي مجهود ، أو إن ذلك مستبعد منه ، وعلى هذا يخطىء كتابنا في استعمالها قبل إلا .

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾

اللغــة :

(تقاة) أصلها وقية بضم الواو ، فأبدلت الواو تاء والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ، فهي مصدر تقية كرمية •

الإعراب :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) كلام مستأنف مسوق للنهي عن موالاتهم ، كما نشاهد اليوم • ولا ناهية يتخذ فعل مضارع مجزوم بلا ، المؤمنون فاعل والكافرين مفعول به أول وأولياء مفعول به ثان ومن دون المؤمنين متعلقان بمحذوف حال من الفاعل ، أي : حال كون المؤمنين متجاوزين موالاة المؤمنين ، أو من المفعول أي حال كون الكافرين ناصرين من دون المؤمنين (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) الواو اعتراضية والجملة كلها اعتراضية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويفعل فعل الشرط مجزوم وذلك اسم اشارة في محل نصب مفعول به الفاء رابطة لجواب الشرط وليس فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر يعود على « من » • ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة الشيء فلما تقدم أعرب حالاً ، وفي شيء : متعلقان بمحذوف خبر ليس (إلا أن تتقوا منهم تقاة) إلا أداة حصر وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لأجله ، والمعنى لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لأمر من الأمور إلا للتقية ، ومنهم متعلقان بتتقوا ، وتقاة منصوب على المفعولية المطلقة والمعنى تتقوا اتقاء ، والمصادر يتناوب بعضها بعضاً ، ويجوز أن يكون مفعولاً به على تضمين « تتقوا » معنى الخوف أي إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب إتقاؤه (ويحذركم الله نفسه) الواو

استئنافية ويحذركم فعل مضارع والكاف مفعول به والله فاعل ونفسه مفعول به ثان ليحذركم لأنه في الأصل يتعدى لواحد فازداد بالتضعيف آخر (وإلى الله المصير) الواو استئنافية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر .

البلاغة :

أ ـ في هذه الآية التفات بديع من الغيبة إلى الخطاب : ولو جرى على سنن الكلام لقال : إلا أن يتقوا . ولكنه عدل عن الغيبة والخطاب لسر كأنه أخذة السحر : فإن موالاة الكفار والأعداء وكل من يتآمر على سلامة الأوطان أمر مستسمج مستقبح . ينكره الطبع ولا يليق أن يواجه به الأصفياء والأولياء ، فجاء به غائباً كأنه يرسم لهم خطاً بيانيا .

على أن هذا إنما يكون فيما لا ضرر فيه ، ولكن التآمر على الكيان ، وسلامة أرواح المؤمنين ، ولكن التقية لا تجوز مع الأعداء الذين لا هم لهم سوى اغتصاب الأرض وامتصاص الطاقات فهؤلاء لا تسوغ معهم مهادنة ، ولا يجوز بحال عقد أي عهد معهم ، لأنهم لا يعتمون أن ينقضوه . وقد يستغلونه للانقضاض على من اطمأنوا اليهم وركنوا إلى عهودهم ، على حد قولي :

أيّ شأن العهود قطعت ثم أضحت ترهات بعد حين
لا تغرنك قصاصات غدت شركاً ينصب للمستضعفين

حذار من العدو ـ لمحة تاريخية :

وهنا يجدر بنا أن نأتي على ما يرويه التاريخ بصدد نزول هذه

الآية ، فقد روي أن جماعة من المسلمين كانوا يوادّون اليهود ، فأنزل الله هذه الآية ، ناهياً عن الاسترسال في ذلك . وقيل : إنّ عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود ، فقال يوم الأحزاب : يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود ، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو . فنزلت هذه الآية ، إذ لا تتفق موالاة الوليّ وموالاة العدو في وقت واحد قال :

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النّوك عنك بعازب

٢ ـ المشاكلة في قوله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » . وإطلاق ذلك عليه سبحانه وتعالى جائز في المشاكلة كقوله أيضاً : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » . وقيل : الكلام مجاز مرسل معناه : ويحذركم الله عقابه ، مثل « واسأل القرية » مجاز مرسل ، فجعلت النفس في موضع الإضمار ، وفي ذلك تهديد شديد وتخويف عظيم لعباده أن يتعرضوا لعقابه بموالاة أعدائه .

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

الإعراب :

(قل : إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) كلام مستأنف مسوق ليكون بياناً لقوله : « ويحذركم الله نفسه » وقل فعل أمر فاعله ضمير مستتر تقديره أنت وإن شرطية وتخفوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به وفي صدوركم : جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ،

وأو حرف عطف وتبدوه معطوف على تخفوا وجملة الشرط وجوابه الآتي في محل نصب مقول القول (يعلمه الله) جواب الشرط والهاء مفعول به والله فاعل (ويعلم ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ويعلم فعل مضارع مرفوع وفاعله هو يعود على الله ، وإنما جيء به مستأنفاً لا معطوفاً لأن علم الله تعالى غير متوقف على شرط ، فهو من باب ذكر العام بعد الخاص . والأحسن أن يقدر مبتدأ محذوف فتكون جملة « يعلم » خبره والتقدير : وهو يعلم ، والجملة بعد الواو مستأنفة لا محل لها ، وما مفعول به وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما ، وما في الأرض عطف على « ما في السموات » (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية والله مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بمحذوف بقدير وقدير خبر الله .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾

اللغة :

(الأمد) : الغاية والمنتهى ، والفرق بينه وبين الأبد أن الأمد مدة من الزمن محدودة ، وإن يكن الحدّ مجهولاً ، أما الأبد فهو مدة من الزمن غير محدودة .

الإعراب :

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) يوم ظرف متعلق تقديره :

« اذكر » وجملة تجد في محل جر بالإضافة ، « وتجد » يجوز أن تكون بمعنى تصادف وتصيب فتتعدى لواحد ويجوز أن تكون بمعنى تعلم فتتعدى لاثنين ، وكل نفس فاعل تجد وما اسم موصول مفعول به وجملة عملت صلة والعائد محذوف أي عملته ومن خير متعلقان بمحذوف حال ومحضراً حال على الأول ومفعول به ثان على الثاني ، والجملة كلها مستأنفة لا محل لها (وما عملت من سوء) الواو استئنافية وما اسم موصول مبتدأ وجملة عملت صلة ومن سوء متعلقان بمحذوف حال (تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) جملة تود خبر ما ولو الواقعة بعد تود مصدرية،ولكن يشكل هنا دخول الحرف على مثله، فالأولى أن تبقى شرطية وأن حرف مشبه بالفعل مصدري وبينها ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم لأنّ وبينه عطف على الظرف . ويكون جواب « لو » محذوفاً تقديره : لفرحت واطمأنت ، وأن وما بعدها في محل رفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره ثابت ، أو فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت . ويلاحظ عندئذ أن المحذوفات كثرت ، فقد حذف مفعول تود وجواب لو وخبر أن أو فعل الفاعل ، ولذلك كان اعتبارها مصدرية أسهل لولا المانع الفني وهو دخول الحرف المصدري على حرف مصدري مماثل (ويحذركم الله نفسه) تقدم إعرابها قريباً وكررها ليكون الخوف من الله نصب أعينهم (والله رؤوف بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ ورؤوف خبره وبالعباد جار ومجرور متعلقان برؤوف .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

الإعـــراب :

(قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) كلام مستأنف مسوق لبيان معنى محبة الله ، وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء إسمها وجملة تحبون الله خبرها والفاء رابطة لجواب الشرط واتبعوني فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط وجملة إن كنتم مقول القول (يحببكم) جواب الطلب مجزوم والكاف مفعول به (الله) فاعل (ويغفر لكم ذنوبكم) عطف على يحببكم (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور رحيم خبران للمبتدأ (قل أطيعوا الله والرسول) كلام مستأنف أيضاً وجملة أطيعوا في محل نصب مقول القول (فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) الفاء استئنافية وإن شرطية وتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين وهو فعل الشرط والجملة لا محل لها . ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً مسنداً لضمير الغيبة ، فيكون من باب الالتفات من المخاطب إلى الغائب والجملة في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وجملة لا يحب الكافرين خبرها وجملة فإن الله في محل جزم جواب الشــرط .

البلاغـــة :

المجاز المرسل في حب العباد لله تعالى وحبه لهم والعلاقة ما يكون . فأما حبهم له فالمراد ما تئول إليه المحبة من اختصاصه بالعبادة دون غيره ، وأما حبـــه لهم فالمراد منه ما يئول إليه مـــن الرضا عنهم والغفران لذنوبهم . وهذه لمحة لا مندوحة عن إيرادها عن الحب :

الحب عند الفلاسفة : أما الفلاسفة فيقررون كما يتحدث عنهم سويدنبرغ السويدي أن الحب هو حياة الإنسان ، وأن الله وحده هو عين الحب ، لأنه هو عين الحياة . فالمحبة لغة ـ ميل المتصف بها إلى أمر ملذّ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحس كلذة الذوق في الطّعوم ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة ولذة الشم في الروائح العطرية ولذة السمع في النغمات الحسنة وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها . وإذا تفاوتت البواعث ، فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق ، وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات .

الحب عند المتصوفة : أما المتصوفة فهم يقولون : إن الحب هو سكر المشاهدة وشجاعة الباذل وإيمان الولي والأصل الأصيل للتحقق الخلقي والإدراك الروحي . قال الثوري لرابعة العدوية : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه . وأنشدت :

أحبك حبين : حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عما سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا

والكلام يطول فحسبنا ما تقدم .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

اللغــة :

(نوح) علم أعجمي لا اشتقاق له ، وقيل : إنه مشتق من النوح وهو منصرف على كل حال ، لأنه علم أعجمي ثلاثي ســاكن الوسط (عمران) علم أعجمي أيضاً ممنوع مــن الصرف وإن قيل إنــه عبري مشتق من العمر فهو ممنوع للعلمية وزيادة الألف والنون .

الإعــراب :

(إن الله اصطفى آدم ونوحاً) إن واسمها ، وجملة اصطفى آدم ونوحاً خبر (وآل ابراهيم وآل عمران) عطف على آدم (على العالمين) الجار والمجرور متعلقان باصطفى والجملة استئنافية (ذرية بعضها من بعض) ذرية : بدل من آدم ومن عطف عليه ، أو من الآلين أي أن الآلين ذرية واحدة ، ويجوز نصبها على الحال والعامل فيه « اصطفى » . وبعضها مبتدأ ومن بعض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة صفة لــذرية (والله ســميع عليم) الواو اســتئنافية واللــه مبتدأ وســميع عليم خبران لــه .

البلاغــة :

١ ــ في الآية فن التوشيح ، وهو كما يقول قدامة في نقد الشعر : أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية ، إن كان شعراً أو السجع إن كان نثراً . فإن معنى اصطفاء المذكورين في الآية يعلم منه الفاصلة ، لأن المذكورين صنف مندرج في العالمين .

وفي هذه الآية أيضاً فن براعة التخلص ، فإنه سبحانه وتعالى وطّأ

بهذه الآية إلى سياق خبر ميلاد المسيح عليه السلام ، فقد خلص إلى ذكر امرأة عمران ليسوق قصة حملها بمريم وكفالة زكريا لها ، وذكر ولده يحيى ، وقصة حمل مريم بالمسيح ، وما تخلل ذلك من آيات باهرات ، وعبر بالغات .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

اللغة :

(محرراً) معتقا خالصاً لخدمة بيت المقدس . روي أن حنة ــ وهو اسمها ــ كانت عاقراً لم تلد إلى أنعجزت ، فبينما هي في ظل شجرة وريف بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد وتمنته ، فقالت : اللهم إن لك علي نذراً إن رزقتني ولداً لأتصدقن به على بيت المقدس فيكون من سدنته . فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل بمريم .

الإعراب :

(إذ قالت امرأة عمران) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكر محذوفاً وتكون الجملة مستأنفا مسوقة لتقرير اصطفاء آل عمران ، وجملة قالت امرأة عمران في محل جر بإضافة الظرف إليها وعلقه بعضهم بقوله :

ســميع عليم وليس ثمة ما يمنع ذلك (رب إني نذرت لك ما في بطني محرّراً) رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة بدليل الكسرة عليها ، وإن واسمها ، وجملة نذرت خبرها وجملة إني نذرت مقول القول ولك متعلقان بنذرت وما اسم موصول مفعول به وفي بطني متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ومحرراً حال من « ما » (فتقبل مني) الفاء استئنافية وتقبل فعل أمر وفاعله أنت ومني متعلقان بتقبل (إنك أنت السميع العليم) إن واسمها ، وأنت مبتدأ أو ضمير فصل لا محل له والسميع العليم خبران لأنت والجملة الاسمية خبر لإن ، أو خبران لان وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينيه أو حرف للربط ووضعتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة قالت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وإن واسمها ، وجملة وضعتها خبر إن وأنثى حال مؤكدة أو مبنية وسيأتي الفرق بينهما وجملة النداء مقول القول (والله أعلم بما وضعت) الواو اعتراضية والله مبتدأ وأعلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة وضعت لا محل لها لأنها صلة ما (وليس الذكر كالأنثى) الواو عاطفة وليس فعل ماض ناقص والذكر اسمها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، أو الكاف اسمية وهي الخبر والأنثى مضاف إليه (وإني سميتها مريم) الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة « اني وضعتها » ، وإن واسمها ، وجملة ســميتها خبرها ، والهاء مفعول سميت الأول ومريم مفعوله الثاني (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)الواو عاطفة أيضاً والجملةمعطوفة على جملة « إني سميتها » وإن واسمها ، وجملة أعيذها خبر إن والهاء مفعول به وبك متعلقان بأعيذها وذريتها عطف على الهاء أو مفعول معه ومن الشيطان متعلقان بأعيذها والرجيم صفة للشيطان .

البلاغــة :

١ ــ فائدة الخبر في قوله : « إني وضعتها » للتحسر ، وليس مرادها الإخبار بمفهومه ؛ لأن الله عالم بما وضعت بل المراد إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق وعدها والوفاء بما التزمت به والاعتذار حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نذرته .

٢ ــ تكررت إن أربع مرات ، وفي الثلاث الأولى كان خبرها فعلاً ماضياً ، وفي المرة الرابعة عدلت عن الماضي إلى المضارع ، فقالت : أعيذها ، لنكتة بلاغية ، وهي ديمومة الاستعاذة وتجددها دون انقطاع بخلاف الأخبار السابقة فإنها انقطعت .

٣ ــ المراد بالخبر في قوله تعالى حكاية عن نفسه : « والله أعلم بما وضعت » لازم الفائدة ، والقصد منه إفادتها دون التصريح بما سيكون من شأن المولود الذي لم تأبه له بادىء الأمر ، وهي جاهلة مآل أمر هذه المولودة التي ستلد رسول الرأفة والسلام .

٤ ــ المراد بالخبر في قوله : « وليس الذكر كالأنثى » نفي الاعتقاد السائد بين الناس بوجود تفاوت بين الأولاد ، وإن هذا التفاوت الذي يبدو للوهلة الأولى ، إنما هو أمر ظاهري لا يثبت عند الابتلاء والتجربة ، فإن الغيب أعمق غوراً من أن يسبروه ، وأبعد منالاً من أن يدركوه ، وكم من النساء من فاقت الرجال وأربت عليهم في الدرجات وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذا المعنى البديع بقوله :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النســاء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التــذكير فخر للهــلال

٥ ــ الإطناب في قوله تعالى : « وإني سميتها مريم » والغرض من التصريح بالتسمية التقرب إلى الله والازدلاف إليه بخدمة بيت المقدس

أولاً ، ورجاء عصمتها ثانياً ، فإن مريم في لغتهم العابدة ، واظهاراً لعزمها على الوفاء بوعدها ثالثاً أي : إنها وإن لم تكن خليقة بالسدانة فأرجو أن تكون من العابدات المطيعات . وقد أهمل صاحب المنجد الإشارة إلى ذلك في كتابة « المنجد » .

الفوائــد :

تنقسم الحال إلى مبينة أو مؤسسة ، وهي التي لا يستفاد معناها من دون ذكرها ، كجاء عليٌّ راكباً إذ لا يستفاد معنى الركوب إلا بذكر راكباً . ومؤكدة وهي التي يستفاد معناها من دون ذكرها ، وهي إما مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى نحو « وأرسلناك للناس رسولاً » و « فتبسم ضاحكاً » وإما مؤكدة لصاحبها نحو «لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» فجميعاً حال من فاعل آمن ، وهو « من » الموصولة ، مؤكدة لهـا ، وإما مؤكدة لمضمون جملة قبلها معقودة من اسمين معرفتين جامدين نحو : « هو الحق بيناً » ، وقول الشاعر :

أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي   وهل بدارة ياللناس من عـار

فإن جعلت « أنثى » حالاً من الضمير كانت مؤكدة ، وإن جعلتها حالاً من « النسمة والنفس » المفهومة من سياق الكلام كانت مبينة .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

اللغــة :

(كفلها) بتشديد الفاء أي ضمنه إياها وضمها إليه وجعلها كافلاً لها وضامناً لمصالحها • ويؤيد هذا المعنى قراءة « وأكفلها » بوصفه زوج خالتها وذلك عن طريق الاقتراع •

(المحراب) والمحرب آلة الحرب ، وهذا هو القياس الصّرفي • ولكن المحراب له معان مستقلة ليست داخلة في القياس الاشتقاقي ، فمن معانيه صدر البيت وأكرم مواضعه ، وصدر المجلس ، ومأوى الأسد ، ومحراب المسجد • ويرى علماء اللغة أن محراب المسجد سمي بذلك لأن المتعبد فيه يحارب الشيطان ، ولذلك يقال : لكل محل من محال العبادة محراب ، والباحث يحار ويدهش في أمر هذه اللغة الشريفة كيف تطورت ؟ ما هي تفاعلات الزمن التي أسهمت في هذا التطور ؟ إن المتتبع لموادها اللغوية يعجب كيف تهيأ لها هذا التطور الحركي الذي يحتاج إلى ما لا يحصى من الزمن ، فالحاء والراء حرفان يدلان في الأصل على الحر والحرق ، ولو تتبعنا جميع الجذور الأخرى لرأينا أنّ كل كلمة تبتدىء بهما تدل على معنى يكاد يكون منتزعاً من هذا المعنى ، أو متفرعاً عنه • فلنستعرض الآن مادة الحرب ، إنها احتراق بكل معنى لاهب ، والحَرَب بفتحتين الهلاك ، وهو مقتفيات الحرق ومستلزماته ، قال أبو تمام :

لما رأى الحرب رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحَرَب

وحرث الأرض : شقها بالسكة ، وهذا يمت إلى المعنى الأصلي ، بأوثق الأسباب ، والحرج الضيق ، وحرد الرجل بكسر الراء : غضب ،

فهو حارد وحردان ، وهي عاميه فصيحة • وهكذا إلى آخر المادة حيث تنتهي إلى هذا التقرير العجيب •

الإعـراب :

(فتقبلها ربها بقبول حسن) الفاء عاطفة وتقبل فعل ماض والهاء مفعول به وربها فاعل والجار والمجرور متعلقان بتقبلها وحسن صفة (وأنبتها نباتاً حسناً) الواو عاطفة وأنبتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به ونباتاً مفعول مطلق وحسناً صفة (وكفّلها زكريا) الواو عاطفة وكفل فعل ماض والهاء مفعول به أول وزكريا مفعول به ثان ، أي جعل زكريا كافلاً لها وضامناً لمصالحها وفي قراءة تخفيف الفاء يكون زكريا هو الفاعل • وقد نسجت أساطير حول هذه الكفالة ، يرجع فيها إلى المطولات (كلما دخل عليها زكريا المحراب) كلما ظرف زمان تقدم إعرابه مراراً وهو متعلق بوجد لأنه جواب الشرط • وجملة دخل عليها في محل جر بإضافة الظرف إليها والمحراب مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض (وجد عندها رزقاً) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعندها ظرف متعلق بوجد ورزقاً مفعول به وجملة الشرط استئنافية (قال يا مريم أنى لك هذا) الجملة مستأنفة ، وهذا أصح ما قيل فيها رغم الاختلاف الشديد الذي لا طائل تحته • وقال فعل ماض والفاعل هو ويا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم مبني على الضم وأنى اسم استفهام بمعنى كيف ، كأنه سؤال عن الكيفية ، أي : كيف تهيأ لك وصول هذا الرزق إليك ؟ قال الكميت :

أنى ومن أين آبـك الطرب   من حيث لا صبوة ولا طرب

وقيل معناه هنا : : من أين • وعلى الحالين هو منصوب على الظرفية

متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وهذا مبتدأ مؤخر (قالت هو من عند الله) الجملة مستأنفة وهو مبتدأ ومن عند الله متعلقان بمحذوف خبر (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) إن واسمها ، وجملة يرزق خبر ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول وبغير حساب جار ومجرور متعلقان بيرزق وجملة إن الله مقول القول أيضاً إذا كان من كلامها أو مستانفة .

البلاغـة :

في هذه الآية فنون نشير إليها بما يلي :

١ ـ الجناس المغاير في قوله « فتقبلها ربها بقبول حسن » وفي قوله « فأنبتها نباتاً حسناً » وفي قوله « رزقاً » و « يرزق » .

٢ ـ الإشارة ، وهو التعبير باللفظ الظاهر عن المعنى الخفي في قوله « هو من عند الله » أي هو رزق لا يأتي به في ذلك الوقت إلا الله .

٣ ـ التنكير في قوله : « رزقاً » لإفادة الشيوع والكثرة ، وأنه ليس من جنس واحد بل من أجناس كثيرة .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

(العاقر) من لا يولد له ، رجلاً كان أو امرأة . مشتق من العقر وهو القطع ، لقطعة النسل .

(الحصور) بفتح الحاء فعول محول عن فاعل للمبالغة ، وهو الذي لا يأتي النساء ، وهو قادر على ذلك والممنوع منهن أو من لا يشتهيهنّ ولا يقربهن . ثم استعمل لكل من لا يشارك في لعب ولهو ومجانة ، قال الأخطل :

وشارب مربح بالكأس نادمني   لا بالحصور ولا فيها بسآر

(العشي) من حين تزول الشمس إلى أن تغيب ، وهو اسم مفرد لا جمع كما توهم الجلال وأبو حيان .

(الإبكار) بكسر الهمزة مصدر لأبكر بمعنى بكر ثم استعمل اسماً ، وهو طلوع الشمس إلى وقت الضحى .

الإعراب :

(هنالك دعا زكريا ربه) هنالك اسم إشارة للمكان في محل نصب على الظرفية المكانية وقد يتجوز به للزمان واللام للبعد والكاف للخطاب والظرف متعلق بدعا وزكريا فاعل دعا وربه مفعوله ، والجملة مستأنفة مسوقة للإشارة إلى تحول زكريا عن اعتقاده بشأن الولادة والعقم ؛

أي : لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير أوانه قادر على الإتيان بالولد في حال الكبر (قال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) جملة مستأنفة مسوقة لتحقيق ما خطر له من سوانح بعد التحول الفكري الطارىء عليه ، وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على زكريا ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وهب فعل أمر ولي متعلقان بهب ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وذرية مفعول به وطيبة صفة ، وأنثت الصفة لتأنيث الموصوف لأنه لم يقصد به معين ، أما إذا قصد به ذلك امتنع اعتبار اللفظ ، نحو طلحة وحمزة وجملة النداء في محل نصب مقول القول (إنك سميع الدعاء) إن واسمها وخبرها والجملة تعليلية لا محل لها (فنادته الملائكة) الفاء عاطفة ونادته الملائكة فعل ومفعول به وفاعل (وهو قائم يصلي في المحراب) الواو حالية وهو مبتدأ وقائم خبره والجملة نصب على الحال من مفعول النداء وجملة يصلي في المحراب لك أن تجعلها خبراً ثانياً لهو أو تنصبها على الحال من القيام وفي المحراب متعلقان بيصلي (أن الله يبشرك بيحيى) أن وما في خبرها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بنادته وقرىء بكسر همزة « إن » بتقدير قول محذوف ، فالجملة مقول القول وجملة القول حال ، أي : حال كون الملائكة قائلين ، وجملة يبشرك خبرها والجار والمجرور متعلقان بيبشرك ويحيى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة إن كان أعجمياً ، وإن كان عربياً فللعلمية ووزن الفعل (مصدقاً بكلمة من الله) مصدقاً حال وبكلمة متعلقان بمصدقاً والمراد بالكلمة عيسى بن مريم وإنما سمي كلمة لأن الله تعالى قال له : كن فكان من غير أب ، وهناك أقوال أخرى يرجع

فيها إلى المطولات (وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) الكلمات الثلاث عطف على « مصدقاً » ومن الصالحين صفة لنبياً (قال : رب أنى يكون لي غلام) قال فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على زكريا ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وأنّى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية والظرف متعلق بمحذوف خبر يكون إذا اعتبرت ناقصة أو حال إذا اعتبرت تامة ،ولي متعلقان بمحذوف حال،وغلام اسم يكون أوفاعلها وجملة قال استئنافية وجملة النداء مقول القول (وقد بلغني الكبر) الواو حالية وقد حرف تحقيق وبلغني فعل ماض والنون للوقاية والياء مفعول به والكبر فاعل والجملة في محل نصب حال (وامرأتي عاقر) الواو حالية أيضاً وامرأتي مبتدأ وعاقر خبر والجملة حالية من الياء في « لي » فتكون حالاً متعددة ، ولك أن تجعلها حالاً من الياء في « بلغني » (قال : كذلك الله يفعل ما يشاء) اضطرب كلام المعربين والمفسرين في هذه الآية ، وأقرب ما تراءى لنا وجهان متساويا الرجحان ، أولهما أن الجملة كلها مستأنفة ، والقائل هو الله تعالى ، و « كذلك » جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب مفعول مطلق ، أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل ، وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ، أو على أنهما في موضع الحال من ضمير المصدر المحذوف من « يفعل » وذلك على مذهب سيبويه في هذه المسألة ، وقد تقدم بحثها . والله مبتدأ وجملة يفعل خبر وما اسم موصول في محل نصب مفعول به والجملة مقول القول . والوجه الثاني أن يتعلق كذلك بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : الأمر كذلك ، وجملة يفعل ما يشاء في محل رفع خبر الله وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة (قال رب اجعل لي آية) قال : فعل ماض والفاعل زكريا ورب

منادى تقدم إعرابه ، واجعل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، ولي متعلقان باجعل وآية مفعول به وجملة النداء وما تلاه مقول القول وجملة القول مستأنفة (قال : آيتك أن لا تكلم الناس) الجملة مستأنفة وآيتك مبتدأ وأن وما في حيزها في تأويل مصدر خبر وتكلم فعل مضارع منصوب بأن والناس مفعول به والجملة مقول القول (ثلاثة أيام إلا رمزاً) ثلاثة أيام : ظرف زمان متعلق بتكلم وإلا أداة استثناء منقطع واجب النصب لأن الرمز ليس من جنس الكلام ، ولك أن تعتبره من جنس الكلام فتكون « رمزاً » استثناء من أعم الأحوال أو من أعم المصادر ، أي حالاً أو مفعولاً مطلقاً ، وهذه الأوجه متساوية الرجحان في هذا التركيب العجيب (واذكر ربك كثيراً) الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وربك مفعول به وكثيراً مفعول مطلق أو ظرف زمان ، أي ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيراً (وسبح بالعشي والإبكار) الواو عاطفة وسبح عطف على اذكر وبالعشي جار ومجرور متعلقان بسبح والإبكار عطف عليه .

البلاغـة :

في قوله « رمزاً » فن الإشارة ، وقد تقدم بحثه قريباً ، لأنه دل على ما في نفس البشر من خلجات ومعان . وقـد تشبث الشعراء بأذيال هـذه البلاغة ، قـال أبو تمام :

توحي بأسـرارنا حواجبنا وأعـين بالوصال ترتشـق

وقـال أيضـاً :

كلمته بجفون غـير ناطقة فكان من ردّه ما قـال حاجبه

وقـال آخـر :

إذا كلمتني بالعيون الفواتر ردت عليها بالدموع البوارد

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

اللغـة :

(اصطفاك) : اختارك .

(اقنتي) : أخلصي العبادة وأديمي الطاعة .

الإعـراب :

(وإذ قالت الملائكة) الواو عاطفة والجملة معطوفة ، فقد عطف قصة البنت على قصة أمها لما بينهما من كمال المناسبة . ولك أن تعطف « إذ » على الظرف السابق وأن تعلقه باذكر محذوفاً ، وقالت الملائكة : فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (يا مريم إن الله اصطفاك) يا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم وإن واسمها ، وجملة اصطفاك خبر إن والجملة كلها مقول القول (وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) الفعلان معطوفان على اصطفاك وعلى نساء متعلقان باصطفاك والعالمين مضاف إليه (يا مريم اقنتي لربك) يا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم واقنتي فعل أمر مبني على حذف النون والياء

فاعل والجار والمجرور متعلقان باقنتي (واسجدي واركعي مع الراكعين) فعلا الأمر منسوقان على اقنتي ومع ظرف مكان متعلق باركعي والراكعين مضاف إليه .

البلاغــة :

١ ــ في هاتين الآيتين التقديم ، فقد قدم السجود وهو متأخر في حكم الصلاة للاهتمام به ، ولكونه أدل على التذلل والعبادة . وهذا ديدنهم تقديم الأهم على المهم .

٢ ــ وفيهما أيضاً التكرير ، فقد كرر النداء للإيذان بأن كل واحد منهما مسوق لمعنى ، فالأول تذكير بالنعمة ، وهو بمثابة تمهيد للثاني الذي هو للتكليف والترغيب في العمل .

٣ ــ وفيهما أيضاً إطلاق الجزء وادارة الكل ، وقدم السجود لأنه أفضل أركان الصلاة كما تقدم .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

اللغــة :

(أقلامهم) الأقلام : جمـع قلم وهو فـعَـل بمعنى مفعول ، أي

مقلوم • والقلم : القطع ومثله القبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض •

(المسيح) : لقب من الألقاب الشريفة التي تشعر بالرفعة كالصديق والفاروق وهو بالعبرية المشيح ومعناه المبارك وسمي المسيح قيل : لكثرة سياحته ، وقيل : لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما ، وقيل : لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برىء •

(عيسى) : معرب من ايشوع ، وقيل : مشتق من العيس ، وهو بياض تعلوه حمرة •

الإعراب :

(ذلك من أنباء الغيب) ذلك اسم إشارة مبتدأ ومن أنباء الغيب خبره والجملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن ذلك كله من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام (نوحيه إليك) فعل مضارع وفاعله نحن والهاء مفعول به والجار والمجرور متعلقان بنوحيه والجملة حالية أو استئنافية أيضاً (وما كنت لديهم) الواو حالية أو استئنافية وما نافية وكان واسمها ، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت أي : موجوداً لديهم (إذ يلقون أقلامهم) إذ ظرف لما مضى ودخوله على المضارع لحكاية الحال الماضية ، وهو متعلق بما تعلق به « لديهم » أي بالاستقرار المحذوف •

وقد قال أبو علي الفارسي : العامل في « إذ » هو « كنت » • وقد اعترض عليه بما قرره هو نفسه إذ قال : إن « كان » الناقصة سلبت الدلالة على الحدث وتجردت للزمان فلا يتعلق بها الظرف ولا الجار والمجرور • وجملة يلقون في محل جر بالإضافة وأقلامهم : مفعول

به (أيهم يكفل مريم) الجملة في محل نصب حال بتقدير فعل ، أي يتساءلون ، ويبعد جعلها فاعلاً لفعل محذوف ، لما في ذلك من التكلف ، كما فعل الجلال وأي مبتدأ والهاء مضاف إليه والميم علامة جمع الذكور وجملة يكفل مريم خبر المبتدأ . (وما كنت لديهم إذ يختصمون) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها ، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت وإذ ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار المحذوف وجملة يختصمون في محل جر بالإضافة (إذ قالت الملائكة) الظرف متعلق بمحذوف ، أي : اذكر ، وقالت الملائكة فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة وجملة الظرف ومتعلقة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة عيسى عليه السلام (يا مريم) يا أداة نداء ومريم منادى مفرد علم (إن الله يبشرك) الجملة مقول القول وإن واسمها وجملة يبشرك خبرها (بكلمة) متعلقان بيبشرك (منه) صفة لكلمة (اسمه المسيح عيسى بن مريم) اسمه مبتدأ والمسيح خبر والجملة صفة ثانية لكلمة وعيسى بدل من المسيح وابن مريم بدل أو نعت . وذكرت مريم مع أنها هي المخاطبة للإيذان باختصاص عيسى عليه السلام بأنه ولد من غير أب كما جرت العادة (وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين) وجيهاً حال من كلمة وان كانت نكرة لأنها موصوفة والجار والمجرور متعلقان بوجيهاً فهما في موضع نصب على الحال (ويكلم الناس في المهد) الواو عاطفة ويكلم فعل مضارع والفاعل هو والجملة معطوفة على « وجيهاً » فهي حال أيضاً وعدل إلى الفعلية للتجدد والناس مفعول به وفي المهد متعلقان بمحذوف حال من فاعل « يكلم » (وكهلاً ومن الصالحين) عطف على قوله « في المهد » أي : صبياً وكهلاً ، ومن الصالحين عطف على وجيهاً فاستتم بذلك الأوصاف الأربعة لـ « كلمة » .

البلاغـة :

الكناية في قوله : « يلقون أقلامهم » عن القرعة •

الفوائـد :

(إذ) تكون على ثلاثة أوجه :

٢ ـ تكون للتعليل وهذه حرف بمنزلة لام التعليل ، كقول الفرزدق :
بعدها فعل مضارع فهي لحكاية الحال الماضية •

٢ ـ تكون للتعليل وهذه حرف بمنزلة لام التعليل،كقول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم   إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

فالظرفية هنا منسلخة ولاتصح بحال ، لأن المعنى يفسد ، أي أعاد الله نعمتهم وقت كونهم قريشاً ، فيفيد أن كونهم من قريش أمر طارىء عليهم •

٣ ـ أن تكون للمفاجأة ، وهي الواقعة بعد «بينا»و«بينما»كقوله :

استقدر الله خيراً وارضين به   فبينما العسر إذ دارت مياسير

والأولى عندئذ أن تكون حرفاً •

(أي) تأتي على خمسة أوجه :

١ ـ اسم شرط جازم وتعرب بحسب موقعها •

٢ ـ اسم موصول وتعرب بحسب موقعها إلا إذا أضيفت وحذف صدر صلتها فتبنى على الضم : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » •

٣ ــ اسم استفهام كما في الآية المتقدمة ، وحكمها حكم الموصولية .

٤ ــ أن تقع صفة للنكرة أو حالاً بعد المعرفة للدلالة على معنى التمام والكمال ، كقول أبي العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أيّ مفسدة

٥ ــ تكون وصلة لنداء ما فيه أل : يا أيها الناس .

(العلم) ينقسم العلم إلى اسم وكنية ولقب، وإذا اجتمع الاسم واللقب يؤخر اللقب عن الاسم، وربما قدم عليه كما في الآية. ويطرد هذا إذا كان اللقب أشهر من الاسم ولا ترتيب في الكنية ، ويعرب الثاني بدلاً من الأول ، ويجوز أن تضيف اللقب إلى الاسم إذا كانا مفردين كهرون الرشيد ومحمد المهدي ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾

اللغـة :

(الأكمه) : الذي ولد أعمى يقال : كمه كمهاً ، من باب تعب ، فهو أكمه والمرأة كمهاء ، مثل أحمر وحمراء وهو العمى يولد عـليه الإنسان وربما كان عارضاً .

(الأبرص) : المصاب بالبرص بفتحتين وهو داء معروف يعتري الإنسان ، ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ، فكانوا يصفون العظيم إذا أصيب به بالوضّاح فقالوا : جذيمة الوضـاح وهو من ملوك العرب المشهورين ويقال للقمر أبرص لشدة بياضـه وللوزَغ سام أبرص لبياضه .

الإعـراب :

(قالت : رب أنى يكون لي ولد) تقدم إعرابها قبل قليل بحروفها فجدد بها عهداً (ولم يمسسني بشر)الواو للحا ل ولم حرف نفي وقلب وجزم ويمسسني فعل مضارع مجزوم بلم والنون للوقايـة واليـاء مفعول به وبشر فاعل والجملة حالية (قال كذلكِ الله يخلق مايشاء) الجملة مستأنفة لا محل لها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق لفعل محذوف ، أو حال وعلقهما بعضهم بمحذوف خبر لمبتـدأ محذوف والله مبتدأ وجملة يخلق خبر ومـا اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول وجمـلة الله يخلق مقول القول (إذا قضى أمراً) إذا ظرف مستقبل وجملة قضى في محل جر بالإضافة وأمراً مفعول به (فإنما يقول له كن فيكون) الفاء رابطة لجواب إذا وجملة إنما يقول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جـازم وله متعلقان بيقول وكن فعل أمر تام والجملة مقول القول والفـاء

استئنافية ويكون فعل مضارع تام مرفوع بالضمة والفاعل هو والجملة خبر لمبتدأمحذوف أي فهو يكون والجملة مستأنفة ، وهذا قول سيبويه وهو الصحيح وقرأ ابن عامر بالنصب « فيكونَ » على أن الفاء للسببية ، ويشكل على هذه القراءة أن الاستقبال مسلوب عنه عندئذ بها . (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل)الواو استئنافية ولك أن تعطفها على « وجيهاً » كأنه قال : وجيهاً ومعلما ، وقرىء ونعلمه فتكون الجملة مقولاً لقول محذوف لأنه يكون من كلام الله ويعلمه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول والكتاب مفعول به ثان وما بعده منسوق عليه (ورسولاً إلى بني إسرائيل) الواو عاطفة ورسولاً مفعول به لفعل محذوف أي ويجعله رسولاً أي من باب الإخبار بالمغيبات ، وأجاز الزمخشري وغيره أن يعرب رسولاً حالاً كأنه عطفه على يعلمه بالمعنى وإلى بني إسرائيل متعلقاً بمحذوف صفة لـ « رسولاً » (أني قد جئتكم بآية من ربكم) أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي بأني قد جئتكم ، وقد سبق القول بأن هذا مطرد قبل أنّ وأنْ ، والجار والمجرور متعلقان بـ « رسولاً » لأنه تضمن معنى النطق ، أي ورسولاً ناطقاً بأني قد جئتكم . وقد كثرت التأويلات في هذه التعابير ، ولذلك جعلها الزمخشري من المضائق المعجزة . وقيل الباء للملابسة وهي مع مدخولها في محل نصب على الحال ، والمعنى أني رسول الله اليكم حال كوني متلبساً بمجيئي بالآيات وجملة قد جئتكم خبر أن وبآية متعلقان بجئتكم ومن ربكم متعلقان بمحذوف صفة لآية (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) أن وما في حيزها في تأويل مصدر بدل من آية لأن ما يفعله لا يعدو أن يكون من دلائل آياته الباهرة ، ولك أن تجعله

خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هي والمعنى واحد وفي قراءة بكسر همزة إن فتكون إن وما بعدها مستأنفة وجملة أخلق خبر إن ولكم متعلقان بمحذوف في محل نصب على معنى التعليل أي لأجل هدايتكم ، أو معنى الحال أي هادياً لكم ، ومن الطين متعلقان بأخلق وكهيئة الكاف اسم بمعنى مثل فهي في محل نصب مفعول به أو حرف فتكون وما بعدها فيمحل نصب صفة لمفعول به محذوف أي شيئاً مثل هيئة الطير وهيئة مضاف إليه إن كانت اسماً والطير مضاف مضاف الى هيئة (فأنفخ فيه) الفاء عاطفة ، أنفخ معطوف على أخلق ، والجار والمجرور متعلقان بأنفخ (فيكون طيراً بإذن الله) الفاء عاطفة ويكون فعل مضارع ناقص معطوف على أخلق وطيراً خبر يكون واسمها مستتر وبإذن الله متعلقان بيكون على رأي من يجيز تعلق الجار والمجرور والظرف بالأفعال الناقصة أو بمحذوف حال ، والأول أقرب الى المعنى (وأبرىء الأكمه والأبرص) عطف على أخلق والأكمه مفعول به (وأحيي الموتى بإذن الله) عطف على ماتقدم أيضاً وبإذن الله متعلقان بأحيي (وأنبئكم بما تأكلون) عطف أيضاً والجار والمجرور متعلقان بأنبئكم ناب عن المفعولين وجملة تأكلون لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما تدخرون في بيوتكم) الواو عاطفة وما عطف على « ما » المتقدمة وجملة تدخرون لا محل لها وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقان بتدخرون (إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، واللام هي المزحلقة وآية اسمها المؤخر ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية وجملة إن وما في حيزها إما أن تكون من كلام عيسى عليه السلام فتكون داخلة في حيز القول، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى فتكون مستأنفة، وإن شرطية وكنتم في محل جزم فعل الشرط وكان فعل ماض ناقص

والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف والتقدير إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآية وجملة الشرط استئنافية (ومصدقاً لما بين يدي من التوراة) الواو عاطفة ومصدقاً حال من فعل محذوف أي وجئتكم مصدقاً ، أو تعطفه على محل « بآية » ولما اللام حرف جر وما اسم موصول مجرور باللام والجار والمجرور متعلقان « بمصدقاً » وبين ظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ويديّ مضاف إليه وعلامة جره الياء لأنه مثنى والياء مضاف إليه ومن التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولأحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم) الواو حرف عطف واللام للتعليل وأحلّ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل واللام ومدخولها متعلقان بجئتكم مقدرة ، ولا يجوز عطفه على « مصدقاً » لأنه حال ولأحل تعليل ، ولكم جار ومجرور متعلقان بأحل وبعض مفعول به والذي اسم موصول مضاف إليه ، وجملة حرم عليكم لا محلّ لها لأنها صلة الموصول (وجئتكم بآية من ربكم) الواو حرف عطف وجملة جئتكم عطف على جئتكم السابقة وتكررت للتوكيد وبآية جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال فالباء للملابسة ، والمعنى أني رسول إليكم حال كوني ملتبساً بمجيئي . ولك أن تعلقها بجئتكم ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء الفصيحة ، أي إذا علمتم أنه لا يسوغ لكم بعد هذه الآلاء الباهرة التي مننت بها عليكم أن تأخذكم هوادة في طاعة الله فاتقوا الله . واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأطيعون عطف على اتقوا وحذفت ياء المتكلم لمراعاة الفواصل .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّآ

أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)﴾

اللغـة :

(الحواريون) : جمع حواري ، وهو صفوة الرجل وخالصته ، ومنه قيل للحضريات : حواريات ، لخلوص ألوانهن وفتنتهن ونعومتهن قال :

فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وتكاد هذه النسبة تكون مطّردة كالحوالي وهو الكثير الحيلة . وزعم صاحب المنجد أنّ اللفظة حبشية ولكننا نرجح أنها عربية خالصة . ففي أساس البلاغة : وامرأة حوارية ونساء حواريات : بيض قال الأخطل:

حواريـة لا يدخل الذمّ بيتها مطهرة يأوي إليهـا مطهر

وقد نسجت أساطير جميلة حول الحواريين تحتاج إلى قصاص بارع يصوغ منها أروع القصص .

(المكر) في اللغة : الستر ، يقال : مكر الليل أي أظلم وستر بظلمته ما فيه ، واشتقاقه من المكر ، وهو شجر ملتفّ ، كأنهم تخيلوا أن المكر يلف الممكور به . وامرأة ممكورة البطن : أي ملتفة ثـم خصصوه بالخبث والخداع .

الإعـراب :

(إن الله ربي وربكم فاعبدوه) كلام مستأنف مسوق لتقدير أصل

الديانة المترتبة على الإيمان بما أورده ، وإن واسمها ، وربي خبرها وربكم عطف على ربي • فاعبدوه : الفاء الفصيحة أي إذا شئتم حسن المصير فاعبدوه ، واعبدوه فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به وجملة اعبدوه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (هذا صراط مستقيم) يصح أن تكون الجملة مستأنفة أو مفسرة ، وعلى الحالين لا محل لها • وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة لصراط (فلما أحس عيسى منهم الكفر) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فكذبوه ،لأنه قول مرتب على هذا المحذوف • ويجوز أن تعرب استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة وقد تقدم ذكرها كثيراً ، وجملة أحس عيسى في محل جر بإضافة الظرف إليه أو لا محل لها إذا أعربناها رابطة • وأحس فعل ماض وعيسى فاعل ومنهم جار ومجرور متعلقان بأحس والكفر مفعول به ويجوز أن يتعلقا بمحذوف حال من الكفر أي حال كونه صادراً منهم (قال من أنصاري إلى الله) جملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وهو لما ومن اسم استفهام مبتدأ وأنصاري خبره وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الياء في أنصاري ، والمعنى من أنصاري حال كوني ماضياً إلى سبيل الله شارعاً في المناضلة عنه ونصرته ؟ وللزمخشري رأي طريف في هذا الجار والمجرور إذ جعلهما من صلة أنصاري مضمناً معنى الإضافة ، كأنه قال : من الذين يضيفون أنفسهم إليّ ينصرونني كما ينصرني ؟ (قال الحواريون : نحن أنصار الله) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الجواب على استفهامه • وقال الحواريون فعل وفاعل وجملة نحن أنصار الله من المبتدأ والخبر مقول القول (آمنا بالله) آمنا فعل وفاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا والجملة خبر ثان لنحن (واشهد بأنّا مسلمون) الواو استئنافية واشهد

فعل أمر وبأنا الباء حرف جر وأن واسمها ، ومسلمون خبرها . وأن وما في حيزها مصدر في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان باشهد ، وهذا أحسن من جعلها عاطفة لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر ، وهو مرجوح ، وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم (ربنا آمنا بما أنزلت) ربنا منادى مضاف وجملة آمنا خبر ثالث لنحن وبما جار ومجرور متعلقان بآمنا وجملة أنزلت لا محل لها لأنها صلة الموصول (واتبعنا الرسول) عطف على جملة آمنا والرسول مفعول به (فاكتبنا مع الشاهدين) الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر كما تقدم فاكتبنا ، ولك أن تجعلها استئنافية ومع ظرف مكان متعلق باكتبنا والشاهدين مضاف إليه (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) الواو استئنافية ومكروا فعل وفاعل ومكر الله عطف على مكروا والله الواو حالية والله مبتدأ وخير الماكرين خبره والجملة في محل نصب على الحال .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التمثيلية في أحس ، إذ لا يحس إلا ما كان متجسداً، والكفر ليس بمحسوس ، وإنما يعلم ويدرك كعلم ما يدرك بالحواس .

٢ ـ فن المشاكلة وقد مرت الإشارة إلى هذا الفن ، وحقيقة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، فكأنه قال : وأخذهم بمكرهم ، لأن الله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة توهم الشناعة . وهو كثير شائع في القرآن ، فاعلمه . ومنه في الشعر قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي فنجازيه على جهله ، فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه للمشاكلة . ومن طريف المشاكلة قول أبي تمام الطائي :

والدهر ألأم مـن شرقت بلؤمه   إلا إذا أشرقته بـكريم

أي انتصرت عليه بكريم فقال : أشرقته ، للمشاكلة .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

الاعـراب :

(إذ قال الله يا عيسى) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكر مقدراً أو متعلق بمكروا أو ظرف لخير الماكرين . وجملة قال الله في محل جر بالإضافة ويا حرف نداء وعيسى منادى مفرد علم مبني على الضم المقدر على الألف (إني متوفيك ورافعك الي) إن واسمها ومتوفيك خبرها والـكاف مضاف اليه ورافعك عطف على متوفيك والي جار ومجرور متعلقان برافعك لأنه إسم فاعل (ومطهرك من الذين كفروا) ومطهرك عطف على ما تقدم ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمطهرك وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (وجاعل الذيـن اتبعوك فوق الذين كفروا) وجاعل عطف أيضاً والذين اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة اتبعوك صلة الموصول لا محل لها وفوق

ظرف مكان متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجاعل والذين مضاف إليه وجملة كفروا صلة الموصول (إلى يوم القيامة) الجار والمجرور متعلقان بجاعل ، يعني أن هذا الجعل مستمر إلى يوم القيامة (ثم إلي مرجعكم) ثم حرف عطف للتراخي وإلي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر (فأحكم بينكم) الفاء حرف عطف للتعقيب وأحكم فعل مضارع مرفوع وبينكم ظرف مكان متعلق بأحكم (فيما كنتم فيه تختلفون) فيما جار ومجرور متعلقان بأحكم وجملة كنتم صلة الموصول وكان واسمها ، وفيه جار ومجرور متعلقان بتختلفون وجملة تختلفون في محل نصب خبر كنتم ، والجملة كلها في محل نصب مقول ا لقول(فأما الذين كفروا) الفاء استئنافية والجملة مستأنفه مسوقة لتكون تفسيراً للحكم بين الفريقين . وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة) الفاء رابطة لجواب أما وأعذبهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة الفعلية خبر الذين وعذاباً مفعول مطلق وشديداً صفة وفي الدنيا جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية والآخرة عطف على الدنيا (وما لهم من ناصرين) الواو حالية أو استئنافية وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو استئنافية (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عطف على الآية السابقة والصالحات مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (فيوفيهم أجورهم) الفاء رابطة لجواب أما ويوفيهم فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والهاء مفعول به أول وأجورهم مفعول به ثان والجملة خبر الذين (والله لا يحب الظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يحب الظالمين خبر .

البلاغـة :

اختلف المفسـرون في قوله : « إنـي متوفيك ورافعـك إلي » ، قال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر ، والتقدير : إني رافعك إلي ومتوفيك • يعني بعد ذلك • قال علي بن طلحة عن ابن عباس : إني متوفيك أي مميتك • وجمهور المفسرين يقولون : المراد بالوفاة هنا النوم ، كما قال تعالى : « وهو الذي يتوفاكم بالليل » الآية • وقـد اقتبس هذا المعنى بلفظه بعض الشعراء فقال :

تبـارك من توفاكم بليـل ويعلم مـا جرحتم في النهـار

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

الإعـراب :

(ذلك تتلوه عليك من الآيات) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما تقدم من أمر عيسى وذلك مبتـدأ وجملة نتلوه خبر وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ويجوز أن يكون اسم الإشارة مبتدأ وجملة نتلوه في موضع نصب على الحال ومن الآيات جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (والذكر الحكيم) عطف على الآيات والحكيم صفة (إن مثل عيسى عند الله) كلام مستأنف سيق تمهيداً لذكر محاجة وفد نجران الذي قدم على النبي صلى اللـه عليه وسلم يسأله في أمر عيسى عليه السلام • وإن واسمها ، وعيسى مضاف إليه وعند الله ظرف متعلق

بمحذوف حال (كمثل آدم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وآدم مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه لا ينصرف كما تقدم (خلقه من تراب) الجملة مفسرة لشبه عيسى بآدم لا محل لها وخلقه فعل ومفعول به والفاعل هو يعود على الله ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقه (ثم قال له كن فيكون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وقال فعل ماض وله جار ومجرور متعلقان بقال وجملة كن التامة في محل نصب مقول القول وقوله فيكون عطف ، وهي حكاية حال ماضيه (الحق من ربك) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه التغيير هو من ربك فالحق مبتدأ ، ومن ربك خبر ، ويجوز أن يكون الحق خبراً لمبتدأ محذوف أي ما قصصنا عليك هو الحق ، ومن ربك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فلا تكن من الممترين) الفاء الفصيحة أي إذا علمت هذا وقد علمته فلا تكن والجملة جواب الشرط غير جازم لا محل لها ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا واسمها ضمير مستتر تقديره أنت ومن الممترين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر •

البلاغة :

المقصود بالنهي « لا تكن من الممترين » إما زيادة تهييجه صلى الله عليه وسلم على الثبات ، والطمأنينة ، وحاشاه أن يكون ممترياً ، أو أن الخطاب لغيره لطفاً بهم •

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ

فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾

اللغة :

(حاجّك) : خاصمك وجادلك ، وقارعك الحجة . والمحاجّة هي مفاعلة ، ولا تقع إلا من اثنين فصاعداً .

(تعالوا) : تعال فعل أمر على الأصح ولامه مفتوحة دائماً ، وأصله طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلاً بذلك ، وإذناً للمدعوّ لأنه من العلو والرفعة . فإذا أمرت المفرد قلت : تعال ، ثم توسع فيه فاستعمل في مجرد طلب المجيء . وقد لحنوا أبا فراس الحمداني لأنه كسر لامه مع ياء الخطاب بقوله :

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي

وقد يجاب عنه بأنه ضرورة شعرية .

(نبتهل) المباهلة والابتهال في الأصل : الملاعنة . وفعله الثلاثي بهله بهلاً من باب نصر لعنه . واسم الفاعل باهل ، والانثى باهلة ، وبها سميت قبيلة عربية ، ثم تطورت الكلمة وأطلقت على كل دعاء خيراً كان أم شراً ، وإن لم يكن لعاناً . وقد استعمل هذه الكلمة أبو العلاء المعري في رسالة الغفران إذ قال في صدد حديثه عن الخرمية ، وهم فئة من الزنادقة : « فعلى معتقدي هذه المقالة بهلة المبتهلين » والبهلة بضم الباء وفتحها : اللعنة أي لعنة اللاعنين ، وهذا المعنى هو المراد في الآية .

الإعــراب :

(فمن حاجّك فيه) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفــع مبتدا حاجك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وفيه جار ومجرور متعلقان بحاجك والضمير يعود إلى عيسى أو الحق مطلقاً والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم المباهلة وشروطها المستنبطه من الكتاب والسنة . وحاصل كلام الأئمة فيها أنها بعد النبي صلى اللــه عليه وسلم لا تجوز إلاّ في آمر مهم شرعاً ، وقــع فيه اشتباه وعناد ، لا يتاح دفعهما إلا بالمباهلة (من بعد ما جاءك من العلم) الجار والمجرور متعلقان بحاجك أي من ذلك الوقت وما اسم موصول مضاف إليه وجملة جاءك صلة الموصول ومن العلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائناً من العلم (فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) الفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وجملة قل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « ما » وجملة تعالوا في محل نصب مقول القول وندع فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله نحــن وأبناءنا مفعول به وأبناءكم وما تلاه عطف على قوله « أبناءنا » وإنما أضافهم إليه صلى اللــه عليه وسلم والأمر مختص به وبمن يباهله لأن ذلك آكد في الدلالة على الثقة بالنفس والإيمان بانتصار حجته ، وإلا ما كان عرض أفلاذ كبده وأهله للهلاك ؛ ولكن المباهلة لم تتم ورجع الوفد بحجة استشارة قومه من دون الارتطام بها كما هو مبين في كتب التاريخ فارجع إليها . (ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) ثم حرف عطف للتراخي ونبتهل فعل مضارع معطوف على ندع مجزوم والفاء حرف عطف للتعقيب ونجعل عطف على نبتهل والفاعل بينهما نحن

ولعنت الله مفعول به وعلى الكاذبين جار ومجرور متعلقان بنجعل أو في محل نصب على أنهما بمثابة المفعول الثاني (إن هذا لهو القصص الحق) كلام مستأنف مسوق لتقدير ما تقدم ذكره وإن واسمها ، اللام المزحلقة وهو ضمير فصل لا محل له والقصص خبر أو « هو » مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن والحق صفة للقصص (وما من إله إلا الله) الواو استئنافية وما نافية ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مبتدأ ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً أي لنا . وإلا أداة حصر والله بدل من محل إله وهو الرفع . ويجوز أن يكون الله خبر إله والجملة مستأنفة (وإن الله لهو العزيز الحكيم) تقدم إعراب نظيرتها قريباً (فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة وإن شرطية وتولوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة في محل جزم فعل الشرط فإن الفاء رابطة وإن واسمها ، وعليم خبرها وبالمفسدين جار ومجرور متعلقان بعليم والجملة في محل جزم جواب الشرط .

الفوائد :

نص العلماء على كتابة « لعنة » بالتاء المفتوحة هنا وفي سورة النور فقط وما عداها تكتب بالتاء المربوطة على الأصل المعروف .

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الإعـراب :

(قل يا أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق للبحث في الجدل الذي ثار حول إبراهيم عليه السلام عند مقدم وفد نجران ، وقل فعل أمر وفاعله

أنت ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الجملة نصب على أنها مقول القول وتعالوا تقدم إعرابها قبل قليل وإلى كلمة جار ومجرور متعلقان بتعالوا وسواء صفة وبيننا ظرف مكان متعلق بسواء لأنها أجريت مجرى المصادر كما تقدم في أول البقرة وبينكم عطف على بيننا (أن لا نعبد إلا الله) أن وما في حيزها مصدر مؤول بدل من « كلمة » ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي ، وأن مصدرية ولا نافية ونعبد فعل مضارع منصوب بأن وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا أداة حصر والله مفعول به . والكلمة تطلق في اللغة على الجملة المفيدة (ولا نشرك به شيئاً) الواو عاطفة ولا نافية ونشرك عطف على نعبد وبه جار ومجرور متعلقان بنشرك وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم الكلام على هذا الإعراب (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) الواو عاطفة ولا نافية ويتخذ فعل مضارع معطوف على لا نعبد ولا نشرك وبعضنا فاعل وبعضاً مفعوله الأول وأرباباً مفعوله الثاني ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « أرباباً » (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) الفاء استئنافية وما بعدها كلام مستأنف لا محل له مسوق لتقرير جوابهم وإن شرطية وتولوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط أي أعرضوا ، فقولوا الفاء رابطة لجواب الشرط والجملة في محل جزم جواب الشرط واشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مقول القول وبأنا الباء حرف جر وأن حرف مشبه بالفعل ونا اسمها ومسلمون خبرها وأن وما بعدها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان باشهدوا .

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ

إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾

الإعـراب :

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) كلام مستأنف لإتمام قصة الجدل في أمر إبراهيم عليه السلام ، ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ولم : اللام حرف جر وما اسم استفهام حذفت ألفها بعد حرف الجر كما سيأتي في باب الفوائد ، والجار والمجرور متعلقان بتحاجون وتحاجون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وفي إبراهيم جار ومجرور متعلقان بتحاجون ولا بد من حذف مضاف أي في دين إبراهيم لأن المجادلة لا تكون في الذوات (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) الواو حالية وما نافية وأنزلت فعل ماض مبني للمجهول والتوراة نائب فاعل والإنجيل عطف على التوراة وإلا أداة حصر من بعده جار ومجرور متعلقان بأنزلت فهو استثناء مفرّغ (أفلا تعقلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري التعجبي وهي داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بهذا العاطف أي ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان قولكم ؟ (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم) الهاء للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان بطلان قولهم وجملة حاججتم مستأنفة مسوقة لبيان الجملة قبلها والمعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى ، وآية حمقكم أنكم أمعنتم في اللّجاج والمكابرة فيما لا طائل تحته ، وفيما جار ومجرور متعلقان بحاججتم ولكم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعلم فلما تقدم أعرب حالاً وعلم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة ما الموصولة (فلم تحاجون)الفاء عاطفة ولم تحاجون تقدم إعرابها قريباً (فيما ليس لكم به علم) فيما جار ومجرور متعلقان بتحاجون وليس فعل ماض ناقص ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وعلم اسم ليس المؤخر (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وأنتم الواو عاطفة وأنتم ضمير منفصل مبتدأ وجملة لا تعلمون خبر •

الفوائد :

١ ـ أعلم أن الأصل وصل الهاء التنبيهية باسم الإشارة لأن تعريف أسماء الإشارة في أصل الوضع بما يضاف إليها من إشارة المتكلم الحسية من يد أوجارحة أخرى فجيءفي أوائلها بحرف ينبه بهاالمتكلمالمخاطبحتى يلتفت إليه وينظر إلى أي شيء يشير من الإشارة الحاضرة ، ويفصل بـ «أنا» وأخواته كثيراً نحو : ها أنا ذا وها أنتم أولاء وها هو ذا وبغيرها قليلاً ، وليس المراد بقولك : ها أنا أفعل ، أن تعرف المخاطب نفسك وأن تعلمه أنك لست غيرك ، لأن هذا محال ، بل المعنى فيه وفي : ها أنت ذا تقول ، وها هو ذا يفعل ، استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الإشارة من المتكلم أو المخاطب أو الغائب • والجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الأمر المستغرب ، ولا محل لها إذ هي مستأنفة ، وقال أبو عمرو بن العلاء :

« الأصل في ها أنتم : أأنتم ، أبدلت الهمزة الأولى هاء لأنها أختها »•

قال النحاس : وهذا قول حسن . وقال بعضهم : هي حالية ، أي ها أنت قائلاً والحال هنا لازمة لأن الفائدة معقودة بها ، والعامل في الحال حروف التنبيه أو اسم الإشارة . والذي نراه أن ما قررناه أولى ، وأن الاستئناف هو الأرجح ، إذ ليس المراد أنت المشار إليه في حال قولك . وما أعجب هذه اللغة الشريفة .

٢ ـ إذا وصلوا « ما » في الإستفهام حذفوا ألفها لوجوه : الأول للتفرقة بينها وبين أن تكون حرفاً . والثاني : لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبيء عن شدة الاتصال . والثالث : للتخفيف ، لأن « ما » تقع كثيراً في الكلام ، وأبقوا الفتحة لتدل على أن المحذوف من جنسها ، كما فعلوا في علام ؟ وإلام ؟ وحتام ؟ وبم ؟ وعم ؟ وفيم ؟ ومم ؟ قيل : إن بعض العوام سأل أحد النحويين فقال له : بما توصيني ؟ وأثبت الألف في « ما » ، فقال : بتقوى الله واسقاط الألف من « ما » .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

اللغة :

(الحنف) الميل ، والمراد مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم .

الإعراب :

(ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) كلام مستأنف أورده سبحانه تبرئة لإبراهيم مما حاولوا إلصاقه به . وما نافية وكان فعل ماض ناقص

وإبراهيم اسمها ويهودياً خبرها والواو حرف عطف ولا نافية ونصرانياً معطوف على « يهودياً » (ولكن كان حنيفاً مسلماً) الواو عاطفة ولكن مخففة مهملة وكان فعل ماض ناقص واسمها هو وحنيفاً خبرها الأول ومسلماً خبر ثان • (وما كان من المشركين) عطف على ما تقدم ومن المشركين متعلقان بمحذوف خبر كان (إن أولى الناس بإبراهيم) إن واسمها ، والناس مضاف إليه وبإبراهيم جار ومجرور متعلقان بأولى والجملة استئنافية (للذين اتبعوه) اللام المزحلقة والذين خبر إن واتبعوه فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة (وهذا النبي) الواو حرف عطف على الذين والنبي بدل من اسم الإشارة (والذين آمنوا) الواو حرف عطف والذين اسم موصول معطوف على هذا النبي وجملة آمنوا صلة الموصول (والله ولي المؤمنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وولي خبر والمؤمنين مضاف إليه •

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

اللغة :

(تلبسون) بكسر الباء أي تخلطون •

الإعراب :

(ودت طائفة من أهل الكتاب) ودت فعل ماض والتاء للتأنيث وطائفة فاعل ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة

لطائفة والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن اليهود الذين دعوا عدداً من الصحابة منهم حذيفة ومعاذ وعمار إلى دينهم . وسيأتي بحث مهم عن معنى ودت في باب الفوائد (لو يضلونكم) لو مصدرية ويضلونكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به ولو مؤولة مع ما بعدها بمصدر منصوب لأنه مفعول ودت ، والتقدير تمنّت إضلالكم (وما يضلون إلا أنفسهم) الواو حالية وما نافية ويضلون فعل وفاعل وإلا أداة حصر وأنفسهم مفعول به والجملة في محل نصب حال (وما يشعرون) عطف على الجملة السابقة (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام في محل جر باللام وحذفت ألف ما لوقوعها بعد حرف الجر كما تقدم قريباً ، وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجار والمجرور المتقدم عليه متعلق به وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بتكفرون (وأنتم تشهدون) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وتشهدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر وجملة أنتم تشهدون في محل نصب حال (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) جملة مستأنفة ثالثة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم وقد تقدم إعراب نظيرتها (وتكتمون الحق) الواو عاطفة وتكتمون فعل مضارع والواو فاعل والحق مفعول به (وأنتم تعلمون) تقدم إعرابها .

الفوائد :

تستعمل « ود » بمعنى تمنى فتستعمل معها لو أو أن وربما جمع

بينهما فيقال : وددت لو أن فعل « والمصدر » الودادة والاسم منهود"وقد يتداخلان في المصدر والاسم وقال الراغب : إذا كان ود بمعنى أحب لا يجوز إدخال « لو » فيه أبداً ، وقال علي بن عيسى : إذا كان « ود » بمعنى تمنى صلح للماضي وللحال وللمستقبل ، وإذا كان بمعنى المحبة والإرادة لم يصلح إلا للماضي لأن الإرادة كاستدعاء الفعل وإذا كان للحال والمستقبل جاز أن ولو وإذا كان للماضي لم يجز أن لأن أن للمستقبل .

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

اللغــة :

(وجه النهار) أوله وسمي الوجه وجهاً لأنه أول ما يبدو مــن الإنسان لمن يشاهده قال :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهــار

وقــال :

وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سل نظامها

الإعـراب :

(وقالت طائفة من أهل الكتاب) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن نوع آخر من تلبيسات اليهود فقد تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر فقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان ، دون اعتقاد بالجنان ، ثم اكفروا اخر النهار لادخال التشكيك في صدور أصحاب محمد وربما أفضى ذلك إلى رجوعهم عن دينهم . وقالت فعل ماض وطائفة فاعل ومن أهل الكتاب جـار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة (آمنوا بالذي أنزل عـلى الذين آمنوا) الجملة في محل نصب مقول القول وآمنوا فعل أمر مبني عـلى حذف النون وبالذي جار ومجرور متعلقان بآمنوا وجملة أنزل صلة وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وعـلى الذين آمنوا جار ومجرور متعلقان بأنزل وجـملة آمنوا صلة (وجه النهار) ظرف زمان متعلق بآمنوا (واكفروا آخره) الواو حرف عطف واكفروا فعل أمر مبني على حذف النون معطوف عـلى آمنوا وآخره ظرف زمان متعلق باكفروا (لعلهم يرجـعون) جملة الرجاء في محل نصب على الحال أي راجين رجوعهم عن دينهم ولعل واسمها وجملة يرجعون خبرها ثم أردف بتتمة مقولهم فهو داخل في حيزه (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) الواو عاطفة ولا ناهيـة وتؤمنوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وإلا أداة اسـتثناء ولمن اللام حرف جر ومن اسم موصول في محل جر باللام والجـار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من محذوف تقديره ولا تؤمنوا أي تعترفوا وتظهروا بأن يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم لأحد من الناس إلا لأشياعكم دون غيرهم وتبع فعل ماض وفاعله هو والجملة الفعلية

صلة ودينكم مفعول به (قل : إن الهدى هدى الله) الجملة من قول ومقولها وهو ان واسمها وخبرها لا محل لها لأنها اعتراضية (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتؤمنوا وأحد نائب فاعل يؤتى ومثل مفعول به ثان وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة أوتيتم صلة (أو يحاجوكم عند ربكم) أو حرف عطف ويحاجوكم فعل مضارع معطوف على يؤتى وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به وعند ظرف مكان متعلق بمحذوف حال وربكم مضاف إليه (قل إن الفضل بيد الله) قل فعل أمر وفاعله أنت وإن واسمها ، وبيد الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وإن وما في حيزها جملة اسمية في محل نصب مقول القول (يؤتيه من يشاء) جملة يؤتيه في محل نصب حال ويؤتي فعل مضارع وفاعله هو والهاء مفعول يؤتي الأول ومن اسم موصول في محل نصب مفعول يؤتي الثاني وجملة يشاء صلة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليم خبر ثان (يختص برحمته من يشاء)الجملةخبرثالث ويختص فعل مضارع مرفوع وفاعله هو أي الله تعالى وبرحمته جار ومجرور متعلقان بيختص ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة يشاء لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول (والله ذو الفضل العظيم) الواو عاطفة والله مبتدأ وذو الفضل خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة والفضل مضاف إليه والعظيم صفة للفضل .

الفوائد :

كثر الخوض في هذه الآية والاختلاف في إعرابها وتخريجها ، وأوصل

بعض المعربين أوجه الإعراب فيها إلى تسعة دون أن يصلوا إلى وجه حاسم يخلو من الاعتراضات •

ما يقوله الواحدي :

قال الواحديّ وهو من كبار المشتغلين بالمسائل الإعرابية : « وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه إعراباً وتفسيراً ، ولقد تدبّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولاً يطّرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النّظم » •

ما يقوله الشهاب الحلبي :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسّمين : « أعلم أنه قد اختلف الناس والمفسرون والمعربون في هذه الآية على أوجه » وذكر السمين الأوجه التسعة ، ولما كان كتابنا يتوخى الأسهل والأقرب إلى المنطق والأبعد عن التكلف اكتفينا في باب الإعراب بما أوردناه فيه ورأينا أنه الأقرب إلى ما توخيناه وقد اختاره الزمخشري في كشافه ، ولكننا نرى من المفيد أن نثبت ما قاله أبو حيان ، ثم نعقب عليه بما قاله ابن هشام •

ما يقوله ابو حيان :

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط بعد كلام طويل : « يحتمل القول وجوهاً :

١ ــ أن يكون المعنى : ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً وتؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم مخافة أن يؤتى أحد من النبوة والكرامة مثل ما أوتيتم ومخافة أن يحاجوكم بتصديقكم إياهم عند ربهم إذا لم يستمروا

عليه ، وهذا القول علـى هذا المعنى ثمرة الحسد والكفر مع المعرفـة بصحـة نبوة محمد صلى اللهعليه وسلم •

٢ ــ أن يكون التقدير أن لا يؤتى فحذفت لا لدلالة الكلام ، ويكون ذلك منتفياً داخلاً في حيز إلا ، لا مقدراً دخوله قبلها والمعنى : ولا تؤمنوا لأحد بشيء إلا لمن تبـع دينكم بانتفاء أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وانتفاء أن يحاجوكم عند ربكم أي إلا بانتفاء كـذا •

٣ ــ أن يكون التقدير بأن يؤتى متعلقاً بتؤمنوا ، ولا يكون داخلاً في حيز إلا والمعنى : ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم وجاء بمثله وعاضداً له فإن ذلك لا يؤتاه غيركم • ويكون معنى أو يحاجوكم عند ربكم بمعنى إلا أن يحاجوكم ، كما تقول : أنا لا أتركك أو تقضيني حقي • وهذا القول على هذا المعنى ثمرة التكذيب لمحمد صلى اللـه عليه وسلم على اعتقاد منهم أن النبوة لا تكون إلا في بني إسـرائيل •

٤ ــ أن يكون المعنى : لا تؤمنوا بمحمد وتقروا بنبوته إذ قـد علمتم صحتها إلا لليهود الذين هم منكم ، وأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم صفة لحال محمد صلى اللـه عليه وسلم ، فالمعنى تستروا بإقراركم أن قد أوتي أحد مثلما أوتيتم ، أو فإنهم يعنون العرب يحاجونكم بالإقرار عند ربكم » •

ولعمري لقد أبدع أبو حيان ولكنه اكتفى بإيراد المعنى مجرداً عـن الإعراب •

ما يقوله ابن هشام :

وقال ابن هشام في معرض حديثه عن الجمل : « كثيراً ما تشتبه

المعترضة بالحالية ويميزها منها أمور : أحدهـا أنها تكون غير خبرية كالأمرية في « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل : إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم » ، كذا مثل ابن مالك وغيره بناء على أن « أن يؤتى أحد » متعلق بتؤمنوا وأنّ المعنى : ولا تظهر وا تصديقكم بأن أحداً يؤتى من كتب الله مثل ما أوتيتم وبأن ذلك الأحد يحاجونكم عند الله تعالى يوم القيامة بالحق فيغلبونكم إلا لأهل دينكم لأن ذلك لا يغير اعتقادهم بخلاف المسلمين فإن ذلك يزيدهم ثباتاً ، وبخلاف المشركين فإن ذلك يدعوهم إلى الإسـلام . ومعنى الإعتراض حينئذ أن الهدى بيد الله ، فإذا قدره لأحد لم يضره مكرهم . والآية محتملة لغير ذلك ، وهي أن يكون الكلام قد تم عند الاستثناء ، والمراد : لا تظهروا والإيمان الكاذب الذي توقعونه وجه النهار وتنقضونه آخره إلا لمن كان منكم كعبد الله بن سلام ثم أسلم ، وذلك لأن إسلامهم كان أغيظ لهم ورجوهم إلى الكفر كان عندهم أقرب ، وعلى هذا ف « أن يؤتى » من كلام الله تعالى ، وهو متعلق بمحذوف مؤخر ، أي : الكراهية أن يؤتى أحد دبرتم هذا الكيد .

وهذا الوجه أرجح لوجهين : أحدهما أنه الموافق لقراءة ابن كثير : أأن يؤتى بهمزتين ، أي : الكراهية أن يؤتى قلتم ذلك ، والثاني أن في الوجه الأول عمل ما قبل إلا فيما بعدها ، مع أنه ليس من المسائل الثلاث المذكورة آنفاً ، والثاني مما يميزها الدّعائية كقول عوف بن محلم :

إن الثمانـين ، وبلغتها قـد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وكالتنزيهية في قوله تعالى : « ويجعلون لله البنات . سبحانه ، ولهم ما يشتهون » وكالاستفهامية في قوله تعالى : « فاستغفروا لذنوبهم ،

ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا » إلى آخر هذا البحث الممتع الذي عكره الأسلوب الجاف •

ما يقوله الزمخشري :

ولا مندوحة لنا عن ذكر عبارة الزّمخشري التي جاءت مؤيدة لما ذهبنا إليه في الإعراب ، قال : « ولا تؤمنوا متعلق بقوله : أن يؤتى أحد ، وما بينهما اعتراض ، أي : ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم ، أرادوا : أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا مثلما أوتيتم ولا تفشوه إلا لأشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، أو يحاجوكم به عند ربكم : عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع ، ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة » •

وقد كدنا نخرج عن شرط الكتاب في تلخيص الأقوال ، فحسبنا ما أوردناه ولعل بعض العلماء كان على حق عندما قرر أن هذه الآية أعظم آي هذه السور إشكالا ، وكلام الله أكبر ، وغور لغتنا العربية أبعد وأعمق من أن يسبر •

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اللغة :

(دينار) : الدينار : ضرب من قديم النقود الذهبية ، والجمع دنانير

وأصله دنّار بنونين ، فاستثقل توالي مثلين فأبدلوا أولهما حرف علة تخفيفاً لكثرة دورانه في الاستعمال ، ويدل على ذلك رده إلى النونين عند جمعه جمعاً مكسراً أو عند تصغيره ؛ فقالوا : دنانير ودنينير .

(الأميين) جمع أمي والمراد بههنا :من ليس من أهل الكتاب . ومعلوم أن اليهود استباحوا دماء العرب وأموالهم وأعراضهم .

الإعـراب :

(ومـن أهـل الـكتاب) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان خيانتهم في الأموال بعد بيان خيانتهم في الدين ، والواو استئنافية ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (مَن إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) من اسم موصول مبتدأ مؤخر ولك أن تعربها نكرة موصوفة أيضا أي : ناس وهي مبتدأ مؤخر وإن شرطية وتأمنه فعل الشرط مجزوم والهاء مفعول به والفاعل أنت وبقنطار جار ومجرور متعلقان بتأمنه ويؤده جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به وإليك جار ومجرور متعلقان بيؤده وجملة الشرط وجوابه إما صلة للموصول إذا كانت من موصولة . وإما صفة لها في محل رفع إذا كانت من نكرة موصوفة (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) عطف على الجملة السابقة وتقدم إعرابها بحروفها (إلا ما دمت عليه قائماً) إلا أداة حصر وما دمت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وقائماً خبرها وعليه جار ومجرور متعلقان بـ « قائماً » والاستثناء مفرغ من الظرف العام فهو ظرف (ذلك بأنهم قالوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان استحلالهم أموال العرب وإسم الإشارة في محل رفع مبتدأ والباء حرف جر وأن وما بعدها في محل

جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة قالوا خبر إن (ليس علينا في الأميين سبيل) الجملة في محل نصب مقول قولهم وليس فعل ماض ناقص وعلينا جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر ليس المقدم وفي الأميين جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وسبيل اسم ليس المؤخر (ويقولون على الله الكذب) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولون والكذب مفعول به على التضمين فمعنى يقولون يفترون والأحسن أن يعرب صفة لمصدر محذوف وذلك المصدر مفعول مطلق أي القول المكذوب (وهم يعلمون) الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وجملة يعلمون خبر •

الفوائد :

(ما دام) من أخوات كان وشرط إعمالها أن تتقدمها « ما » الظرفية والمصدرية ، فإذا قلت : لا أكلمك ما دام زيد قاعداً ، فالمراد زمن دوام قعوده ، و « ما » من قولك : ما دام ، تقع لازمة ولا بد منها ولا يكون معها الفعل إلا ماضياً ، وليس كذلك ما زال ، فإنه يجوز أن يقع موقع « ما » غيرها من حروف النفي ، ويكون الفعل مع النافي ماضياً ومضارعاً ، نحو : ما زال ولم يزل ولا يزال ، وأصل مادة « دام » السكون والثبوت يقال : دام الماء أي سكن ، ودوّمت الشمس إذا وقفت في كبد السماء •

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

الإعـراب :

(بلى من أوفى بعهده واتقى) كلام مستأنف مسوق ليكون إثباتاً لما نفوه بقولهم : ليس علينا في الأميين سبيل ، أي العرب • وبلى حرف جواب وتصديق مثل نعم وأكثر ما تقع بعد الاستفهام وتختص بالإيجاب وسيأتي المزيد عنها في موضعه من هذا الكتاب ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وأوفى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعهده جار ومجرور متعلقان بأوفى ، واتقى عطف على أوفى (فإن الله يحب المتقين) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وجملة يحب خبرها والمتقين مفعول به وجملة فإن الله الخ في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) كلام مستأنف لا محل له من الإعراب مسوق لبيان كذب اليهود إذا حلفوا أو باعوا سلعة وحلفوا أنهم أعطوا فيها كذا وكذا ، وإن واسمها ، وجملة يشترون صلة وبعهد الله جار ومجرور متعلقان بيشترون والباء داخلة على المتروك وأيمانهم عطف على بعهد الله وثمناً مفعول به وقليلاً صفة (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) اسم الإشارة مبتدأ ولا نافية للجنس وخلاق اسمها المبني على الفتح ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة لا خلاق لهم خبر أولئك وجملة الإشارة وما تلاها في محل رفع خبر إن (ولا يكلمهم الله) الواو عاطفة ولا نافية ويكلمهم فعل مضارع مرفوع والهاء مفعول به مقدم والله فاعل مؤخر والجملة عطف على جملة لا خلاق لهم (ولا ينظر إليهم) عطف أيضاً (يوم القيامة) الظرف متعلق بينظر (ولا يزكيهم) عطف على « ولا

ينظر إليهم » (ولهم عذاب أليم) الواو عاطفة ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة والجملة معطوفة أيضاً .

البلاغــة :

١ ــ الاســتعارة المكنية في الاشتراء ، أي أنهم يستبدلون بما عاهدوا عليه وبما حلفوا بــه من الأيمان متاع الدنيا ، وأراد بذلك تحريفهم للتوراة وتبديل ما ورد فيها .

٢ ــ الكناية في قوله « ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم » عــن السخط وشــدة الغضب ، ومعنى « ولا يكلمهم اللــه » أي بما يســرهم « ولا ينظر إليهــم » ولا يعطف عليهــم بخــير مقتــاً مــن اللــه لهــم ، كقــول القائــل : أنظــر إلي نظر اللــه إليــك ، بمعنــى تعطّف عليّ تعطّف الله عليك بخــير ورحمة ، وكما يقال للرجــل :

لا استجاب اللــه لك . والله لا تخفى عليه خافية على حد قول شمير بن الحارث الضّبّي :

دعــوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يســمع ما أقول

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

اللغــة :

(يلوون ألسنتهم) يفتلونها ويديرونها عن الصحيح إلى المزيف ،

يقال : لويت عنقه : أي فتلته ، والمصدر : اللّيّ واللّيّان ، وأصل اللّي الفتل والقلب ، من قول القائل : لوى فلان يد فلان ، ومنه قول فرعان بن الأعرف السعدي في ابنه منازل :

تخون مالي ظالماً ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه

وهـذا البيت من أبيات جميلة ، وقبله :

جزت رحم بيني وبين منازل
جزاءً كما يستنزل الدّين طالبه
وما كنت أخشى أن يكون منازل
عدّوي وأدنى شانىء أنا راهبه
حملت على ظهري وفديت صاحبي
صغيراً إلى أن أمكن الطّر شاربه
وأطعمته حتى إذا صار شيظماً
يكاد يساوي غارب الفحل غاربه

تخون مالي ظالماً ... البيت .

الإعـراب :

(وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب) كلام مستأنف مسوق لوصف فريق منهم ككعب بن الأشرف ومالك بن الصّيف وحيّي بن أخطب وأبي ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر كانوا يلوون ألسنتهم ويتشدقون بها محرفين ما فيها من نعت النبي محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، والواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل ومنهم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم واللام المزحلقة وفريقاً اسم إن المؤخر وجملة يلوون صفة لـ « فريقاً » وجمع الضمير اعتباراً بالمعنى لأنه اسم جمع كالرهط والقوم ، والواو فاعل وألسنتهم مفعول به وبالكتاب : جار ومجرور متعلقان بيلوون (لتحسبوه من الكتاب) اللام لام التعليل وتحسبوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وحذفت النون لأنه من الأفعال الخمسة والهاء مفعول تحسبوه الأول ومن الكتاب جار ومجرور في موضع المفعول الثاني وأن المضمرة وما بعدها في محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلقان بيلوون (وما هو من الكتاب) الواو حالية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس وهو ضمير منفصل في محل رفع اسمها ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (ويقولون : هو من عند الله) الواو حرف عطف ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وهو معطوف على يلوون وهو مبتدأ ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة الإسمية في محل نصب مقول القول (وما هو من عند الله) تقدم إعرابها بحروفها . (ويقولون على الله الكذب) عطف على ما سبق ويقولون فعل مضارع والواو فاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولون الكذب مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم إعرابه قريباً ، (وهم يعلمون) الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وجملة يعلمون خبرها .

البلاغة :

التشبيه في قوله : « لتحسبوه » أي يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب .

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

اللغــة :

(البشر) الإنسان ذكراً وأنثى ، واحداً وجمعاً ، ولا واحد له من لفظه ، مثل القوم والخلق .

(ربانيين) الربانيون : جمع ربّاني ، وفيه أقوال أشهرها وأصحها ما ذكره سيبويه قال : الربّاني منسوب إلى الرب ، والألف والنون فيه زائدتان في النسب دلالة على المبالغة ، كرقباني ولحياني وشعراني للغليظ الرقبة والطويل اللحية والكثير الشعر ولا تفرد هذه الزيادة عن النسب ، أما إذا نسبوا إلى الرقبة واللحية والشعر من غير مبالغة قالوا : رقبي ولحوي وشعري . وهذه فائدة جليلة نرى اطّرادها في كل نسبة قصد منها المبالغة ، فيصح أن يقال : علماني نسبة للعلم .

الإعــراب :

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) كلام مستأنف مسوق لبيان افتراء اليهود عــلى الأنبياء إثر افترائهم عــلى الله ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص ، لبشر جار ومجرور متعلقان بمحــذوف خبر مقدم وأن حرف مصدري ونصب ويؤتيه فعل مضارع منصوب بأن والهاء مفعول به أول وأن وما في حيزها في تأويل مصدر اســم

كان المؤخر والله فاعل يؤتيه والكتاب مفعول به ثان والحكم والنبوة معطوفان (ثم يقول للناس) ثم حرف عطف للتراخي وجملة يقول معطوف على يؤتيه وللناس جار ومجرور متعلقان بيقول (كونوا عباداً لي من دون الله) الجملة في محل نصب مقول القول وكان واسمها ، وعباداً خبرها ولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ل « عباداً » ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولكن كونوا ربانيّين) الواو عاطفة ولكن مخففة من الثقيلة مهملة وكونوا فعل أمر ناقص مبني على حذف النون والواو اسمها وربانيين خبرها وجملة كونوا ربانيين في محل مقول قول محذوف أي ولكن يقول كونوا .. (بما كنتم تعلّمون الكتاب) الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بربانيين لما فيه من رائحة الفعل وكان واسمها ، وجملة تعلمون الكتاب خبر كنتم والكتاب مفعول به . (وبما كنتم تدرسون)عطف على «بماكنتم» وجملة تدرسون خبر كنتم(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً)الواو عاطفة ولا مزيدة لتأكيد النفي في قوله « ما كان لبشر أن يؤتيه » ، ويأمركم فعل مضارع معطوف على يؤتيه ؛ أي : ما كان لبشر أن يؤتيه الله ما ذكر ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً ، وتوسيط الاستدراك بين المعطوف والمعطوف عليه للمسارعة الى تحقيق الحق . وقرىء برفع يأمركم على الاستئناف وابتداء الكلام . وسيأتي مزيد من تفصيل إعرابه في باب الفوائد . أن تتخذوا الواو حرف عطف وتتخذوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض والجار

والمجرور متعلقان بيأمر والملائكة مفعول به أول والنبيين معطوف على الملائكة منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم وأرباباً مفعول به ثان (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) كلام مستأنف لخطاب المؤمنين عن طريق التعجب من حال غيرهم والهمزة للاستفهام الإنكاري ويأمركم فعل مضارع مرفوع وفاعله هو والكاف مفعول به وبالكفر جار ومجرور متعلقان بيأمركم وبعد ظرف زمان متعلق بيأمركم أيضاً وإذ ظرف زمان مضاف لـ « بعد » وقد مر أنه لا يضاف إليها إلا الزمان نحو حينئذ ويومئذ ، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ومسلمون خبره والجملة الاسمية في محل جر بإضافة الظرف إليها .

الفوائد :

١ ــ نفي الكون في قوله تعالى « ما كان لبشر » يراد به نفي خبره نحو : ما كان لك أن تفعل هذا ، والمراد نفي الفعل لا نفي الكون ، ويطرد هذا في نوعين :

آ ــ نوع يكون النفي من جهة العقل كالآية الآنفة الذكر لأن الله لا يعطي الكتاب لمن يقول مثل هذه المقالة الشنعاء .

ب ــ نوع يكون فيه النفي على سبيل الانبغاء والإمكان كقول أبي بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم فيصلي بين يدي رسول الله أي : ما ينبغي له ذلك ولا بإمكانه ، والمدار في التمييز بينهما على الذوق والإلمام بسياق الكلام وفحواه .

٢ ــ إذا عطفت قوله : « ولا يأمركم » على « يؤتيه » فتكون « لا » زائدة مؤكدة لمعنى النفي السابق . وإذا عطفته على « يقول »

فيجوز فيــه وجهان :

آ ـ الزيادة : فالمعنى ، ما كان لبشر أن ينصبه الله للدعاء إلى عبادته وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً لــه ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً .

ب ـ أن تكون غير زائدة ، ووجهه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة ، وأهل الكتاب عن عبادة عيسى فلما قالوا له : أتتخذك رباً ؟ قيل لهم : ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والنبيين ، وقيل هو معطوف على قوله « ثم يقول » ويكون التقدير : ولا له أن يقول ، وقرىء بالرفع عــلى الاستئناف وابتداء الكلام .

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

اللغــة :

الإصر : المراد به هنا العهد وسمي العهد إصراً لأنه مما يؤصر أي : يعقد ويشد . والإصر كل ما يشد به .

الإعــراب :

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) كلام مستأنف مسوق لبحث العهد الذي أخــذه الله تعالى على النبيين وأممهم والواو استئنافية وإذ ظرف

لما مضى من الزمن متعلق باذكر محذوفاً وقد مر نظيره وجملة أخذ في محل جر بالإضافة والله فاعل وميثاق مفعول به والنبيين مضاف إليه (لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة) اللام المفتوحة موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق فيه معنى الاستحلاف وقيل : هي للابتداء التي يتلقى بها القسم وما اسم موصول مبتدأ وجملة آتيتكم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ومن كتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وحكمة عطف على كتاب (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وجاءكم فعل ماض والكاف مفعول به ورسول فاعل مؤخر مرفوع ومصدق صفة ولما اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بمصدق ومعكم ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (لتؤمننّ به ولتنصرنّه) الواو واقعة في جواب قسم مقدر وتؤمننّ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والأصل لتؤمنوننّ ولما التقى ساكنان حذفت الواو أيضاً وهي فاعل وبقيت الضمة دليلاً عليها ، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة لا محل لها ، وبه متعلق بتؤمننّ ، ولتنصرنه عطف على لتؤمنن وهو مثله في الإعراب والواو المحذوفة فاعل والهاء مفعول به وجملة القسم المقدر وجوابه خبر ما (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) جملة مفسرة لا محل لها وقال فعل ماض وفاعله هو والهمزة للاستفهام التقريري والتوكيدي لأن الاستفهام بمعناه الحقيقي مستحيل في حقه وأقررتم فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول وأخذتم عطف على أقررتم وعلى ذلكم جار ومجرور متعلقان

بأخذتم وإصري مفعول به والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة (قالوا أقررنا) الجملة مستأنفة لا محل لها وجملة أقررنا في محل نصب مقول القول (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) الجملة مستأنفة مسوقة لتسجيل الشهادة علـى إقرارهم وقال فعل ماض والفاعل هو، فاشهدوا الفاء هي الفصيحة واشهدوا فعل أمر والواو فاعل والجملة لا محل لها ، وأنا الواو حالية أو استئنافية وأنا مبتدأ ومعكم ظرف متعلق بمحذوف حال ومن الشاهدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة أنا معكم في محل نصب على الحال أو استئنافية لا محل لها •

الفوائد :

١ ـ شغلت هذه الآية المعربين كثيراً وسنورد خلاصة لأهم ماقيل فيها سالكين سبيل الاختصار •

ما يقوله سيبويه :

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم » فقال : « ما » بمعنى الذي ، قال النحاس في شرحه لكتاب سيبويه : التقدير في قول الخليل : الذي آتيتكموه ثم حذفت الهاء لطول الاسم واللام لام الابتداء ، وبهذا قال الأخفش ، وتكون « ما » في محل رفع على الابتداء • وقوله : ثم جاءكم وما بعده جملة معطوفة علـى الصلة والعائد محذوف أي مصدق به •

ما يقوله المبرد والزّجاج والكسائي :

ما : شرطية دخلت عليها لام التحقيق كما تدخل على إن ولتؤمننّ جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق ، إذ هو بمنزلة الاستحلاف كما

تقول : أخذت ميثاقك لتفعلنّ كذا ، وهو سار مسد الجزاء . وقال الكسائي : إن الجزاء في قوله فمن تولى .

ابن هشام يرد على ابي البقاء :

وقال ابن هشام في الرد على أبي البقاء : « وأما أبو البقاء فإنه قال في « لما آتيتكم من كتاب وحكمة » الآية : من فتح اللام ففي «ما» وجهان أحدهما أنها موصولة مبتدأ والخبر إما من كتاب أي الـذي آتيتكموه من الكتاب ، أو لتؤمننّ به واللام جواب القسم لأن أخذ الميثاق قسم وجاءكم عطف عـلى آتيتكم والأصل ثم جاءكم به فحذف عائد ما والأصل مصدق له ، ثم ناب الظاهر عن المضمر ، أو العـائد ضمير استقر الذي تعلقت به « مع » والثاني أنها شرطية واللام موطئة وموضع ما نصبٌ بآتيت والمفعول الثاني ضمير المخاطب و «من كتاب» مثل « من آية » في « ما ننسخ من آية » وفيه أمور :

آ ـ إن اجازته كون من كتاب خبراً فيه الإخبار عن الموصول قبل كمـال الصلة لأن « ثم جاءكم » عطف عـلى الصلة .

ب ـ إن تجويزه كون لتؤمننّ خبر مع تقديره إياه جواباً لأخـذ الميثاق يقتضي أن له موضوعاً وأنـه لا موضع له من حيث جعله خبراً ومن حيث أنه جواب للقسم وهذا تناقض ، وإنما كان حقه أن يقدره جواباً لقسم محذوف ويقدر الجملتين خبراً ، وقد يقال : إنما أراد بقوله : اللام جواب القسم لأن أخذ الميثاق قسم ، وأخـذ الميثاق دال على جملة قسم مقدرة ومجموع الجملتين ، وإنما سمى « لتؤمننّ » خبراً لأنه الدال على المقصود بالأصالة لأنه وحده هو الخبر بالحقيقة ،

وإنه لا قسم مقدر بل « بل أخـذ الله ميثاق النبيين » هو جملة القسم ، وقد يقال : لو أراد هذا لم يحصر الدليل فيما ذكر للاتفاق على وجود المضارع مفتتحاً بلام مفتوحة مختتماً بنون مؤكدة وهو دليل قاطع على القسم وإن لم يذكر معه أخذ الميثاق أو نحوه •

ج ــ إن تجويزه كون العائد ضمير استقر يقتضي عود ضمير مفرد إلى شيئين معاً فإنه عائد إلى الموصول •

د ــ إنه جوّز حذف العائد المجرور مع أن الموصول غير مجرور ، فإن قيل : اكتفى بكلمة به الثانية فيكون كقوله :

لو أنّ ما عالجت لين فؤادها فقسا استلين به للان الجندل

قلنا قد جوز على هذا الوجه عود « به » المذكورة إلى « الرسول » لا إلى « ما » •

هـ ــ إنه سمى ضمير آتيتكم مفعولاً ثانياً وإنما هو مفعول أول •

٢ ــ اللام الموطئة للقسم: هي الداخلة على شرط وسميت موطئة لأنها توطىء ما يصلح أن يكون جواباً للشرط وللقسم فيصير جواب الشرط محذوفاً إذ ذاك لدلالة جواب القسم عليه •

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

الإعـراب :

(فمن تولى بعد ذلك) كلام مستأنف للرد على أهل الكتاب الذين

اختصموا إلى النبي صلى اللـه عليه وسلم والفاء استئنافية ومن شرطية في محل رفع مبتدأ تولى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعد ظرف متعلق بتولى وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة (فأولئك هم الفاسقون) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ وهم ضمير فصل لا محل له والفاسقون خبر أو « هم الفاسقون » مبتدأ وخبر والجملة خبر أولئك وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر «من» .

(أفغير دين الله يبغون) الهمزة للاستفهام الانكاري ودخلت على الفاء العاطفة جملة على جملة ، والمعنى : فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ، ثم توسطت الهمزة بينهما ، ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره : أيتولون فغير دين الله يبغون ، وقد تقدمت الإشـارة إلى ويبغون فعل مضارع مرفوع وعلامةرفعهثبوتالنونلأنهمن الافعالالخمسة والواو فاعل (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بأسلم ، وأسلم فعل ماض والجملة في محل نصب حال ومن اسم موصول فاعل أسلم وفي السموات جـار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة والأرض عطف على السموات وطوعاً وكرهاً مصدران منصوبان على الحالية بمعنى طائعين أو كارهين أو على أنهما مفعولان مطلقان لفعلين محذوفين والأول أولى (وإليه يرجعون) الواو عاطفة وإليه جار ومجرور متعلقان بيرجعون ويرجعون قرىء بالتاء والياء وهو فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعـل .

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

اللغـة :

(الأسباط) : جمع سبط بكسر السين ، وهو ولد الولد . ويغلب على ولد البنت ، مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن . والأسباط من اليهود مقابل القبيلة من العرب .

الإعـراب :

(قل : آمنا بالله) كلام مستأنف مسوق للطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول هو وأصحابه : آمنا بالله . ولذلك وحد الضمير في قوله : « قل » ، وجمعه في قوله : « آمنا » . وقل فعل أمر وفاعله أنت وآمنا فعل ماض وفاعل وجملة آمنا مقول القول وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا (وما أنزل علينا) الواو عاطفة وما اسم موصول معطوف عـلى الله وجملة أنزل علينا صلة الموصول (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) الواو حرف عطف وما اسم معطوف على ما الأولى وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وجملة أنزل صلة وعلى إبراهيم جار ومجرور متعلقان بأنزل والأسماء المتعاقبة عطف على إبراهيم (وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم) عطف على ما تقـدم ، وأوتي فعـل ماض مبني للمجهول وموسى نائب فاعل وما بعده عطف عليه ومن ربهم جار ومجرور متعلقان بأوتي (لا نفرق بين أحد منهم) لا نافية ونفرق فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن وبين ظرف مـكان متعلق بنفرق ، وأحد مضاف إليه ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة

لأحد والجملة حالية (ونحن له مسلمون) الواو حالية أو استئنافية ونحن مبتدأ وله جار ومجرور متعلقان بـ « مسلمون » . ومسلمون خبر نحن والجملة إما نصب على الحال وإما مستأنفة لا محل لها .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾

الإعـراب :

(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) كلام مستأنف مسوق للشروع في الحديث عن المرتدين الذين لحقوا بالكفار ، وكانو اثني عشر رجلاً ارتدوا وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً ، منهم الحارث بن ســويد الأنصاري . والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويبتغ فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وغير : لنا فيها وجهان إما أن تكون مفعولاً به ليبتغ وديناً تمييز وإما أن تكون حالاً لأنها كانت في الأصل صفة لـ : ديناً ، ثم تقدمت عليه،وديناً على هذا الوجه مفعول به ، فلن الفاء رابطة

لجواب الشرط ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن ومنه جار ومجرور متعلقان بيقبل وجملة لن يقبل منه في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (وهو في الآخرة من الخاسرين) الواو للعطف وهو مبتدأ وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بالخاسرين ومن الخاسرين : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر هو والجملة عطف على جواب الشرط ، ويحتمل أن تكون الواو استئنافية والجملة مستأنفة بمثابة الإخبار عن حاله في الآخرة (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن المرتدين الآنفي الذكر وقيل : نزلت بشأن اليهود أو المراد هؤلاء وأولئك . وكيف اسم استفهام معناه الجحد والنفي ، أي لا يهدي الله وهو في محل نصب حال ويهدي فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء والله فاعل وقوماً مفعول به وجملة كفروا صفة لـ : قوماً وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا وإيمانهم مضاف إليه (وشهدوا أن الرسول حق) هذا العطف من الدقائق إذ لا يصح عطفه على كفروا كما يبدو لأول وهلة لفساد المعنى فالأصح أن يعطف على ما في « إيمانهم » من معنى الفعل لأن معناه : بعد أن آمنوا بالله ، فهو من باب العطف على التوهم . ويمكن أن يقال إن الواو لا تقتضي الترتيب فهي معطوفة على كفروا ، ويجوز أن تكون الواو حالية بإضمار « قد » بعدها أي : وقد شهدوا ، والأول أمكن في المعنى وأبعد عن الوهن . وأن واسمها وخبرها وهي وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي بأن الرسول حق فيكون الجار والمجرور متعلقين بشهدوا (وجاءهم البينات) الواو عاطفة وجاءهم فعل ماض ومفعول به والبينات فاعل والجملة عطف على جملة شهدوا

ويجوز أن تكون الواو للحال بتقدير قد أي وقد شهدوا فالجملة نصب على الحال (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يهدي خبر والقوم مفعول به والظالمين صفة القوم (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان جزائهم ومصيرهم ، وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وأن وما في حيزها خبر جزاؤهم والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ، ولعنة الله اسم أن المؤخر (والملائكة والناس أجمعين) الواو حرف عطف والملائكة عطف على الله والناس عطف أيضاً وأجمعين تأكيد مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم (خالدين فيها) خالدين : حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (لا يخفف عنهم العذاب) الجملة حال ثانية ولا نافية ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول وعنهم جار ومجرور متعلقان بيخفف والعذاب نائب فاعل (ولا هم ينظرون) الواو عاطفة ولا نافية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وينظرون أي يمهلون فعل مضارع والواو نائب فاعل والجملة في محل رفع خبر « هم » والجملة عطف على جملة لا يخفف (إلا الذين تابوا) إلا أداة استثناء والذين مستثنى وجملة تابوا لا محل لها لأنها صلة الموصول (من بعد ذلك) جار ومجرور متعلقان بتابوا ، وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة (وأصلحوا) الجملة معطوفة على جملة تابوا (فإن الله غفور رحيم) الفاء هي الفصيحة وإن واسمها ، وغفور خبرها الأول ورحيم خبرها الثاني . هذا وقد اختلف في إعراب جملة الاستثناء وأكثر المعربين يعربونها حالاً متداخلة أي حالاً من حال ، لأن خالدين حال من الضمير في « عليهم » وأعربها آخرون جملة مستأنفة وهي بذلك مسوقة لبيان خلودهم في النار ،

وجدير بالذكر أن الذي تاب هو الحارث بن سويد بن الصامت الانصاري حين ندم على ردته وأرسل إلى قومه الأنصار يقول : سلوا هل لي من توبة ؟ فأرسل إليه أخوه الجلاس الآية ، فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

الإعـراب :

(إن الذين كفروا بعد إيمانهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وقيل هي عامة ، وإن واسمها ، وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا وإيمانهم مضاف إليه (ثم ازدادوا كفراً) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وازدادوا فعل ماض والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وكفراً تمييز محول عن الفاعل أي : ازداد كفرهم ، وزاد يتعدى لاثنين ومطاوعه يتعدى لواحد فقط (لن تقبل توبتهم) لن حرف نصب وتقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن وتوبتهم نائب فاعل والجملة خبر إن (وأولئك هم الضالون) الواو حرف عطف أو استئنافية لئلا نحتاج إلى تقدير في عطف الجملة

الاسمية على الجملة الفعلية وقيل هي للحال ، والمعنى لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون وأولئك اسم إشارة . وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ثان والضالون خبر « هم » والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة أو « هم » ضمير منفصل لا محل له الضالون خبر أولئك (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما تقدم وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول وماتوا عطف على كفروا وهم الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وكفار خبر والجملة نصب على الحال (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً) الفاء رابطة للجواب لما في الموصول من رائحة الشرط وإنما دخلت الفاء هنا ولم تدخل في قوله « لن تقبل منهم » لأن الفاء مؤذنة بالاستحقاق بالوصف السابق ، وهنا قال « وماتوا وهم كفار » ولم يصرح هناك بهذا القيد ، ولن حرف نصب ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن والجملة خبر إن ومن أحدهم جار ومجرور متعلقان بيقبل وملء نائب فاعل والأرض مضاف إليه وذهباً تمييز وقد اختلف في ناصبه اختلافاً حدا بالكسائي إلى ترجيح نصبه بنزع الخافض ولعله أرجح (ولو افتدى به) الواو عاطفة على محذوف وسيأتي حكمها في باب الفوائد لو شرطية غير جازمة وافتدى فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف وفاعله هو وبه جار مجرور متعلقان بافتدى (أولئك لهم عذاب أليم) الجملة برأسها خبر ثان لإن وأولئك اسم إشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وأليم صفة (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر

زائد وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر .

الفوائد :

١ ـ العطف على التوهم : جعل جمهور النحاة العطف على التوهم مطرداً ، وهو أن تتوهم أن الأمر جار على الأصل فتعطف عليه كقول زهير بن أبي سلمى :

بدا لي أني لست مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

بعطف سابق على توهم زيادة الباء في خبر ليس أي لست بمدرك ولا سابق ، وقول الآخر :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

أي ليسوا بمصلحين ولا ناعب .

٢ ـ زعم نحويو البصرة أنه نصب الذهب لاشتغال الملء بالأرض ، ومجيء الذهب بعدهما ، فصار نصبها نظير نصب الحال ، وذلك أن الحال يجيء بعدها فعل قد شغل بفاعله فينصب كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفاعل الذي قد شغل بفاعله . قالوا : ونظير قوله : ملء الأرض ذهباً ، في نصب الذهب في الكلام: لي مثلك رجلاً ، بمعنى لي مثلك من الرجال . وزعموا أن نصب الرجل لاشتغال الإضافة بالاسم ، فينصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل .

٣ ـ استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى : «فلن تقبل توبتهم»

مع كون التوبة مقبولة كما في الآية الأولى وكما في قوله تعالى : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » وغير ذلك ، فقيل : لن تقبل توبتهم عند الموت . قال النحاس : وهذا قول حسن ، كما قال تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال : إني تبت الآن » . وقيل : الأولى أن يحمل عدم قبول التوبة في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب ، فكأنه عبر عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة ، أو تابوا في الآخرة عند معانية العذاب ، كما أشير إليه بقوله تعالى : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا » الخ وبقوله تعالى : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » .

٤ ـــ الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطاً آخر يعطف عليه الشرط الذي اقترنت الواو به ، والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق منبهاً على المسكوت عنه بطريق الأولى . مثاله قولك : أكرم فلاناً ولو أساء ، فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره : أكرم فلاناً لو أحسن ولو أساء ، إلا إنك نبهت بإيجاب اكرامه ان أساء ، على أن اكرامه إن أحسن بطريق الأولى،والافتداء بملء الأرض ذهباً هو جدير بالقبول ، فإن لم يقل فبطريق الأولى أن لا يقبل الافتداء بأقل من ذلك ، وهذا من دقائق النكت وأسرار لغتنا التي لا تقف عند مدى .

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

اللغــة :

(حلاً) الحِلّ : بكسر الحاء مصدر حلّ ، يقال : حل الشيء حلالاً وحِلاً . ويستوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع .

الإعــراب :

(لن تنالوا البّر حتى تنفقوا مما تحبون) : كلام مستأنف مسوق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم إثر بيان ما لا ينفع الكفار ولا يقبل منهم ؛ ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتنالوا فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والبر مفعول به وحتى حرف غاية وجر وتنفقوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى والواو فاعل ومما جار ومجرور متعلقان بتنفقوا وجملة تحبون لا محل لها لأنها صلة « ما » الموصولية . واعلم أنّ هذه الآية وردت منظومة من غير قصد ، فلا تعد شعراً ؛ لأن الشعر عند العروضيين هو المنظوم بقصد ، وهذه الآية بيت كامل من مجزوء الرّمل ، ويأتي على الشكل التالي :

لــن تنالــوا البّر حتى   تنفقــوا مــا تحبّون

وسيرد الكثير من الآيات الموزونة بغير قصد الشعر .

(وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) الواو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط مجزوم والواو فاعل ومن شيء جار ومجرور متعلقان بتنفقوا فإن الفاء

رابطة لجواب الشرط المحذوف بمثابة التعليل له ، وقد وقعت موقعه والتقدير : فيجازيكم بحسبه ومقداره فإنه عليم بكل شيء ، وإن واسمها، وعليم خبرها وبه : جار ومجرور متعلقان بعليم (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لتفنيد تخرصات اليهود إذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم ، وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل ولا ألبانها ، وأنت تأكل ذلك وتشربه ، فلست على ملته • وكل مبتدأ وجملة كان حلاً خبره وكان فعل ماض واسمها هو وحلاً خبرها ولبني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بقوله « حلاً » وإسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف والمانع له العلمية والعجمة (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) إلا أداة استثناء وما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من اسم كان المستتر وجملة حرم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول وإسرائيل فاعل وعلى نفسه جار ومجرور متعلقان بحرم والمراد بإسرائيل يعقوب وجملة الاستثناء حالية (من قبل أن تنزل التوراة) اختلف المعربون في تعليق من قبل والظاهر أنه متعلق بـ « حلاً » لمناسبة المعنى وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لقبل والتوراة نائب فاعل (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) الجملة مستأنفة مسوقة لقطع الطريق على جوابهم والفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أي إذا كنتم واثقين من أقوالكم وأصررتم عليها فأتوا بالتوراة ، وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبالتوراة متعلقان بأتوا والجملة مقول القول ، فاتلوها الفاء عاطفة واتلوها فعل أمر مبني على حذف النون

والواو فاعل والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه « فأتوا بالتوراة » (فمن افترى على الله الكذب) جملة مستأنفة مسوقة لوصف المفترين بالظالمين والفاء استئنافية ومن اسم شرط غير جازم في محل رفع مبتدأ وافترى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر يعود على « من » ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترى والكذب مفعول به (من بعد ذلك) الجار والمجرور متعلقان بافترى أو بمحذوف حال (فأولئك هم الظالمون) الفاء رابطة لجواب الشرط وألئك اسم إشارة مبتدأ وهم مبتدأ ثان والظالمون خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وهم ضمير فصل ، والظالمون خبر أولئك وجملة الإشارة وما بعدها في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

اللغــة :

(بكة) لغة في مكة ، وسميت مكة لأنها قليلة الماء تقول العرب :

مك الفصيل ضرع أمه وأمكه إذا امتص ما فيه من اللبن . وفي القاموس ما يدل على أنها سميت بذلك لأنها تمك الذنوب أي تمحوها وتزيلها . أما بكة فقد سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة ، أي تذلهم وتهلكهم . وقيل : من بكه اذا زحمه ، سميت بذلك لازدحام الناس فيها . قال :

اذا الشريب أخذته الاكه فخله حتى يبك بكه

هذا وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة منها مكة وبكة والبيت العتيق والبيت الحرام والبلد الأمين والمأمون وأم رحيم وأم القرى وصلاح والعرش والقادس لأنها تطهر من الذنوب والمقدسة والناسة بالنون وبالباء أيضاً والحاطمة والرأس وكوثاء والبلدة والبنية والكعبة .

الإعراب :

(قل : صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً) كلام مستأنف مسوق للتعريض بكذبهم أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون . وقل فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وصدق الله فعل ماض وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول فاتبعوا : الفاء هي الفصيحة أي إذا أردتم النجاة بعد أن ثبت لكم ذلك على الوجه الأكمل فاتبعوا ، واتبعوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وملة مفعول به وإبراهيم مضاف إليه وحنيفاً حال (وما كان من المشركين) الواو حالية وما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستترتقديره هو يعود على إبراهيم

ومن المشركين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة**) كلام مستأنف مسوق للدلالة على أن أول مسجد وضع للناس هو المسجد الحرام ثم بيت المقدس وأول من بناه إبراهيم عليه السلام ، وإن واسمها وبيت مضاف إليه ووضع فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وللناس جار ومجرور متعلقان بوضع والجملة صفة لبيت و للذي اللام المفتوحة هي المزحلقة والذي اسم موصول في محل رفع خبر إن وببكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (**مباركاً وهدى للعالمين**) مباركاً حال من اسم الموصول أو من الضمير المستكن في متعلق الجار والمجرور وهدى عطف على مباركاً وللعالمين جار ومجرور متعلقان بهدى أي هادياً لهم (**فيه آيات بينات مقام إبراهيم**) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وبينات صفة لآيات والجملة مستأنفة لبيان بركته وهداه ؛ ومقام مبتدأ خبره محذوف أي منها مقام إبراهيم أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره أحدها أي أحد تلك الآيات البينات مقام ابراهيم والجملة استئنافية .

وسترى في باب الفوائد مناقشة طريفة وما أوردناه هو الأولى (**ومن دخله كان آمناً**) الواو استئنافية ومن شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويجوز أن تكون موصولية ودخله فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل هو والهاء مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض وقد تقدم إعرابه وكان فعل ماض ناقص في محل جزم جواب الشرط واسمه هو وآمناً خبر كان وفعل الشرط وجوابه خبر من

الشرطية والموصولة (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لفرض الحج والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعلى الناس جار ومجرور متعلقان بما تعلق به الخبر وهو « لله » وحج مبتدأ مؤخر والبيت مضاف إليه ومن اسم موصول في محل جر بدل من الناس بدل بعض من كل أو اشتمال والضمير محذوف أي منهم وأعربها بعضهم فاعلاً بـ « حج » وفيه نظر يأتيك تفصيله الممتع في باب الفوائد ، وجملة استطاع صلة الموصول وإليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لسبيلاً فلما تقدمت عليه أعربت حالاً (ومن كفر فإن الله غنيٌ عن العالمين) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ أو اسم موصول وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله هو والفاء تعليل لجواب الشرط المقدر أي فلن يضر الله فان الله عنه غني ، وعلى كل حال فالجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول وفعل الشرط وجوابه خبر وإن حرف مشبه بالفعل والله اسمها وغني خبرها وعن العالمين جار ومجرور متعلقان بغني .

الفوائد :

١ ـ للنحاة كلام طويل اشتجر فيه الخلاف بينهم وشايعهم المفسرون فهاموا في كل واد ، حتى كاد يفوتهم المراد ، ولو أنهم جنحوا الى السهولة لاختاروا الوجه الذي اخترناه فأراحوا واستراحوا ، ولكنهم خاضوا في القول واستغلوا طاقاتهم النحوية القوية ، فأتوا في مناقشاتهم بالممتع المطرب ، وسنعرض لك هنا خلاصة عن تلك المناقشات لتكون تسجيلاً تاريخياً لاشتجار الآراء وشاهداً لموضوعية الفكر .

قال الزمخشري : مقام : عطف بيان من آيات ، ورد عليه النحاة فقالوا : إنه خرق لإجماع النحاة الذين قرروا أن النكرة لا تبين بالمعرفة وجمع المؤنث السالم لا يبين بالمفرد المذكر . وقالوا : لا يجوز أن يكون بدلاً من آيات لأنهم نصوا على أن المبدل منه إذا كان متعدداً وكان البدل غير واف بالعدة تعين القطع . ورد عليهم أنصار الزمخشري بأنه أي الزمخشري كان مجتهداً فلا يبالي بمخالفة الإجماع .

وابن جني أجاز خرق الاجماع :

وقال ابن جني : إنه يجوز خرق الإجماع في الفنون الأدبية .

ما يقوله جلال الدين السيوطي :

وقال الجلال السيوطي في حاشيته على البيضاوي ما نصه : « قوله ، مبتدأ محذوف خبره ، أي أحد الوجوه في « مقام » قال الشهاب الحلبي : وهو المختار . وقال الزمخشري هو عطف بيان ورد عليه بأن « آيات » نكرة و « مقام إبراهيم » معرفة ، ولا يجوز التخالف في عطف البيان بإجماع البصريين والكوفيين . وقال الصفاقسي : يحتمل أن يكون الزمخشري أطلق عطف البيان وأراد به البدل كالجماعة تسمحاً ، وكذلك قال ابن هشام في المغني : قد يكون عبر عن البدل بعطف البيان لتآخيهما . ويؤيده قوله في « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » أن « من وجدكم » عطف بيان لقوله : « حيث سكنتم » وهذا سيبويه إمام الصنعة يسمي التوكيد صفة ،

وإنما نقلنا هذا الكلام وهو غيض من فيض ــ للاستمتاع وترويض الذهن ، وقد أغنانا إعراب « مقام » مبتدأ خبره محذوف أو خبر لمبتدأ محذوف عن كل هذا التطويل .

٢ ــ المناقشة الثانية في « من استطاع » :

ما ارتئيناه من إعراب « من » بدلاً من « الناس » هو المختار ، وقال بعض النحاة : « من » فاعل حج لأنه مصدر يعمل عمل فعله ، والمصدر مضاف إلى مفعوله . ورد النحاة عليه بأنه يجب على الناس أن يحج مستطيعهم ، وذلك باطل . وأجاب التاج السبكي عن ابن السيد فقال : ولا مانع من أن يكون في الحج شيئان : فرض كفاية على كل الناس أن يحج مستطيعهم فإن لم يحج أثم الخلق كلهم ، وفرض عين على المستطيع . ولا حاجة إلى كل هذا التكلف ، والاخذ والرد . وذلك باعراب « من » بدلاً من الناس ، فتأمل والله يرشدك .

هذا وقد أعرب الكسائي « من » شرطية في محل رفع مبتدأ وجوابها محذوف والتقدير : من استطاع فليحج أو فعليه أن يباشر الحج بنفسه .

* * *

فهرس المجلد الأول

انتهى المجلد الأول ويليه المجلد الثاني

من الآية «٩٨» من سورة آل عمران